

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة الخليل
كلية الدراسات العليا
برنامج اللغة العربية

شُعْران الكُتّاني

جمع وتوثيق ودراسة

إعداد الطالبة:

لبنى إسماعيل داود النّشة

إشراف:

الأستاذ الدكتور حسن محمد عبد الهادي السّراحنة

قُدِّمَتْ هذه الرّسالة استكمالاً لمتطلّبات درجة الماجستير في اللّغة العربيّة
بكلية الدّراسات العليا في جامعة الخليل

1432 هـ _ 2011 م

نوقشت هذه الرسالة يوم الخميس بتاريخ : 5 / 5 / 2011 م

الموافق: 2 / جمادى الآخرة / 1432 هـ وأجيزت .

أعضاء لجنة المناقشة :

التوقيع :

- (1) - أ . د حسن عبد الهادي سراحنة (مشرفاً ورئيساً) : 
- (2) - أ . د علي عمرو (ممتحناً داخلياً) : 
- (3) - أ . د مشهور الحبازي (ممتحناً خارجياً) : 

الإهداء

عرفاناً بالجميل لأهله وإعطاء كل ذي حق حقه يسعدني أن أهدي جهدي في هذا البحث:

والدي الدكتور المرحوم "إسماعيل داود النشئة" أبا ومعلماً وقدوة ومُرشدًا أبدَ الدهر		إلى مَنْ أَخَذَ بيدي إلى معين العلم . . . وعلّمني علوم العربية منذ تفتّحت بِراعم صباي، وَمَنْ سلخ عمره في تربية الأجيال، وتعليم العربية مُنقِباً عن كنوزها الدفينة . . . حتى اصطفاه ربُّ العزة إلى جواره .
والدتي العزيزة		إلى التي رَشِفْتُ من رحيق عطفها وحنانها أملاً أَشْرَقَتْ به أيام حياتي، والتي لم تَأَلْ جهداً في توفير كامل الرعاية والدعم والتشجيع .
زوجي العزيز (فضال)		وإلى الذي وقف بجاني فصبر وشجع وابتسم فكان كالرياض تتضوع شذا .
أولادي (عبد الخالق ومحمد وسارة) .		إلى مهجة قلبي ونور عيني وورود أيامي .
أشقائي		إلى النور الذي ملأ عيني والظل الذي كسى ساحات أحلامي
إلى كل من وقف إلى جانبي		
أهدي ما قَدَّمْتُ مِنْ جُهدٍ - وما أَرَانِي وفيت -		
الباحثة		

شكر وتقدير

أتوجه بخالص الشكر والتقدير والعرفان، ووافر الامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور "حسن محمد عبد الهادي السراحنة"، الذي حثني على اقتحام دروب البحث، فكان بالنسبة لي خير مُرشد ومعين على تحمّل عناء هذا البحث منذ أن كان بذرة فنمت بفكره المنير، ورعايته الدائمة المتواصلة، إلى أن أصبحت البذرة ثمرة، فلم يخل عليّ بوقته وعلمه الواسع، وتوجيهاته الحكيمة، مُقدّرة له ما عاناه من أجلي في التّقويم والتّحصيل والتّوجيه في البحث شكلاً ومضموناً، وما بذله من جهد في إنارة دربي ووضع يديّ على عثراتي وهناتي، شاكرة له عناؤه وصبره عليّ في استفساراتي واستيضاحاتي طوال فترة إعداد الرسالة، فكان نعم النّاصح، ونعم الموجه ونعم الأب الحاني، فضلاً عمّا أمدّني به من المصادر والمراجع المهمة لرسالتي واضعاً مكتبته الخاصّة تحت تصرفي، أنتقي منها ما أشاء فجزاه الله عني خير الجزاء .

ويسعدني أن أسجل الشكر الجزيل لعميد كلية التربية الدكتور نبيل الجندي الذي قام مشكوراً بمراسلة **جامعات عدة**، في محاولة جادة منه للوصول إلى الجزء الخامس من كتاب "مجمع الآداب" لابن الفوطي، وبحمد الله وفضله حصلت على ما أردته، حيث كان ذلك بمساعدة الزميل الإعلامي العراقي عبد عوني النصراوي الذي قدم لي يد العون - بروح الأخ المخلص - في الوصول إلى الجزء الخامس المفقود من هذا الكتاب، والموجود في العراق عند الأستاذ كامل الجبوري، فلمهم جميعاً وافرُ شكري وتقديري .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة الخليل ممثلةً بمجلس أمنائها ورئاستها، وكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، وكذا عمادة كلية الآداب، وأساتذة قسم اللغة العربية الذين زودوني بالكثير من العلم والمعرفة، وكان لهم الفضل جميعاً في استحداث برنامج الدراسات العليا والإشراف التاجح عليه حتى آتى أكله يا ذن الله تعالى .

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى كل من كان له فضل كريم عليّ في إتمام هذه الرسالة، وأعتذر لمن غاب عن الذكر، ولم تسعفني الكلمات على الإشادة بما فعله من خير لي أثناء كتابة هذه السطور (لأنّ من لا يشكر الناس لا يشكر الله) .

ولله الفضل والمنة

المحتويات

ب		الإهداء
ت		شكر وتقدير
ث		المحتويات
ذ		المقدمة
28 - 1	الشاعر وعصره:	التمهيد:
23 - 2	أولاً: سيرة ابن الكتّاني:	
2	- المبحث الأول: اسمه ونسبه	
4	- المبحث الثاني: كنيته ولقبه	
5	- المبحث الثالث: مولده ونشأته ومراحل حياته	
11	- المبحث الرابع: اتصاله بحكام العصر وأعيانه	
16	- المبحث الخامس: صفاته وأخلاقه	
17	- المبحث السادس: ثقافته ومكانته الأدبية	
19	- المبحث السابع: وفاته	
22	- المبحث الثامن: ديوانه	
23	- المبحث التاسع: رواة شعره	
28 - 24	ثانياً: عصر ابن الكتّاني:	
252 - 29	الدراسة:	القسم الأول:
136 - 30	موضوعات شعر ابن الكتّاني:	الفصل الأول:
61 - 32	المبحث الأول: المدح	
35	v المحور الأول: مدح الملوك والأمراء	

50	٧ المحور الثاني: مدح الوزراء والقضاة والعلماء	
57	٧ المحور الثالث: مدح أعيان آخرين من رجالات الدولة	
88-62	المبحث الثاني: الغزل	
63	٧ المحور الأول: اتجاهات الغزل في شعره	
63	- الاتجاه الأول: المقدمات الغزليّة	
67	- الاتجاه الثاني: الغزل بالمدح	
75	- الاتجاه الثالث: الغزل بالموثّق	
80	٧ المحور الثاني: المعاني المطروقة الشائعة في غزله	
80	1. المعاني الماديّة	
85	2. المعاني المعنويّة	
89	المبحث الثالث: الإخوانيّة	
98	المبحث الرابع: الخمرة	
119-109	المبحث الخامس: الوصف	
110	أولاً: الوصف في مقطوعات مستقلة	
112	أولاً: الوصف في أغراض أخرى	
129-120	المبحث السادس: الحنين والشوق	
122	٧ المحور الأول: موضوعات ذات إطار عام	
125	٧ المحور الثاني: موضوعات ذات إطار خاص	
136-130	المبحث السابع: فنون شعرية ثانوية	
131	1. الحكم	
133	2. العتاب	

134		3. الفخـــر	
135		4. الـــشكوى	
136		5. الـــذم	
252 - 137		الخصائص الفنيّة لشعر ابن الكّثاني:	الفصل الثّاني:
159 - 138		المبحث الأول: بناء القــــــــــــــــــــــصيدة	
192 - 160		المبحث الثاني: الأســــــــــــــــلوب واللغة	
165		v المحور الأوّل: الأســــــــــــــــلوب الزخرفي	
172		v المحور الثّاني: الأســــــــــــــــلوب التقريري	
180		v المحور الثّالث: الأســــــــــــــــلوب الإشائي	
182		v المحور الرّابع: الأســــــــــــــــلوب الخطابي	
183		v المحور الخامس: أســــــــــــــــاليب أخرى	
230 - 193		المبحث الثالث: الصّورة الشعريّة	
194		v المحور الأوّل: الصّورة الشعريّة مفهومها ووظيفتها	
197		v المحور الثّاني: مصادر الصّورة الشعريّة	
198		1. البيئــــــــــــــــة السّاميّة	
199		2. البيئــــــــــــــــة المتحرّكة	
199		3. المـــــــــــــــــــــوروث الثقافــــــــــــــــي	
200		v المحور الثّالث: أنماط الصّورة الشعريّة	
201		أوّلاً: الصّورة الحــــــــــــــــسيّة	
202		1. الصّورة البــــــــــــــــصريّة	
206		أ. الصّورة اللونيّة	

210		ب. الصُّورة الضَّوئيَّة	
212		2. الصُّورة السَّمعيَّة	
215		3. الصُّورة السَّميَّة	
217		4. الصُّورة الذَّوقيَّة	
221		5. الصُّورة اللَّمسيَّة	
224		ثانيًّا: الصُّورة العَقليَّة	
227		ثالثًّا: الصُّورة الإيحائيَّة	
258 - 231		المبحث الرَّابِع: الموسيقيَّا الشَّعريَّة	
234		٧ المحوِّر الأوَّل: الموسيقيَّا الدَّاخليَّة	
237		٧ المحوِّر الثَّاني: الموسيقيَّا الخارجِيَّة	
237		أوَّلًا: الوَزن	
243		ثانيًّا: القافيَّة	
246		ثالثًّا: الرُّوي	
250			الخاتمة
340 - 253		شعر ابن الكَّثَّانيّ جَمع وتوثيق:	القسم الثَّاني:
342		أوَّلًا: فهِرس الآيَّات القرآنيَّة	الفهِراس
342		ثانيًّا: فهِرس الأمثال	
343		ثالثًّا: فهِرس الأعْلام	
346		رابعًا: فهِرس الأمَّاكن	
349		خامسًا: فهِرس الحيَّوان والطَّيِّور	
351		سادسًا: فهِرس الأشْعار	

356		سابعاً: فهرس الأمم والطوائف والقبائل	
357		ثامناً: فهرس الأزمنة والكواكب	
381-358			المصادر والمراجع:
382			الملخص باللغة الإنجليزية

المقدمة

الحمد لله الذي خلقنا فأبدع صورتنا، ورزقنا فأسبغ علينا كثيراً من نعمه، والصلاة والسلام على من أرسله الله، سبحانه وتعالى، رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الطيبين وبعد،

فإنَّ الأدب العربيَّ يختزن بين دفتيه كثيراً من الموضوعات التي لا تزال بحاجة إلى الدراسة والبحث والتأمل، وبخاصة تلك الموضوعات التي أصبح لزاماً على الباحث أن يدرسها من منظور جديد في البحث الأدبيِّ.

ومما لا شكَّ فيه أنَّ التراث الأدبيَّ لم يستو في الدرس والبحث، ففي حين تجد الباحثة أدباء وشعراء كثرت حولهم الدراساتُ والمصنَّفاتُ، ونُشرت آثارُهم مراتٍ عدَّة، تجد في حينٍ آخرَ أدباء وشعراء آخرين أهملوا وبُخس حقُّهم، وأُهمِلَ بالتَّالي نتائجُهم الأدبيُّ، فلم يلتفت أحدٌ من الدارسين إلى نشره أو دراسته، وبقي مجهولاً على رفوف المكتبات وفي ثنايا الكتب، على الرَّغم من أنَّ بعض هذا النِّتاج الأدبي يوازي في جودته ما خلَّفه لنا كبار الأدباء في أزهى العصور الأدبيَّة.

كما أنَّه من الظُّلم توجيهُ العناية والاهتمام صوبَ جزءٍ من التراث الأدبيِّ، وإهمال الجزء الآخر منه، وعليه فقد عَدَّت الباحثة العزمَ على كتابة رسالتها للحصول على درجة الماجستير في اللُّغة العربيَّة، وذلك بدراسة أحد الآثار الأدبيَّة القيِّمة التي لم يَتَنَبَّه إليها الدارسون، ولم يولوها اهتمامهم، وعرضت الباحثة وجهة نظرها على أستاذها الدكتور حسن عبد الهادي فلاقت منه قبولاً واستحساناً، فأرشدها إلى أحد مواضيع الأدب في العصر الأيوبيِّ، ذلك العصر الذي شهد إِبَّانَ حكم بني أيوب حركةً علميَّةً وأدبيَّةً واسعةً، فقد أحبَّ بنو أيوب اللُّغة العربيَّة وتنفقوا بها، وأنفقوا الأموال بسخاء على العلماء والأدباء، لذلك أقبلوا عليهم من كلِّ حَذَبٍ وصَوْبٍ يمدحونهم، ومنهم الشَّاعرُ المغمورُ ابن الكتَّاني الذي خَصَّصَتْه الباحثة موضوعاً لدراستها شملت جمع شعره وتوثيقه ودراسته.

وتكمن أهمية البحث في أنَّ الباحثة وَجَدَتْ أنَّ أكثرَ الدراساتِ قد انصبَّت على شعراء وأدباء كبار، ذاعت أسماؤُهم على الألسنة، ورَسَخَتْ صورُهم في الكتب دون الالتفات إلى بقيَّة الشعراء، الذين بهم تُستَكْمَلُ صورةُ الأدب، وتستوي على سوقها، وابن الكتَّاني كان أحد هؤلاء الشعراء الذين لم يُلتَفَتَ إليهم.

وحين عزمت الباحثة على تقصّي أخباره وأشعاره، تبيّن لها أنّ ابن الكتّاني شاعرٌ فذٌّ وخَلِيقٌ بالعناية والاهتمام، وأنّ شعره من الجودة والمتانة والجزالة بمكانٍ يُؤهلّه لأنّ يثير الاهتمام، ولأنّ يكونَ موضوعَ بحثٍ ودراسةٍ، في الوقت الذي لم يُقدّم أحدٌ من الباحثين على جمع شعره وتوثيقه ودراسته حتى الآن، وحين ذهبت الباحثة تتقّب عمّا كتبه الباحثون القدامى والمحدثون حول أخبار ابن الكتّاني لم تعثر إلاّ على ترجماتٍ بسيطةٍ أوردتها بعضُ أصحابِ كُتُبِ التّراجم ومؤرّخي الأدب، وهي لا تعطي صورةً كاملةً عن شعرِ الشّاعر، ولهذا فقد وجّهت الباحثة جُلَّ اهتمامها لدراسة شعرِ ابن الكتّاني، ولإعطاء صورةٍ واضحةٍ وافيةٍ إلى حدٍّ ما عن هذا الشّعر، وعن السّماتِ الغالبةِ عليه.

ولئن كان ذكرُ الشّاعر خاملاً في الدّراسات الحديثة، فقد وقف القدماء عند شعره؛ لأنّه كان ذا ملكةٍ راسخةٍ، وبخاصّةٍ أنّ الشّعرَ في عصره - باتفاق أكثر الباحثين - كان خصباً، لذلك عزمت الباحثة على جمع شعره المنثور في بطون الكتب ودراسته موضوعياً وفنّياً، غير أنّ ما وصل إلينا من أخباره وسيرته وشعره لا يعطي الباحثة ما تصوّبُ إلى معرفته عن حياته وفنّه.

ومن الجدير ذكره أنّ ديوان الشّاعر مفقود، ولم يصل إلينا، ولم تعثر الباحثة له على خبر أو أثر في الفهارس القديمة، أو قوائم المصادر والمراجع، لكنّ نَمّةً إشارةً قديمةً إليه وهي عند ابن الشّعار الموصليّ (ت 654 هـ) يذكر فيها أنّه نقل من ديوانه أبياتاً أوردتها في كتابه (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان).

وفي حدود علمِ الباحثة فإنّ شعر ابن الكتّاني لم يحظَ بالعناية والدّراسة مثلاً ما حظي به معاصروه من الشّعراء، ولم تجد الباحثة - فيما وصل إليه علمها من خلال البحث في الجامعات المحلية وجامعات الدول المجاورة - دراسةً متخصصةً تناولت هذا الشّاعر من قبل، من هنا برزت فكرة الاهتمام بشعره وجمعه ولمّ شتاته، لعل هذا المجموع يكونُ بديلاً كاملاً للديوان.

يعودُ السّببُ في اختيار ابن الكتّاني موضوعاً لرسالة الماجستير إلى أمور عدّة، أجمّلها فيما يأتي:

1. رغبة الباحثة في خوض غمارِ الشّعرِ وتوثيقه ودراسته، وتقديم جديد إلى المكتبة العربيّة، والتعرّف على النّاحية الأدبيّة في العصر الأيوبيّ، من خلال دراسة أحد شعرائه.
2. الحاجة إلى الكشف عن شعراء مغمورين في ذلك العصر.
3. عدم اهتمام الباحثين بدراسة شعره، ولعلّ ذلك يعود إلى ندرة المصادر والمراجع التي اهتمّت بدراسة شعره، وتركيز بعضها على شعراء آخرين في العصر الأيوبي دون المرور عليه شاعراً.

وقد اعترضت الباحثة صعوباتٍ عدّة في دراسة ابن الكتّاني وشعره، منها:
أولاً: المنع من السفر إلى خارج الوطن لفترة من الزمن، لكن - بحمد الله ومِنته - تمكّنت
بعد جُهدٍ جهيد ومحاولاتٍ عدّة من السفر إلى الخارج، فجمعت ما أمكن جمعه من المصادر والمراجع
المتعلقة بالدراسة.

ثانياً: ندرة المصادر والمراجع التي ترجمت للشاعر، فقد توجهت الباحثة إلى الجامعات
المحلية والجامعات الأردنية، وبَحِثت في مكتباتها عن مخطوطات ودراسات ذات صلة بموضوع
البحث، فلم تجد ترجمةً عنه سوى إشاراتٍ سريعةٍ في بعض المصادر القديمة، وعلى الرّغم من ذلك
فقد حاولت الباحثة جاهدةً - في حدود النصوص - أن تستقصي حياة الشاعر، مُعتمدة على جهدها في
التّحليل والموازنة والاستنتاج، لدراسة حياته من خلال ما وصل إليها من شعره.

ثالثاً: صعوبة تحديد سنة وفاة الشاعر، فلم تُشير المصادر التي ذكرت ابن الكتّاني إلى تاريخ
وفاته، ولم تظفر الباحثة بأيّ معلومة عن ذلك، وقد استطاعت الباحثة بعد عناءٍ وعنتٍ تحديدَ الفترة
التي توفي فيها الشاعر استنتاجاً، من خلال استقراء شعره والتعمق فيه، والتي رُجّحت بالاستناد إلى
نصوص ابن الكتّاني الشعريّة أن تكون في الفترة ما بين السنوات من 618 هـ إلى 629 هـ، أي في
العقد الثاني أو الثالث من القرن السابع الهجري تقريباً.

رابعاً: مشقّة الحصول على الجزء الخامس من كتاب (مجمع الآداب في معجم الألقاب) لابن
الفاطمي (ت 723 هـ)، بتحقيق محمد الكاظم، فالأجزاء الأربعة الأولى متوفرة في مكتبة الجامعة
الأردنية، باستثناء الجزء الخامس الذي يضم ذكر الشاعر، فهو مفقودٌ، وغير متوفّر في الجامعات
المحلية والجامعات الأردنية، بناءً عليه فقد قام عميد كلية التربية الدكتور نبيل الجندي - مشكوراً -
بمراسلة جامعاتٍ عدّة في إيران والعراق في محاولة للوصول إليه، بعد أن علمت الباحثة من أستاذها
الفاضل الدكتور حسن عبد الهادي - الذي كان بدوره يبحث معها عن كلّ صغيرة وكبيرة تفيدها في
دراساتها - بوجود الجزء المفقود في تلك الجامعات، والحمد لله وفّقَت الباحثة في العثور على هذا
الجزء بعد مراسلة الإعلامي العراقي عبد عوني النصراوي، والذي قام مشكوراً بمساعدة الباحثة في
الوصول إلى الكتاب الذي كان بحوزة المؤرخ كامل سلمان الجبوري، فأرسل عن طريق شبكة
المعلومات الدوليّة (الإنترنت) هذا الجزء الذي أفاد الباحثة في دراستها.

أمّا المنهج الذي اتّبعتُه الباحثة في الدّراسة، فقد تطلّبت الدّراسة الاستعانة بأكثر من منهج،
حيث قامت خطة هذه الدّراسة على دراسة النصوص من الدّاخل مع محاولة تطبيق المنهج التّكاملي،
والذي تنضوي تحته المناهج الأخرى، حيث اعتمدت الباحثة على المنهج التّاريخي في الحديث عن

حياته ونشأته، وعلى المنهج الوصفي التحليلي في تحليل النصوص واستقرائها، وتبيين الأغراض الشعرية، أما المنهج النفسي فتمت الاستعانة به في تحليل الصور الفنية لشعره، هذا بالإضافة إلى الاستعانة بالمنهج الإحصائي في إحصاء القصائد والمقطوعات.

أما مضمون الدراسة فقد جاءت في مقدمة وتمهيد وقسمين رئيسين وخاتمة:

حيث حاولت الباحثة في التمهيد أن تبدأ بمدخل ضمّنته التعريف بالشاعر وعصره، ضمّن محورين: تناولت في المحور الأول حياة الشاعر، وخصّصت المحور الثاني للحديث بشكل موجز عن عصره.

أما فيما يتعلق بالقسمين الرئيسين، فقد جاء على النحو الآتي: القسم الأول: خصّصته الباحثة للدراسة، ويقع في فصلين:

تناولت الباحثة في الفصل الأول موضوعات شعر ابن الكّثاني والفنون الشعرية التي طرقها ونظم فيها، والتي رُتبت بأكثرها شيوعاً في شعره، فشعر المدح كان له النصيب الأكبر من شعره، وتمت دراسته ضمن ثلاثة محاور شملت: مدح الشاعر للملوك والأمراء، ومدحه للوزراء والقضاة والعلماء، ثم مدحه لأعيان آخرين من رجالات الدولة، ويليه شعر الغزل وقد قسّمته الباحثة إلى محورين: ضمّ المحور الأول اتجاهات الغزل في شعره وظهرت في: (المقدمات الغزلية، والغزل بالمدح، والغزل بالمؤنث)، أما المحور الثاني فقد ضمّ الحديث عن المعاني المطروقة الشائعة في غزله، وتبع ذلك شعر الخمرة فالوصف، ثم الحنين والشوق بإطاريه العام والخاص، وختمت الباحثة هذا الفصل بمبحث خاص بالفنون الشعرية الثانوية التي نظمها ابن الكّثاني في الحكمة والعتاب والفخر والشكوى والذم بنسب ضئيلة، إذ لم يتجاوز كل فن من هذه الفنون المقطوعة أو المقطوعتين، وجاء بعض هذه الفنون في ثنايا الأغراض الشعرية التي طرقها الشاعر.

أما الفصل الثاني فخصّصته الباحثة لدراسة الخصائص الفنية لشعر ابن الكّثاني، حيث قسّمته إلى أربعة مباحث: تحدّثت في المبحث الأول عن بناء القصيدة وما يتعلّق بها من: المطلع، وحسن التخلص، والخاتمة، وطول القصيدة ووحدتها، وتناولت الباحثة في المبحث الثاني الأسلوب واللغة، وبيّنت فيه استعمال الشاعر للألوان المتعدّدة من الأساليب شملت: الأسلوب الزخرفي، والأسلوب

النقري، والأسلوب الإنشائي، والأسلوب الخطابي، إضافة إلى الأساليب التعبيرية الأخرى، ثم درست في المبحث الثالث الصورة الشعرية فبيّنت مفهومها ووظيفتها ومصادرها وأنماطها المختلفة، ووقفت في المبحث الرابع عند الموسيقى الشعرية الداخلية والخارجية.

أمّا القسم الثاني فقد جمعت فيه الباحثة أشعار ابن الكتاني وألحقته بالدراسة، حيث ضمّ هذا القسم شعر ابن الكتاني الذي وجد في كتاب قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بـ (عُقود الجمان في شعراء هذا الزمان) لابن الشعار الموصلي، وعلى الرغم من الجهد الطيب الذي بذله الأستاذ كامل سلمان الجبوري محقق كتاب قلائد الجمان في تحقيق الكتاب ونشره، فإنّ ثمة مواضع في شعر ابن الكتاني حاولت الباحثة الاجتهاد في قراءة بعضها واستدراكها اعتماداً على السياق دون إخلال في الوزن والمعنى، وقد حاولت الباحثة أن تجد شعراً آخر للشاعر إلا أنّ الجهد لم يُثمر باستثناء ما هو موجود في كتابي: الوافي بالوفيات لصالح الدين الصفدي، ومجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي الشيباني، وقد بلغ عدد القصائد والمقطوعات التي استطاعت الباحثة الوصول إليها سبعة وتسعين قصيدة ومقطوعة، وتراوح عدد أبيات الشاعر ثمانمائة وثلاثة وعشرين بيتاً،

وقد خُتمت الدراسة بخاتمة تناولت الباحثة من خلالها أهمّ النتائج والتوصيات التي خلصت إليها، علماً أنّها بذلت غايةً جهدها من أجل الوصول إلى الحقائق التي تخدم الموضوع.

ثم كان لزاماً على الباحثة أن تنهي الدراسة بمجموعة من الفهارس الضرورية، منها: فهرس الآيات القرآنية، والأمثال، والأعلام، والأماكن، والحيوان والطيور، وفهرس الأشعار، والأمم والطوائف والقبائل، والأزمنة والكواكب، ثم المصادر والمراجع التي استعانت الباحثة بها في الدراسة.

وقد استقت الباحثة مادّة البحث ممّا استطاعت الوصول إليه من المصادر والمراجع المهمّة والمتعدّدة، في التاريخ، والجغرافيا، والتراجم، واللغة، والأدب، والنقد، والعروض والدواوين الشعرية وغيرها.

ففي أثناء وقوف الباحثة عند كلّ ما يتعلّق بحياة ابن الكتاني وعصره استندت إلى بعض الكتب منها: "الأنساب" للسمعاني، و "معجم البلدان" لياقوت الحموي، و "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" لابن شدّاد، و "قلائد الجمان" لابن الشعار، و "تاريخ الإسلام" للذهبي، و "تنمة المختصر

في أخبار البشر لابن الوردي، و" الوافي بالوفيات " للصّدي، و " عقد الجمان" للعيني، و" هديّة العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين" للبغدادي.

أمّا في دراسة موضوعات شعر ابن الكتّاني الشعريّة والدراسة الفنيّة لشعره فقد أفادت الباحثة من بعض المصادر منها: " الصناعتين" لأبي هلال العسكري، و" العمدة " لابن رشيق القيرواني، و" المثل السائر" لابن الأثير، و" خزانة الأدب" لابن حجة الحموي، وبعض المراجع، منها: "علم العروض والقافية" لعبد العزيز عتيق، و" موسيقا الشعر" لإبراهيم أنيس، و"الشعر العربيّ في بلاد الشّام في القرن السّادس الهجريّ" لشفيق الرّقب، و" الأدب في العصر الأيوبيّ " لمحمد زغلول سلام، و" الحياة الأدبيّة في عصر الحروب الصليبيّة بمصر والشّام " لأحمد بدوي.

وفي الختام فإنّ هذا العمل ما كان ليخرج على هذه الصّورة لولا الرّعاية والتّوجيهاتُ الحكيمة من الأستاذ المشرف الدكتور حسن عبد الهادي، حيث إنّّه لم يبخل على الباحثة بجهده ومعرفته، مما سهّل طريقها ودلّل الصعوبات التي اعترضتها، فله كلّ الشّكر والامتنان.

وأخيراً فإنّ الباحثة كلّها أملٌ أنّ تكون قد وُفّقت في هذه الرسالة التي لم تبخل عليها بأيّ جهدٍ أو وقت، فإنّ وُفّقت في ذلك فمن الله عزّ وجلّ، وهو ما تتمنّاه، ومَنَاطُ أَمَلِها، وإنّ قَصَرَتْ فمنّ نفسها، فهي لا تدّعي الكمال، وعذراً عن أيّ تقصير فيها، والله المستعان وله الحمد والشّكر على نعمه.

التمهيد: الشّاعـــــر وعصره:

أولاً: سيرة ابن الكتّاني:

- المبحث الأول: اسمه ونسبه
- المبحث الثاني: كنيته ولقبه
- المبحث الثالث: مولده ونشأته ومراحل حياته
- المبحث الرابع: اتّصاله بحكّام العصر وأعيانه
- المبحث الخامس: صفاته وأخلاقه
- المبحث السادس: ثقافته ومكانته الأدبيّة
- المبحث السابع: وفاته
- المبحث الثّامن: ديوانه
- المبحث التّاسع: رواة شعره

ثانياً: عصر ابن الكتّاني.

أولاً: سيرة ابن الكتّاني:

ابن الكتّاني أحد الشعراء المغمورين بالنسبة لنا نحن المعاصرين، فقد كان من الشعراء المشهورين في عصره، غير أنّ ما وصل إلينا من أخبار لا يعطي الباحث ما يصبو إلى معرفته عن حياته وفنّه، ولا غرابة أن تكثّر المشكلات في دراسته ويكتنف الغموض بعض جوانب سيرته مثل: أسرته ونشأته وتاريخ وفاته.

وعلى الرغم من ذلك فقد حاولت الباحثة - في حدود النصوص - أن تستقصي المعلومات حول هذا الشاعر، من دون المجازفة برأي نهائي في القضايا التي لم ترجّحها المصادر التي عادت إليها.

المبحث الأول: اسمه ونسبه:

ليس ثمة خلاف بين المصادر التي ترجمت للشاعر فيما يتعلق بترجمته، فهو "يوسف بن سليمان بن صالح بن رهيح⁽¹⁾ بن صالح⁽²⁾"، وعليه فإنّ عدد أفراد سلسلة نسب الشاعر يصل إلى أربعة.

وينسب الشاعر من حيث البلدة إلى الرّحبة و بغداد وينسب من حيث القبيلة إلى مضر، فيقال له: الرّحبي⁽³⁾، البغدادي⁽⁴⁾، المضرّي⁽⁵⁾.

(¹) ابن الشّعار، قلائد الجمان، 214/10، الصّدي، الوافي بالوفيات، 217/29، وقد أسقط الصّدي من سلسلة النسب اسم "صالح".

(²) ابن الشّعار، قلائد الجمان، 214/10.

(³) ينظر: الصّدي، الوافي بالوفيات، 217/29.

(⁴) ينظر: نفسه والجزء نفسه والصفحة نفسها.

(⁵) ينظر: ابن الشّعار، قلائد الجمان، 214/10.

وقد نشأ ابن الكتّاني في بغداد وفيها أقام، وهي "وسط العراق، والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الأرض ولا في مغاربها سعة، وجلالة، وكبراً، وعمارة، وكثرة مياه، وصحة هواء، سكّنها أهل الأمصار والكور، وانتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدّانية، وآثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم، يجري في حافتيها النهران الأعظمان دجلة والفرات" (1).

وتعدُّ الرّحبه موطنه الأصلي، والرّحبي " - بفتح الراء وسكون الحاء المهملة وفي آخرها باء موحدة - هذه النسبة إلى الرّحبة وهي بلدة على الفرات يقال لها رحبة مالك بن طوق، يُنسب إليها جماعة منهم أبو علي الحسين بن قيس الرّحبي" (2).

ويبدو من نسبِه أنّه ينحدر من أصول عربيّة، فهو ينتمي لقبيلة مُضَر التي يُنسب إليها قريش، فالمُضَرّي: "بضم الميم، وفتح الضاد المعجمة، وفي آخرها الراء هذه النسبة إلى مُضَر، وهي القبيلة المعروفة التي تُنسب إليها قريش، وهو مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أخو ربيعة ابن نزار، وهما القبيلتان العظيمتان اللتان يقال فيهما: أكثر من ربيعة ومضر، وجماعة من العلماء والمُحدثين من المتقدّمين والمتأخّرين، منهم: أحمد بن الحسن المُضَرّي البصري" (3).

(1) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، 111/1 .

(2) الجزري، اللياب في تهذيب الأنساب، 19/2 .

(3) السمعاني، الأنساب، 318/5 .

المبحث الثاني: كنيته ولقبه:

يكنى الشاعر بأبي يعقوب⁽¹⁾، أما شهرته التي عُرف بها فهي "ابن الكتّاني"⁽²⁾ و "ابن اللّحية"⁽³⁾، وكان الشاعر يُلقَّب ويُنبزُ بالبَغْل⁽⁴⁾، وترى الباحثة أنّ الشاعر قد لُقِّب بذلك لِغِلظ جسده وصلابته، وترجّح دقّة هذا الوصف للشاعر؛ لأنّ اللقب في اللّغة: "علمٌ يدلُّ على ذات معيّنة مُشخصّة، مع الإشعار بمدح أو ذم إشعاراً مقصوداً بلفظٍ صريح"⁽⁵⁾، وكلمة البَغْل تُشعر بذلك. وقد اعتمدت الباحثة في دراستها شهرة الشاعر الأولى "ابن الكتّاني" كونها الإشارة الأقدم التي ذكرها المؤرخ ابن الشعّار، فهو أقدم مَنْ عرّف بالشاعر.

وربما كان والد الشاعر يعمل بائعاً للكتّان؛ لأنّ الكتّاني: بفتح الكاف وتشديد التاء المفتوحة وفي آخرها النون، نسبة إلى الكتّان، وهو نوع من الثياب، وعمله والمشهور به محمد بن الحسين الكتّاني وآخرون⁽⁶⁾.

(1) ينظر: قلائد الجمان، 214/10، الوافي بالوفيات، 217/29.

(2) ابن الشعّار، قلائد الجمان، 214/10.

(3) الصّدي، الوافي بالوفيات، 217/29.

(4) ابن الشعّار، قلائد الجمان، 214/10.

(5) حسن، عبّاس، النحو الوافي، 267/1.

(6) ينظر: السمعاني، الأنساب، 31/5.

المبحث الثالث: مولده ونشأته ومراحل حياته:

اتفقت المصادر التي ترجمت للشاعر على أنه ولد سنة "ست وثلاثين وخمسمائة للهجرة"⁽¹⁾ في مدينة السلام⁽²⁾، وهذا ما أشار إليه ابن الشعار بقوله: "وكانت ولادته بمدينة السلام"⁽³⁾.

ولا تملك الباحثة أي معلومات عن حياة الشاعر الأولى، فلا تظفر المصادر التي ترجمت لابن الكتاني بالحديث عن طفولته ونشأته، ويبدو أنه حنَّ إلى بغداد التي ذكرها في شعره وأبدى تعلقه بها، واستعرض معالمها والمواقع المشهورة فيها، بالإضافة إلى شوقه وحنينه لسكانها وولدانها وغزلائها، إذ يقول: * [92]

(المتقارب)

أَحْنُ إِلَى الْجِسْرِ وَالرَّقَّتَيْنِ	وَدَارِ السَّلَامِ وَسُكَّانِهَا
وَتَاجِ الْخَلَافَةِ وَالْجَانِبَيْنِ	مِنَ الشَّطِّ وَالظِّلِّ مِنْ بَاتِهَا
وَبَابِ الْمَرَاتِبِ وَالزُّنْدُورِ	وَنَهْرِ الْمُعَالَى وَغَزَلَائِهَا
وَسُوقِ الْعَمِيدِ وَبَابِ الْحَدِيدِ	وَحُورِ الْجَنَانِ وَلِدَانِهَا
وَأَسْأَلُ ذَا الطَّلُوفِ رَبَّ الْعِبَادِ	إِدَامَةَ دَوْلَةِ سُكَّانِهَا ⁽⁴⁾

(1) ابن الشعار، قلائد الجمان، 214/10، الصَّقدي، الوافي بالوفيات، 217/29.

(2) مدينة السلام: بغداد، ودار السلام الجنة ويجوز أن تكون سُمِّيَتْ بذلك على التشبيه أو التَّفَاوُل؛ لأنَّ الجنة دار السلامة الدائمة، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 233/3.

(3) قلائد الجمان، 214/10.

(4) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 335-336.

* هذا الرقم يدل في هذه الدراسة على رقم المقطوعة أو القصيدة داخل شعر ابن الكتاني.

ويذكر ابن الكتاني بغداد، وجناتها، ويذكر معها مدينة الزوراء في قصيدته التي مدح فيها

الأمير صارم الدين، فيقول: [1] (مجزوء الرمل)

يَا بَنِي الزَّوْرَاءِ كُلُّ مِنْكُمْ جَارِي وَتَرْبِي
خَبَرُوا بَغْدَادَ إِنْ أَخَّ رْتُ عَنْ بَغْدَادَ كُتِبِي
إِنِّي مُذْ غِبْتُ عَنْهَا بَيْنَ جَنَاتٍ وَقَضْبِ⁽¹⁾

تشير الأبيات السابقة إلى مكان إقامته في الزوراء الواقعة شمال بغداد.

كما يطلب من ريح الجنوب التي تبشر بالخير أن ترسل سلامه وقبلاته لبغداد ودار

الخلفة، فيقول: [7] (مجزوء الكامل)

أَفْرِ السَّلَامَ وَقَبْلِي بِاللَّهِ يَا رِيحَ الْجَنُوبِ
بَغْدَادَ وَالتَّاجَ الَّذِي مَحَصَتْ مَحَبَّتُهُ ذُنُوبِي⁽²⁾

وإذا كانت الموصل أورثته المرض في رجله اليسرى فإنَّ انصرافه إلى بغداد يشفيه ويمنع

انتقال المرض إلى رجله الأخرى، يقول: [57] (السريع)

يَا بَلَدَ الْمَوْصِلِ أَوْرَثْتَنِي مَقَاصِلًا فِي رِجْلِي الْيُسْرَى
إِنْ لَمْ أَعْجَلْ لَانْصِرَافِي عَلَى بَغْدَادَ آيَسْتُ مِنَ الْآخَرَى⁽³⁾

نشأ الشاعر في أسرة فقيرة، وقد تبين ذلك من خلال شعره الذي عبّر فيه عن فقره

وإملاقه على الرغم من اتصاله ببعض حكام عصره، وهذا ما شكاه في إحدى قصائده، إذ

يقول: [27]

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 257.

(2) نفسه، 260.

(3) نفسه، 308.

(مجزوء الرمل)

مَنْزِلِي فَقَرُّ يَبَابٍ مَا رَأَى لَيْلًا سِرَّاجًا
وَقُدُورِي فَارْغَاتٍ مَا حَوَتْ قَطُّ دَجَاجًا
وَزَبَادِي الْبَيْتِ لَمْ تَعُ رَفَ يَوْمًا زِيرَبَاجًا⁽¹⁾

وقد أشار ابن الكتاني في شعره إلى فقره وحرمانه، لذلك كان يتخذ شعره وسيلةً للتكسب، والاستشفاع لدى حكام عصره، فيرسل إليهم المدايح مبيّنًا حاله وما هو فيه من العدم، مستعطفًا إياهم، حتّى أعطاه الملك المؤيد نظام الدّين ضيعة على شاطئ الفرات⁽²⁾.

وعلى الرّغم من فقره، فقد كان ذا ميل لحياة اللّهُو، والتّمتّع بمباهج الحياة، ووصف

مجالس الشّراب، والندماء، والسّقا، قال يستدعي صديقًا إلى الشّراب: [77] (المجتث)

أَحْضَرُ وَلَا تَتَوَانِي عِنْدِي شَرَابٌ عَتِيقُ
وَمَجْلِسٌ قَدْ تَهَيَّأَ كَمَا يُحِبُّ الصَّدِيقُ
إِضْحَكُ لِرَفْصِ الْحُمَيَّا إِذَا بَكَى الرَّأْوُوقُ
كَأَنَّهُ دَمْعُ عَانٍ قَدْ مَلَأَهُ الْمَعَشُوقُ
فَلِمُ دَامَ عَلَيْنَا فَارَائِضُ وَحَقُّوقُ⁽³⁾

ويبدو أن حياة الشّاعر في بغداد لم تكن مستقرّة، فقد كان يعاني من الفقر والحرمان، مما جعله يغادر مدينته بغداد، ويتنقل بين مصر والشّام ويتصل بالحكّام ويمدحهم، فابن الكتاني عزم على الرحيل إلى مصر والشّام طلبًا لعطاء ملوكها ووزرائها.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 280-281.

(2) ينظر: ابن الشّعار، **قلائد الجمان**، 232/10.

(3) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 322-323.

وقد أشار باحث مُحدث إلى أن شعراء كثيرين من العراق قد تحوّلوا إلى الدولة الأيوبيّة، وهاجروا إليها لمدح سلاطينها وأمرائها ومن هؤلاء الشعراء ابن الكتّاني ⁽¹⁾.

وقد "كان من نتاج تشجيع الأيوبيين للأدباء، ورعايتهم وتشجيعهم للشعراء أن تسابق الشعراء إلى بلاطاتهم من كلّ فجّ، فصارت مصر والشّام من المراكز الأدبيّة المهمّة في ذلك العصر؛ لأنّها استطاعت أن تجذب إليها عددًا كبيرًا من الشعراء الذين كانوا يلقون الرّعاية والعناية من لدنّ حكامها" ⁽²⁾. ولا نظفر في المصادر التي ترجمت للشّاعر بأية إشارة إلى أهله وذويه، سوى إشارة بسيطة، ذكرها ابن الشّعار عندما طلب الشّاعر من الوزير صفي الدّين بن شكر دستورًا لعلّه يمضي يقضي من أهله وطراً ⁽³⁾، ولا تعرف الباحثة تفاصيل أخرى عن أهله، وذلك لما تضيّن به المصادر القديمة.

وقد كان لابن الكتّانيّ عبد اسمه ريحان، وقد أشار إليه ابن الشّعار في قوله: "وقد طلب من يونس بن الظّهير أن يصنع له حلوةً وينفذها له مع عبّده ريحان" ⁽⁴⁾،

فربّما قد تحسّنت به الحال في فترة من حياته حتى أصبح لديه عبّد، وقد ذكر اسمه في

شعره وهو يخاطب يونس بن الظّهير، بقوله: [86] (مجزوء الكامل)

أَرْسَلْتُ رِيحَانًا إِلَيَّ ————— كَفَّ الْعَبْدُ خَالِي ⁽⁵⁾

ويبدو أنّ الشّاعر تعرّض للوشاية والسّعاية من أعدائه، الذين حاولوا الإيقاع به عند الأمراء والأعيان فشكا جماعة ذوي محضّر سوء عند الملك العزيز عماد الدّين عثمان صاحب مصر ⁽⁶⁾، واعتذر

(¹) ينظر: العبود، عبد الكريم، الشّعر العربيّ في العراق من سقوط السّلاجقة حتّى سقوط بغداد، 136-138.

(²) نفسه، 136.

(³) ينظر: قلائد الجمان، 237/10.

(⁴) ينظر: نفسه، 248/10.

(⁵) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 328.

(⁶) ينظر: ابن الشّعار، قلائد الجمان، 246/10.

في موضع آخر للوزير ضياء الدين بن شيخ السلامية، مخافة أن يكون قد بلغه إنسان سوء محالاً عنه، إذ

يقول⁽¹⁾: [83]

(السريع)

وَاللّٰهُ لَا أَنْسَى وَلَا يَقْتَضِي دِينِي أَنْ أَكْفُرَ نِعْمَاكَ
لَعَلَّ نَذْلًا جَاءَ يَا سَيِّدِي يَنْقُلُ عَنِّي الزُّورَ أَفَّاكَ
يُرِيدُ أَنْ يَنْسَخَ شَرْعَ الْوَفَا لَا كَانَ مَا يَخْتَارُهُ ذَاكَ
وَإِنْ جَرَى ذَنْبٌ فَحَاشَاكَ أَنْ تُؤَاخِذَ الْمُذْنِبَ حَاشَاكَ⁽²⁾

وقد شكّا في شعره جماعة حسدوه على ضيعة منحها له الملك المؤيد نظام الدين، وحملوه

على أخذها منه بعد أن كتبها له مُلْكًا⁽³⁾، قال: [40]

(المتقارب)

جَعَلْتَ بِنِعْمَاكَ يَا ابْنَ الْمُلُوكِ أَعَادِي لِي مِنْ طَرِيقِ الْحَسَدِ
وَكَيْفَ وَلَا يَحْسُدُونِي وَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ بِأَمِّ الْبَلَدِ⁽⁴⁾

وقد وقف الشاعر حيال ما كان يعانيه من الفقر والحرمان والوشاية موقفاً سلبياً من الدهر،

فنجده في بعض مقطوعاته يعاتب الدهر؛ كونه يرفعُ وضيعاً ويحطُ رفيعاً⁽⁵⁾.

مما تقدم تستطيع الباحثة الحكم بأن حياة الشاعر قد مرّت بأطوارٍ عدة: المرحلة العراقية، والمرحلة الشامية، والمرحلة المصرية، أما المرحلة العراقية فشعره الذي بين أيدينا لا يحدثنا عن هذه المرحلة من حياته (طفولته ونشأته) سوى في أبيات قليلة ضمّنها في جوابٍ لكتابٍ وردّ عليه

(1) ينظر: ابن الشعار، قلائد الجمان، 250-249/10.

(2) ينظر: القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 326-327.

(3) ينظر: ابن الشعار، قلائد الجمان، 232/10.

(4) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 293.

(5) نفسه، المقطوعة رقم [84]، 327.

من بغداد من صديقه الشاعر المقرَّب يونس بن أحمد القرقوبي الذي نوّه فيها إلى الأيَّام التي قضاها معه في التَّعليم، واللَّهو، واللَّعب، والأكل، والشَّرب مع جيرانه، قال: [21] (مجزوء الكامل)

لِلَّهِ أَيَّامٌ مَضَتْ وَأَنَا وَأَنْتَ بِكُلِّ مَكْتَبٍ
نَهْوَ بِأَخْلَاقِ الْذُ ذَمِّنَ الطَّلَا طَعْمًا وَأَطْيَبَ
وَالْعَيْشُ مُخْضَرُّ الْوَرَا قِ مَطَرَزُ الْكُمَيْنِ مُذْهَبُ
مَعَ جِوَرَةٍ مَا زَالَ نَا كُلُّ فِي مَجَالِسِهِمْ وَنَشْرَبُ⁽¹⁾

وقد مدح العديد من حكام العراق آنذاك، وتنقل ما بين الموصل -وهي الآن في العراق- وحصن كيفا وماردين وآمد - وهي الآن من بلاد تركيا-، أمثال: الملك المسعود قطب الدين سكمان بن محمد، والملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد، وسيف الدين غازي بن مودود بن زنكي صاحب الموصل⁽²⁾.

أما المرحلة المصريَّة فنراه يتَّجه صوب مصر ويقيم فيها، وسلطانها يومذاك الملك العزيز عماد الدِّين عثمان بن يوسف بن أيوب، أما المرحلة الأخيرة فكانت في بلاد الشَّام إذ اتَّجه صوب حلب ومدح ملكها الظاهر والملك النَّاصر صلاح الدِّين الأيوبي، وابنه الظاهر غازي⁽³⁾.

وعلى الرَّغم من تنقل الشاعر ما بين الشَّام ومصر إلاَّ أنَّ صلة الشاعر بموطنه لم تنقطع في فترة غيابه عنها، حيث كان يرسل أصدقاءه دومًا ويبثُّ لواعج حنينه وشوقه في قصائد

(1) القسم الثَّاني " شعر ابن الكتاني"، 272.

(2) نفسه، القصيدة رقم [24] 275، القصيدة رقم [26] 278، والقصيدة رقم [29] 282.

(3) نفسه، القصيدة رقم [51] 303، القصيدة رقم [36] 290.

ومقطوعات جميلة مُثَبَّتة في شعره ⁽¹⁾، وقد استقر به المقام في العراق، وعمد هناك إلى مدح الملك المسعود قطب الدين سكرمان بن محمد، ووزيره ضياء الدين أحمد ⁽²⁾.

المبحث الرابع: اتّصاله بحكام العصر وأعيانه:

تتضح صلات ابن الكتّاني بأعيان عصره من خلال تنقلاته بين العراق والشّام ومصر، فقد عاش الشاعر حياته متنقلاً من بلد إلى آخر، واتّصل ببعض قادة العصر آنذاك، وهو يرقى في صلاته بأعيان عصره إلى الملوك والسلّاطين والأمراء والوزراء، فيبدو لنا من خلال شعره أنّه التقى وهو في العراق الملك الصّالح - صاحب آمد وحصن كيفا - ومدحه في قصائد عديدة، فقد طلب منه مرّة أن يعمل أبياتاً في معنى اختاره، وطلب منه في مرة أخرى شعراً ليكتب على باب عرضي، وفي مرّة ثالثة شعراً ليكتب على باب المجاز ⁽³⁾.

ثم قام بعد الملك الصّالح ولده الملك المسعود قطب الدين أبو المظفر سكرمان بن محمد، الذي ملك آمد، وكان بخيلاً ⁽⁴⁾، وقد التقى ابن الكتّاني به والتمس منه مرّة أن يعمل له خمسة أبياتٍ مذكّرة أولها ثاءٌ وآخرها قاف ⁽⁵⁾، وقد اقتصر ابن الكتّاني في رسالته الشعريّة له على إظهار براعته من خلال نظم أبيات شعريّة، يُثبّت فيها مقدّرتَه اللّغوية، لاستخراج معنى طريف أو صورة

⁽¹⁾ ينظر: القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، القصائد والمقطوعات ذوات الأرقام الآتية: [4]، 259، [21]، 272، [51]، 303، [63]، 315، [74]، 321، [77]، 322، [85]، 328.

⁽²⁾ هذا ما لاحظته الباحثة من خلال شعره، ينظر: القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، القصيدة رقم [24]، 275، القصيدة رقم [41]، 293-295.

⁽³⁾ ينظر: ابن الشّعار، قلائد الجمان، 249/10 و 235.

⁽⁴⁾ ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، 383/44.

⁽⁵⁾ ينظر: ابن الشّعار، قلائد الجمان، 247/10.

طريقة، بغض النظر عن جودة المعنى، وربما قد احتاج الشاعر في نظمها إلى جهد ذهني

لإتمامها، حيث بدأ كل كلمة فيها بحرف الثاء، وختم كل بيت بحرف القاف، إذ يقول: [76] (البسيط)

ثَمَلْتُ مِنْ حُسْنِهِ وَالْكَأْسُ يَرشُفُهَا ظَبْيٌ مِنَ التُّرْكِ أَضْحَى وَهُوَ مَعشُوقٌ
ثَبَّتْ كَأَنَّ فِيهِ وَهُوَ مُغْتَبِقٌ مِسْكًا وَفِي يَدِهِ طَاسٌ وَإِبْرِيْقٌ
ثُمَّ احْتَسَيْتُ مُدَامَ الْحُبِّ مِنْ فَمِهِ صِرْفًا وَقَدْ زَانَهَا تَغَرُّ وَرَاوُوقٌ
ثَقُّ بِي فَلَسْتُ مُذِيعًا سِرِّكُمْ أَبَدًا وَالسِّرُّ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ صُنْدُوقٌ
ثَكَلْتُ مَنْ لَأْمَنِي فِي نَبْتٍ عَارِضِهِ وَقَدْ بَدَأَ فِيهِ تَنْوِينٌ وَتَعْرِيقٌ⁽¹⁾

ويبدو أنَّ الشاعر كان يعمل في خدمة الملك المسعود فترة من الزمن وانقطع بعدها، وقد

ظهر ذلك من خلال شعره، إذ يقول: وقد قطع رزقه لانقطاعه عن خدمته: [73] (الكامل)

مَا زِلْتُ تَقْطَعُ فِي الشِّتَا رِزْقِي يَا مَنْ عَلَى الْأَمْوَالِ لَا يُبْقِي
قُلْ لِي لِأَيَّةِ حَالَةٍ وَبِمَا اسْـ تَوَجَّيْتُ فِعْلَكَ ذَاكَ فِي حَقِّي
مَا قَدَرْتُ ذَاكَ النَّزْرَ تَمْنَعُهُ عَنِّي وَغُصْنُكَ يَتَانِعُ الْعِرْقُ
غَارَتْ عُيُونُ نَدَاكَ أَمْ صَفِرَتْ كَفَّاكَ مِنْ ذَهَبٍ وَمِنْ وَرَقٍ⁽²⁾

وقد التقى ابن الكتاني الملك المسعود مرّة، فطلب منه أن ينظم الشعر في معنى أرادته⁽³⁾،

فقال قصيدة مدحه فيها، مكونة من ثمانية عشر بيتاً ضمّنها المعنى الذي أرادته، ويبدو أنَّ الملك

المسعود كان يتخلف عنه، مع أنَّ الشاعر عمد إلى مدحه وتهنئته في العيد، فقال ابن الكتاني

مقطوعة عاتبه فيها، بسبب تخلفه عنه وقلة نظير الديوان في حقّه⁽⁴⁾.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 322.

(2) نفسه، 321.

(3) ينظر: ابن الشعار، قلائد الجمان، 227/10.

(4) ينظر: نفسه، 246/10.

ومن الأعيان الذين اتّصل بهم الشّاعر: الوزراء، فقد التقى وهو بآمد الوزير ضياء الدّين أبا العباس أحمد بن القاسم ابن شيخ السّلاميّة ومدحه، وأرسل إليه بعض القصائد يطلب فيها خطباً وشعيراً⁽¹⁾، كما اتّصل بالوزير صفّي الدّين عبد الله بن علي بن شكر⁽²⁾.

ومن الأعيان الذين اتّصل بهم وقال فيهم شعراً: صاحب الموصل سيف الدّين غازي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر، ونور الدّين محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سليمان بن أرتق، صاحب حصن كيفا وآمد، والملك المؤيّد نظام الدّين الذي منحه ضيعة على شاطئ الفرات، ونظام الدّين أبو سعيد البقش متولي ماردين، ونجم الدّين يعقوب بن المقدّم⁽³⁾.

وقد اتّصل وهو في مصر بالملك العزيز ومدحه، كما اتّصل ببعض قادة العصر آنذاك فوصل نفسه بالأمرء ومدحهم ومنهم: الأمير مرهف بن أسامة بن منقذ، والأمير أسد الدين المصري، والأمير الصّارم خطلبا، كما اتّصل بالمنتجب وهو في المحلة الغربية بمصر، والسّديد الطّبيب، والخضر بن شروة الذي كان في خدمة الملك العزيز، وسعد الدين أستاذ دار الملك المؤيّد مسعود بن الملك النّاصر صلاح الدّين، وهلدرا⁽⁴⁾.

(1) هذا ما لاحظته الباحثة من خلال شعره، ينظر: القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، القصائد والمقطوعات ذوات الأرقام الآتية [20]، 271، [41]، 293-295، [48]، 299، [64]، 317-318.

(2) نفسه، القصيدة رقم [58]، 308-309.

(3) هذا ما لاحظته الباحثة من خلال شعره، ينظر: القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، القصائد والمقطوعات ذوات الأرقام الآتية [25]، 277، [22]، 273، [40]، 293، [62]، 314-315، [65]، 318، [80]، 324.

(4) هذا ما لاحظته الباحثة من خلال شعره، ينظر: القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، القصائد والمقطوعات ذوات الأرقام الآتية [9]، 273-274، [33]، 301-302، [50]، 318-320، [8]، 272-273، [19]، 283-284، [2]، 268-269، [49]، 316-318، [98]، 366-367، [54]، 323-325.

والملاحظ أنَّ شعر ابن الكَتَّانِي قد بدأ بالتَّزايد في دولة الملك العزيز، وقد أشار ابن الشَّعَّار إلى أنَّ الملك العزيز كان يستدعيه ليلاً ويجعله جليساً له، إذ يقول: "وقال وقد استدعاه الملك العزيز عثمان بن يوسف ليلاً وجعله جليساً له" ⁽¹⁾، فالملك العزيز كان يجالسه ويقربّه ويأنس إليه، وكان ابن الكَتَّانِي يحبُّ أن يستزيد من رقاعه، وكان يطول به رغبةً فيه ليستخدمه ⁽²⁾، كما كان يعرّض بنفسه إلى الملك العزيز ويراسله ⁽³⁾.

ويبدو أنَّه كان لابن الكَتَّانِي مهنة عمل بها في مصر، ويظهر ذلك في مقطوعته التي

نظمها بعد أن أتعبه الدِّيوان في إيصال الجامكيّة بمصر ⁽⁴⁾، إذ يقول: [31] (الهزج)

أَيَا مَنْ يَشْتَرِي الْحَمْدَ وَمَنْ يَكْتَسِبُ الْمَدْحَا
وَمَنْ يَحْتَقِرُ الْغَيْثَ إِذَا مَا كَفُّهُ سَحَا
لَقَدْ وَقَعْتَ لِي صَحَّ وَلَكِنْ صَحَّ مَا صَحَّا ⁽⁵⁾

وقد عبّر الشَّاعر في شعره عن مجيئه من بلاد الشَّرق قاصداً الملك العزيز، إذ يقول: [8]

(مجزوء الرمل)

يَا غَرِيبَ الْحُسْنِ قَدْ جَا عَكَ لِلرَّفْقِ دِ غَرِيبُ
مِنْ بِلَادِ الشَّرْقِ وَأَفَا كَ وَإِلَّا لَا يَخِيْبُ ⁽⁶⁾

⁽¹⁾ قلاند الجمان، 255/10.

⁽²⁾ ينظر: نفسه، 221/10، 239.

⁽³⁾ ينظر: نفسه، 248/10.

⁽⁴⁾ ينظر: نفسه، 231/10.

⁽⁵⁾ القسم الثاني "شعر ابن الكَتَّانِي"، 284.

⁽⁶⁾ نفسه، 262.

ولا تقدّم المصادر التي ترجمت للشاعر تفاصيل عن العلاقة بينه وبين الملك العزيز، حيث اكتفى ابن الشعار بإيراد بعض الإشارات التي ذكرت سابقاً، فيبدو أنّ ابن الكتاني قد رحل عن مصر بعد وفاة العزيز، ويدلنا على ذلك أنه لم يرد في أشعاره مدح للملك المنصور ابن الملك العزيز الذي تسلم زمام الأمور بعد وفاة والده⁽¹⁾، وربما عاد إليها في الفترة التي دخل فيها الملك العادل إلى الديار المصرية في سنة 596هـ⁽²⁾، وزالت دولة صلاح الدين الأيوبي، واستوزر العادل حينها صفي الدين بن شكر⁽³⁾.

أمّا في بلاد الشام فيبدو أنّ الشاعر قد رحل إليها في فترة من فترات حياته والتقى بالسلطان صلاح الدين الأيوبي في إحدى مدن الشام، وحظي عنده بمكانة، وكان يجالسه، وينعم عليه، ثم غادره إلى بغداد فاشتاق إلى أيامه وعطاياه، وهذا يؤكد أنّ الشاعر كان يغادر العراق بين الحين والآخر، ليتصل ببعض أبناء الأسرة الأيوبيّة، فقد أرسل قصيدة للسلطان صلاح الدين الأيوبي يتذكر فيها الليالي والأيام التي كان يجلسها بقربه والنعم التي كان يسبغها عليه، فيقسم الشاعر بأنه مذ رحل عنه لم يسع طعاماً ولا شرباً، إذ يقول: [36] (الخفيف)

وَالَّذِي جَمَعَ الشَّتَاتَ وَأَنْشَأَ سُحْبًا أَعَشَبَتْ لَدَيْهَا الْبِلَادَ
مُذْ تَرَحَّلْتُ عَنْ جَنَابِكَ مَا سَغَا سِتْ شَرَابًا وَلَا هَنَالِي زَادَ⁽⁴⁾

كما يلاحظ - في حدود ما وصل إلينا من شعر ابن الكتاني - أنه قد استكف عن قول الشعر في صلاح الدين مدحاً، ما عدا القصيدة آنفة الذكر، مع العلم أنّ عمره عندما توفي صلاح

(1) ينظر: العيني، عقد الجمان، 75/3.

(2) ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 29/6، الحنبلي، شفاء القلوب، 223-225.

(3) ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 457/4.

(4) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 291.

الدِّين الأيوبيّ كان ثلاثاً وخمسين سنة، وربما يعود ذلك إلى أنّ فترة إقامته في الشّام كانت قليلة بالنسبة إلى الفترة التي قضاها في مصر.

أمّا في حلب فقد التقى الملك الظّاهر غياث الدّين غازي بن يوسف بن أيّوب ومدحه، وتجدر الإشارة إلى أنّ الملك الظّاهر كان يتولى الحكم آنذاك في حلب⁽¹⁾.

المبحث الخامس: صفاته وأخلاقه:

نوّه ابن الشّعار ببعض صفات ابن الكتّانيّ قائلاً عنه: "إنّه كان "سمح الخاطر، صاحب نكت ومُلح"⁽²⁾. كما استطاعت الباحثة تبيين جوانب من صفات الشّاعر وأخلاقه، من خلال التّمعن في شعره فالأدب صورة لنفسيّة الشّاعر وخلقّه، إذ يدل مجمل شعره على أنّه ذو شخصيّة متواضعة، إذ نراه يذمّ التّكبر، في قوله: [99]

(الطويل)

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْكِبَرَ يُزْرِي بِأَهْلِهِ تَوَاضَعْتُ حَتَّى عَظَّمَ النَّاسُ حَالِيَا
إِذَا الْكِبَرُ زَارَ الْمَرْءَ شَانَ جَمَالِهِ وَأَصْبَحَ مِنْ ثَوْبِ الرَّئَاسَةِ عَارِيَا⁽³⁾

ويبدو من شعره أنّه كان شاعراً مؤرّق النفس بسبب الرزق، ممّا جعله يغادر بلاد العراق ويتنقل بين بلاد الشّام ومصر ويتّصل بالحكّام ويمدحهم.

ويرى ابن الكتّانيّ أنّ العقل هو الذي يزيد الفتى شرفاً، فيقول: [84]

(البسيط)

بِالْعَقْلِ وَالنَّقْلِ يَزْدَادُ الْفَتَى شَرَفًا فَمَا التَّنَاقُصُ ضَاقَتْ فِي الْوَرَى حِيلِي⁽⁴⁾

(1) ينظر: العيني، عقد الجمان، 104/3.

(2) قلائد الجمان، 214/10.

(3) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 340.

(4) نفسه، 327.

وكان ابن الكتاني معرضاً عن العلوم التي ينبغي عدم اتباعها، كما ظهر في قوله الذي تطرّق فيه إلى الفحش، وحوى بذاءة في القول، ليعبر من خلاله عن يأسه من الدهر، يقول: [84]

(البسيط)

ذَرِ الْعُلُومَ وَكُنْ فِي النَّاسِ مَسْخَرَةً وَقَدْ وَلُطَّ وَأَزَنَ وَأَشْرَبَ وَاسْتَبَحَ وَكُلَّ⁽¹⁾

وبما أن الشاعر عاش في مجتمع مسلم يحترم القيم الإسلامية، فمن المآخذ الخلقية التي تؤخذ عليه: مجونه، وغزله بالمذكر، وتعلقه بالخمرة، فيما يحكيه لنا شعره الذي وصل إلينا، وربما يعود تعلق الشاعر بها إلى طبيعة العصر الذي شاعت فيه مثل هذه الأمور.

المبحث السادس: ثقافته ومكانته الأدبية:

نوه الصّفي بسعة ثقافة ابن الكتاني وتنوّع معارفه، فقد ورد أنه كان "أديباً، شاعراً"⁽²⁾، "مطيلاً، قادراً على النظم، له معرفة بالأدب وعلم العربية"⁽³⁾، وأطنب ابن الشعّار بلغته المسجوعة في تقييده والثناء عليه فأضاف قائلاً: "كان مطبوعاً منتجاً"⁽⁴⁾ مداحاً"⁽⁵⁾.

وكان حظّه حظّ أنداده من قراءة القرآن الكريم، وتعلّم اللغة العربية وعلومها، والشعر العربي، ولم تقتصر ثقافته على ما تقدّم، إنّما تعدّت إلى أمور أخرى، فالملاحظ من شعره أنه كان مطلعاً على دواوين الشعراء المشهورين، ويتمثل ذلك في البيت الرابع عشر من القصيدة رقم [88]⁽⁶⁾ التي نلّمح

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 327.

(2) ابن الشعّار، قلائد الجمان، 214/10، الصّفي، الوافي بالوفيات، 217/29.

(3) ابن الشعّار، قلائد الجمان، 214/10.

(4) النّجّع، بالفتح: يقال: انتجع فلاناً، إذا أتاه طالباً معروفاً، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 235/22.

(5) قلائد الجمان، 214/10.

(6) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 331.

فيها أثر المتنبي الذي ضمّن الشاعر له بيتاً كاملاً في القصيدة، حيث يقول صلاح الدّين الصّقدي بعد عرضه لهذه القصيدة: "قلتُ: شعر جيد، وآخره تضمين من شعر أبي الطّيب" (1).

كما ضمّن ابن الكتّاني بيتاً آخر للمتنبي تمثّل في البيت السّادس من القصيدة رقم [84] (2)، وضمن بيتاً آخر للناشئ الأكبر (3) تمثّل في البيت التاسع من القصيدة رقم [47] (4).

هذا بالإضافة إلى تأثره بامرئ القيس في البيت العشرين من القصيدة رقم [8] (5)، والبيت الثاني من المقطوعة رقم [9] (6).

ولا شك في أنّ لصلاته بأقرانه وأنداده من الشعراء أثراً كبيراً في **صقل** شخصيته الأدبيّة، فقد تفاعلت فيه عوامل التّأثر والتّأثير، مع الحيص بيص الشاعر (7)، حيث يشير ابن الشعار إلى ذلك بقوله: "وكان في الشعر أقرب إلى الحيص بيص، وعليه تخرّج" (8).

(1) الوافي بالوفيات، 218/29.

(2) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 327.

(3) النّاشئ الأكبر: هو عبد الله بن محمد النّاشئ الأنباري أبو العباس، شاعر مجيد، يُعدّ في طبقة ابن الرومي والبحري، أصله من الأنبار، أقام ببغداد مدة طويلة، وخرج إلى مصر، فسكنها وتوفي بها، وكان يقال له: ابن شرشير، وهو من العلماء بالأدب والدين والمنطق، له عدة تصانيف جميلة، وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين ومائتين للهجرة. ينظر: ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، 386/32، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 92-91/3، ابن حجر العسقلاني، **لسان الميزان**، 334/3.

(4) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 298.

(5) نفسه، 262.

(6) نفسه، 263.

(7) الحيص بيص: هو شهاب الدّين أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصّيفي التميمي، الشّاعر المشهور المعروف بحيص بيص، من أهل بغداد، نشأ فقيهاً وغلّب عليه الأدب والشّعر، توفي ببغداد سنة 574 هـ، عن اثنين وثمانين عاماً، وله ديوان شعر مطبوع، ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 362/2.

(8) **قلائد الجمان**، 214/10.

ومن الجدير ذكره أنَّ تنقلات الشاعر بين العراق والشَّام ومصر، قد وفَّرت له بيئة خصبة متنوعة غنيَّة بالطَّواهر الطَّبيعيَّة بما فيها من الأنهار والحدائق والريَّاض والبساتين، ويشهد فيها فصول السنَّة، إذ يتناول في شعره الحديث عن فصل الرِّبيع، وفصل الشَّتاء وما فيه من برد وتلج⁽¹⁾، هذا بالإضافة إلى جمال البلاد التي نشأ وترعرع فيها، ولمَسَت الباحثة أثر تلك الطَّبيعة الخلابة والثَّقافة المتنوّعة في شعره، أثناء حديثها عن الدِّراسة الموضوعيَّة والفنيَّة لاحقاً.

وابن الكتَّاني في تنقلاته تلك يلتقي الملوك والأمراء والوزراء والأطباء في شتَّى ميادين المعرفة، مما أثرى معرفته العلميَّة، وجعلته مُتقِّفاً بثقافة عصره الذي عاش فيه، حتَّى إنَّه كان يقول الشعر ارتجالاً في بعض الأحيان⁽²⁾.

المبحث السَّابع: وفاته:

لم تُشر المصادر التي ذكرت ابن الكتَّاني إلى تاريخ وفاته، فلا تكاد الباحثة تظفر بأيِّ معلومات عن وفاته، كما أنَّ صعوبة تحديد تاريخ وفاة الشاعر استنتاجاً تأتي من أنَّ المصادر التي ترجمت له لم تحدد لنا سنوات رحلاته وتنقلاته، ولما كان أكثر الملوك والأمراء والوزراء الذين قصدهم عاشوا في عصر واحد، لذلك يبقى أمر تحديد تاريخ الوفاة عسيراً على الباحثة.

غير أنَّ الباحثة حاولت الكشف عن تاريخ وفاة الشاعر عن طريق الاستدلال من خلال نتاجه الشعري، ورَجَّحت باستنادها إلى نصوص ابن الكتَّاني الشعريَّة أن تكون وفاته في الفترة ما بين السنوات من 618 هـ إلى 629 هـ.

(¹) ينظر: القسم الثَّاني "شعر ابن الكتَّاني"، القصائد والمقطوعات ذوات الأرقام الآتية: [20]، 271-271، [64]، 317، [66]، 318، [96]، 338.

(²) ينظر: نفسه، القصائد والمقطوعات ذوات الأرقام الآتية [15]، 266، [35]، 289، [38]، 291-292.

فالشاعر مدح الملك الصّالح صاحب آمد وحسن كيفا المتوفى سنة 618هـ الذي قام بعده ولده الملك المسعود قطب الدّين أبو المظفر سكّمان بن محمد، الذي ملّكه صلاح الدّين آمد، وقد أثبت ابن الشّعار إلى أن الشاعر مدح الملك المسعود ابن الملك الصّالح الذي تولّى آمد بعد وفاة أبيه، أي تقريباً في السنة نفسها التي توفي فيها والده، وبما أن الشاعر قد مدح المسعود عندما كان ملكاً، فهذا يدل أن الشاعر كان حياً في سنة 618 هـ، وعاش حتى تلك الفترة، ولم يمدح أحداً من ملوك تلك الفترة بعد الملك المسعود.

وكي تتحدّد الفترة التي توفي فيها الشاعر، فقد وجدت الباحثة في بعض كتب التّاريخ القديمة النّص الآتي:

" دَخَلَتْ سنة تسع وعشرين وستمائة: والسلطانان الكامل والأشرف بالدّيار المصريّة، والملك المظفر بحماه، والعزیز محمد بن الظاهر غازي بحلب، والتّتر قد ملكوا العجم كله والخليفة المستنصر بالعراق، ثم اجتمع مع الكامل ملوك أهل بيته في جمع عظيم وسار حصار آمد، وتسلمها من الملك المسعود بن الصّالح محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق لسوء سيرته، وتعرضه إلى حريم النّاس، ومحمد بن قرا أرسلان هو الذي ملّكه صلاح الدّين آمد بعد نزاعها من ابن بيسان، وتسلم الكامل أيضاً من المسعود حصن كيفا وهي غاية في الحصانة، وأقطع المسعود بمصر إقطاعاً جليلاً " (1).

مما تقدّم تلحظ الباحثة أن الملك المسعود الذي تولّى آمد سنة (618 هـ) بعد وفاة أبيه، قد عُزِل عنها سنة (629 هـ) بسبب سوء سيرته، وتسلمها منه الملك الكامل، وقد مدح ابن الكتّانيّ الملك المسعود عندما كان ملكاً على آمد في تلك الفترة، أي أن الشاعر كان حياً حتى تلك السّنة التي مات فيها الملك الصّالح وجاء بعده ولده الملك المسعود، وباستقراء أسماء الحكّام الواردة في النّص تلحظ الباحثة أن

(1) ابن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر، 154/2.

الشاعر لم يتطرق إلى قول الشعر فيهم، مما يدل على أنه قد مات قبل أن يتولى أحد منهم الحكم، ولم يمدح أيضاً الملك الكامل الذي تسلم أمد في تلك السنة.

وهذا يعني أن الشاعر قد توفي قبل عام 629 هـ، وقد استعانت الباحثة بشعر الشاعر في تحديد سنة الوفاة بدقة أكثر فوجدت أن الشاعر مدح الوزير أحمد بن القاسم بن شيخ السَّلامية المولود سنة (545هـ) وقد مدحه الشاعر وخاطبه بوزير المسعود، حيث طلب من الوزير ضياء الدين أبي العباس أحمد بن القاسم ابن شيخ السَّلامية شعيراً، فقال له: قد نفذنا إلى الحصن في طلب الشعير: [48]

(الخفيف)

قَدْ تَقَنَّنْتُ بِالشَّعِيرِ وَمِثْلِي لَا يُجَازِي لِشِعْرِهِ بِالشَّعِيرِ
يَا وَزِيرَ الْمَسْعُودِ سَاعِدْ لِمَنْ لَا يَتَرَجَّى سِوَى أَيَْادِي الْوَزِيرِ
كُلُّ شَيْءٍ يَفْنَى سِوَى مِدْحِي فِيْ كَ وَلَوْ جُدْتَ لِي بِمُلْكٍ كَبِيرِ
فَنَفَادُ الْقَلِيلِ يَا أَوْحَدَ النَّاسِ سِ يُوَازِي بِهِ نَفَادُ الْكَثِيرِ⁽¹⁾

وقد ذكر ياقوت الحموي الذي أشار إلى ترجمة ضياء الدين أحمد أنه " توجه إلى ديار بكر فصار وزيراً لصاحب أمد قطب الدين سليمان بن قرا أرسلان وبقي عليها مدة، ثم فسد ما بينه وبين قطب الدين ففارقه وقدم الموصل" ⁽²⁾.

وهذا يدل على أن الشاعر كان حياً عندما كان ضياء الدين أحمد بن القاسم وزيراً للمسعود، وعليه ترى الباحثة أن الشاعر قد توفي في الفترة ما بين عام (618 هـ) - وهي السنة التي توفي فيها الملك الصالح وجاء بعده الملك المسعود - وقبل العام (629 هـ) وهي السنة نفسها التي عُزل فيها الملك المسعود، أي أن الشاعر مدح الملك المسعود وهو ملك، ومدة ملكه امتدت (618هـ - 629 هـ) فتكون وفاته في هذه الحقبة من الزمن.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 299.

(2) معجم البلدان، 234/3.

وعليه حاولت الباحثة الوصول إلى تاريخ قريب من وفاة الشاعر، وتقدير ذلك يكون ما بين الأعوام (618هـ و629هـ)، ولعلّه توفي في السنوات الأولى من هذه الفترة أي في العقد الثاني من القرن السابع الهجري تقريباً؛ لأنّ الشاعر ولد في سنة 536 هـ ، ثم استقرّ في العراق وعمد إلى مدح الملك المسعود، ووزيره ضياء الدّين أحمد، في الفترة التي كان قادراً فيها على قول الشعر، وقد كان عمره حينها في الثمانينات.

المبحث الثامن: ديوانه:

من الجدير ذكره أنّ معظم دواوين شعراء العصر الأيوبيّ لم تصل إلينا، بما في ذلك ديوان ابن الكتّانيّ، الذي فُقد، فما وصل إلينا من قصائد ومقطوعات لشعراء ذلك العصر غير كاملة، ولا تمثّل العصر.

وعليه فإنّ ديوان الشاعر مفقود، ولم تعثر الباحثة له على خبر أو أثر في كتب الفهارس القديمة أو قوائم المخطوطات الحديثة، لكنّ ثمة إشارة قديمة إليه وردت عند ابن الشعّار الموصليّ، حيث أشار إلى ديوان الشاعر في ثلاثة مواضع، يذكر في الموضعين الأولين: أنّه نقل عنه، إذ يقول: "ونقلت من ديوان شعره"⁽¹⁾، و "نقلت من ديوانه أيضاً بمدحه"⁽²⁾، أمّا الموضع الثالث فقد ذكر ابن الشعّار أنّ لابن الكتّانيّ ديواناً كبيراً، إذ يقول: إن ابن الكتّاني "له شعر كثير مدون يدخل في مجلد كبير كان يمتدح به الناس"⁽³⁾، ولا تكاد تعلم الباحثة - فيما عدا الإشارة السابقة - من أمر ديوان الشاعر شيئاً، وقد اعتمد ابن الشعّار على هذا الديوان في ذكر بعض أشعاره.

(1) ابن الشعّار، **فلاّند الجمان**، 216/10.

(2) نفسه، 217/10.

(3) نفسه والصفحة نفسها.

ولم تستطع الباحثة الوقوف على ديوانه، وتُرجَّح أنَّ الديوان قد ضمَّن تراثاً كثيراً، طمس عليه الزَّمان، واندثر بفعل يد الإنسان، والعتور عليه يكمل الصورة الأدبيَّة لحياة الشاعر وعصره، ويحتفظ ابن الشَّعار الموصلي في كتابه (قلائد الجُمان في فرائد شعراء هذا الزَّمان) بأكبر مجموع شعري لابن الكتَّاني.

المبحث التاسع: رواية شعره:

يذكر ابن الشَّعار الموصلي اثنين ممَّن روَّوا شعراً من أشعار ابن الكتَّاني، وهما أبو عبد الله محمد بن الحسن بن النُّجار البغداديّ، وأبو الفتح يونس بن أبي الغنائم بن أبي بكر البغدادي⁽¹⁾، ويبدو ذلك جليّاً في ترجمة ابن الكتَّاني في قلائد الجمان، إذ يقول ابن الشَّعار: "أنشدني أبو عبد الله ابن النُّجار البغداديّ في سنة تسع وثلاثين وستمائة -رحمه الله- قال: أنشدني أبو يعقوب يوسف ابن سليمان بن صالح لنفسه يمدح الملك المسعود أبا المظفر سكران بن محمد بن داود - ملك ديار بكر وقد استدعاه الملك العزيز عثمان بن يوسف ليلاً وجعله جليساً له"⁽²⁾.

ويقول ابن الشَّعار: "وأنشدني أبو الفتح يونس بن أبي الغنائم بن أبي بكر بن محمد البغداديّ بحلب، قال: أنشدني أبو يعقوب يوسف بن سليمان بن صالح لنفسه قصيدة يمدح بها الملك الظاهر غياث الدِّين غازي بن يوسف بن أيُّوب - رحمه الله تعالى -"⁽³⁾.

(1) يذكر ابن الشَّعار أنَّه لقيه بحلب سنة (634 هـ) وقد استوفى ثمانين سنة، وأنَّه روى له مقطَّعات عن جماعة من الشعراء المتأخريين ومنهم ابن الكتَّاني، ينظر: قلائد الجمان، 285/10.

(2) ابن الشَّعار، قلائد الجمان، 215/10.

(3) نفسه، 216/10.

ثانيًا: عصر ابن الكتّاني:

إذا كان ابن الكتّاني قد ولد سنة 536هـ والراجح أنه توفي في حدود الفترة المقدّرة ما بين السّنوات (618هـ/629هـ)، فإنّه قد عاصر مجموعة من الملوك هم: (الملك النّاصر صلاح الدين الأيوبي، والملك الصّالح ناصر الدين محمود بن محمد، والملك المسعود قطب الدين سكّمان بن محمّد، والملك المؤيّد مسعود بن الملك الناصر صلاح الدين، والملك الظّاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب، وسيف الدّين غازي بن مودود بن زنكي، والملك المؤيّد نظام الدّين). فالشّاعر عاصر الدولتين الزنكيّة والأيوبيّة وعاش في عصرٍ متردٍ من النّاحية السّياسيّة، وكثرت فيه الاضطرابات والنّزاعات، والفتن الدّاخلية، ومع انتصاف القرن السّادس الهجري، استقرّ أمر نور الدّين زنكي ومملّك الشّام، وواصل جهاده مع والده عماد الدّين، وقام بتنفيذ سياسته لمواجهة الغزو الصليبي، وجهاد الفرنجة وتوحيد البلاد الإسلاميّة (بلاد الشّام والجزيرة، ومصر والشّام) عن طريق توجيه عدد من الحملات من الشّام إلى مصر، حيث أرسل ثلاث حملات، كانت الحملة الأولى سنة 558 هـ ⁽¹⁾، والثانية سنة (562 هـ) ⁽²⁾، والثالثة سنة (564 هـ) ⁽³⁾، وكانت الحملات الثلاثة بقيادة أسد الدّين شيركوه، وقد رافقه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي في الحملة الثالثة وتمّ له النّجاح، وتمكّن من قهر الفاطميين.

(¹) ينظر: ابن شدّاد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيّة، 36/1.

(²) ينظر: نفسه، 37/1.

(³) ينظر: نفسه، 39/1.

وقد كان لأحوال مصر الفاطمية وما يتخللها من اضطرابات أثر في دفع نور الدين إلى التفكير في ضمها إلى دولته، وبقي أسد الدين بعدها في مصر، وتقلد الوزارة لكنه لم يلبث أن توفي سنة 564هـ، ثم تولى الوزارة بعده صلاح الدين الأيوبي، وعلا شأنه في مصر.

وبعد وفاة نور الدين زنكي سنة 569 هـ ⁽¹⁾، اضطربت أحوال بلاد الشام، حينئذ جهّز صلاح الدين الأيوبي جيشاً لقصد بلاد الشام، فقصد دمشق سنة 570 هـ ⁽²⁾، وتمكّن بعدها من دخول حلب وضمها إلى أملاكه سنة 578 هـ ⁽³⁾، وكانت مرحلة صلاح الدين من أغنى المراحل التي ساعدت على تقليص حدود الممالك الصليبية، فتوالت الهجمات على الصليبيين، وأحرز الكثير من الانتصارات.

وبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي سنة 589 هـ ، دخل الصراع بين صفوف الوحدّة التي لجأ إلى تحقيقها، وشرعت الأمور تضطرب، وسرعان ما تفككت بسبب الصراعات التي دارت بين أبناء البيت الأيوبي ⁽⁴⁾، وكان صلاح الدين قد قسم البلاد بين أبنائه في حياته، جاعلاً الديار المصرية لولده الملك العزيز عماد الدين عثمان، ودمشق لأكبر أولاده وهو الأفضل نور الدين علي، ومملكة حلب للملك الظاهر غياث الدين غازي، ولأخيه العادل الكرك، والشوبك ⁽⁵⁾، وبلاد

(1) ينظر: أبو شامة، الروضتين، 27/1.

(2) ينظر: ابن شدّاد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيّة، 50/1.

(3) ينظر: نفسه، 51/1.

(4) ينظر: نفسه، 160-170.

(5) الشوبك: بالفتح ثم السكون ثم الباء الموحدة المفتوحة وآخره كاف، قلعة حصينة في أطراف الشام قرب الكرك، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 370/3.

جعبر⁽¹⁾، وبلدان كثيرة قاطع الفرات وحماة وأعمال أخرى معها للملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر ابن أخي السلطان، وحمص والرحبة وغيرها لأسد الدين بن شيركوه بن ناصر الدين بن محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير نجم الدين أخي أبيه نجم الدين أيوب، واليمن بمعاقله ومخاليفه جميعه في قبضة السلطان ظهير الدين سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، وبعد ذلك آل الأمر واستقرت هذه الممالك واجتمعت الكلمة على الملك العادل أبي بكر سيف الدين وصارت المملكة في أولاده⁽²⁾.

وكانت فترة الملك العادل عامرة بالوقائع الحربية والأحداث الجسام، وكما قسم صلاح الدين البلاد بين أبنائه، فقد قسمها أيضاً العادل في حياته بين أبنائه سنة 598هـ، وكان له الإشراف العام على جميع أنحاء البلاد وصار يتنقل في أملاك أولاده، ويعمل على وفاقهم، مُغيّراً السياسة التي سار على نهجها صلاح الدين الأيوبي.

ولما توفي الملك العادل أبو بكر بن أيوب سنة 615 هـ⁽³⁾، "ثَبَتَ كُلُّ مَنْهُمْ فِي الْمَمْلَكَةِ التي أعطاه إياها أبوه، واتفقوا اتفاقاً حسناً، فلم يجز بينهم من الاختلاف ما جرت العادة أن يجري بين أولاد الملوك بعد آبائهم بل كانوا كالنفس الواحدة كل منهم يثق بالآخر"⁽⁴⁾، ولم تمضِ سنوات

(1) جَعَبَر: جَعَبَر على الفرات مقابل صفين التي كانت فيها الوقعة بين معاوية وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكانت تعرف أولاً بدوسر فتملكها رجل من بني نُمَيْر يقال له جعبر ابن مالك فغلب عليها فَسُمِّيَتْ به، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 141/2 و 390/4.

(2) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 6/13.

(3) ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 393/10.

(4) نفسه، 394/10.

على هذا الاتفاق، حتّى تفاقم الخلاف بين الإخوة وطمعوا في أن يسيطر كلُّ واحدٍ منهم على دمشق والمدن المهمة الأخرى كحلب وحماة.

وقد أدّت هذه النزاعات التي كانت بين أمراء الدولة الإسلامية إلى طمع الفرنجة في البلاد.

أما من الناحية الاجتماعية فقد كان للعناصر الدخيلة على المجتمع العربي في القرن السادس الهجريّ - من جوارٍ وقيانٍ وغلماٍ من جنسيّات مختلفة تشمل: الأكراد والأتراك والفرنجة - تأثير كبير في الانحلال الخلقي الذي ساد مختلف الطبقات في المجتمع، وتسرب كثير من ألفاظهم إلى العربيّة، وبمجيء الأيوبيين إلى بلاد الشام، أخذ عدد الأكراد يتزايد، وأثبتوا شجاعتهم بعد أن تولّوا زمام الأمور في البلاد، ليس هذا فحسب بل أشادت المصادر بشجاعة التركمان في قتالهم للفرنج⁽¹⁾، فكثيراً ما اعتمد عليهم نور الدين زنكي في حملاته ومعاركه.

أما من الناحية الاقتصادية فقد ظهر الاهتمام بالتجارة والصناعة والزراعة، حيث أزال نور الدين المكوس المفروضة على التجار، وعمل على توفير أمن القوافل التجاريّة وحمايتها من أيّ اعتداء، وسار صلاح الدين الأيوبيّ من بعده على هذا الطريق.

ومن الجدير ذكره أنّه كان لتوالي الأحداث والكوارث الطبيعية التي أودت بحياة كثير من الخلق أثرٌ كبيرٌ في تردي الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة، وانتشار الفقر والجوع والموت،

(1) ينظر: ابن القلانسي، تاريخ أبي يعلى، 212/1، 213، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 73/9، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، 341/1.

وزادت الأحوال سوءاً بحدوث الزلازل، والسيول⁽¹⁾، والحرائق كحريق بغداد الذي وقع سنة 596هـ فاحترقت فيه مواضع كثيرة⁽²⁾.

أما من الناحية الفكرية والثقافية فالأمر مختلف حيث ازدهرت الثقافة وازداد الاهتمام بالعلوم في شتى مجالاتها، ويرجع الفضل في ذلك إلى أمور عدة: منها المجالس الأدبية والفكرية التي كانت تُعقد في دور الملوك والأمراء والوزراء، بالإضافة إلى مجالس العلم المتمثلة في دور العلم كالمدارس والمساجد وغيرها.

وقد كان لصلاح الدين الأيوبي ومن أعقبه من أسرته تأثير كبير في الناحية الثقافية، لا تريد الباحثة الخوض فيه لكثرة ما كُتب في هذا الموضوع⁽³⁾.

وهكذا عاش ابن الكتاني في ذلك العصر وشهده بكل ما فيه، وأثر الابتعاد عن الاضطرابات السياسية، مفضلاً التقرب إلى الحكّام والأعيان ومدحهم والتكسب منهم، وكان يعاني كغيره من الخلق من الفقر والحرمان، فلجأ إلى مدح الأعيان لعله ينال منهم النعم والعطايا.

(1) ينظر: العيني، عقد الجمان، 178/1-179.

(2) ينظر: نفسه والصفحة نفسها.

(3) ينظر: حمزة، عبد اللطيف، الحركة الفكرية في مصر في العصورين الأيوبي والمملوكي الأول، 82-83، و 149-154 و 156-174، والأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية، 25-27، وبدوي، أحمد، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية في مصر والشام، 21-22، وسلام، محمد زغلول، الأدب في العصر الأيوبي، 75-91.

القسم الأول : الدراسة .

الفصل الأول : موضوعات شعرا بن الكتاني .

الفصل الثاني : الخصائص الفنية لشعرا بن الكتاني .

الفصل الأول: موضوعات شعرا ابن الكثاني:

٧ المبحث الأول: المدح .

٧ المبحث الثاني: الغزل

٧ المبحث الثالث: الإخوانيات .

٧ المبحث الرابع: الخمرة

٧ المبحث الخامس: الوصف .

٧ المبحث السادس: الحنين والشوق .

٧ المبحث السابع: فنون شعرية ثانوية .

المبحث الأول: المدح .

المحور الأول: مدح الملوك والأمراء .

المحور الثاني: مدح الوزراء والقضاة والعلماء .

المحور الثالث: مدح أعيان آخرين من رجالات الدولة .

يشتمل شعر ابن الكتاني على ثمانمائة وثلاثة وعشرين بيتاً، موزّعة على أغراض الشعر المختلفة من: مدح، وغزل، وإخوانيات، وخمر، ووصف، وحنين وشوق، وغيرها. وعليه فقد تنوعت أغراض الشعر التي نظم فيها ابن الكتاني، وهذه الأغراض ليست على قدم المساواة في هذا الشعر، فقد أفاض الشاعر في أغراض، وأوجز في أغراض أخرى، وستعرض الباحثة هذه الأغراض بأكثرها شيوعاً في شعره، فالأقلّ وهكذا.

المبحث الأول : المدح .

يُعدُّ المدح من أهم أغراض الشعر في العصرين الزنكي والأيوبي، فقد غلب هذا اللون من الشعر على سائر الفنون الشعرية الأخرى، ولا غرابة في أن يستأثر المدح بعناية شعراء هذين العصرين، فالمدح سبيل لتقرب الشاعر من السلطان والإمارة، وهو باب تكسبه ومصدر رزقه.

وقد اعتاد شعراء ذلك العصر على شعر المدح، وخاضوا فيه؛ رغبة في التقرب من السلاطين والأمراء والحصول على عطاياهم، أو لغرض التهنئة بالمناسبات والأعياد وغيرها، وكلّها تهدف إلى بيان فضل الممدوح ومحاسنه وصفاته.

ويلاحظ أنّ شعر المدح بنوعيه التقليديّ والحماسيّ الذي يرتبط بأحداث العصر، قد قلّ في الربع الأول من القرن السادس الهجريّ، وأنّ جُلّ المدائح كانت في حُكّام البلاد آنذاك، ولعلّ السبب في هذا يعود إلى الهزائم المتلاحقة التي مُنيت بها الأمة في تلك الفترة، وافتقار الشخصية التي تستهوي الشعراء، وتستقطب اهتمامهم، لذا فقد انتعش المدح الحماسي الذي يرتبط بأحداث العصر ونما في ظلّ الزنكيين، وازدهر بنوعيه الحماسي والتقليدي في بلاط الأيوبيين⁽¹⁾.

(¹) ينظر: الحولي، أسماء عودة، قصيدة المدح في الشعر الشامي زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، 2004م، 53 .

لقد طرق ابن الكتّاني شتى مجالات الشعر وفنونه، ولعلّ المدح أكثر الأغراض التي طرفها وبرع فيها، حيث يُعدُّ شعر المديح غرضاً أصيلاً في شعره، ويأتي في المرتبة الأولى منه، وله منه نصيبٌ كبير، حيث نَظَمَ كثيراً من شعره في مدح حكام البلاد ووزرائها وقضائها وعلمائها وأعيانها، وقد بلغ حظُّ هذا الغرض من شعره سبعةً وعشرين قصيدة، وسبع مقطوعات جُلّها في الأيوبيين ملوكاً وأمراء، وفي عمّالهم من الوزراء والقضاة.

شارك ابن الكتّاني شعراء عصره في مدح العظماء من الملوك والأمراء والوزراء والقضاة المعاصرين له، وكان من هؤلاء الملوك والأمراء: الملك العزيز عماد الدّين عثمان ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي، والملك الصّالح ناصر الدّين محمود بن محمد، والملك المسعود قطب الدّين سكرمان بن محمد، والملك الظّاهر غازي بن صلاح الدين، والأمير مرهف بن أسامة بن منقذ، يليهم الوزراء: كالوزير صفي الدّين عبد الله بن علي بن شكر، والوزير ضياء الدّين أحمد بن القاسم بن شيخ السّلامية، ثم القضاة أمثال: شمس الدّين قاضي (دارا).

ومن الجدير ذكره أنّ شعر المدح عند ابن الكتّاني لا ينبغي أن يُدرّس جملة واحدة؛ لأنّ معاني كلّ قصيدة وأساليبها تتكون بناءً على المناسبة التي قيلت فيها، والحالة النّفسية للشاعر، فالحق أنه " لا ينبغي النّظر إلى قصيدة المديح - منذ الوهلة الأولى - على أنّها مجرد صفات تُخلع على الممدوح - طالما ردّدها الشعراء - استجداءً لعطائه، أو رغبة في حلّولهم منزلة أسمى لديه، بقدر ما هي - في الغالب - تعبير عن موقف إنسانيّ صريح، مداره التّوتر النّاجم في الحياة النّفسية للشاعر، نتيجة الصّراع من أجل العيش والبقاء، وتحدي بواعث الهلاك والموت" (1).

(1) نجا، أشرف محمود، قصيدة المديح في الأندلس، 16.

وقد نحت الباحثة إلى دراسة قصيدة المدح عند ابن الكتاني من حيث فرادة المناسبة التي أُلقيت فيها، بما يسلط الضوء على المشاعر الإنسانية المرتبطة بالموقف الذي قيلت فيه من جهة، ومن جهة أخرى لجأت الباحثة إلى بناء تصوّر شامل حول أدوات الشاعر بشكل عام في بناء القصيدة، من حيث: المفردات، والصّور الشعريّة، والاستعارات والجناس والطباق...إلخ.

وقد أكثر ابن الكتاني في مدائحه من الرّسوم المتّبعة، فهو يكاد لا يحد عن المنهج الذي رسمه التقليد الشعري خلال القرون الماضية، فهو يستهل قصيدته بمقدمة غزليّة، يتغزل فيها بامرأة تكون صورتها رهناً بما يُكنّه الشاعر للممدوح، ورهناً بالعلاقة بينهما، أو بطبيعة الممدوح وصفاته الخُلقية والخلقية وسيأتي توضيح ذلك فيما بعد.

وتفاوتت مقدّماته الغزلية بين الطّول والقصر حسب مناسبتها، ففي بعض الأحيان شكّلت المقدّمة الغزليّة أكثر من نصف القصيدة، تخلّص الشاعر بعدها إلى المدح في مجموعة من الأبيات، واضعاً أنموذجاً لمثله الأعلى، يحوي من الصّفات التي يسبغها على الممدوح يمكن قبولها وتصديقها، فتظهر مهارة الشاعر في التّسويق والتّعليل، واستخدام المفردات غير المقرّرة ولا المتكلّف صنعها، كي يُمكن السّامع من قبول هذه الصّفات المدعّمة بالصّور والتّشبيهات، وفي أحيان أخرى جاءت مقدّماته الغزليّة قليلة الأبيات.

ويتّضح الفرق بين ملكٍ وآخر من خلال بروز صفة أو صفات مميّزة في أحدهم دون الآخر، كما أنّ هناك اختلافات لا بدّ من ذكرها، أولها: إنّ مدح الملك يحوي صفات لا يحويها مدح الوزير، كذلك قد يتفرّد القاضي ببعض الصّفات التي لا تليق إلاّ به، وكذلك الحال مع كلّ فئة من النّاس، وليس هذا حكماً مطلقاً أو عامّاً، فقد نجد - في بعض القصائد - أنّ القضاة

والوزراء قد فاقوا الملوك والأمراء في صفاتهم، وترى الباحثة أن ذلك قد يرتبط بقيمة العطايا المتوقعة من الممدوح، أو درجة التقرب، أو عظيم صنع الممدوح.

وستعرض الباحثة مدح العظماء والمشاهير والأعيان من بني أيوب من: ملوك وأمراء ووزراء وقضاة بأكثرها شيوعاً في شعره، ثم الذي يليه، وهكذا ضمن المحاور الآتية:

المحور الأول: مدح الملوك والأمراء:

استوعب ابن الكتّاني في مدائحه المثل التي تقوم عليها المدائح العربية، وأول ما يُعرض له من هذه المدائح، تلك التي قيلت في ملوك البلاد وأمرائها، وتكاد تتمثل فيها جميعاً المثل والقيم نفسها، فقد مدحهم الشاعر في أنفسهم وأخلاقهم، ولم تختلف صفات ممدوحه عنها في شعر معاصريه أو سابقيه، فالممدوح دائماً جواد، وكريم، ومن أصل طيّب... إلخ. والمدح في شعر ابن الكتّاني لم يكن كله إعجاباً بالممدوح وتقديرًا له، بل خالطته رغبة الشاعر في نيل الأعطيات.

ومن الملوك الذين أكثر ابن الكتّاني من مدحهم: الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد الذي مدحه بثمانى قصائد، والملك المسعود الذي مدحه بأربع قصائد، والملك الظاهر الذي مدحه بقصيدتين، وربما يعود ذلك إلى قيمة العطايا ودرجة التقرب المتوقعة منهم.

وللوقوف عند قصيدة المدح عند الشاعر من حيث البناء والمضمون، فإنّ الباحثة ستدرس بعض النماذج وتختار منها ما يوضح ما سبق، فمن هذه النماذج قصيدته البائية التي

مدح فيها الملك الصالح محمود بن محمد ومطلعها: [1] (مجزوء الرمل)

صَاحِ بِالزُّورَاءِ عَجْ بِي زَادَ بِالزُّورَاءِ عَجْبِي (1)

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 256.

فقد استهلَّ الشاعر قصيدته بالوقوف على الأطلال سيراً منه على نهج القصائد العربية القديمة، متغنياً بذكر أطلال الأحبة، فهو لا يملك أن يمنع نفسه من الوقوف عليها، وبثها ما يختلج في صدره من حنين إلى أهلها وتساؤل عنهم، فنراه يقف صائحاً نائحاً على أبواب مدينة الزوراء، متأملاً متعجباً سائلاً الدار عن الغيدِ الحسان، معاتباً أولئك الذين يلومونه على الوقوف عليها، فيقول: [1]

(مجزوء الرمل)

وَاسْأَلِ الدَّارَ عَنِ الْغِيَمِ	دَلَّ لَعْلَ الدَّارَ تُنْبِي
وَإِذَا مَا عَنْ سِرْبٍ	مِنْ نَوَاحِيهَا فَسِرْ بِي
أَوْ رَأَتْ عَيْنُكَ صَاحِبِي	فَعَلَى حَالِكَ صِخْ بِي
عَدَّ عَنْ عَتَبٍ وَدَعْنِي	عَاذِلِي مِنْ ذِكْرِ عَتَبٍ (1)

وتخلص الشاعر من ذلك إلى تصوير المحبوب الذي تعلق به من رغبة مالك بن طوق، متغنياً بجماله وحسنه، مستطرداً مفصلاً في مظاهر الحسن والجمال، إذ هو فاتر العينين، وصاحب ثغر لؤلؤي، وريقه عذب بارد يفوق طعمه طعم العسل، وميَّاس يهتز في مشيته ويتثنى كخصن البان: فيقول: [1]

(مجزوء الرمل)

إِنِّي عَلَّقْتُ ظَبِيًّا	مِنْ بَنِي مَالِكِ رَحْبِي
فَإِذَا الْعَيْنَيْنِ لَا يَصْ	بُوءُ وَلِلْعَشَّاقِ يُصْبِي
لُؤْلُؤِي الثَّغْرِ إِلَّا	أَنَّهُ لِلْعَقْلِ يَسْبِي
مَائِسًا يَهْتَزُّ تِيهًا	شَغْبًا مِنْ غَيْرِ شَرْبِ
يَتَنَتَّى مِثْلَ غُصْنٍ	مِنْ غُصُونِ الْبَانِ رَطْبٍ (2)

هذا الجوّ الذي ينشره الشاعر في بداية قصيدته لم يأت عفواً، إنّه تحفيز واستتزال للملك الصالح كي يصغي إليه، وقد أسهب ابن الكتاني في هذا النسيب مفرغاً فيه مشاعره، إلا

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 256.

(2) نفسه، 256-257.

أنّه لم يلبث أن يتحوّل عنه بالتّلميح وكتم عواطفه، فتنفجر نفسه بالحنين الصّريح إلى بغداد

وأهلها، فيقول: [1]

(مجزوء الرمل)

يَا بَنِي الزَّوْرَاءِ كُلُّ مِنْكُمْ جَارِي وَتَرْبِي
خَبَرُوا بَغْدَادَ إِنْ أَخْبَرُوا خَرْتُ عَنْ بَغْدَادَ كُتْبِي
إِنِّي مُذْ غَبِيتُ عَنْهَا بَيْنَ جَنَاتٍ وَقَضْبِ
فِي رُبُوعِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ لِحِ لِي أَبْقَاهُ رَبِّي⁽¹⁾

فانتقل الشاعر إلى مدح الملك الصّالح، مخاطبًا أهل الزّوراء، طالبًا منهم أن يُخبروا بغداد عن شوقه إليها، مُوضّحًا أنّ السّبب في تقصيره في إرسال رسائله، وكتبه إليها، وغيابه عنها، وعن حدائقها الغنّاء، هو العيش في ربوع الملك الصّالح، خاتمًا القصيدة بالدّعاء له بطول العمر، فاستخدم الشاعر شوقه إلى بغداد وسيلة لمدح الملك الصّالح، ليبين أنّه فضل العيش في ظله على العيش في موطنه، وأنّه كلما حنّ إلى موطنه وجدّ ما يُشغله عن ذلك الوطن، وذلك بشكل تحفيزًا للملك كي يزيد من عطائه له، ويحدّ من حنينه إلى موطنه.

فيحاول الشاعر في تصويره للديار ووقوفه عليها وانتقاله لوصف بغداد، أن يجعلها كالجنة أمام الملك الصّالح، وكأنّ الإقامة مع الملك الصّالح عوّضته عن الحنين إلى بغداد، وهذا مدحٌ بحدّ ذاته.

ومن هذه النّماذج قصيدته التي نظمها في مدح الملك المسعود سكّمان بن محمد بن

داود، ومطلعها: [88]

(المتقارب)

تَعَلَّقْتُ أَسْمَرَ كَالذَّابِلِ مَلِيحِ الشَّمَائِلِ مِنْ بَابِلِ
يَمِيسُ عَلَى الدَّعْصِ مِنْ لَيْنِهِ فَأَخْشَى عَلَى خَصْرِهِ النَّاحِلِ⁽²⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 257.

(2) نفسه، 330.

يستهلّ ابن الكتّاني قصيدته بالغزل، ويمضي على هذا النسق في أبياته إلى أن يبلغ بيته الرابع عشر، ويبدو الشاعر في قصيدته رقيقاً غزلاً، حيث يتغنّى بجمال الحبيب وحسنه، ويطيل الوقوف عند ذلك، مستخرجاً معاني وصوراً طريفة، ثم يحسن التّخلص بعد ذلك لينتقل

إلى المديح قائلاً: [88] (المقارب)

فَدَعُ عَنْكَ ذِكْرَ طِمَاعِ النَّفُوسِ وَعَدَّ إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ
وَلَا تَثْنِ عَزَمَكَ عَنْ مَاجِدٍ يُبَخِّلُ لِلْعَارِضِ الْهَاطِلِ⁽¹⁾

ثم جاء مدحه للملك المسعود في خمسة أبيات التفت الشاعر فيها إلى منظومة القيم، فخلع على ممدوحه من الصفات ما يرى أنها تميّزه عن غيره من الملوك، مركزاً على صفات الكرم والشجاعة، إذ نراه يصطفي له أرفع المزايا التي يمكن أن يحظى بها قائد عسكري، فيعده أنموذجاً للحاكم الذي تفاعلت في نفسه بطولة السيّف والفضائل الخُلقيّة ومثاليّة الحكم،

حيث أشاد بعطاءه الغدق لكل سائل، وبشجاعته الفائقة، إذ يقول: [88] (المقارب)

إِذَا سَأَلَ النَّاسُ مَا فِي يَدَيْهِ يَرَى ذَاكَ شُحًّا مِنَ السَّائِلِ
يَرَى بَذْلَ وَجْهِكَ عِنْدَ السُّؤَالِ لِكُثْرٍ مِنْ ذَلِكَ النَّائِلِ
وَيَحْتَقِرُ الْأُسْدَ يَوْمَ النَّزَالِ وَلَوْ أَنَّهَا عَدَدُ الْوَابِلِ
وَيَقْتُلُ الْخَيْلَ مَسْرُودَةً تَهْفُ بِكُلِّ فَتًى بِأَسِلِ
لَقَدْ عَلِمَ الْبَيْضَ ضَرْبَ الطُّلَا وَسُمِرَ الْقَتَا الطَّعْنَ فِي الْجَاهِلِ⁽²⁾

ويختتم الشاعر قصيدته بالمبالغة في مدح الملك المسعود الذي يستعين به على النَّائبات، ويتغلب على الشدائد ونوائب الدَّهر، ويعده نصيراً له في النَّائبات لا يخذله أبداً، إذ

يقول: [88]

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 331.

(²) نفسه، 332.

(المتقارب)

بِهِ نَسْتَطِيلُ عَلَى النَّائِبَاتِ وَأَيُّنَ النَّصِيرُ مِنَ الْخَاذِلِ (1)

تلاحظ الباحثة - من القصيدتين السابقتين - أَنَّ الشَّاعِرَ تَصَرَّفَ بِعُنَاوَرِ الشَّكْلِ التَّقْلِيدِيِّ لِقَصِيدَةِ المَدْحِ، فَقَدْ رَتَّبَهَا عَلَى نَحْوِ خَاصٍ بِهِ، وَبَثَّ فِيهَا رُوحَ تَجَرُّبَتِهِ عَلَى نَحْوِ جَعْلِ كُلِّ قَصِيدَةٍ مِنْهُمَا، بِمُطْلَعِهَا وَالمَدْحِ مِنْ خِلَالِهَا وَخَاتِمَتِهَا، تَتَسَجَمُ فِي جَوْ كَلِيٍّ وَاحِدٍ.

وَمِنْ هَذِهِ النَّمَاذِجِ قَصِيدَتُهُ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا الْمَلِكَ الصَّالِحَ عَلَى الشَّرَابِ ارْتِجَالًا،

وَمُطْلَعُهَا: [15] (المنسرح)

وَمَجْلِسٍ رَصَّعَتْ جَوَانِبُهُ عَلَيَّكَ يَا نَاصِرَ الدُّنَا ذَهَبًا (2)

فَقَدْ جَاءَتْ الْقَصِيدَةُ فِي اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ بَيْتًا، اسْتَهْلَهَا بِالحَدِيثِ عَنِ الْخَمْرَةِ وَاصْفَاءِ مَجْلِسِهَا، مَتَغَزَّلًا بِمَحْبُوبَتِهِ فِي سِتَّةِ أَبْيَاتٍ، يَتَخَلَّصُ بَعْدَهَا إِلَى المَدْحِ فِي تِسْعَةِ أَبْيَاتٍ، ثُمَّ يَعْرِضُ حَالَهُ وَيَتَحَدَّثُ عَنْ نَفْسِهِ فِي أَرْبَعَةِ أَبْيَاتٍ، وَيَخْتَمُ قَصِيدَتَهُ بِبَيْتَيْنِ يَدْعُو فِيهِمَا لِلْمَمْدُوحِ.

فَابْنُ الْكَتَّانِيِّ يَتَحَدَّثُ عَنْ مَجْلِسِ الشَّرَابِ الَّذِي تَدُورُ فِيهِ كَاسَاتُ الْخَمْرَةِ، مَعَ قَيْنَةٍ جَمِيلَةٍ تَبْدُو إِذَا مَا عُبِثَتْ بِكَاسَاتِ الْخَمْرَةِ كَالْجَيْشِ الْعَظِيمِ، الَّذِي يَسِيرُ وَأَصْوَاتُ الْعَسْكَرِ تَمْلَأُ الْمَكَانَ، ثُمَّ يَتَغَزَّلُ الشَّاعِرُ بِتِلْكَ الْقَيْنَةِ، فَأَسْنَانُهَا بَيَضَاءُ كَاللُّؤْلُؤِ، وَرِيقُهَا عَذْبٌ وَرَائِحَتُهُ كَالْمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ، وَخَصَرُهَا - إِذَا

مَا تَفَقَّتْ - جَمِيلٌ، وَلِحَاطُهَا - إِذَا مَا نَظَرْتَ - حَادَّةٌ كَالسَّيْفِ، يَقُولُ: [15] (المنسرح)

تَدُورُ كَاسَاتُهُ وَقَدْ عَقَدَ الْـ	مَزَجٌ مِنَ الدُّرِّ حَوْلَهَا حَبَبًا
مَعَ قَيْنَةٍ حُلْوَةٍ إِذَا عُبِثَتْ	أَكْفُهَا خُلِيتَ جَحْفَلًا لَجَبًا
تَبَسُّمٌ عَنْ لُؤْلُؤٍ كَانَ بِهِ	مَسْكًا فَتَيَقَّا وَعَنْبَرًا وَكِبًا
يَرُوقُ لِلشَّرْبِ رِيْقُهَا فَإِذَا	مَا مَزَجَ الْكَاسَ رِيْقُهَا عَذْبًا

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 332.

(2) نفسه، 266.

إِنْ لَفَتَتْ ظَبْيَةً وَإِنْ نَظَرَتْ إِلَيْكَ سَلَّتْ مِنَ الْجُفُونِ ظُبَاً⁽¹⁾

ثم يتخلّص الشاعر بعدها إلى مدح الملك الصّالح في تسعة أبيات، مشيداً بأصله ونسبه الكريمين فهو من والدَيْن لا مثيل لهما، كما أشاد بكرمه وعطائه الذي فاق كرم وسماحة حاتم

الطائي، فيقول: [15] (المنسرح)

تُجَلَّى عَلَى مَالِكٍ يَسُودُ عَلَى الْـ عَالَمِ أُمّاً كَرِيمَةً وَأَبَا

أَسْمَحَ مِنْ حَاتِمٍ نَدَى وَيَدَا وَرَاحَتَاهُ تُبَخِّلُ السُّحُبَا⁽²⁾

فَمِنْ كَثْرَةِ جُودِ الْمَمْدُوحِ وَكِرْمِهِ تَخَجَّلُ يَدَاهُ أَنْ تُطَبِّقَ، وَهِيَ مَفْتُوحَةٌ دَائِمًا مُتَوَاصِلَةٌ فِي عَطَائِهَا بِلَا مَلٍّ أَوْ مِنَّةٍ، فَقَدْ نَالَ الْمَمْدُوحُ إِعْجَابَ الشَّاعِرِ بِمَا لَهُ مِنْ صِفَاتٍ تَفَرَّدَ بِهَا فِي الْجُودِ وَالْعَطَاءِ، وَلَا يَجُودُ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ بِمَا يَجُودُ بِهِ الْمَلِكُ الصَّالِحُ، فَغَيْرُهُ مِنَ الْمُلُوكِ قَدْ يَسْتَرِدُّ مَا أُعْطِيَ، لَكِنَّ الْمَلِكَ الصَّالِحَ ثَابِتٌ فِي عَطَائِهِ لَا يَبْرَحُ مَكَانَهُ، وَجُودُهُ بَاقٍ مُسْتَمِرٌّ، لَا يَقْلُ أَبَدًا، إِذْ

يقول: [15] (المنسرح)

يُعْطِي بِلَا مِنَّةٍ وَلَا مَلٍّ إِذَا انْتَحَاهُ مُؤَمِّلٌ طَلَبَا

تَجُودُ مَا لَا يَجُودُهُ مَلِكٌ وَغَيْرُهُ يَسْتَرِدُّ مَا وَهَبَا

تَرْجَإُ نِعَامَهُ وَنَائِلُهُ فِي جَذَلٍ وَالْمَقَرَّ إِنِّ غَضِبَا⁽³⁾

ويبالغ الشاعر فيما يطلقه على الملك الصّالح من مدح حين يجعل الشمس والقمر يسجدان له طوعاً إذا ما حلَّ أو ركب، **وحين تستحطّ النجوم من هيبته**، وحين يسود العالم متباهياً بخلقه وجوده وعطائه، فممدوحه فاق الخلق في نسبه، فهو من أصل كريم ونسب

أصيل، يقول: [15] (المنسرح)

تَسْجُدُ شَمْسُ الضُّحَى إِذَا جَلَسَ الصَّـ صَالِحٌ طَوْعًا وَالْبَدْرُ إِنِّ رَكِبَا

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 266.

(2) نفسه والصفحة نفسها.

(3) نفسه والصفحة نفسها.

وَتَسْتَحِطُّ النُّجُومَ هَيْبَتُهُ مِنْ فَالِكَ ضَمَّ سَبْعَةً شُهْبًا
إِذَا تَبَاهَى الْأَنْبَاءُ سَادَهُمْ وَحَقَّ مَنْ صَوَّرَ الْوَرَى نَسْبًا⁽¹⁾

ثم نجد الشاعر بعد ذلك يفخر بشعره بهدف حثّ الملك على زيادة العطاء، إذ يقول: [15]

(المنسرح)

نَظَمْتُ فِيكَ الْمَدِيحَ يَا مَلِكًا جَوَاهِرًا مَا نَظَمْتُ مُخْشَلَبًا
فَخَلَّ شِعْرُ الرُّعَاعِ عَنْكَ وَخُذْ شِعْرَ فَتَى قَدْ فَاقَ الْوَرَى أَدَبًا
تَزِيدُ إِنْ غَنَّتِ الْخُدَاةُ بِهِ وَدَارَتِ الْكَأْسُ بَيْنَنَا طَرَبًا
فَلَا تَحِدْ فِي الزَّمَانِ عَنْ رَجُلٍ عَلَى مَعَالِيكَ حَقُّهُ وَجَبًا
يُنْسِيكَ فِي أَرْوُسِ الْمَنَائِرِ بِالْ— مَدْحِ ثَنَاءِ جَمِيعِ مَنْ خَطَبَا⁽²⁾

ثم يختتم الشاعر قصيدته بالدعاء للملك، فيقول: [15] (المنسرح)

اجْهَدْ عَلَى غَلَبِ مَنْ تُعَانِدُ مَا اسْ— طَعْتَ فَإِنَّ الدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا
وَابْقَ مَعَ الدَّهْرِ فِي بُلْهَنِيَّةٍ مَا شَاقَ صَبًّا حَبِيبُهُ فَصَبَا⁽³⁾

ويّخذ المدح في شعر ابن الكتّاني أحياناً شكل رسالة شعرية يرفعها إلى ممدوحه

مُضمناً إياها مطالبه، فعندما أعطاه الملك المؤيد نظام الدين ضيعةً وكتبها له ملكاً، حسده

جماعة عليها وحملوه على أخذها منه، إذ يقول في مقطوعة له: [40] (المتقارب)

جَعَلْتَ بِنُعْمَاكَ يَا ابْنَ الْمُلُوكِ أَعَادِي لِي مِنْ طَرِيقِ الْحَسَدِ
وَكَيْفَ وَلَا يَخْسُدُونِي وَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ بِأَمِّ الْبَلَدِ
أَرَى كُلَّمَا زِدْتَنِي رِفْعَةً يَمُوتُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَمَدِ
إِذَا لَمْ أَخَفْ بِعُلَاكَ السَّبَّاعِ أَخَافُ وَمِثْلَكَ لِي مِنْ نَقْدِ⁽⁴⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 267.

(2) نفسه والصفحة نفسها.

(3) نفسه والصفحة نفسها.

(4) نفسه، 293.

ينوه الشاعر في الأبيات السابقة بأن عطية الملك المؤيد جعلت الحساد يقفون في طريقه، ويتساءل الشاعر كيف لا يحسدونه وقد أنعم عليه الملك المؤيد بأحسن الضيعات، وأنه كلما زاد قرباً ومكانة من الملك المؤيد ازداد أعداؤه وحساده موتاً كل يوم، وازداد معهم همهم وحرزهم وكمدهم، ثم يدعو الشاعر للملك المؤيد بطول العمر، إذ يقول: [40] (المتقارب)

فَعَمَّكَ اللَّهُ عُمَرَ الزَّمَانِ وَلَا عَمَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ أَحَدًا⁽¹⁾

ومن النماذج على مدح ابن الكتاني للأمرء، ما قاله في مدح الأمير مرهف بن أسامة ابن منقذ، فقد استهل قصيدته بمقدمة غزلية تقليدية في سبعة أبيات، تخلص منها إلى الغرض الأساسي للقصيدة ألا وهو مدح الأمير مرهف ابن أسامة بن منقذ، فيخاطب الشاعر الأمير قائلاً: (عني إليك) وربما قصد: إليك عني، وهذا التقديم والتأخير يستحق التوقف، فرد عليه الشاعر مستجدياً طالباً العطاء من راحته، يقول: [33] (المنسرح)

مَا النُّورُ وَالْأَقْحُوَانُ أَحْسَنُ مِنْ تَغْرِكَ يَا سَيِّدِي وَيَا سَنَدِي
فَقَالَ: عَنِّي إِلَيْكَ، قُلْتُ: عَسَى تُرِيحَنِي مِنْكَ رَاحَةُ الْعَصْدِ⁽²⁾

وينتقل الشاعر إلى الحديث عن أصل الممدوح ونسبه الكريمين، فهو فخر بني منقذ، عظيم النسب والمنشأ ومن نسب كريم وأصل رفيع، ساد الدهر بفضلته وجوده وكرمه، وقد شملت أخلاقه وحوته كل فضيلة ومكرمة، وقد ظهر ذلك جلياً في الأبيات الآتية: [33] (المنسرح)

فَخَرُّ بَنِي مُنْقِذٍ وَبِالْجَدِّ فِي السَّادَةِ بَنِي الدَّهْرِ مِنْ سَيَادَتِهِ
عَالَمَ تَنْبِي طَهَارَةِ الْوَلَدِ فَمِثْلُهُ فِي الْوُجُودِ لَمْ يُجَدِ
حَوَى مِنَ الْفَضْلِ كُلِّ مَكْرَمَةٍ بِدِيعَةٍ مِنْ نَفَائِسِ الزُّبْدِ⁽³⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 293.

(2) نفسه، 287.

(3) نفسه والصفحة نفسها.

ثم ختم القصيدة بما يتحلى به الممدوح من الطباع التي غلبت عليه، مما يضيف على

المعنى جمالاً ورونقاً، فالممدوح صارمٌ شجاعٌ، وقويُّ الشَّكْمة، إذ يقول: [33] (المنسرح)

لَهُ يَرَاعُ وَصَارِمٌ طَبِعَا كِلَاهُمَا مِنْ رِضَا وَمِنْ حَرْدٍ⁽¹⁾

ومن النماذج على مدح الشاعر للأمرء قصيدته التي مدح فيها الصَّارم خطلبا بمصر

فجعل الشاعر مقدمتها الغزلية في أربعة عشر بيتاً، خلَّص منها إلى مدحه، وقد أشاد بعبائمه

وجوده، واصفاً إياه بأنَّه في الخير والعطاء نقيبٌ للعالم وقائدٌ عليهم، فيقول: [8] (مجزوء الرمل)

أَنْتَ يَا صَارِمٌ لِلْعَا لَمْ فِي الْخَيْرِ نَقِيبُ
صُنْتَ وَجْهَ النَّاسِ مُذْ صِرَ تَ بِجَدْوَاكَ تَصُوبُ
وَإِذَا مَا فَهَيْتَ فَصَلًّا قَامَ بِالْفَصْلِ خَطِيبُ
يَا غَرِيبَ الْحُسْنِ قَدْ جَا عَكَ لِلرَّفْدِ غَرِيبُ⁽²⁾

هذا الجوّ الذي ينشره الشاعر في بداية قصيدته لم يأتِ عفواً، إنه استتزال للصَّارم

خطلبا كي يصغي إليه بكلِّ سمعه، ثم يستمر الشاعر في مدحه، ويحاول في تصويره أن يضع

كلَّ شيء جميل يمكن أن يسبغه على الأمير الصَّارم، فقد أشاد بعبائمه وكرمه، فهو نقيبٌ للعالم

وقائدهم، وخطيب بارع يفصل بين الناس بالعدل، ومن الملاحظ أنَّ الشاعر استعار الكثير من

الكلمات الدالة على شدة عطاء الممدوح وكرمه، والمتمثلة بـ (نقيب، وجدواك، والرفد،

وعسيب).

ثم يختتم الشاعر قصيدته داعياً للممدوح بالبقاء طول الدَّهر، ليتردَّد اسمه في الآفاق

فلا تنساه الأذهان ولا يُمحى ذكره بل يبقى طيلة الأعوام كذكرى جبل عسيب، يقول: [8]

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 287.

(2) نفسه، 262.

(مجزوء الرمل)

فَأَبْقَ عُمَرَ الدَّهْرَ مَا عُمَـ َمَرَفِي الدُّنْيَا عَسِيبُ
وَصُمِ الْأَعْوَامَ يَا مَنْ صَدْرُهُ صَدْرُ رَحِيبٍ⁽¹⁾

وهنا محاكاة لببيت امرئ القيس الذي يقول فيه:

(الطويل)

أَجَارَتَنَا إِنَّ الْخُطُوبَ تَتُوبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ⁽²⁾

كما مدح ابن الكتاني الأمير سيف الدين غازي بن مودود بن زكي في قصيدة تقع في

ثمانية عشر بيتاً، يتطرق فيها إلى وصف الخمرة ومجلسها وساقبها في سبعة أبيات، ويتخلص

(الكامل)

بعدها إلى المدح في أحد عشر بيتاً، قال: [29]

شَرِبَ الْعَبُوقَ وَظَلَّ مُصْطَبِحًا فَسَكِرْتُ مِنْ لَحْظَاتِهِ وَصَحَا
فَكَأَنَّهُ وَالْكَأْسُ فِي يَدِهِ بَذْرُ الدُّجَى تَسْقِيهِ شَمْسُ ضَحَى
تَنْقُضُ فِي جَنَابَتِهَا شُهْبٌ حَتَّى ظَنَنْتُ سَمَاءَنَا الْقَدْحَا
وَيُدِيرُهَا فَلَكُ تَرْحُحُهُ نَفَحَاتُهَا فَيُهِنْهَا فَرَحَا⁽³⁾

وقد استوحى الشاعر ألفاظه في القصيدة السابقة من عناصر الطبيعة الجميلة التي

منحتها أسلوباً قوياً وموسيقاً شعريّة جميلة، تملّلت في الألفاظ الآتية: (بدر، وشمس، ودجى،

وضحى، وشهّب، وسماء، وفلك).

وبعد حديثه عن الخمرة يحسن التخلص إلى مدح الممدوح واصفاً إياه بقوله: [29]

(الكامل)

حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ إِلَى مَلِكٍ مَا زَالَ يَكْتُبُ مَا الزَّمَانُ مَحَا
غَرَبْتَ فَلَا وَاللَّهِ مَا طَلَعْتَ إِلَّا وَقَدْ خَسِرَ الَّذِي رَجَا⁽⁴⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 262.

(2) امرؤ القيس، الديوان، 357.

(3) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 282.

(4) نفسه والصفحة نفسها.

ثم يخلع الشاعر على الممدوح أجمل الصفات، فهو سيف ذو حَدَّين، يصبر على الأعداء في الشدة، ويتحمل عند حدوث المصائب، ويصْفَح عَمَّنْ أَسَاءَ، ثم يشيد بكرمه وعطاءه، وفصاحة لسانه، معبراً عن العطاء والكرم بلفظة (اليد) وعن الفصاحة والبلاغة والبيان بلفظة (الفم)، فيقول: [29]

(الكامل)

مَلِكٌ لَهُ حَدَّانِ إِنُّ نُوْبٌ حَدَّتْ وَصَفَحُ رِضًا إِذَا صَفَحَا
يُغْنِيكَ مِنْ يَدِهِ وَمِنْ فَمِهِ فَلِسَانُهُ وَبَيَانُهُ اصْطَلَحَا⁽¹⁾

ويستمر الشاعر في إيراد صفات الممدوح التي تُطْرِبُهُ إلى حدٍّ يجعله يصوغ فيه المدح الكثيرة من كلِّ قافية في الشعر، ويبالغ الشاعر حين يُقَرِّر أن صفات الممدوح تُعْجِزُ رواة الشعر، وتُخْرِسُ البلغاء والفصحاء عن النظم فيه، وبعد معاينة الشاعر لصفات الممدوح وصناعتها شعراً تمثلت له شيئاً مليحاً حسناً، فشعر ابن الكتاني سار في الآفاق، واشتهر حتى جعل الأصم يسمع والحزين يفرح، وصفات الممدوح باقية دائمة يُقْبَلُهَا فَمٌ كُلٌّ مَنْ يَنْظُمُهَا ويتغنى بها، يقول: [29]

(الكامل)

فَصِفَاتُ سَيْفِ الدِّينِ يُطْرِبُنَا إِيْرَادُهَا فَتُصَوِّغُهَا مِدْحَا
مِنْ كُلِّ قَافِيَةٍ مُهَذَّبَةٍ تُعِي الرُّوَاةَ وَتُخْرِسُ الْفُصَحَا
عَايَنَتْهَا فَوَجَدْتُهَا حَمَاءً وَصَانَعْتُهَا فَتَمَثَّلَتْ مُلْحَا
تَجَلَّوْا عَلَى الْأَسْمَاعِ إِنْ سُمِعَتْ صَمَمًا وَعَنْ مُهْجَاتِنَا تَرَحَا
تَبَقَّى مُؤَبَّدَةً يُقْبَلُهَا فَمٌ كُلٌّ مَنْ يَنْظُمُهَا صَدْحَا⁽²⁾

ويظهر في البيت الرابع من الأبيات السابقة تأثر الشاعر بالمنتبي حينما افتخر بشعره

قائلاً:

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 283.

(2) نفسه والصفحة نفسها.

(البسيط)

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ⁽¹⁾

ثم يختم الشاعر قصيدته مخاطباً الممدوح بأن محبته فرضٌ وواجب، وكرمه وجوده
مبسوطان للجميع، داعياً له بدوام النعمة وبقاء الدولة، حتى يستمر عطاؤه وكرمه اللذان لا

ينقطعان حتى غدا الجميع من محبيه ومؤيديه، يقول: [29] (الكامل)

غَازِي بَنَ مَوْدُودٍ مَحَبَّتُكُمْ فَرَضٌ وَمَنْ بَسَطَ الثَّرَى وَدَحَا
لَا زِلْتَ بِالْإِقْبَالِ مُشْتَمِلًا وَبِأَيْمُنِ التَّأْيِيدِ مُتَّشِحًا⁽²⁾

ونادراً ما يبدأ الشاعر قصيدته بالمدح مباشرة، ويمكن أن يُفسر موقف ابن الكتاني في ذلك بأنه نوعٌ من الاحتذاء لتقليد شعري، أحبه الناس وألفوه، وسار عليه الشعراء منذ القدم، فكان الشاعر يستهل بعض قصائده بالمقدمات الغزلية والطليلية وما يتعلق بها، كما فعل في

قصيدته التي مدح فيها الأمير أسد الدين المصري بمصر، ومطلعها: [50] (الهمزج)

أَلَا يَا أَسَدَ الدِّينِ وَحَقَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ
لَقَدْ أَوْحَشَنِي شَخْصٌ كَفِي صَحْوِي وَفِي سُكْرِي⁽³⁾

يعبر الشاعر عن اشتياقه إلى أسد الدين وقد أقسم بليلة القدر - التي تعدّ أعظم ليلة
وخيراً من ألف شهر - حيث أوحشه فراقه في صحوه ومنامه، وما له أحد من الخلق سواه
يسند به ظهره، فهو عالي المقام، وقد فاق الأنجم الزهر، والشاعر يرى قوماً دون قدر يجهلون

قدره، ويخافون أن ينظم فيهم شعره، يقول: [50] (الهمزج)

وَمَالِي أَحَدٌ أُسْنِى دُفِي الْخَلْقِ بِهِ ظَهْرِي

(1) العكبري، ديوان أبي الطيب المتنبي، 367/3.

(2) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 283.

(3) نفسه، 301.

سِوَى سَامِيكَ يَا مَنْ فَـا قَ فَوْقَ الْأَنْجُمِ الزُّهْرِ
أَرَى قَوْمًا بِـلَا قَدْرِ إِذَا مَا جَهَلُوا قَدْرِي
يَخَافُونَ بـَأَنَّ أَنْظِرُ مِمَّ فِي أَعْنَاقِهِمْ شِعْرِي⁽¹⁾

ثمَّ ينتقل الشاعر في قصيدته إلى الحديث عن الخمرة، وينتقل بسلاسةٍ إلى تصوير المحبوب الذي تعلق به من بني عُذرة، مُتغنياً بجماله وحسنه، مستطرِّداً مفصلاً في مظاهر حسنه وجماله، في سبعة عشر بيتاً، خلَّص منها إلى مدح الأسد المصري، قائلاً: [50]

(الهزج)

كَذَاكَ الْفَالِقُ الْهَامَا تِ أَعْنِي الْأَسَدَ الْمِصْرِي
كَرِيماً غَرَّقَ الْعَالَا مِمَّ فِي الْبَرِّ مِنَ الْبَرِّ
وَيَحْمِي الْبَيْضَ بِالْبَيْضِ وَيَحْمِي السُّمْرَ بِالسُّمْرِ
تَرَاهُ وَدَمُ الْمَالِ عَلَى صَارِمِهِ يَجْرِي⁽²⁾

وقد أشاد الشاعر بكرم الممدوح وشجاعته وسمو أخلاقه وعلو همته وعفته، محاولاً إبراز صفات الممدوح المتمثلة بالجود والكرم والشجاعة، فالشجاعة تمثل جانباً من جوانب شخصية أسد الدِّين، فهو بالإضافة إلى ذلك كريمٌ أغرق العالم بكرمه وجوده.

كما يبدو الاهتمام بالبديع وفنونه واضحاً جلياً في الأبيات السابقة فهي تحفل بالجناس المتمثل في الألفاظ: (البرِّ والبرِّ)، و(الببيض والببيض)، و(السُّمْر والسُّمْر) وهو بهذا يماثل شعراء عصره الذين اتجهوا صوبَ فنون البديع فأكثرُوا منها وأغرقُوا في استخدامها إغراقاً كبيراً، حتى غَدَّت منهجاً يسرون عليه.

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 301.

(²) نفسه، 302-303.

وبعد أن يسجل ابن الكتاني في شعره مكارم الممدوح، يربط بين المديح والتكسب،
مكثرًا من الاستجداء والطلب، ومن الأمثلة على تكسب الشاعر ما قاله حين استدعاه الملك

العزیز عثمان بن يوسف ليلاً وجعله جليسا له: [93] (الخفيف)

لَسْتُ أَحْشَى صَرْفَ الزَّمَانِ إِذَا مَا نَظَرْتَنِي مَوَاهِبُ السُّلْطَانِ
مَلِكٌ كُنْتُ مِيَّتًا قَبْلَ مَرَا هُ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَحْيَانِي (1)

ومن أمثله على التكسب ما كتبه إلى الملك العزیز عماد الدین عثمان بن يوسف
بمصر، وكان الشاعر حينها يحب أن يستزيد من رقاعه، ويطول به رغبة فيه ليستخدمه: [53]

(الخفيف)

كَمْ أَنَا جِيكَ فِي الرَّقَاعِ وَفَكْرِي فِي مَعَالِيكَ يَنْظُمُ الْأَشْعَارَا
وَأُغَالِي مِنَ الْمَحَبَّةِ فِي الْمَد ح لَعَلِّي أَهْزُ مِنْكَ الثَّمَارَا (2)

وتلاحظ الباحثة أن شعر ابن الكتاني في المديح قد غاب إبان مرحلة صلاح الدین
الأيوبي، فلا تجد الباحثة فيما وجدته من شعره قصائد قيلت في الملك الناصر سوى قصيدة
واحدة من سبعة أبيات، نظمها الشاعر على شكل رسالة شعرية وأرسلها إليه بالشام،

ومطلعها: [36] (الخفيف)

مَا ثَنَانِي عَنِ الثَّنَاءِ الْبَعَادُ الْهَوَى وَالْوَدَادُ ذَاكَ الْوَدَادُ
كَيْفَ أَنْسَى تِلْكَ اللَّيَالِي وَأَيَّا مِي بِنُعْمَاكَ كُلَّهَا أَعْيَادُ (3)

فالشاعر ولج إلى قصيدته مباشرة ليمدح بها الملك الناصر، مؤكداً على أنه لن ينسى
الأيام والليالي التي عاشها في كنفه ونعمه، فهي كالأعياد بالنسبة إليه، حتى حين يخلو إلى

نفسه فإنه يتذكره ويتذكر نعمه عليه، وأيامه ولياليه التي لا تُعاد ولا تُنسى، يقول: [36]

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 336.

(2) نفسه، 305.

(3) نفسه، 290.

(الخفيف)

وَجُلُوسِي إِذَا خَلَوْتُ بِعَلِيًّا كَ وَسَمْعِي يُصْغِي لِمَا لَا يُعَادُ
إِنْ تَنَاسَيْتُ ذَلِكَ الْعَهْدَ لَا شِمًّا تَ وَمِيضًا وَلَا سَقْتَنِي عَهَادُ⁽¹⁾

ثم يقسم في ختام قصيدته بالله الذي جمع الشتات وأنشأ السحب التي أعشبت البلاد بأنه
مذ رحل عنه لم يهنأ له عيش، ولم يستسغ الطعام والشراب لحزنه على فراقه وبعده عنه،
مستخدماً صيغة المبالغة (ترحلت) للدلالة - ربما - على عدم رغبته في الرحيل وأنه رحل في

(الخفيف)

غير هوى، يقول: [36]

وَالَّذِي جَمَعَ الشَّتَاتَ وَأَنْشَأَ سُحُبًا أَعْشَبَتْ لَدَيْهَا الْبِلَادُ
مُذْ تَرَحَّلْتُ عَنْ جَنَابِكَ مَا سِغَا تَ شَرَابًا وَلَا هَنَالِي زَادُ⁽²⁾

ولعل غياب مرحلة الملك الناصر صلاح الدين عن شعر ابن الكتاني يعود إلى أن بقية
الشعر الذي نظمه الشاعر في الملك الناصر لم يصل إلينا، لأن القصيدة السابقة تدل على قوة
علاقة الشاعر بالسلطان صلاح الدين الأيوبي، مما يوحي للباحثة بأن الشاعر قد نظم قصائد
أخرى في الملك الناصر، لكنها لم تصل إلينا.

ومن الجدير ذكره أن ابن الكتاني استغل أسماء ممدوحيه في المعاني التي تناولها حين
مدح، فقصائده كُسييت بالحسن والرونق الجميل؛ لأنها حوت أحرفاً من اسم الممدوح، فعلى

(الكامل)

سبيل المثال يقول في الملك العزيز: [16]

وَسُئِلْتُ مَا بَذَلَ الْعَزِيزُ لِمَدْحَةٍ سَجَدَ الزَّمَانُ لِحُسْنِهَا وَتَعَجَّبَا⁽³⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 290.

(2) نفسه، 291.

(3) نفسه، 268.

وترى الباحثة أنّ الشاعر تأثر في البيت السابق ببيت أبي نواس الذي قال فيه: (المتقارب)

لَقَدْ ضَاءَ شِعْرِي عَلَى بَابِكُمْ كَمَا ضَاءَ حُلِّي عَلَى خَالِصِهِ (1)

و يقول في الملك الصالح ناصر الدين: [1] (مجزوء الرمل)

فِي رُبُوعِ الْمَلِكِ الصَّاحِبِ لِحِ لِي أَبْقَاهُ رَبِّي (2)

ويقول فيه أيضاً: [26] (البسيط)

تَرَنَّمِي بِمَدِيحِي وَاسْمَعِي غَزَلِي لِنَاصِرِ الدِّينِ مَضْبُوطًا وَمَبْنُوتًا (3)

مما سبق يمكن القول إن ابن الكتّاني مدح الكثير من ملوك الأيوبيين، وأسّس مدائحه لهم على ما تحلّت به شخصياتهم من مزايا وفضائل، وما تمتّعت به دولهم من قوّة ومنعة وما أثيرَ عنهم من الجود والكرم والشجاعة، وما امتازوا به من عدالة في سياسة الرعيّة، وهو في مدائحه يكاد لا يحدد عن المنهج الذي رسمه التقليد الشعري خلال القرون الماضية.

المحور الثاني: مدح الوزراء والقضاة والعلماء:

لكي تتضح ملامح فن المدح عند ابن الكتّاني ستعرض الباحثة نماذج لفئات أخرى من ممدوحيه، وهم: الوزراء والقضاة والعلماء، فقد شمل ابن الكتّاني بمدحه - بعد الملوك والأمراء - وزراء البلاد وقضاتها وعلماءها، كالوزير ضياء الدين أحمد بن القاسم بن شيخ السلامية، والوزير صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر، ثم القضاة: كشمس الدين قاضي (دارا)، ثم العلماء: كالسيد الطيب.

(1) ابن حجة الحموي، خزانة الأديب، 250/1، ولم تعثر الباحثة على بيت الشعر في ديوان أبي نواس.

(2) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 257.

(3) نفسه 279.

وقد واعم ابن الكتاني بين معاني مدحه وفئات ممدوحيه مواءمةً دقيقةً، فقد اختار لممدوحه الصفات التي تلائمها، فعندما مدح الوزير ضياء الدين أحمد بن القاسم بن شيخ السلامة تغنى بأخلاقه وشمائله، وبأوامره النافذة الحكيمة، وتفنن في الثناء عليه، منوهاً إلى أنه السيد العظيم عالي المقام والرتب، والعالم الجم بالأدب، وأمره نافذ بل أنفذ من وقع السهام في الحديد، مقلِّباً القول في الحديث عن نفاذ أمره، مشيداً بكرم الممدوح وعطائه، يقول: [20]

(مجزوء الرجز)

يَا سَيِّدًا عَالِي الرُّتَبِ	وَعَالِمًا جَمَّ الْأَدَبِ
وَيَا وَزِيرًا إِنْ يَشَاءُ	يَمْحُو وَإِنْ شَاءَ كَتَبَ
وَأَمْرُهُ أَنْفَذُ مَنْ	وَقَعَ السَّهَامُ فِي الْيَأْبِ
وَصَاحِبًا عَوْدِي	مِنْ كَفِّهِ لَفَظَ الذَّهَبِ
وَمَنْ إِذَا نَادَيْتُهُ	فِي مِثْلِ ذَا الْيَوْمِ وَثَبَ ⁽¹⁾

كما ينوه الشاعر بالوزير ضياء الدين أحمد بن القاسم بن شيخ السلامة وهو يومئذ وزير الملك الصالح، في قصيدة تقع في واحد وعشرين بيتاً، بدأها بمقدمة غزلية تغنى فيها بجمال المحبوب وحسنه في ستة عشر بيتاً، ويطيل الوقوف عند ذلك، ثم يحسن الشاعر التخلص من التغني بجمال الحبيب إلى التغني بصفات الممدوح، ويبدو أن الشاعر قد بنى قصيدته هذه بناءً يوازي تطور حالته الانفعالية، فهو في النسيب يأس مخدول، ولكن يأسه يتبدد عند ظهور الممدوح، ممّا حقق الوحدة والانسجام بين عناصر القصيدة، يقول: [41]

(المنسرح)

أَبْدَعَ فِي خَلْقِهِ إِلَهَ فَمَا	أَحْسَنَ مَا صَاغَهُ وَمَا جَوَّدَ
لَوْ شَرِبَ الدَّهْرُ مِنْ لَطَافَتِهِ	مَا عَصَرَتْهُ الْأَكْفُ فِي صَرَخْدَ

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 271-272.

مَا قَالَ رَأْيَا وَلَا بَدَا سَفَهُ مِنْهُ عَلَى شَرِبِهِ وَلَا عَرَبِدُ⁽¹⁾

ويستغل الشاعر اسم الوزير ضياء الدين (أحمد) ليستفيد منه في توريته، ليظن ظاناً أن

الشاعر يتحدث عن النبي محمد \$ ، فيقول: [41] (المنسرح)

لَوْ عَبَدَ النَّاسُ قَبْلَهُ بَشَرًا لَكَانَ مِنْ حُسْنِ وَجْهِهِ يُعْبَدُ

فَاقَ بَنِي الْحُسْنِ فِي الزَّمَانِ كَمَا فَاقَ عَلَى النَّاسِ بِالتَّقَى أَحْمَدُ⁽²⁾

ومدح الشاعر الوزير صفى الدين بن شكر بما يتلاءم ومكانته في الدولة، مُنوهاً

بمنزلته الرفيعة التي تبوأها، وبكرمه وتعلقه بالمجد، وعلو همته، ومضاء عزمته وشجاعته،

مسجلاً عدله وعنايته بمصالح الخلق، حريصاً على إبراز مآثره والتتويه بحسن سياسته وسمو

أخلاقه، فهو المعين على الزمان إذا ضاقت به الدنيا، وهو الصباح المنير إذا أظلمت الدنيا

بوجهه، يقول: [58] (المتقارب)

أَيَا مَلِكًا بِسَمَاحِ الْيَدَيْنِ لِأَعْلَامِ جُودٍ نَدَاهُ نَشَرَ

فَأَنْتَ الزَّمَانُ إِذَا مَا سَطَا وَأَنْتَ الصَّبَاحُ إِذَا مَا ظَهَرَ

وَكَفُّكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِينَ تَمُدُّ الْجِيَادَ وَتُعْطِي الْبَدَرَ⁽³⁾

وقد يجعل الشاعر لمدائحه ثمناً، فبعد أن يسجل مكارم الممدوح يربط بين المديح

والتكسب، فعليه قول الشعر وعلى الممدوح دفع الثمن، فقد ختم قصيدته موظفاً التراث

الإسلامي في هذا البيت الذي بدا في دعائه له، إذ يقول: [58] (المتقارب)

فَمِنْكَ الْعَطَاءُ وَمِنَّا الثَّنَاءُ فَسِيرَهُ بِالْمَعَانِي سِيرَ⁽⁴⁾

ومن الأمثلة على تكسب الشاعر قوله في الوزير ضياء الدين أحمد: [37]

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 294.

(2) نفسه، 294-295.

(3) نفسه، 309.

(4) نفسه والصفحة نفسها.

(الكامل)

كَمْ قَدْ سَهَرْتُ عَلَى عُلاكَ بِمَدْحَةٍ غَرَاءَ مَا صَلَحْتَ لِغَيْرِكَ أَحْمَدُ
عَلَيَّ أَحُوزُ بِمَا نَظَّمْتُ مَوَاهِبًا مِنْ رَاحَتَيْكَ وَأَنْعَمًا لَا تَنْفَدُ⁽¹⁾

وقد شاع مدح القضاة في الشعر إبان القرن السادس الهجري، ولعلّ هذا يدلّ على المكانة السامية التي كانوا يتبوّأونها في المجتمع، فقد راوح الشعراء في مدائحهم لهم بين الإكبار لعدلهم وتقواهم، والتّوايه بعلمهم وسداد آرائهم، والإعجاب بأخلاقهم وفضائلهم، والثناء على شرفهم وأصالة نسبهم⁽²⁾.

ولكي تتضح ملامح فنّ المدح عند ابن الكتانيّ ستعرض الباحثة أنموذجاً آخر لفئة أخرى من ممدوحى الشّاعر وهم القضاة، فقال يمدح شمس الدّين قاضي (دارا)، وافتحها كعادة القصائد العربية بمقدّمة غزليّة، مطلعها: [12]

(الطويل)

أَعَاذِلَ مَا لِي فِي السُّلُوكِ نَصِيبُ وَهَلْ بَعْدَ شَيْبِي فِي هَوَاهُ أَتُوبُ
إِذَا عَذَلَ الْمُشْتَقَ خَالَ مِنَ الْهَوَى أَمِيلُ إِلَى تَعْدَالِهِ وَأَطِيبُ⁽³⁾

يشكو الشّاعر في هذه المقدّمة من فراق المحبوب، وما فعلت به الأيام بعد فراقه،

شاكياً حظه القاصر من هذا الفتى التركيّ الجميل وصدّه له، يقول: [12]

(الطويل)

أَكْتَمْتُ حُبًّا قَدْ بَرَانِي صُدُودُهُ وَيُعْرِضُ عَجْبًا إِنَّ ذَا لَعَجِيبُ
يُحْمَلْنِي شَوْقًا وَيَقْتُلْنِي قَلْبِي وَيَبْعُدُ عَنْ عَيْنِي وَهُوَ قَرِيبُ⁽⁴⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 291.

(2) ينظر: الحولي، أسماء عودة، قصيدة المدح في الشعر الشامي زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، 2004م، 62.

(3) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 264.

(4) نفسه والصفحة نفسها.

ويبدو الشاعر في البيتين السابقين متأثراً بالمتنبي حين مدح سيف الدولة بقوله: (البسيط)

مَالِي أَكْتُمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدْعِي حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمَمِ⁽¹⁾

وقد تضمنت المقدمة الغزلية في قصيدة ابن الكتاني مجموعة من الصفات تتناسب وما يصبو إليه الشاعر، من مدح للقاضي، ليُلفت نظره إليه، ويكسب وده من ناحية، ومع مقام المدح من ناحية أخرى، فالشاعر يستطرد في مدح ذلك الفتى التركي، متغنياً بجماله الغريب وحسنه، وخصره النحيل المزنر، وريقه العذب، حيث يقول: [12] (الطويل)

يَمِيسُ عَلَى دِعْصٍ مِنَ الرَّمْلِ نَاعِمٍ كَمَا مَاسَ خُوطُ الْبَانِ وَهُوَ رَطِيبُ
وَيَبْسِمُ عَنْ تَغْرِ كَأَنَّ رُضَابَهُ إِذَا مُزِجَتْ مِنْهُ الْمُدَامَةُ طِيبُ
مِنَ التُّرْكِ أَمَّا خَصْرُهُ فَمَزْتَرُ نَحِيلٌ وَأَمَّا حُسْنُهُ فَغَرِيبُ⁽²⁾

وقد قضى الشاعر مع المحبوب أجمل الأوقات، فجميع الأيام قبله ماحلة جرداء جدداء قاسية، فمحبوبه أضحك الدهر رغم عبوسه وغضبه، ثم يخرج الشاعر من هذا الجو الانفعالي إلى مدح القاضي شمس الدين الذي يمنح الأمان للشاعر ويعوضه عما أصابه، فهذا القاضي ساد الدنيا وانقادت له، فالممدوح له حصة ونصيب في كل أمر يحتاج إلى رجاحة العقل،

يقول: [12] (الطويل)

تَمَلَّكَ رِقًّا لَا يَبَاعُ فَرَقَّ لِي وَزِيرٌ بَحَلَّ الْمُشْكَلَاتِ لَبِيبُ
فَتَى أَيْتَعَ الْأَيَّامَ وَالْعَامَ مَاحِلُ وَأَضْحَكَ سِنَّ الدَّهْرِ وَهُوَ قُطُوبُ
فَمَا مَنُصِبٌ إِلَّا وَلِلشَّمْسِ ذِي النُّهَى أَبِي الْفَتْحِ فِيهِ حِصَّةٌ وَنَصِيبُ⁽³⁾

(1) العكبري، ديوان أبي الطيب المتنبي، 364/3.

(2) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 265.

(3) نفسه والصفحة نفسها.

أسبغ الشاعر على الممدوح في القصيدة السابقة مجموعة من الفضائل التي تُمثّل سجايا الممدوح النبيلة وأخلاقه الحميدة، فهو وزيرٌ وذو عقل راجح في حلّ المشكلات، وفضّ الخصومات بين الناس، وأقلامه تَضْرِب وتكسر الأقلام الأخرى في حلّها لها، ولفظه ماضٍ كالسّهام يصيب دائماً لدقّته، ويبالغ الشاعر فيما أطلقه على القاضي شمس الدّين من مدح، حيث أشاد بیده الكريمة المعطاءة، التي تجود بالكرم والعطاء حتى لا ترى الدّهر وأحوال الرّعية وهما في شدّة عسرهما، وتخصّب كلّ من حولها حتّى لا يقال جديب، يقول: [12]

(الطويل)

تَفْلُ رِمَاحَ الْخَطِّ أَقْلَامُ خَطِّهِ وَيُرْسِلُهَا دُونَ السَّهَامِ تُصِيبُ
يُمَوِّلُ حَتَّى لَا تَرَى الدَّهْرَ مُعْسِرًا وَيُخْصِبُ حَتَّى لَا يُقَالَ جَدِيبٌ⁽¹⁾

ويختتم الشاعر قصيدته منوهاً بأنّ الممدوح من بيت عريق، هو بيت الملك العزيز عماد الدّين، صاحب البيت الرفيع، العظيم القيمة، والنّسب الأصيل، فصدر الممدوح مفتوح للجميع لا يصدّ أحداً، ويرحب بكلّ من يأتي إليه طالباً العون والمساعدة، يقول: [12] (الطويل)

لَهُ مِنْ عِمَادِ الدِّينِ بَيْتٌ عِمَادُهُ رَفِيعٌ وَصَدْرٌ لِلْوُفُودِ رَحِيبٌ⁽²⁾

ويبدو الشاعر في البيت السّابق متأثراً بالخنساء، حين قالت في رثاء أخيها صخر:

(المقارب)

طَوِيلَ النَّجَادِ رَفِيعَ الْعِمَادِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدًا⁽³⁾

وتوجّه ابن الكتّاني بمدحه إلى العلماء، فقد مدح شرف الدّين الطّبيب، الذي غلب عليه لقب أبيه فعُرف بالشيخ السّديد، مُصَوِّراً المكانة التي تبوأها في المجتمع، لنقدّمه في العلم،

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 265.

(2) نفسه والصفحة نفسها.

(3) الخنساء، الديوان، 31.

وتعمقه في الطب، فيبدو أن الشاعر قد استمدَّ مادحة مدحه لشرف الدين نجل سديد الدين من الجهود العلمية لأبيه، فهو من بيت عالم بالطب، حيث كان أبوه طبيباً للخلفاء قبله، وقد مزج الشاعر في مدحه بين الإشادة بصفاته الخلقية والثناء على قدراته العلمية في الطب، وخلع على الممدوح الصفات التي يتحلَّى بها العلماء الأتقياء، فالممدوح حلق عالياً في الآفاق فوق الشهب

السبعة، يقول: [2] (الهزج)

سَدِيدَ الدَّوَلَةِ المَعْرُوفُ	فَ بالتَّشْرِيحِ فِي الطَّبِّ
وَيَا مَنْ حَلَّ فِي العِلْمِ	مَحَلَّ العِلْمِ مِنْ قَلْبِي
وَيَا مَنْ فَاقَ فِي الآفَا	قَ فَوْقَ السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
سَرَى ذِكْرُكَ فِي البُلْدَا	نَ بَيْنَ العُجَمِ والعُزْبِ ⁽¹⁾

وحتى يُبين مكانة الممدوح فإنَّ الشاعر يلتفت إلى من سبقه من العلماء العظماء والفلاسفة أمثال: جالينوس، وسقراط، وبقرط، ليقرنه بهم، فإذا هو يتفوق عليهم، وقد أصبحوا من تلاميذه، ويبالغ الشاعر حين يشير إلى أنَّ جالينوس لو شهد الممدوح في عصره لطار

لُبُّه، يقول: [2] (الهزج)

فَلَوْ وَأَفَّاكَ جَالِينُو	سُ أضحى طَائِرَ اللُّبِّ
وَسُقْرَاطُ وَبُقْرَاطُ	وَجُودُ الشَّرْقِ والغَرْبِ
لَأَضْحَوْا مِنْ تَلَامِيذِ	كَ والمَأْمُولُ مِنْ رَبِّي ⁽²⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 257-258.

(2) نفسه، 258.

المحور الثالث: مدح أعيان آخرين من رجالات الدولة:

من رجالات الدولة الذين مدحهم ابن الكتاني أيضاً الخضر بن شروة، وكان حينها بمصر في خدمة الملك العزيز عماد الدين، فمدحه في قصيدة، تقع في ستة عشر بيتاً استهلها

بوصف الخمرة ثم ختمها بمدحه قائلاً: [49] (المنسرح)

فِي فِتْيَةٍ مِنْ بَنِي الشَّمَامِ يَزْ هُونٌ بِأَعْطَافِهِمْ عَلَى الزَّهَرِ
جَاءُوا بِرَاحٍ كَانَهَا قَبَسٌ يَطِيرُ مِنْهَا الْحَبَابُ كَالشَّرَرِ
تُذَكِّرُ نُوحًا وَقَدْ تَعَلَّقَهَا آدَمُ مِنْ قَبْلِهِ أَبُو الْبَشَرِ
شَجُّوا قُؤَاهَا حَتَّى تَرَقَّ كَمَا رَقَّتْ مِنَ الْجُودِ رَاحَةُ الْخَضِرِ⁽¹⁾

فالراح عند الشاعر كالنار التي يتطاير منها الشرر، فقواها شجّت ورقّت كما رقّت يد الممدوح بالجوّد والعطاء، ويستغل الشاعر اسم الخضر ليستفيد منه في توريته ليظن ظاناً أن الشاعر يتحدث عن الخضر الوارد اسمه مع سيدنا موسى عليه السلام، الذي كان إذا صلى في موضع اخضرّ ما حوله.

ومن رجالات الدولة الذين مدحهم المنتجب الذي كان واعظاً، وأحد رجالات الدين في الدولة الأيوبية آنذاك، فالشاعر مدحه في قصيده من ثمانية عشر بيتاً، بدأها بوصف الخمرة أيضاً في ثلاثة عشر بيتاً، وتخلّص منها إلى مدح المنتجب قائلاً: [19] (مجزوء الرجز)

وَلَيْسَ لِي مِنْ نَاصِرٍ سِوَى الرَّئِيسِ الْمُنتَجِبِ⁽²⁾
ثم بدأ بمدحه مُسَبِّحاً عليه بعض الصفات فهو كريم جواد، فصيح اللسان كفصاحة

سحبان وائل، ولَقَبُهُ قَدْ زَيَّنَ الشَّعْرَ وَالْدِّينَ مَعًا، يقول: [19] (مجزوء الرجز)

مَنْ صَايَرَ الْمَدْحَ إِلَى جُودِ أَيْادِيهِ سَبَبٌ

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 300.

(2) نفسه، 271.

قَدْ زَيْنَ الشَّعْرَ كَمَا زَيْنَ فِي الدِّينِ الْقَلْبَ
فَكَفَّهُ مِنَ النَّدَى لَوْ شَاءَ سَحْبَانُ سَحَبٍ⁽¹⁾

ثم يختم قصيدته بالدعاء للممدوح بالبقاء في الدولة والوصول لأعلى المراتب

والدرجات، فيقول: [19] (مجزوء الرجز)

لَا زَالَ يَغْفُو دَرَجًا مِنْ الْمَعَالِي وَرَتَبٍ⁽²⁾

ومن رجالات الدولة الذين مدحهم أيضاً سعد الدين، وقد كان حينها أستاذ دار الملك المؤيد مسعود ابن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، فمدحه في قصيدة من تسعة أبيات بدأها بمقدمة غزلية تغنى فيها بجمال المحبوب في ستة أبيات، تخلص منها إلى مدح الممدوح بذكر

جواب القسم فيقول: [98] (مجزوء الكامل)

لَا خُلْتُ عَنْ مَدْحِي لِسَعْدٍ دِ الدِّينِ ذِي الْأَصْلِ الزَّكِيِّ⁽³⁾

ثم خلع الشاعر على الممدوح في نهاية قصيدته صفات الكرم والجود، فهو يهب الأموال لكل سائل من كفه السخي، ويغني مادحيه عن الاستجداء والاستعطاف للممدوح إذا

أتوه وطرقوا بابه، يقول: [98] (مجزوء الكامل)

الْوَاهِبِ الْأَمْوَالِ لِلِسَعْدِ سُؤَالِ بِإِلْكَافِ السَّخِيِّ

فَحَبَّاهُ يُغْنِي مَادِحِيهِ إِذَا أَتَوْهُ عَنِ الْحَبِيِّ⁽⁴⁾

وهكذا استمر الشاعر يمدح الأعيان ويرى فيهم المثالية الخلقية والنفسية، ومثالية الحكم التي ترجوها الرعية، ولا تشكل الأمثلة التي سبق الاستشهاد بها إلا جزءاً يسيراً من مدائح الشاعر.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 271.

(2) نفسه والصفحة نفسها

(3) نفسه، 340.

(4) نفسه والصفحة نفسها.

وقد كانت التهنئة بالعيد موضوعاً بارزاً لبعض القصائد المدحية عند ابن الكتاني، حيث أرسل خمس قصائد استلهم فيها فرحة أيام العيد وبهجتها، مغتتماً مناسبة الأعياد لتهنئة رجال الدولة من الملوك والأمراء والقادة، مهنئاً الملك المسعود قطب الدين، ونور الدين محمد ابن داود صاحب حصن كيفا وآمد، وعماد الدين أبا بكر بن داود، وبدر الدين كنان، والأمير صارم الدين، فبدت كبطاقات تهنئة يبعثها الشاعر إليهم وقد يضمنها مطالبه.

فقد أرسل ابن الكتاني تهانيه في عيد الفطر، وأكثر فيها من المجاملات مجارةً للعصر، بقصد تمتين أواصر المحبة من جهة، والوصول إلى غايته سعياً وراء الأغراض الدنيوية من جهة أخرى، ومن الأمثلة على تلك التهاني ما قاله الشاعر في قصيدة له هنا فيها بدر الدين كنان بعيد الفطر وهو بمصر، باسطاً مشاعره نحوه، طالباً وعده في سياق المديح، فأكثر الشاعر من عبارات الثناء والمدح، علّه يحظى بمراده ورضاه، فهذا الإطراء أجدى

وأكثر نفعاً للشعراء لنيل مرادهم من ذوي السلطان، يقول: [27] (مجزوء الرمل)

قُلْ لِبَدْرِ الدِّينِ يَا بَدْرُ	رُ أَتَى الْعَيْنُ دُ وَقَاجَا
يَا كَمِيَّاً عَلَّمَ الآ	سَادَ فِي الْحَرْبِ الْهِيَاجَا
وَجَوَادَا غَسَلَتْ أَيُّـ	يَأْمُهُ الْمُلُحِ الْأَجَا
اَكْسُ وَجْهَ الْجَوِّ مِنْ نَسْـ	جَ أَيَادِيكَ عَجَا
قَدْ مَضَى الصَّوْمُ هَزِيمَا	مِنْ يَدِ الْفِطْرِ وَضَا
يَرْهَبُ النَّايَ وَقَدْ جَا	وَبَهُ الْجُنُكُ وَنَاجَى
فَاصْرِفِ الْهَمَّ بِصَرْفِ	إِنْ تَعَايَيْتَ الْمَزَا
وَاجِلُ بَنَاتِ الْكَرَمِ بِكَرَا	فَهِيَ تَخْتَارُ الزُّجَا ⁽¹⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 280.

بدأ الشاعر قصيدته مُهنّئاً الممدوح بقدوم عيد الفطر، وانقضاء شهر الصوم، باسطاً
 مشاعره في مدحه، مازجاً ذلك بحديثه عن الخمرة، فيطلب الشاعر منه أن يصرف همّه،
 ويعدل مزاجه بشرب الخمرة، ويستشعر ما في العيد من متعة وبهجة، ويشكو في نهاية
 القصيدة الحال التي وصل إليها، وقد أضفى عليها طابع الفكاهة والتندر، مُشبعاً رغبته في
 التصوير الهزلي، فمنزله خراب، وقدوره فارغة من الطعام، ثم يطلب منه وعده بأن يغدق
 عليه المال، وأن يجزل في عطائه، ولا يحبسه ويمنعه في يوم العيد، فخيرُ البرِّ عاجله،

يقول: [27]

(مجزوء الرمل)

يَا أَجَلَ النَّاسِ يَا مَنْ	زَادَ حُسْنًا وَابْتِهَاجًا
قَدْ مَلَأْتَ الْبِرَّ بُرًّا	سَدَّ عَنْ عَيْنِي الْفَجَاجَا
مَنْزِلِي فَقَرُّ يَبَابُ	مَا رَأَى لَيْلًا سِرَاجَا
وَقُدُورِي فَارِغَاتُ	مَا حَوَتْ قَطُّ دَجَاجَا
وَرَبَّادِي الْبَيْتِ لَمْ تَغْ	رِفَ يَوْمًا زِيرَبَاجَا
أَنْجِزِ الْوَعْدَ وَلَا تَخْ	بَسْ بِذَا الْعَيْدِ الْخَرَجَا
فَخِيَارُ الْبِرِّ مَا عَجْ	جِلَ يَا بَدْرُ وَرَاجَا ⁽¹⁾

من خلال دراسة القصائد والأبيات السابق ذكرها تستطيع الباحثة القول: إنَّ شعر
 المدح لا يُدرس جملةً واحدة، بل ينبغي أن تُدرس كل قصيدة على حده؛ لأنَّ المدح ليس
 كالغزل مثلاً، فالغزل قائمٌ على عاطفة الحبِّ، وبالتالي فهو أصدقُ شعوراً من غيره، أما المدح
 فإنه يعتمد على علاقة مرهونة بزمان وغالباً ما تتدخل فيه المصلحة الماديّة، التي تضع في
 صاحبها الجراءة في إسباغ صفات على من لا يستحقّها، وعليه فإنَّ المدح محكوم بالمصالح
 الماديّة وما المتنبّي إلاّ مثالٌ واضح حين امتدح سيف الدولة الحمدانيّ.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 280-281.

والنَّاطِر في مدائح ابن الكَتَّانِي يجده يستهلُّها بالمقدِّمات الغزليَّة أو الطَّلليَّة أو الخمرِيَّة، ونادرًا ما يلج إلى المدح مباشرة، وكانت قصائد المديح عند ابن الكَتَّانِي تجري كلَّها على وتيرة واحدة، حيث تَكَرَّرت فيها معاني المدح التَّقليديَّة، التي أُثِرَت عن عصور الأدب العربيِّ السَّابِقة، مسترشدًا في مديحه ببعض من سبقه من الشعراء، فكانت الصفات التي مدح بها ممدوحيه صفات تقليدية مكرَّرة عند جميع الممدوحين.

كما انسحبت معاني قصيدة المديح عند الشَّاعر على فئات الممدوحين جميعًا من ملوك وأمراء ووزراء وغيرهم، وقد بالغ الشَّاعر في مدائحه وكأنَّه يُصوِّر شخصيَّة مثاليَّة تتحلَّى بصفات ومقومات تتمثَّل في أرقى الفضائل النَّفسيَّة والخُلقيَّة، كما أنَّ الشَّاعر يحاول أن يقرب صورة الممدوح من صورتها الحقيقية في أفعالها وأقوالها، لكنَّ أدواته الشعريَّة المحكومة بالتقليد لم تسعفه من ذلك؛ ولعلَّ هذا ما جعله يُكثِّر في مدائحه حتَّى يحقِّق الاستقصاء، فكان يبدأ ويعيد في هذه الصِّفات في القصيدة الواحدة، وفي مدائحه جميعًا.

أما خاتمة القصيدة المدحية فكانت غالبًا دعائيَّة، وأحيانًا يُصرِّح فيها بطلب العطاء.

كما يتَّضح للباحثة أنَّ مديح ابن الكَتَّانِي قد سرَّت فيه نغمة الاستعطاف الذي يصل حدَّ التذلُّل والاستجداء أحيانًا، كما تحقَّق الوعد للشَّاعر في مدحه للأيوبيين، فكان غرض الشَّاعر الأوَّل من هذه القصائد هو التَّكسُّب، سواء أصرَّح بذلك أم لم يُصرِّح، فلم تخلُ مدائحه من طلب العطاء، فشِعِر المدح عنده جاء مقترنًا بالتَّكسُّب وطلب المال من ذوي الجاه والسُّلطان، والحديث عنه وعن صفة الكرم والجود كثير في مدائحه، فلا تكاد تخلو منه مدحة واحدة، سواء أكانت مدحة في ملك أو أمير أو وزير أو قاضٍ، ولم تكن ظاهرة التَّكسب بالشَّعر خاصة بابن الكَتَّانِي وحده، بل هي ظاهرة عامة لدى شعراء المديح في مختلف العصور، وأمثلتها عند الشعراء الأيوبيين كثيرة.

المبحث الثاني: الغزل

المحور الأول: اتجاهات الغزل في شعره.

* الاتجاه الأول: المقدمات الغزلية.

* الاتجاه الثاني: الغزل بالمذكر.

* الاتجاه الثالث: الغزل بالمؤنث.

المحور الثاني: المعاني المطروقة الشائعة في غزله.

المبحث الثاني: الغزل:

يعد الغزل أحد موضوعات الشعر التقليدية التي واكبت العصور جميعها، وشهدت تطوراً مختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والمجتمعات، وقد جاء غزل ابن الكتاني في قصيدتين وخمس مقطوعات مستقلة، وغزله فيها لم يكن غزل وجدٍ أو عشق فحسب، بل كان إلى جانب ذلك غزل تظرفٍ وصنعة.

كما أن جلّ غزل الشاعر جاء في مقدّمات قصائده التي مدح فيها رجالات عصره، فكانت مقدّماته الغزليّة تطول أحياناً بحيث تطغى على الغرض الرئيس للقصيدة، وارتأت الباحثة أن تتحدث عن غزله ضمن محورين، الأول: يتضمّن اتجاهات الغزل في شعر ابن الكتاني، والثاني: يشمّل المعاني المطروقه الشائعه في غزله، وتوضّحها الباحثة وفق الآتي:

المحور الأول: اتجاهات الغزل في شعره:

يمكن تقسيم غزل الشاعر إلى ثلاثة اتجاهات تشمل: المقدّمات الغزليّة، والغزل بالمدح، والغزل بالموثّق، وتعرضها الباحثة حسب شيوعها في شعره.

الاتجاه الأول: المقدّمات الغزليّة:

يمكن الاتجاه الأول في المقدّمات الغزليّة التي كان يفتتح بها ابن الكتاني قصائده في المدح، هذه المقدّمات التي كانت تطول أحياناً بحيث تطغى على الغرض الرئيس للقصيدة، فجّل غزله - كما أسلفت الباحثة سابقاً - من الغزل الذي يتصدّر قصائد المدح، فكان الشاعر يتغزل بالمحبوبة ويصفها، أو يتغزل بجاريّة، أو يتغزل بالسّاقية، كما تغزلّ بالغلّمان وهو غزل كثر انتشاره في عصر ابن الكتاني.

وقد أسلفت الباحثة الحديث عن هذه المقدمات الغزلية ضمن دراستها لشعر المدح، فكان الشاعر يفتتح قصائده المدحية بالتغزل بالمرأة العربية أو التركية، وقد يفتتحها بالتغزل بالغلمان، وستورد الباحثة بعض النماذج في هذا المقام.

افتتح الشاعر قصيدته التي مدح فيها الملك الصالح محمود بن محمد بمقدمة غزلية وصف فيها امرأة أوقعته في غرامها وهواها، الذي دب في قلبه كدبيب الرياح، وتاه قلبه به دون جناح، وصار حقيفة بعد أن كان مراحاً في بدايته، يقول: [32] (السريع)

بِتْ أَرَا عِي النَّجْمَ حَتَّى الصَّبَاحِ فِي حُبِّ مَنْ كَانَ هَوَاهَا مُزَاحِ
فَصَارَ جَدًّا وَالْهَوَى لَمْ يَزَلْ يَدِبُ فِي الْقَلْبِ دَبِيبَ الرِّيحِ
لَمَّا تَعَلَّقْتُ بِهَا قَالِ لِي قَلْبِي فَقَدْ تَهَتَّ بِهَا لَا جُنَاحَ⁽¹⁾

هذه المرأة التي أسرت قلبه ليست امرأة عادية، فالشاعر يصفها بأرق الصفات، وأجملها، فوجهها كبدر التَّمِّ، وشفتاها فيهما سواد، وتفوحان بالمسك، وأسنانها متراصة ومتسقة كاللؤلؤ، وبيضاء كنبات الأفحوان، وعيناها كالسَّهام، وريقها بارد صاف كالخمر، وقدَّها وقوامها كخوط البان، وهي مشرقة كالشمس، بل إنها تعوّض عن غياب الشمس، ويبالغ الشاعر حين أسبغ هذه الصفات على محبوبته، ليظهر بذلك أن ممدوحه لا نظير له،

يقول: [32] (السريع)

وَجْهٌ كَبَدْرِ التَّمِّ يَحْوِي لَمَى كَأَنَّهُ الْمِسْكُ إِذَا الْمِسْكُ فَاحِ
وَتَغْرُهَا الْمَنْظُومُ مِنْ لَوْلُؤٍ مُضَدٍّ مِثْلَ بَيَاضِ الْأَقَاحِ
تَرِيشُ بِالْهُدْبِ سِهَامَ الْهَوَى وَتُنْخِنُ الْعَاشِقَ مِنْهَا جِرَاحِ
كَأَنَّمَا رِيقَتُهَا قَرَقُوفٌ تُرْشَفُ مِنْ تِلْكَ التَّنَائِيَا الْمِلَاحِ
يُقِلُّ خُوطَ الْبَانَ مِنْهَا نَقَا يُمُوجُ مِنْ تَحْتِ مَشَدِّ الْوَشَاحِ

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 285.

فَلَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ قَالَتْ إِذَا مَا غَبْتُ كُونِي عِوَضِي فِي الصَّبَاحِ⁽¹⁾

يرواح الشاعر في مقدّمات قصائده بين التّغزل بالمرأة العربيّة والتركيّة تارة، وبالتّغزل بالغلّمان تارة أخرى، فقد افتتح قصيدته التي مدح فيها الأمير صارم الدّين بمقدّمة غزليّة وصف فيها فتاة تركيّة تيّمت قلبه وأشعلت في فؤاده زفّرات ولهيباً، ذاكرةً حسناتها الغريب ومظاهر جمالها، وما فعلته به، فقد ضاقت عليه الدّنيا بما رحّبت، ولم يكتفِ الشّاعر بذلك بل تجده الباحثة يُفصّل في مظاهر الحُسن والجمال عند هذه المرأة، فعيناها كالسّهّمين، مشرقة كالشمس لا تغيب أبداً، وتثير كلّ ما حولها بحسنها وجمالها، وقدّها كالغصن الرّطيب، وساقاها كنبتات البرديّ، وأردافها كالكتيّب، يقول: [8]

(مجزوء الرمل)

وَالْهَوَى شَيْءٌ عَجِيبٌ	أَنَا فِي الْحُبِّ كَتِيبٌ
حُسْنُهَا حُسْنٌ غَرِيبٌ	تَيَّمْتُ قَلْبِي فَتَاةٌ
مَنْ دَعَاهَا لَا تُجِيبُ	مِنْ بَنَاتِ التُّرْكِ لَكِنْ
زَفِّرَاتٌ وَلَهِيْبٌ	فِي فُؤَادِي مِنْ هَوَاهَا
مِنْ تُصْنِي وَتُصِيبُ	وَلَهَا عَيْنَانِ كَالسَّهِّ
يَامُ وَاللَّيْلُ تَغِيبُ	فَهِيَ شَمْسٌ لَيْسَ فِي الْأَيِّ
غُصْنُهَا غَضٌّ رَطِيبٌ	غُصْنِي ذَاوٍ وَلَكِنْ
دِيَّ يَغْلُوهَُا كَتِيبٌ ⁽²⁾	وَلَهَا سَاقَانِ كَالْبَرِّ

هذه المحبوبة التركية شملت كلّ معاني الحسن إذ إنّ حسنّها حسنٌ غريب، فلا يلام الشّاعر إذا ما ترك التّغزل بالعربيّات، "فالتّغزل بالمرأة العربيّة ليس موضوعاً سهلاً يطرقه الشّعراء بكثرة؛ لأنّهم إنّ فعلوا تجاوزوا البيئة التي يسكنونها في الغالب، ذلك أنّ تلك المرأة

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكثاني"، 285-286.

(2) نفسه، 261.

حرّة بدويّة مُمنّعة، لها من قومها من يحميها، والموضوع على هذا النحو موضوع شعري تقليديّ منذ عهد المتنبي" (1).

وقد استعار الشّاعر في وصفه للفتاة التّركيّة مظاهر الطّبيعة الجميلة المتمثّلة: بالشّمس، والغصن، ونبت البرديّ، والكتيب، كما استعار لها صفةً من أدوات الحرب، فعيناها كالسّهام، وهكذا استمرّ الشّاعر في غزله حتى البيت الرّابع عشر من القصيدة.

وتظهر دلالة هذا الغزل بشكل واضح عندما نستكمل باقي الأبيات لنستنتج أنّ علاقة الحبّ هذه تعبّر عن علاقة الشّاعر بالمدح، فحال الشّاعر كحال العاشق الذي فارقتة محبوبته، إذ واعم الشّاعر بين صدر القصيدة الغزليّ وطبيعة المدح ووضعها من حيث قرّبها أو بعده عن الشّاعر، حيث جاءت هذه المقدّمة لكي يصل الشّاعر إلى أنّ الصّارم (خطاباً) نقيب للعالم في جوده وكرمه وعطاءه، على الرّغم من معاناته من عشق المحبوبة وهواها، فلم يترك الحكم للهوى، وإنّما تمثّل هذا الحكم في وقفة الصّارم إلى جانب الناس يصون وجوههم بجوده حين يُصوّبه عليهم، إذ يقول: [8]

(مجزوء الرمل)

وَهَيَّ تَلْهُو وَتَطْيِبُ	أَنَا عَانٍ مِنْ هَوَاهَا
تَتَهَلَّأَوَاهُ الْقُلُوبُ	مَنْ رَأَى كَالْمَوْتِ عَشَقًا
لَمْ فِي الْخَيْرِ نَقِيبُ	أَنْتَ يَا صَارِمٌ لِلْعَا
تَ بَجَا ذَوَاكَ تَصُوبُ (2)	صُنْتَ وَجْهَ النَّاسِ مُذْ صِرَ

ولم يختلف ابن الكتّاني عن شعراء عصره وما طرقوه من معانٍ غزليّة مستمدّة من المعاني والتّشبيهات التّقليديّة في الشّعر العربيّ، فالوجه بدرٌ مشرقٌ كالشّمس، والخذُّ وردٌ،

(1) الرّقّب، شفيق، الشّعر العربيّ في بلاد الشّام في القرن السّادس الهجري، 232.

(2) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 262.

والشَّعرُ أسودُّ طويل، واللَّحْظُ سهمٌ، والرَّيقُ خمرٌ، والثَّغرُ لؤلؤيٌّ، والقُدُّ غصنٌ، والقوام قضيبي،... وما أشبه ذلك.

يتبيّن للباحثة مما سبق أنّ ابن الكتّاني كان يفتح قصائده المدحّية بالتَّغزل بالمرأة العربيّة أو التّركيّة تارة، وبالتَّغزل بالغلّمان تارة أخرى، ولم يعبر ابن الكتّاني في مقدّماته الغزليّة عن حبه لامرأة بعينها، وإنّما ارتبط ذلك بالحديث المعمّم المُبهم عن حبيبة حُرِمَ منها الشّاعر، فألهبت قلبه حنيناً ولوعة، والشّاعر لا يريد بهذه المقدّمات التّعبير عن علاقة غراميّة بل إنّ ذلك لا يتعدّى كونه تقليدًا شعريًا.

الاتّجاه الثّاني: الغزل بالمدّكر:

شاع الغزل بالمدّكر في بلاد الشّام في القرن السّادس الهجريّ، " فالشّعراء يمشون في غزلهم الغلّمانيّ يلتمسون المعنى الطّريف، والصّورة الفريدة دون أن يعيروا عن شذوذ في غرائزهم، أو انحراف في عواطفهم، فنحن لا نجد فيها شيئاً من الحبّ، أو ما يشبه الحبّ " (1). ويُعدّ الغزل بالمدّكر في شعر ابن الكتّاني الاتّجاه الثّاني في غزله، وقد خصّ الشّاعر الغلّمان من الأتراك بغزله على الأغلب، وتحدّث عن صفاتهم كدّاب شعراء عصره ومنهم: تاج الملوك بوري بن أيوب، وابن منير الطرابلسي، والعماد الأصفهاني، وابن القيسراني، وابن السّاعاتي وغيرهم كثيرون، وقد جاء جلُّ غزله بالمدّكر في مقدّمات قصائد المدح كما أسلفت الباحثة سابقاً، بالإضافة إلى ثلاث قصائد أخرى ينهي إحداها بمدح (هلدرا)، ومقطوعات أخرى قصيرة بلغت خمس مقطوعات.

وقد أشار الباحثون المحدثون إلى ظاهرة التَّغزل بالغلّمان في أدب القرن السّادس للهجرة، واجتهدوا في تعليلها: فمنهم منّ قسا في حكمه ووصم العصر بشيوع الشذوذ الجنسي

(1) الرّقب، شفيق، الشّعر العربيّ في بلاد الشّام في القرن السّادس الهجريّ، 242.

فيه⁽¹⁾، ومنهم من جعل هذا الغزل امتداداً لغزل أبي نواس بالمذكر⁽²⁾، ومنهم من غالى في حكمه فرأى أن هذا الغزل قد قيل بسبب بواعث نفسية أساسها سياسي، وهو الانتقام اللاشعوري من الأتراك وغيرهم من الممالك الذين سيطروا على هذه البلاد، لذلك كان معظم التغزل بالمذكر فيهم⁽³⁾.

كما أن ميل فئات المجتمع لهذه الظاهرة لم يعرفها العرب إلا في العصر العباسي⁽⁴⁾ عندما دخل أبناء الفرس والروم والترك الدين الإسلامي، وكثر السبي من الغلمان الذين عملوا خدماً وسقاة عند المسلمين، ويعود ذلك إلى أن شعراء تلك الفترة كانوا يتغزلون بالغلمان تقليداً لمن سبقهم من الشعراء، وتطرفاً بقصد المتعة والتسلية والتماس المعنى الطريف، وقد انتشرت هذه الظاهرة " بصورة لم يسبق إليها، الأمر الذي دفع الشعراء إلى التغزل بهم، حتى أصبح هذا الفن عادةً للشعراء يفتتحون به قصائدهم، كما كانت تفتتح قصائد الشعر قديماً بالنسيب وبكاء الأطلال وذكر الطعائن"⁽⁵⁾.

تغزل ابن الكتاني بالمذكر كغيره من شعراء عصره، متناولاً ظاهرة بارزة في مجتمعه، دون حرج أو شعور بالشذوذ الجنسي، فقد تغزل بالغلمان الأتراك - غالباً - ومن

(1) ينظر: سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر الأيوبي، 238، باشا، عمر موسى، الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، 513، بدوي، أحمد، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، 92.

(2) ينظر: الصايغ، هنرييت، اتجاهات الشعر العربي في القرن السابع الهجري في بلاد الشام، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، مصر، 1980م، 61.

(3) ينظر: الكفراوي، محمد عبد العزيز، تاريخ الشعر العربي، 109/4، ينظر الرد على هذا الرأي في كتاب الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء، لأحمد فوزي الهيب، 293.

(4) ينظر: بكار، يوسف، اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، 196.

(5) سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر الأيوبي، 238.

أسماء الغلمان الذين تغزل بهم: (أياز الرُّومي، وغازي المعذر) ووضع مقياساً للجمال عند الغلمان، ونوّه بالصفات الي يُحبَّذ أن تتوافر فيمن يعشقه ويهواه.

بعد التدقيق في غزليات ابن الكتاني تبين أن أغلبها كان ينظمها ارتجالاً عند رؤيته الغلام مصادفة، فيقول في غلام اسمه (غازي المعذر)، وقد ظهر أمامه بحلة جميلة، مصوراً الشعرات التي بدت في عارضه، واصفاً إياه بالريحان: [59] (الخفيف)

قَالَ قَوْمٌ عَلَى سَبِيلِ التَّهَازِي شَعَرَاتٌ بَدَتْ بَعَارِضِ غَازِي
قُلْتُ قَوْلَ الْمُحِبِّ حِينَ بَدَا الرَّيِّ حَانَ مَا حُلَّةٌ بَغِيرِ طِرَازٍ⁽¹⁾

وما أجمل ما صورّه الشاعر حين تغزل بأياز الرومي في قصيدته المكوّنة من ثمانية عشر بيتاً، ومدح فيها (هلدراً) في آخر بيت منها، راسماً له لوحة جميلة تضمنت أعذب الألفاظ وأعمق المعاني، فهو كخوط البان في تمايله وتبختره، وكلامه حسن لين، ولفظه بديع كالياقوت والدرّ، فالشاعر قد أهدى لهذا الغلام الرُّومي هذه اللوحة، لعله يحنّ عليه، ويجود بطيفه، ولو بليّلة في الدّهر، ليبثّه ما أصابه من البُعد والهجر، فهواه وعشقه قد ألحقا به

الضرر، يقول: [54] (مجزوء الكامل)

يَا خُوطَ بَانَ مَاسَ سُكْرًا وَرَخِيمَ دَلٍّ تَاهَ كِبْرًا
وَبَدِيعَ لَفْظٍ صِغٍ بِالتُّنَا تَنْقِيحٍ يَأْفُوتَا وَدْرًا
مَا ضَرَّ طَيْفَكَ لَوْ يَجُودُ دُ بَلِيلَةٍ فِي الدَّهْرِ أُخْرَى
حَتَّى أَبُثَّ إِلَيْهِ مَا لَأَقِيْتُ مِنْكَ قَلْبِي وَهَجْرًا
فَلَقَدْ أَضَرَّ بِي الْهَوَى لَوْ كُنْتَ تَنْظُرُ فِيَّ أَجْرًا⁽²⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 309.

(2) نفسه، 305.

ولم يكتف الشاعر بذلك بل تفنن في وصف عذار ذلك الغلام، فيشبهه وقد بدا على خده بالبنفسج، وأنه كان شمساً وصار بدرًا بعد أن وقع في غرامه، وشبهه خده بالنفاح، ونتاج ريقه بالخمير، مصورًا تولعه بجفون الغلام الحادة القاتلة، حيث سحره بنوره وسلب النوم من عينيه،

يقول: [54]

(مجزوء الكامل)

أَرْسَلْتُ فَوْقَ عِذَارِكَ الْـ	مُخْضَرٍّ مِنْ صُدْغَيْكَ سِتْرًا
كَتَبَ الْبَنْفَسَجُ حَوْلَهُ	بِالْعَنْبَرِ الشَّحْرِيَّ سَطْرًا
قَدْ كُنْتَ شَمْسًا قَبْلَ أَنْ	أَهْوَى هَوَاكَ فَصِرْتَ بَدْرًا
تُفَاحُ خَدِّكَ نُقْلٌ مَنْ	يَمْتَاحُ مِنْ شَفَتَيْكَ خَمْرًا
يَا قَاتِلِي بِشَبَا الْجُفُو	نِ إِلَى مَتَى بِجَفَاكَ تُغْرَى
أَسْلَبْتَنِي سِنَّةَ الْكَرَى	وَبَدَأْتَ لِي فِي صَلِّ تَقْرَا
وَسَحَرْتَنِي بِأَيَا الصَّبَا	ح وَكُنْتُ أَنْفُثُ مِنْكَ سِحْرًا ⁽¹⁾

والمتمامل في هذه اللوحة، يكاد يعيش ألم الشاعر ولوعته، ويحزن لحزنه، فكأنه يعيش حبًا وغرامًا مع فتاة لا يطيق فراقها، وقد حفلت هذه اللوحة بالطباق الذي زادها تألقًا وجمالاً.

ومن غزله بالمذكر قصيدته التي قالها عندما طلب منه بعض المطربين أن يعمل له غزلًا في معنى اختياره مذكرًا ومؤنثًا، مصورًا ما اعتراه من شقاء بسبب هواه وعشقه للمحبيب، فقد منع من وصال من يحب، وبقي مترقبًا للخيال ليبث إليه ما حل به من سوء

حال، فهو راعٍ للعهود، يقول: [87]

(مجزوء الكامل)

مَنْعَتْ وَصَالَ مِنْ الْوِصَالِ	فَبَقِيتُ مُرْتَقِبًا الْخِيَالَ
حَتَّى أَبُثَّ إِلَيْهِ مَا	لَاقِيْتُهُ مِنْ سُوءِ حَالِي
أَرْعَى الْعُهُودَ لِبَاتَةٍ	صَرَمْتُ بِلَا سَبَبٍ حِبَالِي
مَا بِالْهَآ تَسْلُو وَمَا	خَطَرَ السُّلُوءِ لَهَا بِبَالِي

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكثاني"، 305-306.

يَا طَيْفُ إِن سَاعَدْتَنِي بَعْدَ الْقَطِيعَةِ بِالْوَصَالِ
لَأَعَذَّبَ الْآيَّامَ بِالْأَحْلَامِ مِنْ قِصْرِ اللَّيَالِي (1)

ثُمَّ يَشْتَكِي الشَّاعِرُ نَسِيَانِ الْمَحْبُوبِ لَهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَمْ يَنْسَهُ الشَّاعِرُ أَبَدًا، ثُمَّ يَطْلُبُ مِنَ الطَّيْفِ أَنْ يَسَاعِدَهُ فِي وَصَالٍ مِنْ قَطْعٍ وَصَالِهِ وَوَدِّهِ، وَإِنْ سَاعَدَهُ الطَّيْفُ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَإِنَّهُ سَيُعَذِّبُ أَيَّامَهُ بِالْأَحْلَامِ الَّتِي تَرَاوَدُهُ مِنْ قِصْرِ اللَّيَالِي، فَكَمْ لَيْلَةً قَضَاهَا مُتَنَقِّلًا بَيْنَ الْغَزَالَةِ وَالْغَزَالِ، فَهُوَ مَعَ كُلِّ فَتَاةٍ جَمِيلَةٍ حَسَنَاءَ، شَابَّةٍ كَالْغَلَامِ مُسْتَرْخِيَةً تَنْتَشِي مِنَ الدَّلَالِ، وَكُلَّمَا نَظَرَ الْمَحْبُوبَ إِلَى الشَّاعِرِ رَمَقَهُ بِنَظَرَةٍ قَاتِلَةٍ، وَإِذَا تَبَسَّمَ ظَهَرَتْ أَسْنَانُهُ اللَّوْلُؤِيَّةُ، وَيَقَرَّرُ فِي نَهَائَةِ الْقَصِيدَةِ أَنَّ مَحْبُوبَهُ يَتَحَلَّى بِأَجْمَلِ الْأَخْلَاقِ، وَخُدُودَهُ رَقِيقَةٌ مُتَوَرِّدَةٌ، بَلْ هِيَ أَرْقُ مِنْ وَرْدِ الشَّمَالِ الْمَحْمَلِّ بِالرَّائِحَةِ الْعُطْرَةِ، يَقُولُ: [87] (مَجْزُوءُ الْكَامِلِ)

كَمْ لَيْلَةً قَضَيْتُهَا بَيْنَ الْغَزَالَةِ وَالْغَزَالِ
مَعَ كُلِّ خَوْدٍ كَالْغُلَا مِ شَاحِدِينَ خَنَثِ الدَّلَالِ
يَرُنُّوْا إِلَيَّ بِمُقَلَّتِي رِيْمٍ وَيَبْسِمُ عَنْ لَائِي
حُلُوْا الشَّمَائِلَ وَجَنَّتَا هُ أَرْقُ مِنْ وَرْدِ الشَّمَالِ (2)

وَمِمَّا يَسْتَرْعِي الْإِنْتِبَاهَ فِي الْقَصِيدَةِ السَّابِقَةِ ظَاهِرَةٌ تَنْبَهٌ إِلَيْهَا الْبَاحِثُونَ، أَلَا وَهِيَ عَوْدَةُ الضَّمِيرِ إِلَى الْمَذْكُورِ، حَتَّى إِنَّمَا لِنَحْتَارَ فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ فِي تَحْدِيدِ جِنْسِ الْحَبِيبِ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَكْتَشِفَهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ نَرَى بَعْضَ صِفَاتِهِ الْخَاصَّةِ الْمُمَيِّزَةِ (3).

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكثاني"، 329.

(2) نفسه والصفحة نفسها.

(3) ينظر: شيخ أمين، بكري، مطالعات في الشعر المملوكي، 125، الصايغ، هنرييت، اتجاهات الشعر العربي في القرن السابع الهجري في بلاد الشام رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، مصر، 1980م، 306، الهيب، أحمد فوزي، الحركة الشعرية زمن المماليك 293.

وترى هنرييت الصايغ أنَّ السَّبب في التَّغزل بضمير يعود إلى المذكر قد يكون الرَّغبة من الشَّعراء في إضفاء صفة التَّجَبُّل والاحترام وإظهار الخضوع للنِّساء⁽¹⁾، وتميل الباحثة إلى هذا الرَّأي الذي يظهر احتراماً وخضوعاً للمرأة.

ويتغزَّل ابن الكتَّاني في مقطوعة له التمسها منه الملك المسعود سكران بن محمد، وطلب منه أن يعمل له خمسة أبياتٍ مذكِّرة أولها ثاءٌ وآخرها قاف، متغنياً فيها بسلام من الأتراك، مشبِّها إياه بالتَّشبيهاً الأنثويَّة، مبيِّناً رغبته في وصاله المتمثِّل في احتساء الخمرة من فمه الذي يفوح مسكاً، متمنياً الموت والهلاك لمن يلومه في وصف نبت شعر لحيته،

يقول: [76]

(البيسط)

نَمَلْتُ مِنْ حُسْنِهِ وَالْكَاسُ يَرشُفُهَا	ظَبْيٌ مِنَ التُّرْكِ أَضْحَى وَهُوَ مَعشُوقٌ
ثَبَّتْ كَأَنَّ فِيهِ وَهُوَ مُغْتَبِقٌ	مِسْكَاً وَفِي يَدِهِ طَاسٌ وَإِبْرِيقٌ
ثُمَّ احْتَسَيْتُ مُدَامَ الْحُبِّ مِنْ فَمِهِ	صِرْفًا وَقَدْ زَانَهَا ثَغْرٌ وَرَاوُوقٌ
ثَقُ بِى فَلَسْتُ مُذِيعًا سِرْكُمْ أَبَدًا	وَالسِّرُّ عِنْدَ ذَوِي الْأَبَابِ صُنْدُوقٌ
تَكَلْتُ مَنْ لَامَنِي فِي نَبْتِ عَارِضِهِ	وَقَدْ بَدَأَ فِيهِ تَتْوِينٌ وَتَعْرِيقٌ ⁽²⁾

ويتغزَّل الشاعر في مقطوعة أخرى له من ستة أبياتٍ بالمذكر، غزلاً اخترعه عليه بعض أصدقائه، مصوراً خصره بالغصن الوريق، وثغره وريقه باللؤلؤ، وشفته بالعقيق، الذي

شقَّه ريق فمه، وصور تعلُّقه في خدِّه كتعلُّق نقطة الكاتب في الخط الدقيق، يقول: [79] (الرمز)

نَثَرَ الطَّلُّ عَلَى الْغُصْنِ الْوَرِيقُ	لَوْلُوا يُعْرَبُ عَنْ ثَغْرِ وَرِيقُ
وَشَفَاهُ مِنْ عَقِيقِ طَابَ مِنْ	أَجْلَهَا سُكْنَايَ فِي وَادِي الْعَقِيقِ

(1) ينظر: اتجاهات الشعر العربي في القرن السابع الهجري في بلاد الشام، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، مصر، 1980م، 306.

(2) القسم الثاني "شعر ابن الكتَّاني"، 322.

عَلَقْتُ فِي خَدِّهِ مِنْ كَبِيدِي نُقْطَةُ الْكَاتِبِ فِي الْخَطِّ الدَّقِيقِ⁽¹⁾

وَيَصُورُ ابْنَ الْكَتَّانِيِّ مَدَى تَعَلُّقِهِ بِالْغَلَامِ، وَيَشْتَكِي فِي نَهَايَةِ الْمَقْطُوعَةِ فَهُوَ ظَمَانٌ مِنْ

شِدَّةِ حَبِّهِ وَتَعَلُّقِ فُؤَادِهِ بِهِ، إِلَى حَدٍّ جَعَلَ جَفُونَهُ تَذْبُلُ وَتَغْرُقُ بِالْذَّمِّوعِ، يَقُولُ: [79] (الرمل)

إِنْ يَكُنْ يَجْحَدُ قَبْلِي فِي الْهَوَى فِدْمِي يَنْطِقُ كَالْمِسْكِ الْفَتِيقِ
حَقَّقَ الشَّامَةَ فِي وَجْنَتِهِ أَنَّهَا تَشْهَدُ بِالْقَتْلِ حَقِيقِ
فَفُؤَادِي يَشْتَكِي مِنْهُ الظَّمَا وَجَفُونِي تَشْتَكِي مِنْهُ الْغَرِيقِ⁽²⁾

وَمِنْ طَرِيفِ شَعْرِ ابْنِ الْكَتَّانِيِّ الْمَقْطُوعَةِ الَّتِي تَغْزُلُ فِيهَا بِغَلَامٍ آخَرَ، إِذْ جُمِعَ فِيهَا
بَعْضُ الْمَعَانِي الْمَطْرُوقَةِ فِي الْغَزْلِ، (كَتَوَّرَدِ الْوَجْنَتَيْنِ، وَنَرَجَسَةُ الْجَفُونِ، وَالثَّغْرِ اللَّوْلُؤِيِّ،
وَالْعَارِضِ وَمَا اخْتَطَّ عَلَيْهِ مِنْ شَعْرٍ) مُسْتَعِيرًا فِي ذَلِكَ الْمَظَاهِيرِ الطَّبِيعِيَّةِ لِيَبْتَكِرَ فِي صُورِهِ،

فَهُنَاكَ صِفَةُ النَّرْجَسِ، وَالْوَرْدِ، وَالسَّوسَنِ، وَالرَّيْحَانِ، وَاللَّوْلُؤِ، يَقُولُ: [97] (السريع)

أَمَا تَرَى النَّرْجِسَ مِنْ جَفْنِهِ يَرِشُقُ جَانِي الْوَرْدِ مِنْ وَجْنَتِيهِ
وَسَوْسَنَا نَتَّ عَلَيْنَا الَّذِي قَدْ كَتَبَ الرَّيْحَانُ فِي عَارِضِيهِ
وَلَوْلُؤَا نُضَدِّ مِنْ ثَغْرِهِ بَيْنَ عَقِيقِ سَاقِ حَتْفِي إِلَيْهِ
فَوَالَّذِي قَلْبَ قَلْبِي لَهُ لَا زِلْتُ أَهْوَاهُ وَأَحْنُو عَلَيْهِ⁽³⁾

وَقَدْ يَتَغَزَّلُ ابْنُ الْكَتَّانِيِّ بِالْمَذْكُورِ لَا لِيَصِفَ مُحَاسِنَهُ وَيَصُورَ جَمَالَهُ، وَإِنَّمَا يَرِيدُ أَنْ يُمَتِّعَ
الْمُتَلَقِّيَ وَيُطَرِّفَهُ بِإِظْهَارِ الْمَذْكُورِ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ يَعْمِدَ إِلَى تَحْوِيلِ الْعُيُوبِ
الْجَسَدِيَّةِ فِيهِ إِلَى فُضَائِلٍ، وَلَعَلَّ هَذَا مِمَّا تُعَدُّهُ الْبَاحِثَةُ ابْتِكَارًا لِلشَّاعِرِ، مِنْ ذَلِكَ مَا نَظَّمَهُ: مُتَنَدِّرًا
مُتَفَكِّهًا فِي رَجْلَيْنِ كُلِّ مِنْهُمَا يَلْقَبُ بِالضِّيَاءِ أَحَدُهُمَا ضَرِيرٌ وَالْآخَرُ أَعْرَجٌ، رَاسِمًا لِهَمَا مَشْهَدًا

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 323-324.

(2) نفسه، 324.

(3) نفسه، 339.

ينتقل به من الواقع الحقيقي إلى الخيال القائم على الداعي المستجد من لقييهما، ليحقق بذلك

(المتقارب)

غرض النقد والإضحاك والتسلية، يقول: [52]

ضِيَاءَانِ مِنْ غَسَقٍ كُونَا بِسَوْمِهِمَا ذُو النُّهَى يَخْسِرُ
ضَرِيرٌ يَقُولُ رَأَيْتُ السُّهَى وَأَعْرَجٌ يُعْجِبُ مَا يَذْكُرُ
يَقُولُ لَحِقْتُ بِرَجُلِي الْغَزَالَ وَمَا فَاتَنِي الْبَارِقُ الْمُطْرُ
وَيَزْعُمُ إِنَّ صَفَعَتْ كَفُّهُ ضَرِيرًا فَفِي وَقْتِهِ يُبْصِرُ⁽¹⁾

فالشاعر في الأبيات السابقة لا يصف حسنهما وجمالهما، بل يحاول إظهار هذين الرجلين في صورة حسنة، نلتبس منها المعنى الطريف، إذ صور الشاعر سرعة الرجل الأعرج - وهو يلحق بالغزال - بالبرق، وصور الرجل الضرير الذي إن صفعه بكفه فإنه يبصر بوقته.

ومن الجدير ذكره أَنَّ الشاعر قد اتخذ من الخمر وسيلة لوصف السقاة ومجالس اللهو، فنراه يقول في وصف الساقى من خلال وصف الخمرة، حيث أسبغ عليه من الصفات المُمثلة بـ (أغيد، ومعسول، ومقرطق، وبابليّ اللحاظ، وخصره المبتوك)، يقول: [81] (الخفيف)

يَا صِحَابِي دَعُوا التَّمَعُّلَ فِي الشَّرِّ بِوَجُنُوءَا عَلَى اسْتِمَاعِ الْجُنُوكِ
وَأَشْرَبُوهَا مِنْ كَفِّ أَغِيدٍ مَعْسُو لِالتَّنَائِيَا مُقْرَظَقِ جَاوُوكِ
بَابِلِيّ اللَّحَاطِ لَوْ نَدَسَ الْمُنْ زَرَّ أَوْهَى بِخَصْرِهِ الْمَبْتُوكِ⁽²⁾

وابن الكتاني في غزله بالمذكر كدأب شعراء عصره يكثر من المعاني التقليدية ويُرَكِّز على الأوصاف عند المحبوب، فمن المعاني التقليدية الشائعة في هذا اللون من الغزل: التَّغْنِي

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 304.

(2) نفسه، 325-326.

بجمال العيون، والجفون، والألحاظ، والخدود، والقُدود، وغير ذلك من الأوصاف، كوصف الوجه والعارض والخال ونبت العذار وغيرها.

وعليه ترى الباحثة أنَّ الشَّاعر قد انقاد في بعض غزله إلى طبيعة العصر، فنظم أشعاراً في التَّغزُّل بالغلَّمان، ولعلَّه فعل ذلك اختباراً لقدرته على القول في الموضوعات الشَّائعة عند معاصريه يومئذ، فغزله بالمذكر كان تقليدًا لمن سبقه، أو قاله بقصد التَّسليَّة والمتعة، محاولاً إظهار المذكر في صورة حسنة ليطرف بذلك المتلقي ويُمْتَعه، كما أنَّ الشَّاعر لم يكن يعاني مما يسمى اليوم بالشَّدوذ الجنسي أو الانحراف في ما قاله من أشعار في التَّغزُّل بالمذكر، بل إنَّه كان ينظم هذا النَّوع من الأشعار ليثبت للآخرين أنه كان يريد أن يجري العصر في تلك الحقبة التَّاريخيَّة، وربَّما أراد أن يُضفي على شعره نوعاً من الفكاهة والتَّندر من خلال تناوله لمثل هذا النَّوع من الأشعار.

الاتِّجاه الثَّالث: الغزل بالمؤنَّث:

أما الاتِّجاه الثَّالث من غزل ابن الكَتَّاني فقد كان في المرأة، حيث جاء غزله بالمؤنَّث في قصيدتين، بالإضافة إلى مقدَّمات قصائد المدح ومقطوعة واحدة تقع في بيتين.

وقد احتل الغزل بالمؤنَّث مساحة أقل من الغزل بالمذكر، حيث تغزَّل الشَّاعر بثلاثة أنواع من النِّساء: المحبوبة، والجواري والقيَّان، والسَّاقية.

أما المحبوبة فقد وصفها ابن الكَتَّاني في إحدى قصائده، مُتَغَنِّياً بجمالها الفَتَّان، فهي عذراء تتمايل كالخيزران، مستوحياً المعاني والصُّور التَّقليديَّة المتمثِّلة في: وصف لين قَدَّها، ولذة رِضابِها، وخصرها النَّحيل، إذ يقول في أبيات طلبها منه الأُوحد المغنِّي: [47] (المتقارب)

وَعَذْرَاءَ مَا لَبِستَ لِلْحُلِيِّ	يَ إِلَّا خَلَعْتُ عَلَيْهَا عِذَارِي
تَمِيسُ مِنَ الدَّلِّ كَالْخِيزُرَانِ	وَيَعْطِفُهَا اللَّيْنُ عَطْفَ السَّوَارِ

وَأَحْذَرُ مِنْ قَدِّهَا أَنْ يَمِيدَ فَيَنْقُدُّ مِنْ هَيْفٍ وَأَنْحِصَارِ
وَأَعْجَبُ مِنْ خَصْرِهَا كَيْفَ لَا يَزُولُ وَقَدْ حَسَّ مَسَّ الْإِزَارِ
فَمِنْ وَجْهَهَا زَهْرِي إِنْ أَرَدْتُ رَبِيعًا وَمِنْ رِيقٍ فِيهَا عُقَارِي⁽¹⁾

ويبدو الشاعر رقيقاً في غزله، إذ يصور مدى تعلقه بالمحوبة، حيث يتهالك ويفقد الصبر والجلد، مبالغاً في تصوير نفسه، بحيث تتساقط دموعه بين ماء ونار، ويصور أساه في حبه، فإذا جاء وقت الوداع فإنه يقوم بتوديعها بحرقه ولوعة، وهو يذرف الدموع التي تتساقط مدراراً كأنها اللآلئ بين ماء ونار، فبدأت الدموع وكأنها قطرات ندى تساقطت على خدّها مصوراً ذلك الخدّ بالجلنار في تورده وحمرة، يقول: [47] (المتقارب)

تَعَلَّقْتُهَا وَزَمَانُ الشَّبَابِ شَفِيعِي إِلَى صُورٍ كَالصُّوَارِ
فَلَمَّا كَلَفْتُ بِهَا قَادِنِي إِلَى وَطْنِي عَدَمُ الْإِصْطِبَارِ
فَوَدَعْتُهَا وَلَا لِي الْجُفُونِ تَسَاقُطُ مَا بَيْنَ مَاءٍ وَنَارِ
كَأَنَّ الدَّمُوعَ عَلَى خَدِّهَا بَقِيَّةُ طُلٍّ عَلَى جُلْنَارِ⁽²⁾

أما التّغزّل بالجواري والقيان، فيأتي في سياق المقدّمة الخمرية، التي استهلّها ابن الكتاني في قصائد المدح فاتخذ من الخمر وسيلة لوصفهنّ، فهذه القينة رومية النسب، لكنها في دلالتها تنتمي إلى العرب، وتسلب العاشق بغنجها، يقول: [19] (مجزوء الرجز)

عَلَى سَمَاعٍ قَيْنَةٍ لَهَا مِنَ الرُّومِ نَسَبُ
لَكِنَّهَا مِنَ الدَّلَا لِي تَنْتَمِي إِلَيَّ الْعَرَبُ
جَارِيَةٌ مِنْ دُونِهَا بِيضُ الصَّقَاحِ وَالْيَلْبُ
كَمْ سَلَبْتُ مِنْ عَاشِقٍ بِغُنْجٍ عَيْنَيْهَا سَلَبُ⁽³⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 298.

(2) نفسه والصفحة نفسها.

(3) نفسه، 270.

ويتغنى الشاعر ويتغزل بجمال صوتها الذي فاق صوت معبد المغني، وبطول عنقها ونعومة أطرافها، حتى إنها تكاد تُخرس جالوت بصوتها إذا غنت، وتنطقه بعد موته، وتُسلي النساء المقاتل اللواتي لا يعيش لهنَّ ولد، ويتعلق العشاق بسحر هواها الذي تنفثه، يقول: [26]

(البسيط)

وَقَيْتُهُ كَمَهَاةِ الرَّمْلِ مَا تَرَكَتْ لِعُودِ مَعْبَدٍ لَا صَوْتًا وَلَا صِيْتًا
جِيْدَاءِ نَاعِمَةِ الْأَطْرَافِ نَاهِدَةٍ قَدْ جَرَدَتْ لِدَمِ الْعُشَاقِ إِنْصِلِيْتًا
تَكَادُ تُخْرِسُ جَالُوتًا إِذَا هَزَجَتْ صَوْتًا وَتُنْطِقُ بَعْدَ الْمَوْتِ جَالُوتًا
يَا ضَرَّةَ الشَّمْسِ أَيْنَ الشَّمْسُ مِنْكَ إِذَا مَا قُلْتُ قَوْلًا وَسَلَّيْتُ الْمَقَالِيْتَا
نَفَثَتْ فِي عِلْقِ الْعُشَاقِ سِحْرَ هَوَى بِهِ تَعَبَّدَتْ هَارُوتًا وَمَارُوتًا⁽¹⁾

ويقول واصفًا جمال قينة ثانية، وهي تغني بصوتها المخمور: [49] (المنسرح)

وَقَيْتُهُ بِالْجَمَالِ حَالِيَةِ الْـ حَالَ تَغْنِي بِصَوْتِهَا الْخَمِرُ⁽²⁾
وللشاعر شعرٌ غزليٌّ رائق يبدو فيه متأثرًا بعمر بن أبي ربيعة، حين وصف إحدى الجواري اللواتي شغفن قلبه، في قصيدة بلغت خمسة عشر بيتًا، فقد تحدّث بأسلوب قصصي عن زيارة ليلية فاجأته بها إحدى الجواري، وكان الرقيب ليلتها منعزلًا، فاستطاع أن يهيم بها في تلك الليلة بعيدًا عن عين الحسود، واصفًا حسن جمالها الفتان، مستوحيا المعاني والصُّور التقليديّة في لذة ريقها، واصفًا نتاج ريقها بالخمير، وفي جمال ثغرها الذي أضاء له ظلام تلك

الليلة، يقول: [95] (المنسرح)

يَا لَيْلَةً زَارَنِي مُحْيَاَهَا بَغَيْرِ وَعْدٍ مَا كَانَ أَوْفَاَهَا
قَرَنْتُ أُولَى زِيَارَةٍ سَمَحَتْ عَلَى مُحِبٍّ بِيُؤْمِنِ أَخْرَاَهَا
بِتُّ أُعَاطِي بِكِ الْكُؤُوسَ فَمَا أَلَذَّهَا فِي فِي فَمِي وَأَحْلَاهَا

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكثاني"، 279.

(2) نفسه، 299.

أَمْزَجُ مِنْ رِيْقِهَا الْمُدَامَ وَقَدْ تَغَزَّلْتُ بِالْمُدَامِ عَيْنَاهَا
فِي لَيْلَةٍ وَالرَّقِيبُ مُنْعَزِلٌ أَحْبَبْتُهَا وَالْحَسُودُ يَشْنَاهَا
أَضَاءَ لِي ثَغْرُهَا الظَّلَامَ فَمَا أَزَالُ أَتْنِي عَلَى ثَنَائِهَا⁽¹⁾

وقد بالغ ابن الكتاني في وصفه لجمال تلك الجارية التي شبه قدها بالقضيب، بأنها لو دعت الميِّت من قبره للبي نداءها، فقد أبدع في خلقها الإله، وسوَّاهَا في أحسن صورة، وهو ينسى صلاته إذا خلا بها، فهي قلبه وفؤاده، ونفسه مطيعة لها، فتارة تأمرها وتارة تنهاها، كما أنه يحفظ عهده لها وهي تحفظه كذلك، وهي تزيد قلبه أسى وتهجره، والشاعر في كلا الحالين يهواها، ويكفيه منها ما يكفيها منه، ولولا هواها وعشقها الذي تولَّع به الشاعر لكان مولى لها

لا عبداً، يقول: [95] (المنسرح)

جَارِيَةٌ كَالْقَضِيبِ لَوْ دَعَتِ الْـ مَيِّتٌ مِنْ قَبْرِهِ لِلْبَّاهَا
أَبْدَعَ فِي خَلْقِهَا الْإِلَهَ فَمَا أَحْسَنَ مَا صَاغَهَا وَسَوَّاهَا
أَنْسَى صَلَاتِي إِذَا خَلَوْتُ بِهَا وَهِيَ مَعَ الدَّهْرِ لَسْتُ أَنْسَاهَا
لَا سَيِّمًا وَالنُّفُوسُ فِي يَدِهَا تَأْمُرُهَا تَأْرَةً وَتَنْهَاهَا
أَحْفَظُ عَهْدِي لَهَا وَتَحْفَظُنِي وَذَاكَ مَا زَالَ مِنْ سَجَايَاهَا
تَزِيدُ قَلْبِي أَسَى وَتَهْجُرُهُ وَهُوَ عَلَى الْحَالَتَيْنِ يَهْوَاهَا
لَوْ لَا هَوَاهَا يُذِيبُنِي حَرْقًا مَا صِرْتُ عَبْدًا وَكُنْتُ مَوْلَاهَا⁽²⁾

تغنَّى الشاعر في الأبيات السابقة بجمال تلك الجارية، وصاغها بألفاظ رقيقة سهلة وشفافة، وعبارات سلسة، وموسيقى عذبة، مع جمال في الجرس وقرب في المعاني وليونة في التركيب.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 337.

(2) نفسه والصفحة نفسها.

وله في جارية بخدّها خال مقطوعة من بيتين، صورَ فيها عشقه ولوعته بها، مُوضّحاً كيف مرّجَ

فَمَهْ بِرُضَابِهَا الْعَذْبُ الْبَارِدُ فَظَنَّهُ سَلْسَالاً، وكيف قَبْلَ شَامَةِ خَدِّهَا فَبَدَتْ كَالْمَسْكَ، يقول: [90] (الكامل)

وَمَلِيحَةٍ مَرَجَتْ فَمِي بِرُضَابِهَا فَظَنَنْتُ أَنَّ رُضَابَهَا سَلْسَالُ
وَلَثِمْتُ شَامَةَ خَدِّهَا فَوَجَدْتُهَا مِسْكَاً وَأَيْنَ مِنَ الْفَتِيْقِ الْخَالُ⁽¹⁾

أما السّاقية فقد اتّخذ الشّاعر من الخمرة وسيلةً للتّغزل بها، فهي حسنة تشبه الغزالة في مشيتها وطول عنقها، تسقي الخمر من كَفِّها، ومشيّتها خفيفة متماثلة أمام ناظريه، بدیعة الحُسْن والجمال، تُعلِّمُ النَّاسَ - من لطافتِها - صَنْعَةَ الصُّوْرِ، وريقُها أطيبُ من المسك والعنبر،

تُخْفِي الصَّبَاحَ إِنْ أَسْفَرَ بِشَعْرَهَا الْحَالِكُ، يقول: [49] (المنسرح)

بِتُ أَعْاطِي الْكُؤُوسَ فِي السَّحَرِ عَلَى أَنْيْنِ النَّيَّاتِ وَالْوَتْرِ
مِنْ كَفِّ جَيْدَاءَ كَالْغَزَالَةِ مَا أَخْفَهَا لَوْ مَشَتْ عَلَى بَصْرِي
بَدِيعَةُ الْحُسْنِ مِنْ لَطَافَتِهَا تُعَلِّمُ النَّاسَ صَنْعَةَ الصُّوْرِ
رَبِيقَتُهَا فِي الزُّجَاجِ أَطْيَبُ مِنْ مِسْكِ فَتِيْقٍ وَعَنْبَرٍ عَطْرِ
تَمِيلُ أَعْطَافُهَا إِذَا خَطَرَتْ كَمَا تَمِيلُ الْأَقْصَاحُ بِالْمَطَرِ
تَكَادُ تُخْفِي الصَّبَاحَ إِنْ أَسْفَرَ الصَّنْ صُبْحُ بِمُحْلَوْلِكَ مِنَ الشَّعْرِ⁽²⁾

مما سبق نلاحظ الباحثة أنّ غزل الشّاعر كان غزلاً حسيّاً، حيث تعرّض الشّاعر لمفاتيح المرأة الجسديّة الظّاهرة منها: كالوجه والأطراف والخال واللباس والشعر ورقّة الخصر، أمّا غزل الشّاعر بالجوّاري والقيان فإنّه لم يتعدّ الإعجاب بجمالهن الجسدي.

والجدير ذكره أنّ شعر ابن الكتّاني في الجوّاري والقيان كان قليلاً، ولعلّ قيام الغلمان بأعمالهن في الأديرة والأماكن التي كانوا يدخلونها سدّ مكانهن، والسبب في التطرق إليهن ولو

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 334.

(2) نفسه، 299.

بالإشارة يعزى إلى تلك الأمور التي خصَّ الله بها المرأة دون الرجل ووجدها ابن الكتاني في الجواري والقيان ولم يجدها في الغلمان، هذا بالإضافة إلى أنَّ الشَّاعر إذا ما انتقل إلى التَّغزُّل بمحاسن المرأة عامة فإنَّه يلوذ بالأوصاف التَّقليديَّة التي أكثر الشعراء من ترديدها، مع الاختلاف في طريقة التَّعبير والتَّصوير.

المحور الثاني: المعاني المطروقة الشائعة في غزله:

ستعرض الباحثة المعاني المطروقة في غزليات ابن الكتاني ضمن موضوعين: الأول: يضم المعاني الماديَّة، والثاني: يضم المعاني المعنوية.

1. المعاني الماديَّة:

من المعاني المادية التي طرقها ابن الكتاني في غزله (الخال، والعارض، والأسنان، والخصر، والريق، والوجه، والجفن، والجسم كاملاً) .

أما تصويره للخال، فقد طلب منه صديقٌ أن يصف الخالَ الذي في خدِّ عمر بن رجب الصَّانغ، مُصوِّراً حسنه وجماله، مشبِّهاً خصره الأهيف بالغصن، معبراً عن عاطفته الجيَّاشة، بسبب وجود الخال الذي كسا وجنته سحراً وجمالاً، مصوراً عشقه له، متمنياً لو يتكرَّم عليه

بقبلة في خده، وخاله الذي زَيَّن وجهه، قال: [85] (السريع)

مَاسَ شَبِيهَ الْغُصْنِ الْحَالِي	أَهْيَفَ لَا يَنْظُرُ فِي حَالِي
وَسَلَّ سَيْفَ الْحُسْنِ يَسْطُو بِهِ	عَلَى كَنْيَبٍ دَيْفٍ بَالِي
مَا ضَرَّهُ لَوْ جَادَ لِي رَحْمَةً	بِقُبْلَةٍ فِي الْخَدِّ وَالْخَالِ ⁽¹⁾

ويقول في رسم شامة على وجنة محبوبه: [79] (الرميل)

حَقَّقَ الشَّامَةَ فِي وَجَنَتِهِ	أَنَّهَا تَشْهَدُ بِالْقَتْلِ حَقِيقَ ⁽²⁾
-----------------------------------	--

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 328.

(2) نفسه، 324.

ومن المعاني المطروقة وصف العارض وقد خط فيه الشعر، وتكررت صورة الغلام

الذي نبت الشعر حول صدغيه، وشبهه ابن الكتاني بالعنبر والمسك، يقول: [63] (الطويل)

تُرَى مِنْ كَسَاكَ الْحُسْنِ مِنْ بَعْدِ مَا خَطَا عِذَارُكَ لَمَّا نَدَّ بِالْنَّدِّ وَاخْتَطَا⁽¹⁾

ويقول: [88] (المتقارب)

وَقَدْ سَيَّجَ الْحُسْنُ فِي عَارِضِيهِ عِذَارًا مِنَ الْعَنْبَرِ السَّائِلِ

وَيَبْسِمُ عَنْ لَوْلُو كَلَّمَا تَأَلَّقَ عَنْ شَنْبِ كَامِلِ⁽²⁾

ويقول في العارض وقد خط فيه الشعر كأنه مسك: [24] (المديد)

آه مِنْ آسِ الْعِذَارِ وَقَدْ خَطَّ مِسْكَاً فِي صَاحِقَتِهِ⁽³⁾

ويقول، مشبهاً نبت عذار الغلام باخضرار النبت في الحقائق: [51] (الكامل)

قَالُوا: سَلَامٌ ذَا تَمَّ نَبْتُ عِذَارِهِ فَأَجَبْتُ مَا خَطَرَ السُّلُو بِخَاطِرِي

لَوْلَا اخْضِرَارُ النَّبْتِ مَا زَهَتْ الرُّبَى وَالنُّورُ مَا زَهَتْ الْغُصُونُ لِنَظَرِ⁽⁴⁾

وقال مُصَوِّراً عذاره وقد بدا على خده بالبنفسج: [54] (مجزوء الكامل)

أَرْسَلْتُ فَوْقَ عِذَارِكَ الْـ مُخْضَرَّ مِنْ صُدْغَيْكَ سِتْرًا

كَتَبَ الْبَنْفَسَجُ حَوْلَهُ بِالْعَنْبَرِ الشَّحْرِي سَطْرًا⁽⁵⁾

ومن الموضوعات التقليدية التي طرقها الشاعر وصف تورده الوجنتين وحمרתهما إذ

صور تورده خد صاحبه بنبت الآس: [33] (المنسرح)

وَوَرْدٍ خَدٍّ بِالْآسِ يَحْجُبُهُ أَوْحَدٌ لَا يَرَعَوِي إِلَى أَحَدٍ⁽⁶⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 315.

(2) نفسه، 330.

(3) نفسه، 276.

(4) نفسه، 303.

(5) نفسه، 305-306.

(6) نفسه، 286.

ويقول في تورد الخدين وحمريهما: [41] (المنسرح)

سُبْحَانَ رَبِّ بَرَاكَ مِنْ حَمَا بَذَرًا وَخَدَاكَ مِنْ دَمِي وَرَدَّ⁽¹⁾

ويصور خذ صاحبه بالتفاح: [54] (مجزوء الكامل)

تَفَّاحُ خَدَّكَ نُقْلُ مَنْ يَمْتَّاحُ مِنْ شَفَتَيْكَ خَمْرًا⁽²⁾

ومن الموضوعات التي طرقها وصف الأصداع، فقد وصف صُدْعِي الغلام كأنهما

فوق بنفسج تدلّت فوق خده الغض الطّري: [98] (مجزوء الكامل)

أَفْسَمْتُ بِالثَّغْرِ النَّقِيِّ وَبِحُسْنِ وَجْهِهِ يُوسُفِي
وَبِعَقْرِ الصَّدْعَيْنِ فَوُ قَ بَنَفْسَجٍ غَضٌّ طَرِي⁽³⁾

ويقول مُصَوِّرًا صدغ الغلام وقد لدغ قلبه: [41] (المنسرح)

صُنْ عَقْرَبَيْكَ اللَّتَيْنِ قَدْ لَسَبَا حَبَّةَ قَلْبِي بِصَدْعِكَ الْأَسْوَدِ⁽⁴⁾

ويقول مُصَوِّرًا عطف صدغيه ولينهما بالغصن الناضر: [51] (الكامل)

وَمُعَقَّرَبِ الصَّدْعَيْنِ تَعْطِفُهُ الصَّبَا مِنْ لَيْنِهِ عَطْفَ الْقَضِيبِ النَّاضِرِ⁽⁵⁾

ومن المعاني المطروقة في غزله تشبيه أسنان محبوبه بالبرد لشدة بياضها يقول: [33]

(المنسرح)

أَمَّا وَتَغْرِ أَنْقَى مِنَ الْبَرْدِ وَعَارِضٍ فِي تَضَاعُفِ الزَّرْدِ⁽⁶⁾

ومن ذلك أيضًا تشبيه أسنانه باللؤلؤ الذي تتألق من حوله مياه الأسنان وبريقها: [88] (المتقارب)

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكثاني"، 293.

(2) نفسه، 306.

(3) نفسه، 339.

(4) نفسه، 293.

(5) نفسه، 303.

(6) نفسه، 286.

وَيَبْسِمُ عَنْ لَوْلُو كَلَمًا تَأَلَّقَ عَنْ شَنْبٍ كَامِلٍ⁽¹⁾

أما خصر المحبوب وعطفه وعارضه وقدّه فقد أكثر ابن الكتّاني من ذكره، وشخص لنا ما يدور حوله من معانٍ، فالشاعر يصور خصر المحبوب مرةً بأنه لَيِّنٌ مهفّف،

فيقول: [24] (المديد)

مَاسَ مِنْ لَيْنٍ فَخَفْتُ عَلَى خَصْرِهِ الْوَاهِي وَدَقَّتْهُ⁽²⁾

ومرةً بأنه مزنّر، فيقول: [41] (المنسرح)

إِلَى قَوَامٍ كَأَنَّهُ غُصْنٌ مُزْتَرٍ الْخَصْرَ نَاعِمٍ أَمْلَدُ⁽³⁾

ومرةً هو واهٍ ودقيق، فيقول: [26] (البسيط)

مِنْ كَفٍّ أَهْيَفٍ وَاهِي الْخَصْرِ تَحْسِبُهُ بَدْرًا عَلَى غُصْنٍ فِي الدَّعْصِ مَبُوتَا⁽⁴⁾

ومرةً هو ناحل، فيقول: [88] (المتقارب)

يَمِيسُ عَلَى الدَّعْصِ مِنْ لَيْنِهِ فَأَخْشَى عَلَى خَصْرِهِ النَّاحِلَ⁽⁵⁾

وأما ريق المحبوبة فإنّ نكهةً رائحته كالقرقف، يقول: [32] (السريع)

كَأَنَّمَا رِيْقَتُهَا قَرْقَفٌ تُرْشَفُ مِنْ تِلْكَ الثَّنَائِيَا الْمِلَاحِ⁽⁶⁾

ثم ينتقل في الوصف إلى الوجه، فيصف بهاء وجه المحبوب وجماله بالبدر في تمامه،

وأنه يحوي شفاهاً سوداً تفوحان بالمسك يقول: [32] (السريع)

وَجْهٌ كَبَدْرِ التَّمِّ يَحْوِي لَمَى كَأَنَّهُ الْمِسْكُ إِذَا الْمِسْكُ فَاحٌ⁽⁷⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 330.

(2) نفسه، 276.

(3) نفسه، 294.

(4) نفسه، 278.

(5) نفسه، 330.

(6) نفسه، 285.

(7) نفسه والصفحة نفسها.

ويقول: [50]

(الهزج)

وَالْأَمْعُ فَتَّى كَالْبَدْرِ رَأَوْ أَبْهَى مِنْ الْبَدْرِ⁽¹⁾

ثمّ نراه يصوّر جمال جفن محبوبه بالمرض، يقول: [62]

(المتقارب)

وَأَهْيَفَ ذُو فَالَجٍ كَالْقَضِيبِ بِخَدِّ أَسِيلٍ وَجَفْنٍ مَرِيضٍ⁽²⁾

وقد شبّه جمال جسم المحبوب كاملاً بالقمر الذي لا مثيل له، يقول: [41]

(المنسرح)

يَا قَمَرًا فِي جَمَالِهِ أَوْحَدٌ مِثْلُكَ فِي الْعَالَمِينَ لَا يُوجَدُ⁽³⁾

وقد يصوّر المحبوب بالطّبي والرّشأ، يقول: [24]

(المديد)

رَشَاءٌ مِنْ حُسْنِ صُورَتِهِ بِتِ مَسْرُورًا بِرُؤْيَيْتِهِ⁽⁴⁾

ويقول: [76]

(البسيط)

ثَمَلْتُ مِنْ حُسْنِهِ وَالْكَأْسُ يَرَشُّفُهَا طَبِيٍّ مِنَ التُّرْكِ أَضْحَى وَهُوَ مَعْشُوقٌ⁽⁵⁾

كما يشبه المحبوبة بالطّبية، إذ يقول: [15]

(المنسرح)

إِنْ لَفَتَتْ طَبِيَّةٌ وَإِنْ نَظَرَتْ إِلَيْكَ سَلَّتْ مِنَ الْجُفُونِ طُبًّا⁽⁶⁾

وتلاحظ الباحثة أن جميع تلك الأوصاف السابقة ليست جديدة على الشعر العربي فهي

تقليدية ولا فريدة فيها للشاعر.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 302.

(2) نفسه، 315.

(3) نفسه، 293.

(4) نفسه، 275.

(5) نفسه، 322.

(6) نفسه، 266.

2. المعاني المعنوية:

من المعاني المعنوية التي ترددت في غزله: (لوم العاذل، وتجنّي الرقيب والواشي) ولم يكن هذا الأمر وفقاً على ابن الكتّاني وحده، ولا على شعراء عصره، بل هو ظاهرة عامّة في الشعر العربي القديم، على شاكلة قوله يشكو صدّ الحبيبة، ويأسى لرحيلها، ويتذمّر من

الواشي الذي أفسد العلاقة بينه وبينها، يقول: [43] (المديد)

وَحَبِيبُ كُنْتُ أَرْمُقُهُ خِفَّةَ الْوَاشِينَ مِنْ حَذَرِهِ
صَدَّ ظُلْمًا وَأَنْتَنَى غُصْنًا فَبَعَثْتُ النَّفْسَ فِي أَثَرِهِ⁽¹⁾

ويقول في لوم العاذل: [88] (المتقارب)

يَرُوقُ لِي الْعَذْلُ مِنْ حُبِّهِ فَأَعْشَقُ لِلْأَمِّ الْعَاذِلِ⁽²⁾

ويقول: [1] (مجزوء الرمل)

عَدَّ عَنْ عَتَبٍ وَدَعْنِي عَاذِلِي مِنْ نِكْرٍ عَتَبِ⁽³⁾

وكقوله في الرقيب والحسود: [95] (المنسرح)

فِي لَيْلَةٍ وَالرَّقِيبُ مُنْعَزِلٌ أَحْبَبَهَا وَالْحَسُودُ يَشْنَاهَا⁽⁴⁾

وكقوله في الشاهد والرقيب: [12] (الطويل)

إِذَا مَرَّ بِي طَيْفٌ مِنَ الْحُبِّ زَائِرًا أَقُولُ وَفَوْقِي شَاهِدٌ وَرَقِيبٌ
بِحَقِّ لِيَالِي الْوَصْلِ يَا طَيْفُ هَلْ بَدَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْعَانِي الْمَشُوقِ ذُنُوبُ⁽⁵⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 295.

(2) نفسه، 331.

(3) نفسه، 256.

(4) نفسه، 337.

(5) نفسه، 264.

وَيَصُورُ ابْنَ الْكَتَّانِيِّ فِي غَزَلِيَّاتِهِ أَلَمَ الْفِرَاقِ، وَعَذَابَ الْبَيْنِ، وَمَا يَلْقَاهُ مِنْ أَلَمِ الْهَجْرِ،

يقول: [12]

(الطويل)

أَكْتَمْتُ حُبًّا قَدْ بَرَّانِي صُدُودُهُ وَيَعْرِضُ عَجْبًا إِنَّ ذَا لَعَجِيبُ
يُحْمَلْنِي شَوْقًا وَيَقْتُلْنِي قَلْبِي وَيَبْعُدُ عَنْ عَيْنِي وَهُوَ قَرِيبُ⁽¹⁾

وقد كان للبيئة الشَّاميَّة تأثير واضح في غزليات ابن الكتَّاني ظهرت في أساليبه ومعانيه، ومن مظاهر هذا التأثير: استعارة الشاعر معاني الفروسيَّة في التَّغزل بالمدَّكر، مازجاً بين معاني الغزل ومعاني الحرب، متغنياً بالجمال، ومُصوِّراً المشاعر، ومما لا شك فيه أنَّ هذه الصُّورة قديمة في الشعر، إلَّا أنَّ الشعراء في القرن السَّادس أكثرُوا من ذلك بصورة تسترعي النظر، وعرضوه عرضاً طريفاً، وكأنهم يستوحون بيئتهم، وهي بيئة لم تعرف السَّلم إلَّا لَمَآماً⁽²⁾.

فالشاعر حين يتغزل فإنَّه يبسط جَوْاً يوحي بالقوَّة والجمال، فيسبغ على المحبوب الصِّفات التي تصور محاسنه، ويستعير في ذلك أدوات الحرب والسَّلاح، فجفنه سيف ماضٍ، ونظراته سهم مريَّش، ويستخدم ابن الكتَّاني في وصف أثر هذا الجمال في النفوس ألفاظ القتل والجرح والأسر.

لذا يتَّكأ ابن الكتَّاني على ألفاظ الحرب مصوراً ما يثيره الجمال في نفسه من تباريح

وأشواق، ومن هذه الألفاظ: (سهام، وتراش، ونصول، والقاتل)، إذ يقول: [89] (مخلع البسيط)

مَا لَجِفُّونَ الْمَهَا سِهَامٌ تُرَاشُ مِنْهَا وَلَا نُصُولُ⁽³⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتَّاني"، 264.

(2) ينظر: الرقب، شفيق، الشعر العربي في بلاد الشام في القرن السَّادس الهجري، 238.

(3) القسم الثاني "شعر ابن الكتَّاني"، 333.

ومن ألفاظ الحرب: عسكر وعساكر، يقول: [63] (الطويل)

وَعَسْكَرَ مِنْ سِحْرِ الْجُفُونِ عَسَاكِرًا هُمُ الرِّهْطُ لِلْبُلُوَى فَيَا لَهُمْ رَهْطًا⁽¹⁾

ومن ألفاظ الحرب التي اتكأ عليها: (تنخن، وجراح) يقول: [32] (السريع)

تَرِيشُ بِالْهُدْبِ سِهَامَ الْهَوَى وَتُنْخِنُ الْعَاشِقَ مِنْهَا جِرَاحًا⁽²⁾

ويقول مُشَبَّهًا محبوبه الأسمر بالرَّمَّاحِ السَّمْهَرِيَّةِ: [89] (مخلع البسيط)

أَسْمَرُ كَالسَّمْهَرِيِّ لَدُنْ أَفْرَطٍ فِي خَصَرِهِ النُّحُولُ⁽³⁾

ومن ألفاظ الحرب التي اتكأ عليها: القَيْدُ والأسر، يقول: [54] (مجزوء الكامل)

حَتَّى أَقْبَلَ لَهُ لِيَصِدَّ قِ مَقَالِهِ خَمْسًا وَعَشْرًا
لَمَّا تَمَكَّنَتْ الْمَحَبَّةُ بَعْدَ صِرْتِ كَالْمَصْفُودِ أَسْرًا⁽⁴⁾

مما تقدّم تستطيع الباحثة القول: إنّ غزل ابن الكتّاني تميّز بصورة عامّة بالرقّة في اللفظ، والسّهولة في التعبير، حيث جاء الشاعر بأصداغ ومحار جمّلت ألفاظه ومعانيه وأساليبه وصوره، وذلك بما يحتويه من تصوير اللَّحْظِ والنَّظَرِ بالسَّهْمِ، والعين بالنَّصْلِ، إلى غير ذلك، واستطاع أن يصوغ الصّور الغزليّة القديمة بقلب حيوي جديد وظهر ذلك في حديثه عن الأصداغ والوجنات، ودلّت هذه الصّور على خصب خياله ومقدرته الفائقة.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 316.

(2) نفسه، 285.

(3) نفسه، 333.

(4) نفسه، 306.

وقد برع ابن الكتّاني في التّغزّل بالمدكّر فيبدو كأنّه غزلٌ أنثويّ، فقد استعار من الغزل بالموئنّت كثيرًا من الصُّور الجماليّة والمعاني الغزليّة وأسبغها على محبوبه، فيظن القارئ للوهلة الأولى أنّ المخاطب بهذا الغزل هو أنثى وليس ذكرًا، وقد لوحظ تركيز الشّاعر في غزله على وصف المفاتن الحسيّة كجمال الوجه وتورّد الخد وحمرة، وهففة القدّ، ونحول الجسم بسبب لوعة البعد والفراق.

المبحث الثالث: الإخوانيات:

شاع هذا اللون من الأغراض الشعرية بين الشعراء في القرن السادس الهجري، فقد اتخذوا من الشعر وسيلة للتواصل، يعرضون خلاله ما يطرأ في حياتهم اليومية من مواقف وقضايا خاصة سواء أكانت جدية أم هزلية، ويغدقون فيها مشاعرهم الصادقة وأحاسيسهم الرقيقة منتقين لها أجمل الألفاظ والعبارات.

والإخوانيات عبارة عن رسائل أدبية يتبادلها الأدباء والأصدقاء لبث مشاعرهم وعواطفهم فيها، أو لقضاء حاجة ما، ويصور الشعراء من خلالها العلاقات الاجتماعية بينهم وبين رؤسائهم وأصدقائهم وأحبابهم، وينضوي تحت لواء هذا الفن التهنية، والعتاب، وقصائد الود، والصدقة، والمساجلات الشعرية، والمراسلات، والمعارضات⁽¹⁾.

وقد اتخذ ابن الكتاني من هذا اللون وسيلة للتواصل، فكانت هذه الأشعار بين الشاعر وأصدقائه، وبينه ورجال الدولة من الأمراء والوزراء والملوك، وموضوعات هذا اللون الشعري جمّة، فقد جاءت معرضاً للعتاب أو الشكوى أو الشوق والحنين، كما شملت موضوعات أخرى مثل: طلب الحاجة أو الاستهداء، أو الرد على رسالة صديق بالإضافة إلى الأحداث اليومية، وغير ذلك.

ومن الجدير ذكره أنّ كثيراً من الأغراض الشعرية يدخل ضمن إطار الإخوانيات، ويضيق البحث عن حصرها، فقد تعالج الرسالة الواحدة أغراضاً عدّة في آن واحد، أو تقتصر على جانب واحد، وترى الباحثة أن تكفي ببحث أهم الأغراض التي وظّفها ابن الكتاني في شعره، وصوّر من خلالها طبيعة العلاقة الاجتماعية بينه وبين من يرسلهم، ووجدت الباحثة

(1) ينظر: شيخ أمين، بكري، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، 292.

له في هذا المقام خمس قصائد، وثلاث عشرة مقطوعة، شملت : (المراسلات، الدعوة إلى مجلس، العتاب، الشكوى، طلب الحاجة).

وقد بثَّ ابن الكتَّاني أشواقه إلى أصدقائه في إخوانياته، مثال ذلك ما نظمه جواباً على كتاب بعثه إليه صديقه من الموصل بهاء الدِّين علي بن السَّمين، يعبر فيه عن مشاعر الصَّدَاقَة الرقيقة، فأنتى على كتابه، وابتهجَت عيناه به، ولم تشبَع من النَّظر فيه بين الحين والآخر، فكلَّماته منثورة في الكتاب كالذهب، فجاء ردُّ الشَّاعر شعراً، وذلك في قوله: [42]

(البسيط)

وَأَفَى كِتَابُ بِهِاءِ الدِّينِ فَأَبْتَهَجَتُ عَيْنِي بِذَاكَ فَلَمْ تَشْبَعْ مِنَ النَّظَرِ
وَبَانَ مَنثورُ تَبَرٍ قَدْ سُقِيَ أدَبَا مِنْ وَابِلِ الْفَكْرِ لَا مِنْ وَابِلِ الْمَطَرِ
وَلَمْ أَزَلْ وَحِيَا كَفَيْكَ أُرْتَعُ فِي رَوْضِ الرِّسَائِلِ بَيْنَ الْحَبْرِ وَالْحَبَرِ⁽¹⁾

وقال أيضاً في صدر كتاب كتبه إلى بغداد تضمَّن شوقاً واستيحاشاً لشهاب الدِّين

يوسف العقاب، مصوراً حنينه إليه، حيث لا يمرُّ يومٌ إلَّا ويحنُّ فيه إلى لقائه، يقول: [82]

(الوافر)

كَتَبْتُ إِلَيْكَ مِنْ شَعْفِي وَشَوْقِي شِهَابَ الدِّينِ خَطِّي كَيْ يَرَاكَ
وَقُلْتُ عَسَى يُقْبَلُ حِينَ يَقْرَأَ لَوَاعِجَ مَا كَتَبْتُ إِلَيْكَ فَأَكَأَ
أَحِنُّ إِلَى لِقَاكَ وَأَيُّ يَوْمٍ يَمُرُّ وَلَا أَحِنُّ إِلَى لِقَاكَ⁽²⁾

ونظَّم ابن الكتَّاني قصيدة جواباً على كتاب ورد عليه من بغداد من المقرَّب يونس بن

أحمد القرقوبي - يبدو أنه كان أحد أصدقائه - يتذكر فيها أيام شبابه مع ذلك الصَّدِيق، وهما

يلعبان ويمرحان في بغداد، فتعاوده الذِّكريات، ويتحدَّث عنها وما فيها من أماكن وأيام ورياض

وجيران، يقول: [21]

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتَّاني"، 295.

(²) نفسه، 326.

(مجزوء الكامل)

وَأَفَى كِتَابُكَ يَا مُقَرَّبُ فَبَدَا يُذَكِّرُنِي وَأَعْرَبُ
عَنْ طِيبِ رِيْعَانِ الشَّيْبَا بِ وَنَحْنُ بِالزَّوْرَاءِ نَلْعَبُ
فَلَنَمُتْ أَسْطَرَّةً وَكَدْ تْ أَطِيرُ مِنْ فَرْحِي وَأَطْرَبُ
لِلَّهِ أَيَّامٌ مَمَضَتْ وَأَنَا وَأَنْتَ بِكُلِّ مَكْتَبُ
نَلْهُو بِأَخْلَاقِ الْوَدْ ذَمِّنَ الطَّلَا طَعْمًا وَأَطِيبُ
وَالْعَيْشُ مُخْضَرُ الْوَرَا قِ مُطَرِّزُ الْكَمِّينِ مُذْهَبُ
مَعَ جِزْرَةٍ مَا زَالَ نَا كُلُّ فِي مَجَالِسِهِمْ وَنَشْرَبُ⁽¹⁾

فالشاعر يحدثنا عن ذكريات وأيام وأحبة وصحب له هناك، مُبدِّيًا شوقه لبلاده بكل ما فيها من: أماكن وطبيعة وبشر وحياة، خاتماً القصيدة بالحديث عن القدر الذي جار عليهما بالتفريق بينهما وتشيتت جمعهما، مقررًا أنَّ الدنيا تفعل كما تشاء بأهلها، يقول: [21]

(مجزوء الكامل)

جَارَ الْقَضَاءُ فَشَرَّقَ الْوَدُ بَيْنَ الْمُشْتِ بِنَا وَغَرَبُ
مَا زَالَتِ الدُّنْيَا تَجِي عْ بِأَهْلِهَا أَبَدًا وَتَذْهَبُ⁽²⁾

وكان ابن الكتاني شغوفًا بالخمير مُصرًّا عليها، فها هو ذا يستدعي صديقًا إلى مجلس الشراب، ويزين له ذلك، فقد هيأ له كما يحب ويرضى، جاعلاً لمجلس الخمرة فرائض وحقوقًا، وقد أسبغ عليها ألفاظًا تعجُّ بالصوت والحركة تتمثل في: الضحك والبكاء، والدُموع

(المجتث)

والرقص، يقول: [77]

إِحْضَرْ وَلَا تَتَوَانِي عِنْدِي شَرَابٌ عَتِيقُ
وَمَجْلِسٌ قَدْ تَهَيَّأَ كَمَا يُحِبُّ الصَّدِيقُ

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 272.

(2) نفسه والصفحة نفسها.

إِضْحَكْ لِرَقْصِ الْحُمَيَّا إِذَا بَكَى الْوُفَى الرَّأْوُوقُ
كَأَنَّهُ دَمْعُ عَانٍ قَدْ مَلَّاهُ الْمَعَشُوقُ
فَلَلْمُ دَامَ عَلَيْهِ فَارَائِضُ وَحَقُّوقُ⁽¹⁾

وكان العتاب موضوعاً لبعض الرسائل الإخوانية عند ابن الكتاني، فقد عاتب الشاعر ثلاثة من أهل الحكم هم: (الملك المسعود، والوزير ضياء الدين بن شيخ السلامية، والملك المؤيد نظام الدين).

من ذلك مقطوعته التي عاتب فيها الملك المسعود قطب الدين سكمآن في تخلفه عنه وقلة نظر الديوان في حقه، ويشكو فيها ما هو فيه من العوز والحاجة: [72] (مجزوء الرمل)

قُلْ لِقُطْبِ الدِّينِ يَا سَكَا مَانَ يَا مَالِكَ رِقِّي
يَا كَمِيًّا قَصَّرَ الْآ جَالَ بِالرُّمَحِ الْأَمَقُّ
مُؤْنَتِي مَنِّي وَخُبْزِي مِنْ دَرَاهِمِي وَرِزْقِي
فَمَتَى أَفْلَحَ قُلْ لِي وَمَتَى تَنْجَحُ طُرْقِي⁽²⁾

وفي مقطوعة أخرى زاخرة بالعتاب والشكوى يعاتب ابن الكتاني الملك المسعود بعد أن قُطِع رزقه لانقطاعه عند خدمته، وفيها يعاتبه على نسيانه له، ويسأله أن يلتفت إليه ويهتم به، ويبث ما في صدره، في حين أن كفى الملك المسعود مليئه بالدرهم والذهب، إذ يقول: [73]

(الكامل)

مَا زِلْتُ تَقْطَعُ فِي الشَّتَا رِزْقِي يَا مَنْ عَلَى الْأَمْوَالِ لَا يَبْقِي
قُلْ لِي لِأَيِّ حَالَةٍ وَبِمَا اسْـ تَوَجَّيْتُ فَعَلَّكَ ذَاكَ فِي حَقِّي
مَا قَدَرُ ذَاكَ النَّزْرُ تَمْنَعُهُ عَنِّي وَغَصْنُكَ يَتَاعُ الْعِرْقُ
غَارَتْ عُيُونُ نَدَاكَ أَمْ صَفَرَتْ كَفَّاكَ مِنْ ذَهَبٍ وَمِنْ وَرْقٍ⁽³⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 322-323.

(2) نفسه، 320-321.

(3) نفسه، 321.

كما عاتب ابن الكتاني الوزير ضياء الدين بن شيخ السلامة بآمد لما رأى تناقصه في

حقه، مُعْتَذِرًا إِلَيْهِ مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ قَدْ بَلَغَهُ إِنْسَانُ سَوْءٍ مُحَالًا عَنْهُ: [83] (السريع)

وَاللّٰهُ لَا أَنْسَى وَلَا يَقْتَضِي دِينِي أَنْ أَكْفُرَ نِعْمًا كَا
لَعَلَّ نَذْلًا جَاءَ يَا سَيِّدِي يَنْقُلُ عَنِّي الزُّورَ أَفَّا كَا
يُرِيدُ أَنْ يَنْسَخَ شَرَعَ الْوَفَا لَا كَانَ مَا يَخْتَارُهُ ذَا كَا
وإن جَرَى ذَنْبٌ فَحَاشَاكَ أَنْ تَوَاحِذَ الْمُذْنِبَ حَاشَاكَ (1)

وكتب إلى نظام الدين، يعاتبه لما رأى تناقصه في حقه، واصفًا ما آلت إليه حاله: [65]

(الطويل)

كَسَوْتُكَ مِنْ لَفْظِي مَدِيحًا مُخَلَّدًا وَلَمْ تَكْسُنِي مَعْنَى يَدُومٍ وَلَا لَفْظًا
وَصَيَّرْتَ شِعْرِي فِي ثَنَّاكَ مُشْرَدًا يَطُوفُ فَلَا شَخْطًا يَعَافُ وَلَا غِلْظًا
وَعَاوَضْتَنِي شَيْئًا بِشَيْءٍ وَإِنَّمَا تَفَاوَقْتَ فَاسْتَقْلَعْتَ مِنْ شَجَرِي الْمَظَا
إِذَا كَانَ لَا يَخْشَى مِنَ الْوَعْظِ غَافِلٌ فَمَا يَنْفَعُ الْمَغْرُورَ أَنْ سَمِعَ الْوَعْظَ (2)

وعليه تلحظ الباحثة أن من الأمور التي تستوجب الاعتذار شعراً: العجز عن تنفيذ

وَعْدٍ، أو تلبية أمر، أو الإبطاء في الردّ على كتاب، أو إرسال هدية لا تناسب المقام.

وكانت الشكوى من موضوعات هذا اللون من الشعر، فقد نفذ إلى العصد أبي

الفوارس مرهف بن أسامة بن منقذ رقعةً مدحه فيها وجاء إلى بابه بها فردّه، فقال يشكو من

ذلك، واصفًا إياها بالروضة، فهو عادة يُقَابَلُ الجود بالمديح، ولا يُقَابَلُ مديحه بالصد: [56]

(المنسرح)

جِئْتُ إِلَى بَابِكَ الْكَرِيمِ وَقَدْ نَقَحْتُ فِكْرِي فِي مَدْحِكُمْ دُرًّا
كَأَنَّهَا رَوْضَةٌ وَقَدْ نَثَرْتُ الْغَيْمُ عَلَيْهَا مِنَ النَّدى مَطَرًا
تَضُوعُ مِنْ رِيّهَا إِذَا اضْطَرَبَتْ مِسْكًا فَتَيْقًا وَعَنْبَرًا عَطِرًا

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 326-327.

(2) نفسه، 318.

رَصَعْتُهَا فِي ابْنِ مُنْقِذِ الْعَضْدِ الـ
وَقُلْتُ بِكَرٍّ مِنَ الْكَوَاعِبِ كَالشَّـ
فَصَدَّهَا عَنْ هَوَاهُ أَسْوَدُهُ
أَقَابِلُ الْجُودِ بِالْمَدِيحِ وَمَا
عَالِمٌ عَلَيَّ أَقْضِي بِهَا وَطَرًا
شَمْسٍ رَوْدُ أَنْكَحْتُهَا قَمَرًا
وَمَا دَرَى أَنَّنِي أَبُو الشُّعْرَا
زِلْتُ بِهِذَا أَعَامِلُ الْأَمْرَا⁽¹⁾

وقد اتسع الشاعر في إخوانياته فضمنها الشكوى من الفقر، وطلب ما يحتاج إليه من متاع، كما قال في مقطوعة المشوبة بالشكوى من الفقر، يتقاضى فيها سيف الدين غازي بن مودود بن زكي بن أقسنقر - صاحب الموصل - بفروة، لما كان على نصيبين، ويطلب منه أن ينعم عليه بتلك الفروة لتدفئه في الشتاء، ويستحلفه بالله أن يعطيه مراده، فهو قادر على ذلك،

(الكامل)

يقول: [25]

مَوْلَايَ سَيْفَ الدِّينِ قَدْ هَجَمَ الشِّتَا
وَلَقَدْ ضَمَنْتُ عَلَيْكَ دَامَ لَكَ الْعُلَا
فَانْعَمْ بِحَقِّكَ يَا ابْنَ مَوْدُودِ الَّذِي
تَالَّاهُ أَقْسِمُ حَلْفَةً لَا بُدَّ أَنْ
يَأْيَهَا الْمَلِكُ الَّذِي عَوَّذْتُهُ الـ
لَا زِلْتُ تَكْبِتُ لَيْثَ كُلِّ كَتِيبَةٍ
وَمَتَى تُعَاوِدُ فِرَوْتِي وَإِلَى مَتَى
أَنْ لَيْسَ يَخْلُفُهَا سِوَاكَ إِذَا فَتَى
هَزَمَ الْجُمُوعَ وَجَمَعَ الْمُتَشَتَّتَا
تَمَحُّو بِأَمْرِكَ مَا تَشَاءُ وَتُثْبِتَا
عَوْدَ الثَّلَاثِ وَبِإِلَهِهِ وَهَلْ أَتَى
أَبَدًا وَأَنْتَ مُظْفَرًا لَنْ تُكْبِتَا⁽²⁾

كما نفذ إلى شمس الدولة المبارك بن النفيس بن مخطر رقعة ممزوجة بمشاعر الحب الرقيقة بغرض التقرب منه والتحبب إليه وكسب مرضاته، فأبى غلامُ شمس الدين أن يحملها

(الوافر)

إليه، فكتب إليه متعجبًا، شاكياً، واصفاً ما جرى معه، فيقول: [18]

كَتَبْتُ إِلَيْكَ شَمْسَ الْمُلِكِ خَطًّا
وَقُلْتُ لِبَعْضٍ مَنْ يَغْشَاكَ هَلَّا
وَحُقَّ لِقَدْرِ مِثْلِكَ أَنْ يُهَابَا
حَمَلْتُ لِصَاحِبِي هَذَا الْكِتَابَا

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 307-308.

(2) نفسه، 277.

فَأَطْرَقَ مِنْ رَقَاعَتِهِ قَلِيلًا وَقَالَ أَخَافُ شَمْسَ الْمُلْكِ يَا بِي
فَقُلْتُ وَهَلْ يَرُدُّ الشَّمْسُ خَطًّا تَضْمَنَ فِي كِتَابَتِهِ شَرَابًا⁽¹⁾

ومن موضوعات هذا اللون من الشعر طلب الحاجة، فقد طلب من الوزير ضياء الدين أبي العباس أحمد بن القاسم ابن شيخ السَّلامية شعيراً، وقال له: قد نفذنا إلى الحصن في طلب الشعير، وقد مازج الشاعر فيها بين مراده والمديح، فيقول: [48] (الخفيف)

قَدْ تَقَنَّعْتُ بِالشَّعِيرِ وَمِثْلِي لَا يُجَازِي لِشَعْرِهِ بِالشَّعِيرِ
يَا وَزِيرَ الْمَسْنُودِ سَاعِدِ لِمَنْ لَا يَتَرَجَّي سِوَى أَيْدِي الْوَزِيرِ
كُلُّ شَيْءٍ يَفْنَى سِوَى مِدْحِي فِيهِ كَ وَلَوْ جُدَّتْ لِي بِمُلْكٍ كَبِيرِ
فَنَفَادُ الْقَلِيلِ يَا أَوْحَدَ النَّا سِ يُوَازِي بِهِ نَفَادُ الْكَثِيرِ⁽²⁾

ونظم الشاعر أبياتاً وقد هجم التَّج بآمد، وانقطع الطريق عن الحطب، فنفذ إلى الوزير ضياء الدين أبي العباس أحمد بن القاسم يطلب منه حطباً، فيمازج بين مراده ومدحه، ويضرب به المثل فيقول: إنه أصدق في وعوده من القَطَا، وهو مثل من الأمثال المضروبة في التَّناهي والمبالغة، فأثنى الشاعر على الممدوح علَّه يجود عليه بعطائه، ويحصل منه على الحطب ليدفأ به، يقول: [64] (مجزوء الرجز)

يَا سَيِّدًا أَصْدَقُ فِي وَعُودِهِ مِنَ الْقَطَا
وَمَنْ إِذَا اسْتَرْفَدْتُهُ جَادَ سَمَاحًا وَعَطَا
الْتَّجُ قَدْ جَارَ عَلَيَّ دِيَارِكُمْ وَقَدْ سَطَا
وَعَادَ كَانُونُ كَمَا كَانَ زَمَانًا أَفْرَطَا
وَكُلُّ مَنْ يَحْسَبُ ذَا الشَّ شَهْرَ سَبَاطٍ غَلَطَا
فَلَا تَقُلْ إِلَيَّ مَتَى تَجُورُ هَذَا شَطَطَا

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 269.

(2) نفسه، 299.

كما طالب الشّاعر خطباً من الوزير ضياء الدّين، في مقطوعة أخرى له، ختمها

(مجزوء الرجز)

ويطلب ابن الكتّاني في قصيدة له بعض الحلوى من زين الدّين بهروز بن عبد الله،
وقد هجم البرد في حينها، فيمزج بين مراده ومدحه، وقد أضفى على القصيدة طابع الفكاهة

(المجتبى)

وقال وقد طلب من يونس بن الظَّهير، أَنْ يصنع له حَلْوَةً وينفذها له مع عبده ريحان، فنَفَذَ إِلَيْهِ يَقُولُ: البَيْتُ فِي الحَمَّامِ، واعتذر بعذر بارد، وقد عَرَضَ فِيهَا بِحَدِيثِهِ عَلَى الهُمَامِ الَّذِي

(مجزوء کامل)

لَا ذَنْبَ لِي فِيْمَا طَلَبْتُ

(3) نفسه، 338.

السَّوَّاءُ لِلْسَّيْفِ الَّذِي	سَوَّاءَ بَيْنَ النَّاسِ وَالِي
أَرْسَلْتُ رِيحَانًا إِلَيَّ	كَفَّ الْعَبْدِ خَالِي
وَذَكَرْتُ أَنَّ الْبَيْتَ فِي	حَمَامٍ خُذْتُ عَنِ السُّؤَالِ
أَنَا قَدْ سَأَلْتُكَ حُلُوءَ	مَنْ ذَا سَأَلَكَ عَنِ الْعِيَالِ
أَمَّا الْهُمَامُ فَإِنَّهُ	رَجُلٌ تَرْفَعُ بِالْمُحَالِ
يَسْتَوْعِبُ الدَّخْلَ الْحَرَا	مَ وَلَا يَعِفُّ عَنِ الْحَالِ ⁽¹⁾

خلاصة القول إن الأشعار الإخوانية تعددت أنماطها، لكنها تصب في موضوع واحد، فهي صورة واضحة للعلاقات الاجتماعية بما تحمله من مشاعر صادقة وأحاسيس رقيقة بين الناس وعلاقات اجتماعية فيما بينهم، كما أن هذا الضرب من الشعر عرّض لنا صورة من تلك العلاقات التي كانت بين الناس في تلك الحقبة من الزمن، وما كان يسودها من ودٍّ ومحبة ومجاملات بقصد تمتين أواصر المحبة حيناً، أو سعيًا وراء أغراض ومتطلبات دنيوية حيناً آخر.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 328-329.

المبحث الرابع: الخمرة:

شاع اللّهُو والمجون في العصر الأيوبيّ، حيث أسهب شعراء القرن السّادس الهجريّ في وصف الخمرة ومجالسها وما يتخللها من مجاهرة بالمعاصي، كمعاقرة الخمرة، والاختلاط بالنساء، والتّغزل بالغلمان.

وقد دعا بعض الشعراء إلى شرب الخمرة جهراً دون خوف كما كان يفعل أبو نواس من قبل، وكان هذا السلوك ينطلق من فلسفة كان أربابها يعتقدون أنّ الحياة قصيرة المدى، فيجب ألا يضيعها الإنسان سدى، وإنّما علينا أن ننهب منها كؤوس اللذات، ونروي غلّتنا من أفلاويق الحياة، وألا نضيّعها في حزن دائم وألم مرير، ولا سبيل لنسيان كل ذلك إلا بشرب الخمرة فهي تطرد الهموم وتجعل الشّقاء سعادة، والوحشة أنساً (1).

وعلى الرغم من شيوع الخمرة في شعر شعراء العصر الأيوبيّ، وتناولهم لها في وصفها ووصف مجالسها وألوانها وأوعيتها بدقّة، فقد كشفت لنا أشعار ابن الكتّاني أنّه كان ذا ميل لحياة اللّهُو، وعثرت الباحثة له في هذا المقام على قصيدة واحدة، وثلاث مقطوعات، بالإضافة إلى مقدّمات بعض القصائد وبعض الأبيات المتناثرة التي قالها في الخمر ولكن ضمن قصائد المديح والتّهنئة.

وتلاحظ الباحثة أنّ موضوع الخمرة عند ابن الكتّاني جاء معظمه في سياق قصيدة المدح، وكأنّها جزء مكمل لبناء القصيدة، ومن هذه النّماذج قصيدته التي مدح فيها الملك الصالح وقد تفنّن فيها الشاعر في وصف مجلس الخمرة وسقاتها، واستمتع فيها بشربها مع قَيْنَةٍ حلوة، ذات ثغرٍ لؤلؤيّ وريق عذب يفوح بالمسك والعنبر، فحيثما وجد الخمر، وجدت

(1) ينظر: باشا، عمر موسى، الأدب في بلاد الشام في عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، 566.

مجالسه التي تحفل بالطرب واللهو والمجون، تلك المجالس التي أكثر الشعراء من وصفها،

يقول: [15]

(المنسرح)

وَمَجْلِسٍ رَصَّعَتْ جَوَانِبُهُ عَلَيْكَ يَا نَاصِرَ الدُّنَا ذَهَبًا
تَدُورُ كَاسَاتُهُ وَقَدْ عَقَدَ الْـ مَزْجٌ مِنَ الدَّرِّ حَوْلَهَا حَبًّا
مَعَ قَيْنَةٍ حُلُوةٍ إِذَا عَثَّتْ أَكْفُهَا خِلَتْ جَحْفَلًا لَجَبًا
تَبْسِمُ عَنْ لَوْلُؤٍ كَانَ بِهِ مِسْكًا فَتَيْقًا وَعَنْبَرًا وَكِبَا
يَرُوقُ لِلشَّرْبِ رِيْقُهَا فَإِذَا مَا مَزَجَ الْكَاسَ رِيْقُهَا عَذْبًا⁽¹⁾

يَتَغَنَّى الشاعر بالخمرة التي تورث اللذة والمتعة، ويوازي طعمها بطعم ريق محبوبته

إذ يقول: [32]

(السريع)

كَأَنَّمَا رِيْقَتُهَا قَرْقَفٌ تُرْشَفُ مِنْ تِلْكَ الثَّنَائِيَا الْمِلَاحِ⁽²⁾

فالشاعر في هذا البيت يشرب خمراً، ليست الخمرة التي يشربها العصاة، بل هي من

ريق محبوبته الذي تتبعث منه رائحة حارة تشبه ما ينبعث من الخمر من رائحة طيبة حارة.

وانطلق ابن الكتاني يصف ليلة حالكة في أحد الأديرة، إذ تعد الأديرة من الأماكن

الرئيسة للهو، وكانت هذه الأديرة تقدّم لروادها الخمر المعتقة وغيرها من صنوف المتع،

وظهر ذلك في مقدمة قصيدته التي مدح فيها الملك الصالح، مُتَّخِذاً من سواد الليل ستاراً له

عن أعين الناس، كما أنّ هدوء الليل يبعث السكينة والرّهبة في النفوس، فقد تناول الشاعر

وصف الخمرة التي رغب بها متحرراً في تلك الليلة من قيود المجتمع، حيث بدأ ليلته عندما

شدّه وهده - إلى هذا الدّير - ضوء الخمرة الخالصة السّاطعه منه، فتوجه إلى صومعة في

الدّير ينفرد فيها الرّهبان، مشبّهاً إيّاها بالحبس، فلم يرَ فيها سوى أربعة أو خمسة من الرّهبان

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 266.

(2) نفسه، 285.

مستعيناً في ذلك بِحَدْسِهِ، أحدهم يدرس الإنجيل والآخر خالٍ من الدرس، مُصَوِّراً الرّاح الذي يدور بينهم، أما الخمر فهي عتيقة من عهد كسرى، لكن القسّ لم يُظهِرْها من بخله إلا على قسّ واحد، فلما رأوه يقترب من صومعتهم وثبوا خيفةً؛ لأنّه ليس من جنسهم، يقول: [60]

(السريع)

أَعْوَزَنِي مِنْهَا صُرَاحِيَّةٌ	فِي لَيْلَةٍ حَالَكَةِ اللَّبْسِ
فَصَارَ يَهْدِينِي سَنَاها إِلَى	قَلَائِيَةٍ فِي الدَّيْرِ كَالْحَبْسِ
فَجِئْتُهَا لَمْ أَرْ فِيهَا سِوَى	أَرْبَعَةٍ بِالْحَزْرِ أَوْ خَمْسِ
وَوَاحِدٍ يَدْرُسُ إِنْجِيلَهُ	وَوَاحِدٍ خَالٍ مِنَ الدَّرْسِ
وَبَيْنَهُمْ مَشْمُولَةٌ عُنُقَتْ	مِنْ عَهْدِ كِسْرَى مَلِكِ الْفُرسِ
عُنُقَهَا الْقَسُّ فَلَمْ يَجْلُهَا	مِنْ شُحِّهِ إِلَّا عَلَى قَسٍّ
لَمَّا رَأَوْنِي وَثَبُوا خِيفَةً	وَالْجِنْسُ لَا يَهُوَى سِوَى الْجِنْسِ ⁽¹⁾

ثم يصف الشّاعر بأسلوب قصصيّ الحوار الذي دار بينه وبين رهبان الدَّير، متوجهين إليه بالسؤال عن سبب هدايته لهذا المكان، هل هو ضوء الخمرة السّاطع أم رائحتها المعطرة بالنّشر، فبرّر ذلك بهروب عينيه إلى ذلك المكان مقتفياً أثر ما رآته عيناه، وبقي يخدعهم بحواره خشية اكتشافهم الفخّ الذي نصبه لهم، فحدّثهم عن الرُّوم وعن كَيْفِيَّةِ اقْتِنَالِهِمْ،

(السريع)

لعلّه بعد هذا الفخ ينال من شرب الخمرة العتيقة، فيقول: [60]

قَالُوا: سَنَى ذَلِكَ أَمْ نَشْرُهَا	هَذَاكَ يَا ابْنَ السَّادَةِ الْخُمْسِ
فَقُلْتُ: عَيْنٌ شَرَدَتْ مِنْ يَدِي	فَجِئْتُ أَقْفُو أَثَرَ الْعَنْسِ
عَنْسَاءُ كَالْبِرْسِ فَهَلْ فِيكُمْ	مِنْ شَامٍ لِي عَنْسَاءُ كَالْبِرْسِ
وَلَمْ أَزَلْ أَخْدَعُهُمْ حِيلَةً	أَخْشَى عَلَى الْفَخِّ مِنَ الْفَقْسِ
وَصِرْتُ أَحْكِي لَهُمْ مَا جَرَى	عَلَى بَنِي الْأَصْفَرِ فِي الْمَقْسِ ⁽²⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 311.

(2) نفسه، 311-312.

وَقَتْلَةَ الْغُبْسِ بِأَسْيَافٍ مَنْ لَمْ يُبْقِ فِي مِصْرَ عَلَى الْغُبْسِ
وَكَانَ قَصْدِي شُرْبَ فَقْصِيَّةٍ لَيْسَتْ مِنَ التَّمْرِ وَلَا الدَّبْسِ
مَا يَقْلَعُ الْقَلَاعُ مَعَ حَذْقِهِ لَطَعَهَا الطَّيِّبُ مِنْ ضَرْسِي
لِلَّهِ أَيَّامٌ مَضَتْ طَيِّبَةً قَضَيْتُهَا بِالشُّرْبِ فِي الْغَرَسِ⁽¹⁾

عَشِقَ ابْنُ الْكَتَّانِيِّ الْخَمْرَةَ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهَا كَانَتْ مَلَاذًا لَهُ، وَقَدْ عَلَّلَ شَرْبَهُ لَهَا لِيُخْفِيَ
الْأَلَمَ الَّذِي بَدَاخِلَهُ، فَالْخَمْرَةُ تَجْلِبُ لَهُ السَّرُورَ، وَتُطْفِئُ حَزَنَهُ وَكَرْبَهُ، وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَمَا تَدْعُوهُ
شَهْوَةُ الشُّرْبِ إِلَى طَلَبِ الْخَمْرَةِ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ضَمَنَ قَصِيدَتِهِ الَّتِي قَالَهَا فِي السَّدِيدِ الطَّيِّبِ

يَسْتَهْدِيهِ شَرَابًا: [2] (الهزج)

دَعْتَنِي شَهْوَةُ اللَّهْوِ إِلَى الْمَأْكُولِ وَالشُّرْبِ
إِلَى مَشْمُولَةٍ تَحْكِي أَرِيحَ الْمَنْدَلِ الرَّطْبِ
لَنْنُ رَوَيْنَتَنِي مِنْهَا بِمَا أُطْفِي بِهِ كَرِيي
سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُعْطِيَنِي كَفَّ فِي أَوْلَادِكَ النُّجَبِ⁽²⁾

وَالْخَمْرَةُ عِنْدَ الشَّاعِرِ جَمَعَتْ شَمْلَ اللَّهْوِ بَعْدَ أَنْ فَرَّقَهُ جَيْشُ الْهَمُومِ، وَبِتَدَاوِي بِهَا كُلَّ

مَرِيضٍ، يَقُولُ: [89] (مخلع البسيط)

فَجَمَعْتُ شَمْلَهُ الشَّمُولُ فَرَّقَ جَيْشُ الْهَمُومِ لَهُوًا
وَهُوَ عَلَى سُكْرِهِ ثَقِيلُ تَخِيفُ بِالشَّارِبِ الْحُمَيَّا
مَعَ النُّدَامَى فَقَالَ قِيلُ لَمْ يَبْدُ مِنْهُ عَلَى مُدَامٍ
بِهَذَا يُدَاوَى الصَّبُّ الْعَلِيلُ⁽³⁾ نَاوَلَنِي مِنْ يَدَيْهِ رَاحًا

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 311-312.

(2) نفسه، 258.

(3) نفسه، 333.

وليس للشاعر صبرٌ على الخمرة فيوجه كتاباً إلى صديق يدعوه فيه إلى القدوم لشرب الخمرة، مُزِيناً له مجلس الشَّراب، وقد أشارت الباحثة إلى تلك المقطوعة في معرض حديثها عن الإخوانيات⁽¹⁾.

ولم يجد الشاعر حرجاً في أبيات أخرى قالها وقد نفذها إلى شمس الدولة المبارك بن النفيس بن مخطر يقتضي منه أن يحنَّ عليه بكرمه وجوده ويمنحه جرّة من الخمرة، ولم يكتف بذلك بل يودُّ لو يتكرم عليه ويمنحه مع الشَّراب قياناً وغلماً صغار السن: [6] (الخفيف)

كَانَ رَسْمِي عَلَى الْمُبَارَكِ شَمْسِ الدِّ	دَوْلَةُ الْمَاجِدِ الْكَرِيمِ الْمُهَابِ
أَنْتَنِي لَا عَدِمْتُ جُودَ أَيَادِيْ	هَ إِذَا مَا خَلَوْتُ مَعَ أَحْبَابِي
أَقْتَضِي طَوْلَهُ الْكَرِيمِ وَإِنْ عَم	مَ بِنُقْلٍ وَجَرَّةٍ مِنْ شَرَابِ
وَقِيَانٍ وَشَيْشِكٍ حَدَثَ السَّنْ	نِ لَطِيفٍ يَأْتِي بِرَسْمِ الْكِبَابِ
وَقَدْ احْتَجَّتْ وَالرَّئِيسُ إِذَا اضْطَرُّ	رَ يَوْمُ السَّبَّاحِ دُونَ الْكِلَابِ
لَا بَرَحْتَ الزَّمَانَ فِي نَعَمٍ تَتَّ	رَى وَفِي دَوْلَةٍ بَغِيرِ انْقِلَابِ ⁽²⁾

ومن الأبيات التي تطرَّق فيها إلى الخمرة ما نظمَه في مقدمة قصيدة هنأ فيها الملك المسعود قطب الدين بعيد الفطر، وطلب منه أن يرتشف الخمرة فجراً بالتزامن مع أذان الديوك، ثم لجأ إلى وصفها، فهي مشرقة تُتِيرُ الليل من حولها، كأنَّها نارٌ مشتعلة، كما صور مزاجها الذي يكسو الكأس بالإكليل الذي يضاهي اللؤلؤ المسكوك، وهي بنت كرم حمراء كالدم المسفوك، ولم يكتف الشاعر بذلك بل يدعو أصحابه إلى مجلس الشَّراب ليشربوا الخمرة من كف غلام أغيد معسول التنايا، فيجعلهم يشربون ويطربون على سماع الجنوك، فما إن أقبل أصحابه حتى زُفَّت الخمرة إليهم، فيقول: [81]

(1) ينظر: الدراسة، 91-92.

(2) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 259-260.

(الخفيف)

جَاءَكَ الْعِيدُ يَا أَجَلَ الْمُلُوكِ فَارْتَشِفْهَا عَلَى أَذَانِ الدُّيُوكِ
مَنْ سَلَفَ تُضِيءُ فِي اللَّيْلَةِ اللَّيْلِ سَلَاءَ نَارًا فِي جَوْهَرِ مَسْبُوكِ
قَدْ كَسَاهَا الْمِرْاجُ فِي الْكَأْسِ إَكْلِي لَا يُضَاهِي لِلْوُلُوفِ الْمَسْكُوكِ
بُنْتُ كَرَمٍ حَمْرَاءَ صَيَّرَهَا الْعَصَ رُمَعَ الْعَصْرُ كَالِدَمِّ الْمَسْفُوكِ
يَتَمَنَّى الشُّهُودُ أَنْ شَاهِدُوهَا مَعَ غَيْبِي وَمَقْتَرِ صُغُوكِ
يَا صَحَابِي دَعُوا التَّمَعُّلَ فِي الشَّرِّ بَ وَجُنُّوا عَلَى اسْتِمَاعِ الْجُنُوكِ
وَأَشْرَبُوهَا مِنْ كَفٍّ أَغِيدَ مَعْسُ لِ الثَّنَائِيَا مُقَرَّطَقِ جَاوُوكِ
بَابِلِي اللَّحَاطِ لَوْ نَدَسَ الْمُنْ زَرَّ أَوْهَى بِخَصْرِهِ الْمَبْتُوكِ
وَأَجْتَلُوا وَجْهَهَا فَقَدْ زَفَّهَا الرَّأ وَوُقْ زَفَّ الْأُسْتَاذِ لِلْمَمْلُوكِ⁽¹⁾

ومن الأبيات التي يظهر فيها عشق الشاعر للخمرة، ومجاهرته لها، ما قاله ضمن قصيدة مدح فيها الملك الصالح، واصفاً فيها الخمرة وهي في الكأس وحولها الحبب بالإكليل المرصع بالجواهر، وتتجلى في الكأس كأنها القنديل الذي يشع نوراً، وهي تحاكي المسك وتفوق الزنجبيل، وترقص في الكأس حتى لو رآها الصديق ترقص فيه لأصبح لها الصديق صديقاً، فالشاعر يعشق الخمرة ويجلّها؛ لأنها تجري فيه كروحه، مستخدماً في ذلك كله

(الخفيف)

الأساليب الإنشائية، كالطلب والأمر، يقول: [91]

قُلْ لِسَاقِي الشَّمُولِ حُثَّ الشَّمُولَا وَأَدْرَهَا سُـلَافَةً سُـسَبِيلَا
وَاسْقَتِيهَا عَذْرَاءَ قَدْ عَقَدَ الْمَزْ جُ مِنْ الْحَبِّ حَوْلَهَا إَكْلِيلَا
لَوْ تَجَلَّتْ فِي كَاسِهَا غَسَقَ اللَّيْلِ لِمِنْ النُّورِ خَلَّتْهَا قَنْدِيلَا
فَاصْطَبَحْهَا مُدَامَةً حَكَتِ الْمِسْ كَ ذَكَاءَ وَفَاقَتْ الزَّجْبِيلَا⁽²⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكثاني"، 325-326.

(2) نفسه، 334.

لَوْ رَأَاهَا الْخَلِيلُ تَرَقُّصُ فِي الرَّأِ حَ لِأَضْحَى لَهَا الْخَلِيلُ خَلِيلًا
وَلَمَّا لَا أَجْلُهَا وَهِيَ كَالْأَرِ وَاحِ تَجْرِي فِينَا قَلِيلًا قَلِيلًا⁽¹⁾

وقد دعا الشاعر إلى الإقبال على اللهو والشراب في أكناف الطبيعة الخلابة، ويظهر ذلك من خلال دعوته للشراب على نفحات الأزهار والثمار في أرض (هيت) العامرة،

يقول: [26]

(البسيط)

اشْرَبْ عَلَى نَفَحَاتِ الرُّندِ مِنْ هَيْتَا حَمْرَاءَ تَحْسِبُهَا فِي الْكَأْسِ يَأْفُوتَا
سُلَافَةً كَدُمُوعِ الْمُزْنِ صَافِيَةً تَهْوَى الدُّنَانِ وَتَجْتَازُ الْحَوَانِيَتَا
عَذْرَاءَ لَمْ يَفْتَرِعْهَا فِي الْوَرَى أَحَدٌ سِوَى الْمِزَاجِ فَرَوَّجَهَا بِمَنْ شَيْتَا
تَزْدَادُ هَمًّا إِذَا مَا غَبَّتْ قَاتِلَهَا حِينًا وَتَفْرَحُ أَحْيَانًا إِذَا جِيَتَا⁽²⁾

وتلاحظ الباحثة هنا كيف تطرَّق ابن الكتاني إلى لون الخمر، فهي حمراء اللون

كالياقوت، وصافية كدموع السحاب الماطر، وعذراء لم يفتزعها أحد قبله.

والشاعر في لونه الشعري يذكرنا بخمريَّات أبي نواس المتهتكة الخليعة، فهو في أبيات أخرى له ضمنها قصيدة هنا بها عماد الدين بعيد الفطر، يدعو إلى التمتع بالخمر صباحاً، مقررّاً أنها أحلى من الحلال، وأقسى من قلوب الفتيات العذارى والفنيات المتصفات بالحياء،

يقول: [23]

(الخفيف)

بَاكِرِ الرَّاحِ قَبْلَ وَقْتِ الصَّلَاةِ وَاعْتَنِمْ عُقْلَةَ الزَّمَانِ الْمُوَاتِي
فِي انْبِلَاجِ الصَّبَاحِ تَنْتَهِزُ الْأَقْدَا دَاخُ لَا فِي غِيَاهِبِ الْحَالِكَاتِ
وَاجْتَلِيهَا بِكْرًا فَأَحْسَنُ مَا تُجِبُ لِي عَلَيْنَا مُسْتَحْسَنَاتُ الْبَنَاتِ
فَهِيَ أَحْلَى مِنَ الْحَلَالِ وَأَقْسَى مِنْ قُلُوبِ الْخَرَائِدِ الْخَفِرَاتِ⁽³⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 334.

(2) نفسه، 278.

(3) نفسه، 274.

ويظهر تأثر الشاعر بأبي نواس في الأبيات السابقة، إذ يقول أبو نواس: (الطويل)

أَلَا سَقَّتِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسَقِّتِي سِرًّا إِذَا أَمَكْنَ الْجَهْرُ⁽¹⁾
ويصف ابن الكتاني الخمرة في مقطوعة له بأنها تذهب العقول، كما يُذهب الحلم ثورة

الغضب، فالخمرة أخذت عقله وسلبت لُبّه، يقول: [3] (المنسرح)

تُغَيِّرُ الْخَمْرُ لِلْعُقُولِ كَمَا تُغَيِّرُ الْحِلْمَ سَوْرَةَ الْغَضَبِ
فَاصْفَحْ وَلَا تُعْتَبِ الزَّمَانَ عَلَى مَنْ سَلَبَتْ لُبَّهُ ابْنَةُ الْعَنْبِ⁽²⁾

ومن الجدير ذكره أنَّ ابن الكتاني يعدد أسماء مختلفة للخمرة: كالشُمول، والراح والمُدام، والسُّلَافَة، والإسْفَنط، والعقار والقهوة، والمزّة، والعنيفة، وقرقف، وبنت كرم، وابنة العنب، وابنة الخدر، كذلك نجده خبيرًا بالبلاد والمواضع التي تشتهر بالخمرة وتُنسب إليها مثل: صرخد، وبابل، وقُطْرُبُل.

وتتكرّر في شعر ابن الكتاني صورة الخمرة العنيفة، وتظهر من خلالها صورة السنين من خلال الكنايات الكثيرة التي عبّر فيها عن الخمر العنيفة، فهي مرّة قد عُنَّتْ من عصر

هامان، فيقول: [19] (مجزوء الرجز)

مُدَامَةً قَدْ عُنَّتْ مِنْ عَصْرِ هَامَانَ حَقَبٌ⁽³⁾

ومرّة عُنَّتْ من عهد كسرى ملك الفرس، فيقول: [60] (السريع)

وَبَيْنَهُمْ مَشْمُولَةٌ عُنَّتْ مِنْ عَهْدِ كِسْرَى مَلِكِ الْفَرَسِ⁽⁴⁾

ومرّة هي أعتق من عهد آدم، فيقول: [50]

(1) أبو نواس، الديوان، 97/1.

(2) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 259.

(3) نفسه، 270.

(4) نفسه، 311.

(الهمزج)

إِلَى مَشْمُولَةٍ أَعْتَقَ _____ قَ مِنْ آدَمَ فِي الذَّرِّ (1)

ومرّة عصرتها يد الزمان وعُتِّقَتْ بِقُطْرُبُلٍ، فيقول: [61] (الخفيف)

بُنْتُ كَرَمٍ كَانَتْ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ _____ هُ شُهُورًا مِنْ قَبْلِهَا وَأَنَاسَا

عَصَرَتْهَا يَدُ الزَّمَانِ فَمَا تَعَا _____ رِفُ قَسَا وَلَا رَأَتْ شَمَاسَا

فَهُوَ عَتَّقَتْ بِقُطْرُبُلِ الزَّوْ رَاءَ تَنْفِي الْهُمُومِ وَالْوَسْوَاسَا (2)

ويستطرد الشاعر في حديثه عن الخمر، ويمعن النظر في وصفها، فهي ألدُّ من العسل

وتُستخرج من العنب، ويطوف من حولها الحبب كأنه قلائد من الجواهر، لها لهبٌ تتراءى

فيه كالشمس بل هي أحسن من لون الذهب، ترقص طرباً إذا غنى بها الراووق في الكأس،

يقول: [19] (مجزوء الرجز)

أَلَدُّ مِنْ طَعْمِ الضَّرْبِ _____ مَا أَنَسَاغَ مِنْ مَاءِ الْعِنَبِ

مُدَامَةً قَدْ عَتَّقَتْ _____ مِنْ عَصْرِ هَامَانَ حَقَبِ

كَانَتْ وَلَا شَيْءَ يُرَى _____ قَبْلَ جُمَادَى وَرَجَبِ

قَدْ نَظَمَتْ فِي جِيدِهَا _____ قَلَائِدًا مِنَ الْحَبَبِ

لَهَا إِذَا مَا بُزِلَتْ _____ فِي غَسَقِ اللَّيْلِ لَهَبِ

كَالشَّمْسِ إِلَّا أَنَّهَا _____ أَحْسَنُ مِنْ لَوْنِ الذَّهَبِ

تَرْقُصُ إِذْ غَنَّى بِهَا الرُّ رَاوُوقُ فِي الْكَأْسِ طَرَبِ (3)

والخمرة عنده حمراء كاللياقوت تجلّى على شرابها كما تجلّى العذارى في ليلة العرس،

يقول: [60]

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 301.

(2) نفسه، 313.

(3) نفسه، 270.

(السريع)

حَمْرَاءَ كَالْيَاقُوتِ لَا مُزَّةَ تَمْنَعُ أَوْ صَافِرَاءَ كَالْوَرَسِ
تُجَلَّى عَلَى شُرَابِهَا مِثْلَ مَا تُجَلَّى الْعَذَارَى لَيْلَةَ الْعُرْسِ⁽¹⁾

وكان مجلس الخمرة عند ابن الكتاني يعجّ بالقيان والجواري والغلمان والسّاقى

والسّاقية، فهاهو ذا يصف قينة جميلة تغني بصوتها الجميل، فيقول: [49] (المنسرح)

وَقَيْنَةٌ بِالْجَمَالِ حَالِيَّةِ الْـ حَالٍ تُغْنِي بِصَوْتِهَا الْخَمِرَ⁽²⁾

وفي معرض حديثه عن الخمرة ومجلسها ينتقل ابن الكتاني إلى السّاقى، فهو غلام

أهيف، واهي الخصر، بدرّ في جماله، ولم يكتفِ بذلك بل تفنّن في وصف عذاره فشبّهه

وقد بدا على خدّه بالمسك، يقول: [26] (البسيط)

مَنْ كَفَّ أَهْيَفَ وَاهِي الْخَصْرِ تَحْسَبُهُ بَدْرًا عَلَى غُصْنٍ فِي الدَّعْصِ مَثْبُوتَا
كَأَنَّ فَوْقَ عَذَارِيهِ وَقَدْ نَفَضْتُ أَصْدَاغُهُ وَرَقًا بِالْمِسْكِ مَلْتُوتَا⁽³⁾

ومجالس الشّراب تكتّم مع انبعاث الألحان، فالغناء من مستلزمات الشّراب، فيصف

ابن الكتاني الآلات الموسيقية التي يُعزف عليها في مجلس الخمرة، ومن هذه الآلات النّاي

وفي ذلك يقول: [49] (المنسرح)

بِتُّ أُعَاطِي الْكُؤُوسَ فِي السَّحَرِ عَلَى أَنْبِينِ النَّايَاتِ وَالْوَتَرِ⁽⁴⁾

وكذلك قوله في العود وقد أعجب الشّاعر به، فنراه يقرن بينه وبين قينة: [60] (السريع)

قُمْ فَاسْقِنِي يَا طَلْعَةَ الشَّمْسِ سُلَافَةً تَحْيَا بِهَا نَفْسِي
مَعَ قَيْنَةٍ تَطْرِبُ إِنْ رَجَعْتُ صَوْتًا بَعُودٍ طَيِّبِ الْحِسِّ⁽⁵⁾

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 310.

(²) نفسه، 299.

(³) نفسه، 278.

(⁴) نفسه، 299.

(⁵) نفسه، 309.

ويجمع الشاعر من هذه الآلات العود والطَّبل والزَّمر في بيت واحد فيقول: [56] (الهج)

إِذَا مَا أَلْفَ الرَّأُو
قَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْخَمْرِ
وَطَابَتْ نَعَمَاتُ الْعُو
دِ بَيْنَ الطَّبْلِ وَالزَّمْرِ⁽¹⁾

من هنا نجد أنَّ ابن الكتَّاني صوَّر الخمرة بصور جميلة، تمامًا كما صوَّرها شعراء عصره الذين توسَّعوا في وصفها، فتحدَّث عن شربها ولونها ومجالسها وأوعيتها وغير ذلك، وقد بدا ذلك جليًّا واضحًا في مقدمات قصائده، وتستطيع الباحثة أن تحكم بأنَّ الشاعر قد قال هذه الأشعار مجازةً للعصر، لِيُثَبَّتَ - كما حاول غيره من الشعراء - رسوخَ قدمه وطول باعه في مثل هذه الموضوعات.

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتَّاني"، 302.

المبحث الخامس: الوصف:

يعدّ شعر الوصف من الأغراض الشائعة في شعر القرن السادس الهجريّ، ويؤكد ابن رشيق القيروانيّ على أنّ الشعر: " راجع إلى باب الوصف "(1)، إذ هو عمود الشعر وعماده، ويدخل في جميع أغراض الشعر " فكل أغراض الشعر وصف: فالمدح وصف نبل الرجل وفضله، والنسيب وصف النساء، والحنين إليهن، والشوق إلى لقائهن، والرثاء وصف محاسن الميت، وتصوير أياديه وآثاره، والهجاء وصف سوءات المهجو، وتصوير نقائصه ومعائبه، وهكذا نستطيع أن ندخل جميع فنون الشعر تحت الوصف "(2).

وعليه فإنّ شعر الوصف من أبواب الشعر التي لا غنى للشاعر عنها، فإن لم يُقصد لذاته فإنّه يتداخل مع معظم أغراض الشعر الأخرى، وابن الكتّاني لا يتطرق إلى غرض الوصف بذاته، فكثيراً ما يأتي وصفه من خلال حديثه عن أغراضه الأخرى، ومما يتّصل بالوصف حديثه عن فضائل البلدان، فابن الكتّاني يصف الطبيعة في حنينه لبغداد، مُعَدِّقاً عليها وعلى بلاد العراق كل مظاهر الحسن والجمال، ويتصل به الحديث عن مجلس اللهو والشراب مع أحبّته، ووصفه لمحبوّبه أو لمحبوّبه متغزلاً بهما، متحدّثاً عن أيام وصاله بهما.

وقد جاء شعر الوصف في شعر ابن الكتّاني على شكلين:

الأول: مستقلٌّ في بعض مقطوعات شعره وبلغت ست مقطوعات.

الثاني: في ثنايا بعض الفنون الأخرى وفي أبيات متناثرة هنا وهناك تخلّلت أغراض شعره التي طرقها.

(1) العمدة، 294/2.

(2) شيخ أمين، بكري، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، 149.

أولاً: الوصف في مقطوعات مستقلة:

يصف لنا ابن الكتاني في مقطوعة له نقطة سوداء بين ثنايا بيض وذلك في صباه،

فلولا النقطة السوداء التي شبَّهها بسواد العين لما كان لبياض أسنانه نوراً ولا أثر، يقول: [67]

(الطويل)

وَتَغْرِ نَقِيٍّ غَيْرَ شَيْنٍ كَأَنَّهُ لَالٍ نَظْمَنَاهَا يُفْصِّلُهَا جَزَعُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَيْنَ لَوْلَا سَوَادُهَا لَمَا كَانَ نُورٌ لِلْبَيَاضِ وَلَا وَقَعُ⁽¹⁾

وفي مقطوعة أخرى وصف ابن الكتاني إناءً من الفضة، يضاهي لون السماء في

صفائه، مصوراً المراحل التي يمرُّ بها ليخرج منه مصاعاً وأصنافاً من الفضة: [71] (الخفيف)

أَنَا طَاسٌ مِنَ اللَّجَيْنِ وَلَكِنِّي نِيَّ أَضَاهِي السَّمَاءِ لَوْنًا وَطَرْفًا
كَمْ تَمَرَّرْتُ فِي الْجَحِيمِ وَكَمْ صِرْتُ تُمَصَّاعًا وَكَمْ تَقَلَّبْتُ صِنْفًا⁽²⁾

وقال الشاعر يصف النحول الذي أصابه من شدة الشوق، ووصف أثر الشوق عليه،

فأنحل جسمه، حتى لم يعد يظهر للعيان، إذ يقول: [44] (السريع)

أُنْحَلَنِي الشُّوقُ فَلَوْ أَنَّ نِيَّ وَلَجْتُ فِي جَفْنِكَ لَمْ تَشْعُرْ
وَصِرْتُ لَا شَيْءَ وَمَنْ لَمْ يَبْنِ كَيْفَ تَنَاجِيهِ وَلَمْ يُبْصِرْ⁽³⁾

وقال الشاعر في مقطوعة أخرى له يصف فيها ساقياً وهو يطوف بخمرة لها حبيب

يتطاير مثل الكواكب، وقد بدت الخمرة في الكأس شمساً: [5] (الطويل)

أَقُولُ وَسَاقِيًّا يَطُوفُ بِقَهْوَةٍ لَهَا حَبَبٌ يَرْفُضُ مِثْلَ الْكَوَاكِبِ
بَدَتْ فِي سَمَاءِ الْكَأْسِ شَمْسًا وَمَنْ رَأَى سَنَى الشَّمْسِ مَا بَيْنَ النُّجُومِ النَّوَاقِبِ⁽⁴⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 319.

(2) نفسه، 320.

(3) نفسه، 296.

(4) نفسه، 259.

وقال في صبيٍّ كلما زاده إحساناً زاده إساءة، وكان قد أنحله هواه فذكر الإساءة فجفاه،
فالشاعر يصف هجره له، حتى تمنى من الدهر أن يفجعه بصدّه من شدة ما أصابه منه

يقول: [94]

(البسيط)

لَا تَعْجَبُوا لِمُحِبِّ كُنْتُ أُوثِرُهُ بِنَاطِرِي وَرَوْحِي كُنْتُ أَفْدِيهِ
أَسْدَى إِلَيَّ قَبِيحًا كَيَّ يُعَاقِبُنِي فَكَانَ لِلْهَجْرِ أَحْلَى مِنْ تَلَافِيهِ
وَعَيْدُهُ أَنَّ مَا أَسْدَاهُ يُمْرِضُنِي فَكَانَ عَيْنَ شِفَائِي وَالِدَوَا فِيهِ
فَلَيْتَهُ لَا يَزَالُ الدَّهْرُ يَفْجَعُنِي بِصَدِّهِ وَبِصَابٍ مِنْ تَجَنِّيهِ⁽¹⁾

ويصف ابن الكتاني منديلاً فيه نقش دقيق، فيقول فيه: [74] (مجزوء الكامل)

لِمَ لَا أَتِيهِ عَلَى الْفَتِيْق وَأَسْوَدُ كَاسَاتِ الرَّحِيْق
وَتَحَارُ فِي حُسْنِي الْعِيُو نُ لِمَصْنَعَةِ النَّقْشِ الدَّقِيْق
وَتَقْلُنِي كَفَّ تَرْفُـ فَعُ عَنْ مَلَامَسَةِ الدَّبِيْقِي
مَا زَالَ يَنْتُمِي الْعَقِيـ سَقَ إِذَا احْتَسَاهَا كَالْعَقِيْق
فَأَنَا رَفِيْقُ أَخِي الظُّرَا فَهَ وَهُوَ مِنْ حُبِّي رَفِيْقِي⁽²⁾

ويصف ابن الكتاني في أبيات أخرى طول ليل قضاه في السهر، مصوراً الأرق الذي
سيطر على نفسه، فشكى من طوله وقد بات وحيداً، حتى ظل يراقب النجوم لعل ليله ينقضي،

وكانت مهجة قلبه تشكو من قصره، فيقول: [49]

(المديد)

رُبَّ لَيْلٍ بَتُّ مِنْ سَهْرِهِ أَجْتَلِي الْجَوَزَاءَ فِي قَمَرِهِ
ظَلْتُ أَشْكُو طَوْلَهُ وَمَنَى مُهَجَّتِي تَشْكُوهُ مِنْ قِصَرِهِ
لَمْ يُحْمَلْنَا أَنْقِضَاءَ هَوَى كُلُّ إِنْسَانٍ عَلَى قَدَرِهِ⁽³⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 336-337.

(2) نفسه، 321.

(3) نفسه، 295.

ثانيًا: الوصف في أغراض أخرى:

وصف الشاعر في أبيات له روضة غناء، أثناء غرض المدح، إذ يقول: [62] (المقارب)

وَمَا رَوْضَةٌ أُنْفُ كَالْعَبِيرِ سَقَتْهَا عَيْونٌ يَعَالِيلُ بِيضُ
يُلَاعِبُهَا الطَّلُّ حَتَّى النَّسِيمِ وَيَضْحَكُهَا لَمَعَانُ الْوَمِيضُ
وَيُطْلِعُهَا شُهْبًا كَالنُّجُومِ تَأْرَجُ مَا بَيْنَ رَوْضٍ أَرِيضُ⁽¹⁾

تعكس الأبيات السابقة افتتاحان الشاعر بهذه الروضة البديعة المتكاملة في معاني حسناتها وروعيتها، فنحن هنا أمام روضة أنف لم يرعها أحد، فاضت حسناً وجمالاً وروعة، وتحيط بتلك الروضة عيون ماء صافية، وتكتمل الصورة حسناً بتساقط قطرات الطل الذي يلاعبها النسيم، حتى بدت الشمس ضاحكة، ترسل وميضها من خلف هذا المنظر، وهذه الروضة لينة طيبة بيضاء كالنجوم.

مما تقدم تلحظ الباحثة أن شعر الوصف دار في اتجاهات عدة من بينها وصف الطبيعة، فشعر وصف الطبيعة يمثل الطبيعة وما اشتملت عليه، في جوّ طبيعي يزيده جمالاً خيال الشاعر، ويصنّف هذا اللون من الشعر بأنه "في الذروة من فن الوصف العام"⁽²⁾.

ومن الجدير ذكره أن صور الشعر في العصر الأيوبي جاءت متناثرة ومستوحاة من الطبيعة الواسعة، فالشاعر في ذلك العصر يأتي بصوره ولوحاته المتناغمة من الطبيعة مع كل مفرداتها، مستعيراً ألوانها ومستضيئاً بنورها، فإذا مدح فإنه يمدح ببحرها، وإذا تغزل فإنه يتغزل بنجومها، وإذا تناول في شعره الخمرة فإنه يتلذذ بشربها بين أحضان الطبيعة، هذا بالإضافة إلى صور أخرى كثيرة استمدّها الشاعر من الطبيعة الصامتة، فمن الصبح طلعت، ومن الليل سواده، ومن البحر صفاؤه، ومازج بينها وبين صفات المرأة الجسدية.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكثاني"، 314.

(2) خريوش، حسين، ابن بسام وكتابه الذخيرة، 150.

ولا يلامُّ الشاعر في استعارة صورهِ من الطَّبيعة المحيطة به، ولا ينقص ذلك من شعره، فهو ابن الطَّبيعة التي عاش في كنفها، ولا غرابة في أن تكون صور الشاعر جميلة فقد نشأ في منطقة جميلة، اقتبس صورها وصفاتها وصبغ شعره بها، حتى يعبرَ عما يقوله في لوحات تنتقل ما بين الواقع والخيال.

وستوضح الباحثة الأثر الذي أحدثته الطبيعة في شعره والجمال الذي أضافته، من

خلال الموضوعات التي طرقها كالمديح والغزل والخمرة:

أما الطبيعة والمديح فقد استخدم ابن الكتاني في شعره ظواهر طبيعية متعددة، للتأثير على المتلقي، وإبراز الصُّور المثلى للممدوح من خلال بحثه عن مفردات في نفس الممدوح يجب أن يكون مثلها أو قريباً منها، " يلتقط بحسّه وحده ما استقرّ في أعماق الجماعة التي يعيش معها من مشاعر خفية غامضة، فيبرزها أمامهم مجسّمة في صورة تروّعهم وتشعرهم أنّه ينطقُ عما في قلوبهم"⁽¹⁾، والقصيدة التي تحتفظ في أبياتها بأكبر قدر من الصُّور الطَّبيعية هي الأكثر دوراناً على ألسنة الناس.

ومن الظواهر الطَّبيعية التي شُبّه الشاعر بها كرم الممدوح البحر، وهو من أكثر الظواهر دوراناً على لسان الشاعر، لانتساعه من جهة، ولغزارة مياهه من جهة أخرى، ولعطائه الذي لا ينضب، يقول ابن الكتاني، عاقداً مقارنة بين البحر وممدوحه، مفضلاً

ممدوحه الذي لا يقاس كرمه وجوده على البحر، يقول: [81] **(الخفيف)**

يَا أَكْفَ السُّلْطَانِ إِنَّ قَايِسَ النَّا سُبُكِ الْبَحْرِ فِي النَّدَى ظَلْمُوكِ⁽²⁾

ويقول في المعنى نفسه: [63]

(1) الأهواني، عبد العزيز، ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، 6.

(2) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 326.

(الطويل)

إِلَى الظَّاهِرِ الْمَلِكِ الَّذِي بَحَرُ جُودِهِ يَغُطُّ بِهِ رَاجِي جَوَاهِرِهِ غَطًّا⁽¹⁾

أما عطاء الممدوح فكان مما أحبه الشاعر في طبيعته، فهو يرغب أن يمنحه الممدوح

الخيال والإبل، وهذا غاية الكرم في عُرْف الناس، يقول: [58]

(المتقارب)

دَعَانِي الْمَسِيرُ وَأَنْ السَّفَرُ فَجُدْ لِي بِجُودِكَ مِمَّا حَضَرَ

مِنْ الصَّافِنَاتِ الْجِيَادِ الَّتِي طَوَّاهَا الطَّرَادُ بِجَيْشٍ مَجْرُ⁽²⁾

واستعار الشاعر مكانة النجوم وعلوها للدلالة على صفة الشرف الرفيع والمكانة

(الهمز)

العالية، يقول: [50]

وَمَا لِي أَحَدٌ أُسْنِي — دُفِي الْخَلْقَ بِهِ ظَهْرِي

سِوَى سَامِيكَ يَا مَنْ فَا — قَ فَوْقَ الْأَنْجُمِ الزُّهْرِ⁽³⁾

(الهمز)

ويقول عن ممدوحه في المعنى نفسه: [2]

وَيَا مَنْ فَاقَ فِي الْآفَا — قَ فَوْقَ السَّبْعَةِ الشُّهُبِ⁽⁴⁾

واستند الشاعر إلى إبراز صورة الجبل وثباته وبقائه للتدليل على بقاء الممدوح أبداً

(مجزوء الرمل)

الدَّهْرُ، فيقول داعياً للممدوح بالبقاء كجبل عسيب: [8]

فَأَبْقَ عُمْرَ الدَّهْرِ مَا عُمُ — مَرَّ فِي الدُّنْيَا عَسِيبُ⁽⁵⁾

أما الطبيعة والغزل فقد توزعت أوصاف المحبوب والمحبوبة في المقدمات الغزلية

عند الشاعر بين جمال الطبيعة الصامته والمتحركة، وقد استمدَّ هذه الأوصاف من حسن

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 317.

(2) نفسه، 308.

(3) نفسه، 301.

(4) نفسه، 258.

(5) نفسه، 262.

المرأة، فحسنها - كما قال الجاحظ - أجمل من كل الأوصاف التي ذكرها الشعراء في أشعارهم: " ولكنهم إذا أرادوا القول شَبَّهوها بأحسن ما يجدون، فيقول بعضهم كأنها القمر، وكأنها الشمس، والشمس وإن كانت بهيئة، فإنما هي شيء واحد، وفي وجه الجارية الحسناء وخلقها ضروبٌ من الحسن الغريب، والتركيب العجيب، ومن يشك أن عين المرأة الحسناء أحسن من عين البقرة، وأنَّ جيدها أحسن من جيد الطيبة " (1).

وعصر ابن الكتاني " لم يقل عن أسلوب الغزل في أرقى عصوره العربية شأواً " (2)، فجاءت أوصافه رقيقة مستمدة من الطبيعة المحيطة به.

فمن أوصاف المرأة التي استمدّها ابن الكتاني من الطبيعة المحيطة به، حديثه عن الخدود، وقد استعار الشاعر للمحبوب صفات الورود الحمراء، ومن ذلك قوله: [41] (المنسرح)

سُبْحَانَ رَبِّ بَرَاكَ مِنْ حَمَاٍ بَذْرًا وَخَدَاكَ مِنْ دَمِي وَرَدٍّ (3)

ويقول مشبّهاً تورّد خدّ المحبوب بالنّقّاح، في استدارته واحمراره وبروزه: [54]

(مجزوء الكامل)

تُفَاحُ خَدَّكَ نُقْلُ مَنْ يَمْتَاحُ مِنْ شَفَتَيْكَ خَمْرًا (4)

كما يقول عن تورّد الخدود: [98]

وَبَخَصَرِهِ الْوَاهِي الدَّقِيْقُ قِ وَوَرْدِ خَدَيْهِ الْبَهِيْقُ (5)

أمّا العيون فهي سمة جمالية تغنى بها الشعراء على مرّ العصور، فاتخذ ابن الكتاني

من النرجس وصفًا لجمال عيون المحبوبة وسعتها، ومن ذلك قوله: [98]

(1) مجموعة رسائل الجاحظ، رسالة العشق، 118.

(2) بدوي، أحمد، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية، 91.

(3) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 293.

(4) نفسه، 306.

(5) نفسه، 340.

(مجزوء الكامل)

وَبَنَرَجِسِ الْعَيْنَيْنِ أَقْـ____ سِمٌ لَا بِسِحْرِ بَابِلِي⁽¹⁾

ويمازج ابن الكتّاني بين جمال خدود المحبوب وعيونه، فيتخذ من النرجس وصفاً

لعيونه، ومن الورد وصفاً لخدوده مُبَرِّزاً القيم الجماليّة فيه، فيقول: [97] (السريع)

أَمَّا تَرَى النَّرْجِسَ مِنْ جَفْنِهِ يَرْشُقُ جَانِي الْوَرْدِ مِنْ وَجْتَتِيهِ⁽²⁾

ومما يتصل بالعيون دموعها، فالشاعر يشبه دموع محبوبته بالطل المتساقط من

العيون على الخدود الموردة بزهر الجُنَّار، فيقول: [47] (المتقارب)

كَأَنَّ الدُّمُوعَ عَلَى خَدِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جُنَّارِ⁽³⁾

ومن صفات المرأة الفاتنة التي وصفها الشاعر ومازج بينها وبين جمال الطبيعة، الثغر

والأسنان والرّضاب، فشبهها ابن الكتّاني بالقلائد والدُّرّ واللّآلئ والبرق والبرد، وشبه رضابها

بالسلسبيل العذب، وبالخمرة والتّج والعسل، أمّا ريح الفم فشبهه بريح البنفسج، فيقول مُصَوِّراً

ثغر المحبوبة بقلائد الدرّ: [63] (الطويل)

تَبَسَّمَ عَنْ ثَغْرِ كَأَنَّ شَتِيَّتَهُ قَلَائِدُ دُرٍّ لَا تَعَارُ وَلَا تُعْطَى⁽⁴⁾

كما يَصوِّرُ الشاعر بياض أسنان المحبوبة النّاصعة ببياض ورود الأقاح، يقول: [32]

(السريع)

وَتَغْرِهَا الْمَنْظُومُ مِنْ لَوْلُؤٍ مُنْضِدٍّ مِثْلَ بَيَاضِ الْأَقَاحِ⁽⁵⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 339.

(2) نفسه والصفحة نفسها.

(3) نفسه، 298.

(4) نفسه، 316.

(5) نفسه، 285.

ويعرف الشاعر رَضَابَ المحبوبة بأوصاف عدّة استمدّها من الطّبيعة، تدل في مجملها على الحلاوة والطّعم اللّذيذ والعذوبة، من ذلك وصف رَضَابِها بالماء العذب السّلس في الحلق،

فيقول: [90] (الكامل)

وَمَلِيحَةٍ مَزَجَتْ فِي رَضَابِهَا فَظَنَنْتُ أَنَّ رَضَابَهَا سَلْسَالٌ⁽¹⁾

ويستطعم الشاعر رَضَابَ محبوبته، فيجده خمرة باردة، يقول: [32] (السريع)

كَأَنَّمَا رِيْقَتُهَا قَرْقَفٌ تُرْشَفُ مِنْ تِلْكَ الثَّنَائِيَا الْمِلَاحِ⁽²⁾

ويشبه رَضَابِها بالآس والسّلسبيل، فيقول: [89] (مخلع البسيط)

وَشَابَهَا مِنْ رَضَابٍ فِيهِ فَقُلْتُ آسٌ وَسَلْسَبِيلٌ⁽³⁾

أمّا قَوَامُ المرأة وقَدَّها، فهامَ فيه الشاعر، مفضّلاً منه: الطَّوِيلَ اللَّيِّنَ، ووظّف الطّبيعة في بيان صورته، فشَبَّهه بالأغصان وخطو البان والخيزران، وهي جميعاً تدلّ على الطول والليونة والدقّة، فنراه يشبّه طول قدّ المحبوب وتنثّيه في مشيته وليونته بخطو البان في تنثّيه وحركته، إذ يقول: [1] (مجزوء الرمل)

يَتَنَثَّى مِثْلَ غُصْنٍ مِنْ غُصُونِ الْبَانِ رَطْبِ⁽⁴⁾

أمّا وجه المرأة فشَبَّهه بالقمر والبدر والشمس والهلال، من ذلك قوله واصفاً وجه محبوبه بالقمر، وقد قرن هذا الوصف بالليل كي يظهر مدى جمال المحبوب، فيقول: [24] (المديد)

أَجْتَلِي مِنْ وَجْهِهِ قَمَرًا فِي دُجَى مِنْ لَيْلٍ طُرَّتْهُ⁽⁵⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 334.

(2) نفسه، 285.

(3) نفسه، 333.

(4) نفسه، 257.

(5) نفسه، 276.

وممّا يتعلّق بوجه المرأة زينتها، وقد كان للطبيعة جانب في بيان حسن زينة المرأة وجمالها، فابن الكتّاني يشبّه حبات السمّط بأنجم الجوزاء، فيقول واصفاً العقد: [63] (الطويل)

أُغَاظِلُ غَزَلَانَا مِنْ الْحَلِيِّ عَطَلًا وَقَدْ حَكَتِ الْجَوَزَاءُ فِي الْمَغْرِبِ الْقُرْطَا⁽¹⁾

أمّا الطبيعة والخمر فقد استمدّ ابن الكتّاني من الطبيعة صوراً للخمرة، ظهرت من خلال انتقاء الصُّور المضيئة، فاختر لها الشمس والنهار والنجوم، والشَّهب والنَّار، ومن ذلك صورة الخمرة وقد بدت في الكأس كالشمس، يقول: [5] (الطويل)

بَدَتْ فِي سَمَاءِ الْكَأْسِ شَمْسًا وَمَنْ رَأَى سَنَى الشَّمْسِ مَا بَيْنَ النُّجُومِ الثَّوَابِ⁽²⁾
وصوّر الشاعر الخمرة بشمس الضحى للتدليل على النورانية، ويصوّر تطاير سناها

في الكأس بالشَّهب، فيقول: [29] (الكامل)

فَكَأَنَّهُ وَالْكَأْسُ فِي يَدِهِ بَذْرُ الدُّجَى تَسْقِيهِ شَمْسُ ضَحَى
تَنْقُضُ فِي جَنَابَاتِهَا شُهْبًا حَتَّى ظَنَنْتُ سَمَاءَنَا الْقَدَحَا⁽³⁾

وقد حَفَلَتْ إحدى قصائده التي مدح فيها أسد الدِّين المصريّ بمشاعر الانتشاء والحياة اللاهية العابثة، واصفاً الخمرة بأجمل الصفات المستمدة من الطبيعة الصامتة والمتحركة، فهي خمر عتيقة تشبه الغادة البكر، تزيل الهمّ والوسواس عن الصّدر، وتضيء في ظلام الليل كالكوكب الدُّريّ، وتُزَفّ إليه كالعروس، بعد أن مُزِجت في الرّاووق، مع تناغم أصوات العود بين الطبل والزّمر⁽⁴⁾.

ويصف ابن الكتّاني السّاقّي في مجلس الشراب، فهو بهيُّ الطلعة، جميل الهيئة،

ووجهه بدرّ، وخدّه وردّ، وقده بان، إذ يقول: [26]

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 316.

(2) نفسه، 259.

(3) نفسه، 282.

(4) ينظر: نفسه، القصيدة رقم [50]، 301-303.

(البسيط)

مَنْ كَفَّ أَهْيَفَ وَاهِي الْخَصْرِ تَحْسِبُهُ بَدْرًا عَلَى غُصْنٍ فِي الدَّعْصِ مَبْنُوتًا⁽¹⁾

فهذه الأوصاف التي يتصف بها السَّاقِي مُستقاة من الطَّبيعة، وهي صفات ينبغي على الشعراء صبغها عليه حتى تَدُبَّ البهجة والسُّرور في نفوس الشَّارِبِينَ

ويصف الشاعر السَّاقِي الذي يدير الخمرة بالفلك الذي يُعَدُّ مدارًا للنَّجوم، إذ يقول: [29] (الكامل)

وَيُدِيرُهَا فَالَكُ تَرْتَحُّهُ نَفَحَاتُهَا فِيْهِنَّهَا فَرَحًا⁽²⁾

ولم يكن شعر وصف الطَّبيعة جديدًا في شعر ابن الكَثَّانِي، فشعره يَتمَيِّزُ بكثرة الصُّور التقليدية المستوحاة من الطَّبيعة والواردة في ثنايا قصائده، فمن الصُّور التي اتَّكأ عليها في شعره: تصوير الممدوح بالليث في الشَّجاعة، وبالبحر في الجود، وتصور المحبوبة بالغزال في خفتها ورشاقتها، وقدَّها بغصن البان في انعطافه وتثنيه وليونته، وخذَّها بالورد، وساقَّيها بالبردي في بياضها واستدارتها، وأسنانها بالإقحوان في بياضها واستوائها.

وخلاصة القول إنَّ الشَّاعر اتَّكأ على مفردات الطَّبيعة المختلفة لبيان صورة الممدوح من جهة، فصوره بالبحر والجبل والنَّجوم والشمس بحثًا عن السَّبِيل لعطاء الممدوح، كما امتزج الغزل بالطَّبيعة من جهة أخرى بحثًا عن الجمال المنثور في الطَّبيعة ليلقيه على من أحب، وأخيرًا امتزجت الخمرة بالطَّبيعة كليًا حتى غدت لوحة من لوحاتها باحثًا من خلال ذلك كله عن السبيل للمتعة والنَّشوة.

مما سبق تبين للباحثة أنَّ الوصف عند ابن الكَثَّانِي كان وسيلة لا غاية، والوصف عنده جاء مبنوثًا في ثنايا قصائده التي تناولت أغراض الشعر المتنوعة، بالإضافة إلى المقطوعات القصيرة التي وظَّفها مستندًا إلى الطَّبيعة الحيَّة والصَّامِتة لخدمة الغرض الأساسي في شعره.

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكَثَّانِي"، 278.

(²) نفسه، 282.

المبحث السادس: الحنين والشوق .

المحور الأول: موضوعات ذات إطار عام

المحور الثاني: موضوعات ذات إطار خاص

المبحث السادس: الحنين والشوق:

حظي موضوع الحنين باهتمام الشعراء في العصر الأيوبي منذ القدم، ويُعد ظاهرة من الظواهر التي برزت لدى الشعراء الذين اضطرتهم الظروف إلى الغياب أو الارتحال عن أوطانهم لأي سبب كان، وكان موضوع الحنين تقليدًا اتبعه الشعراء في مقدمات قصائدهم الطللية والغزلية، فقد يكون الوقوف على الأطلال في الشعر ضربًا من هذا الحنين، فالتغزل بالمحبوبة، أو الوقوف على أطلال ديارها، أو تذكر أيام الشباب، كلّها موضوعات يكون الحنين عنصرًا بارزًا من عناصرها، " فكل مكان يقف فيه الإنسان وقفة زمنية موطن، دون تحديد زمن لهذه الإقامة ولا أي شيء آخر" (1)، وفي ذلك يقول ابن منظور: " أمّا المَواطن، فكلُّ مقامٍ أقام به الإنسان لأمرٍ، فهو موطنٌ له " (2). تناول ابن الكتاني موضوع الحنين، وترجّح دراسة حياته أنه ولد وترعرع في بلاد العراق، قبل انتقاله إلى مصر، ومن الطبيعي أن يكون لبلاد العراق نصيب من الحنين يسجّله في شعره، حيث خصّ بلاد العراق - وعلى نحو خاص بغداد - بأشعار غاية في الحسن صورةً ومعنى، فهو دائم الحنين إليها.

ولا عجب في ذلك "بغداد أمّ الدنيا وسيدة البلاد" (3) "ومعدن كل فضيلة، والمحلّة التي سبق أهلها إلى حمل ألوية المعارف والتدقيق في تصريف العلوم ورقّة الأخلاق والنباهة والذكاء وحدة الأفكار ونفاذ الخواطر" (4).

(1) حور، محمد إبراهيم، الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، 9.

(2) لسان العرب، مادة (وطن).

(3) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 494/2.

(4) المقرئ، نفح الطيب، 165/3.

وتستطيع الباحثة القول: إنَّ شعر الشَّوق والحنين قليل فيما وصل إلينا من شعر ابن الكتَّاني، وقد جاء نظمه في هذا الغرض بسبب تنقله بين البلدان، فقد ولد في بغداد وغادرها إلى الشَّام ثم مصر، وواجه في حياته صعابًا كثيرة، مما جعله يحنُّ إلى موطن صباه، وإلى بعض المواطن التي شعر فيها بالإطمئنان، كما اشتاق إلى بعض من اتَّصل بهم في موطنه ورحلاته.

ولم يزد ما وصل إلينا من شعره في الشوق والحنين على قصيدتين وثمانية مقطوعات، بالإضافة إلى أبيات أخرى متناثرة في مقدمات قصائده. ومن الجدير ذكره أنَّ تجربة ابن الكتَّاني الواقعية مثالٌ حيٌّ لموضوع الحنين، فهجرته ورحيله من العراق إلى بلاد الشام ومصر يترافق مع البعد عن الوطن والأهل والأحبَّة والفراق والشوق والذكرى، فالشَّاعر يذكر الحنين في مقدمات قصائده أو يجعله غرضًا أساسيًا في بعض قصائده ومقطوعاته.

وعليه يمكن تقسيم موضوعات الحنين عند الشَّاعر إلى محورين:

المحور الأوَّل: موضوعات ذات إطار عام ويتميَّز باهتمامه على موضوعات عامة نجدها لدى معظم الشعراء.

المحور الثاني: موضوعات ذات إطار خاصٍّ بالشَّاعر فرضته عليه طبيعة الحياة التي عاشها.

المحور الأوَّل: موضوعات ذات إطار عام:

ويعتمد هذا المحور على مواضيع عدة، ظهرت واضحة وجليَّة عند معظم الشعراء مثل: (المقدِّمات الغزليَّة والطلليَّة، والحديث عن الهُجران والصدِّ والطَّيف والعُدَّال والوشاة...)، وفي شعر ابن الكتَّاني شواهد تؤكِّد ما ذكر، كقصائد المدح التي أرسلها إلى الملوك والأمراء

وغيرها، فقد كان يبدأ قصائده بمقدمات غزليّة، ويضمّنها المعنى الذي سيتناوله في غرضه الأساسيّ، جاعلاً من المحبوبة التي يتغزل فيها رمزاً لمن سيمدحه في باقي قصيدته.

والحنين موضوع وثيق الصّلة بموضوع الغزل، ويظهر في شعر ابن الكّثانيّ تداخل الحنين مع الغزل في المقدمات الطلليّة والغزليّة، ومثال ذلك قصيدته التي أرسلها إلى الملك الصّالح بعد أن انتقل الشّاعر من بلاد العراق إلى بلاد الشام ومصر، فأرسل إليه قصيدة مدحيّة افتتحها بمقدمة غزليّة، ظهر فيها الحنين والشّوق إلى مدينة الزّوراء ببغداد، وتغنّى فيها بذكر أطلال الأحبة حين وقف على باب مدينة الزّوراء، سائلاً الدار عن الغيد الحسان، راسماً لها

صورة جميلة، مؤكّداً على أنه وفيّ لعهداها، يقول: [1]

(مجزوء الرمل)

صَاحِ بِالزَّوْرَاءِ عَجْجَ بِي	زَادَ بِالزَّوْرَاءِ عَجْبِي
وَاسْأَلِ الدَّارَ عَنِ الْغَيْـِ	دَلْعَلِ الدَّارَ تُنْبِي
وَإِذَا مَا عَنَّ سِرْبُ	مِنْ نَوَاحِيهَا فَسِرْ بِي
أَوْ رَأَتْ عَيْنُكَ صَاحِبِي	فَعَلَى حَالِكَ صَحْ بِي (1)

كما يحنّ الشّاعر في أبيات أخرى من القصيدة نفسها إلى أيامه وذكرياته التي قضاها في مدينة

الزّوراء، بعد أن طال بعده عنها وهو في ربوع الملك الصّالح، إذ يقول: [1]

(مجزوء الرمل)

يَا بَنِي الزَّوْرَاءِ كُلُّ	مِنْكُمْ جَارِي وَتَرْبِي
خَبَرُوا بَغْدَادَ إِنْ أَخْـِ	خَرْتُ عَنْ بَغْدَادَ كُتْبِي
إِنِّي مُذْ غَبْتُ عَنْهَا	بَيْنَ جَنَاتٍ وَقَضْبِ
فِي رُبُوعِ الْمَلِكِ الصَّاحِبِ	لِحِ لِي أَبْقَاهُ رَبِّي (2)

فموضوع الوقوف على الأطلال لم يكن تقليدياً نعمة الشّاعر فحسب بل كان نتيجة

تجربته الذاتيّة، حيث وقف على أطلال قومه ليبتّ إليهم دواعي شوقه وحنينه.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكّثاني"، 256.

(2) نفسه، 257.

ويرتبط بموضوع الحنين الحديث عن الطيف في مقدّمات القصائد، فعندما تشتدّ مشاعر الحنين والشوق إلى المحبوب عند الشّاعر، يبحث العاشق حينها عن عزاء له ليخفف من أشواقه وحنينه، فلا يجد إلا طيف المحبوب ليزوره في نومه ويداعب أجفانه، فالشّاعر لم يستطع رؤية محبوبته إلا في خياله، إذ يقول: [54]

(مجزوء الكامل)

مَا ضَرَّ طَيْفَكَ لَوْ يَجُودُ دُ بَلِيَّةٍ فِي الدَّهْرِ أُخْرَى
حَتَّى أَبْثَّ إِلَيْهِ مَا لَا قَيْتُ مِنْكَ قَلْبِي وَهَجْرًا⁽¹⁾

ويحاول الشّاعر أن يجلب النّوم إلى عينيه أملاً في أن يرى طيف محبوبه يقول: [34] (الرمز)

مَا عَلَى طَيْفِ الْكَرَى لَوْ زَارَنِي وَعَلَى طَيْفِ الْكَرَى كَانَ اعْتِمَادِي⁽²⁾

ويقول: [87]

(مجزوء الكامل)

يَا طَيْفُ إِن سَاعَدْتَنِي بَعْدَ الْقَطِيعَةِ بِالْوَصَالِ
لَأُعَذِّبَ الْأَيَّامَ بِالْأَلَمِ أَحْلَامَ مَنْ قَصَرَ اللَّيَالِي⁽³⁾

كما يرتبط الحديث بالحنين بحديث الشّاعر عن الحساد، إذ يحاول العاشق أن يكون بعيداً عن أنظار الحساد والوشاة والرقباء، ويكثر من لومهم وتأنيبهم، فيحوم العاذل حول

العاشق، يقول: [88]

(المتقارب)

يَرُوقُ لِي الْعَذْلُ مِنْ حُبِّهِ فَأَعْشَقُ لِلْأَلَمِ الْعَاذِلَ⁽⁴⁾
فالطيف يجدّد الحياة ويبعث الأمل في روح الشّاعر الحزينة لفراقه الأحبّه، لذا يلجأ

الشّاعر إليه بعد أن منعتّه أعين الحساد والوشاة والرقباء من وصل الحبيب، فيقول: [12]

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 305.

(2) نفسه، 288.

(3) نفسه، 329.

(4) نفسه، 331.

(الطويل)

إِذَا مَرَّ بِي طَيْفٌ مِنَ الْحُبِّ زَائِرًا أَقُولُ وَفَوْقِي شَاهِدٌ وَرَقِيبٌ
بِحَقِّ لِيَالِي الْوَصْلِ يَا طَيْفُ هَلْ بَدَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْعَانِي الْمَشُوقِ ذُنُوبٌ⁽¹⁾

ويعبر الشاعر عن سوء حاله بعد أن انقضت أيام السعادة والوصال مع أحبته، وأصبحت حياته حزينة بائسة بعد فراق الأحبة، لم يشعر فيها بالراحة والسعادة بسبب انقطاع

(مجزوء الكامل)

أيام الوصال، إذ يقول: [87]

مَنَعْتُ وَصَالَ مِنْ الْوَصَالِ فَبَقِيتُ مُرْتَقِبَ الْخِيَالِ
حَتَّى أَبُثَّ إِلَيْهِ مَا لَأَقِيَّتُهُ مِنْ سُوءِ حَالِي
أُرْعَى الْعُهُودَ لِبَانَةِ صَرَمْتُ بِلَا سَبَبٍ حِبَالِي
مَا بِالْهَذَا تَسْلُو وَمَا خَطَرَ السُّلُوءِ لَهَا بِبَالِي⁽²⁾

مما سبق يتبين للباحثة أن المواضيع التي تناولها ابن الكتاني في شعره من: المقدمات الغزلية والطليلية، والطيف، والعاذل، والوشاة، والحساد، وأيام الوصال والهجران، جميعها مواضيع تقليدية طرقتها معظم الشعراء في الشعر العربي، وقد تجلّت فيها تجربته الذاتية، بالإضافة إلى التقليد الفني.

المحور الثاني: موضوعات ذات إطار خاص:

أما المحور الثاني الخاص بالشاعر فقد كان الحنين فيه موضوعاً هاماً، فرضته حياة الشاعر ومعاناته الحقيقية التي عاشها، فهجرة الشاعر وترحاله من بلاده إلى بلاد أخرى، فرضت عليه الحنين الدائم لوطنه وأحبابه وأصدقائه، فقد ذكر بغداد والموصل واشتاق إليهما، كما ذكر أحبته وأصدقائه هناك.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 264.

(2) نفسه، 329.

ويحُنُّ ابنُ الكَتَّانِي ويشْتَاقُ في مقطوعة له من خمسة أبيات إلى مسقط رأسه بغداد وهو ناءٍ عنها، ويرتبط حنينه وشوقه إليها بالتلذذ بترديد أسماء المواقع المشهورة فيها، فيتذكر الشاعر بغداد بلهفة، ويستعرض معالمها: كالجسر، والرقتين، والجانبين من الشط، ودار السلام، ونهر المَعْلَى، وسوق العميد، كما يتذكر أبوابها: كباب الحديد، وباب المراتب، ولم يقف الشاعر عند ذلك بل ذكر بلهفة الشوق والحنين سكانها وولدانها وغزلانها، ولم ينسَ مظاهر الجمال البشري فيها ولا سيَّما الفتيات الحسان اللواتي صوَّهنَّ بحور الجنان، فيقول داعياً الله في نهاية مقطوعته أن يديم دولة بغداد وسلطانها: [92] (المقارب)

أَحْنُ إِلَى الْجِسْرِ وَالرَّقَّتَيْنِ	وَدَارِ السَّلَامِ وَسُكَّانِهَا
وَتَاجِ الْخِلَافَةِ وَالْجَانِبَيْنِ	مِنَ الشَّطِّ وَالظِّلِّ مِنْ بَاتِهَا
وَبَابِ الْمَرَاتِبِ وَالزَّنْدُورِ	وَنَهْرِ الْمَعْلَى وَغَزْلَانِهَا
وَسُوقِ الْعَمِيدِ وَبَابِ الْحَدِيدِ	وَحُورِ الْجِنَانِ وَوِلْدَانِهَا
وَأَسْأَلُ ذَا الطُّولِ رَبَّ الْعِبَادِ	إِدَامَةَ دَوْلَةٍ سُلْطَانِهَا ⁽¹⁾

والمقطوعة فيها استعراض لفضائل مدينة بغداد ومحاسنها الطبيعية، ومظاهر العمران فيها، فيحشد الشاعر تلك الفضائل حشدًا يكفل لبلده التميز والتفوق.

ومما يتصل بحبه وحنينه إلى بغداد الشعر الذي نظمته في تفضيل موطنه بغداد على الموصل التي زارها، ولعل ذلك من صور تعلقه بوطنه وقوة انتمائه إلى المكان الذي عاش فيه، يقول بالموصل وقد أصابه عرق النسا في رجله اليسرى: [57] (السريع)

يَا بَلَدَ الْمَوْصِلِ أَوْرَثْتَنِي	مَقَاصِلًا فِي رِجْلِي الْيُسْرَى
إِنْ لَمْ أُعْجَلْ لَأَنْصِرَافِي عَلَى	بَغْدَادَ آيَسْتُ مِنَ الْآخِرَى ⁽²⁾

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 335-336.

(²) نفسه، 308.

وقد لجأ ابن الكتاني إلى الطبيعة في مقطوعة أخرى قالها بالموصل، وقد هلَّ الهلال

الذي صورّه بالفخ وفي جنبه نجم يحفهما سحاب، يقول: [11] (مجزوء الكامل)

أَدِرِ الْكُـوُوسَ وَغَنِّـي طَرَبًا فَقَدْ رَقَصَ الْحَبَابُ
وَأَشْرَبْ فَقَدْ هَلَّ الْهَلَا لُ وَأَقْلَهُ الْهَمُّ الشَّرَابُ
أَوْ مَا تَرَاهُ وَجَنَّبَهُ نَجْمٌ يَحْفُهُمَا سَحَابُ
فَكَأَنَّهُ فَخٌّ يَهُمُّ مُمْ لَلْفِظِ حَبَّتِهِ شِهَابُ⁽¹⁾

ويقول وقد أقبل على آمد، وكان في زمن الربيع فوجد برد كانون في ذلك الأوان: [66] (الوافر)

أَتَيْنَا آمِدَ السَّوْدَاءِ يَوْمًا لِنَمْدَحَ صَاحِبَ الشَّرَفِ الرَّفِيعِ
فَلَمَّا أَنْ وَصَلْنَاهَا وَجَدْنَا هَوَا كَانُونَ فِي زَمَنِ الرَّبِيعِ⁽²⁾

وهكذا يبدو تعاضم إحساس الشاعر بالمكان، فَقَدَّمَهُ - ولا سيما بغداد - في صورة
تصف مدى تعلُّقه بها، وكأنَّه يودُّ أن يُعَبِّرَ من خلال شعره عن مدى تشبُّثه بأرضه في ظل
ظرفٍ سعى فيه الغُزاة إلى انتزاعها من أيدي أصحابها وتغيير وجهتها العربيَّة والإسلاميَّة.

ومن الجدير ذكره أنَّ ابن الكتانيَّ يربط بين حنينه وشوقه إلى هذه الأماكن وحنينه
وشوقه إلى بعض من أحب من أصدقائه، دون ملاحظة أي فرق في هذا الشوق، فهو يأسف
لبعده عن صديقه الشَّهاب يوسف العقاب، مصوِّراً شوقه بشوق الكئيب إلى الحبيب، وشوق
الظَّمآن إلى الشَّرَاب، فهو يبيِّثُ إليه شوقه وحنينه في صدر كتاب بعثه إليه، فلو بثَّ ابن الكتانيَّ
إلى صديقه ما يَكُنُّ في قلبه من حب وشوق وحنين، فإنَّه لا يستطيع أن يعبرَ عمَّا في قلبه من

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 263.

(2) نفسه، 318.

شوق في كتاباته التي بثها إليه؛ لأن قلبه لن يتسع للمزيد من الشوق لكثرة حبه وتعلقه به،

يقول: [4]

(مخلع البسيط)

شَوْقِي إِلَى يُوسُفَ الْعُقَابِ	العَالِمِ الْمَاجِدِ الشَّهَابِ
شَوْقُ كُنَيْبٍ إِلَى حَبِيبٍ	وَشَوْقُ ظَامٍ إِلَى الشَّرَابِ
شَوْقًا إِذَا مَا اقْتَصَرْتُ فِيهِ	أُطْلُتُ فِي بَعْضِهِ خَطَابِي
وَلَوْ كَتَبْتُ الَّذِي بَقَلْبِي	إِلَيْهِ لَمْ يَحْوِهِ كِتَابِي ⁽¹⁾

ويظهر ابن الكتاني شوقه وحنينه إلى صديقه شهاب الدين في قصيدة أخرى له، يخاطب فيها

ريح الجنوب ويسألها أن ترسل سلامه وقبلاته إلى بغداد، وما فيها من أماكن كدار الخلافة (التاج)

التي طهرت ذنوبه بمحبته لها، يقول: [7]

(مجزوء الكامل)

أَقْرِي السَّلَامَ وَقَبْلِي	بِاللَّهِ يَا رِيحَ الْجُنُوبِ
بَغْدَادَ وَالتَّاجَ الَّذِي	مَحَصَتْ مَحَبَّتُهُ ذُنُوبِي ⁽²⁾

فالشاعر طلب من ريح الجنوب - التي تبشر بالخير دومًا - أن تحمِلَ سلامه وأشواقه إلى صديقه

شهاب الدين، الذي لم يغب عن قلبه وخياله للحظة واحدة، طالبًا منه أن يواصل الكتابة إليه، فهي

بمثابة العلاج له، فشوقه وحنينه إليه لم يكن إلا جزءًا من شوقه لبغداد، فيقول: [7] (مجزوء الكامل)

فُولِي لِمَوْلَاتِنَا الشَّهَا	بِ الْعَالِمِ الْفَطْنِ اللَّيِّبِ
إِنْ كَانَ غَبَتْ عَنِ الْغُيُ	نِ فَمَا بَرَحْتَ عَنِ الْقُلُوبِ
حَاشَا خَيَالِكَ أَنْ يَغِي	بَ وَأَنْ يَمِيلَ إِلَى الْغُرُوبِ
أَنْتَ الَّذِي ابْتَهَجَ الصَّدِي	قُ بِهِ وَصَالَ عَلَى الْخُطُوبِ
وَاصِلَ بِكُتُبِكَ إِنَّهَا	أَشْهَى مِنَ الْعَيْشِ الرَّطِيبِ
هِيَ رُقِيَّةُ الْمَلْدُوعِ إِنْ	عَزَّ الدَّوَاءُ عَلَى الطَّيِّبِ ⁽³⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 259.

(2) نفسه، 260.

(3) نفسه والصفحة نفسها.

كما أرسل ابن الكتّاني شعراً يتضمن شوقاً وحنيناً إلى كلٍّ من: صديقيه المقرّب يونس بن أحمد القرطوبي، وشهاب الدّين يوسف العقاب، وقد تعرضت له الباحثة في معرض حديثها عن الإخوانيات ولم يتم ذكرها في هذا المحور تحاشياً للتكرار⁽¹⁾.

وهكذا فإنّ حنين ابن الكتّاني بدأ معه بعدما فارق وطنه وأحبّته وأصدقاءه، فحنّ إليهم، وفُرض عليه الشّوق الذي يلزم فراقه لهم، فبدأت مشاعر شوقه وحنينه إليهم صادقة، ونابعة من إحساس حقيقيّ، فجرتّه تجربة الشّاعر الذاتيّة، وعليه فقد تميّز شوقه وحنينه بصدق العاطفة والانفعال، والرقّة والسّهولة، مبتعداً بذلك عن المبالغة والتّكرار والتّكلف.

(1) ينظر: الدراسة، 90-91.

المبحث السابع: فنون شعريّة ثانويّة.

أولاً: الحكمة

ثانياً: العتاب

ثالثاً: الفخر

رابعاً: الشكوى

خامساً: الذمّ

المبحث السابع: فنون شعرية ثانوية:

طرق ابن الكتاني فنوناً شعرية أخرى شأنه في ذلك شأن شعراء عصره ، لكن لم يصل إلينا منها إلا النزر القليل الذي لا يسعف في إقامة دراسة حوله، بل يُكتفى بالإشارة إليه، فبعض هذه الفنون جاء عرضاً بين ثنايا الفنون الأخرى، وبعضها جاء مستقلاً في مقطوعات وأبيات متناثرة هنا وهناك، لا تشكل في مجموعها فناً قائماً بذاته، وهذه الفنون هي: الحكمة، والعتاب، والفخر، والشكوى، والذم، وستعرض الباحثة لكل منها بما يتناسب مع ورودها في شعره.

1. الحكمة:

تعدّ الحكمة من الفنون الشعرية التي لازمت الشعراء منذ القدم، وجاءت الحكمة في شعر ابن الكتاني قليلة، متناثرة في ثنايا الأغراض الشعرية التي طرّقها.

وقد جاءت بعض حكم الشاعر مبنوثة في بيتين نظمهما عندما طلب منه الوزير صفيّ

الدّين بن شكر أن يُجيز له البيت الآتي: [45] (الوافر)

وَكَمْ أَبْصَرْتُ مِنْ حَسَنٍ وَلَكِنْ عَلَيْكَ لِشِقْوَتِي وَقَعَ اخْتِيَارِي⁽¹⁾

فقال ابن الكتاني في بيتين بثّ فيهما الحكمة: [46] (الوافر)

فَمَا لِلْقَلْبِ حِينَ يُحِبُّ شَرْطٌ وَهَلْ شَرْطٌ لِمَسْلُوبِ الْقَرَارِ
وَلَوْ وَجِبَ الْقِصَاصُ عَلَى دَلِيلٍ لَكُنْتُ أَخَذْتُ مِنْ عَيْنِي ثَارِي⁽²⁾

وجاءت بعض معاني الحكمة مبنوثة في مقطوعة للشاعر، يصف فيها الجاهل الذي

يجني الثّمار من غصون الأمانى، وهي ثمار لا ينالها أصحاب العقول، فيقول: [10]

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 297.

(2) نفسه والصفحة نفسها.

(الخفيف)

يَجْتَنِي الْجَهْلُ مِنْ غُصُونِ الْأَمَانِي ثَمَرًا مَا تَنَالَهَا الْأَبَابُ
وَتَمُوتُ الرُّؤُوسُ فِي زَمَنِ الْإِيَّاسِ سَارَ جُوعًا وَتَشْبَعُ الْأَذْنَابُ⁽¹⁾

ويقول في بيت له يخاطب به الوزير ضياء الدين قائلاً: [48] (الخفيف)

فَنَفَادُ الْقَلِيلِ يَا أَوْحَدَ النَّاسِ سِ يُوَاذِي بِهِ نَفَادُ الْكَثِيرِ⁽²⁾

ونظم بيتاً في الحكمة عبر فيه عن الدنيا التي فرقت بينه وبين صديقه: [21]

(مجزوء الكامل)

مَا زَالَتِ الدُّنْيَا تَجِي عٌ بِأَهْلِهَا أَبَدًا وَتَذْهَبُ⁽³⁾

وجاءت بعض حكم الشاعر مبنوثة في عتابه لنظام الدين، قال: [65] (الطويل)

إِذَا كَانَ لَا يَخْشَى مِنَ الْوَعْظِ غَافِلٌ فَمَا يَنْفَعُ الْمَغْرُورَ أَنْ سَمِعَ الْوَعْظَ⁽⁴⁾

ويقول من خلال ذمه للتكبر: [99] (الطويل)

إِذَا الْكِبَرُ زَارَ الْمَرْءَ شَانَ جَمَالِهِ وَأَصْبَحَ مِنْ ثَوْبِ الرِّئَاسَةِ عَارِيًا⁽⁵⁾

وقال أيضاً: [15] (المنسرح)

اجْهَدْ عَلَى غَلْبِ مَنْ تُعَانِدُ مَا اسْكُ طَعْتَ فَإِنَّ الدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا⁽⁶⁾

وهكذا تلحظ الباحثة ضالة هذا اللون في شعر ابن الكتاني، فقد نظم أبياتاً متناثرة في هنا

وهناك، وهي مقبولة إلى حد كبير، ولاحظت أن معاني الحكمة عند ابن الكتاني جاءت تقليدية،

وَاتَّصَفَتْ بِالْيُسْرِ وَالْقُرْبِ فِي الْمَأْخُذِ، وَالسُّهولة فِي الْأُسْلُوبِ.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 263.

(2) نفسه، 299.

(3) نفسه، 272.

(4) نفسه، 318.

(5) نفسه، 340.

(6) نفسه، 267.

2. العتاب:

لا يحتل العتاب مكاناً بارزاً في شعر ابن الكتاني، فليس في شعره سوى قصيدة واحدة ومقطوعة أخرى نظمهما في العتاب، إذ قال في قصيدته التي نظمها في الوزير ضياء الدين أحمد بن شيخ السلامي، وهي زاخرة بالعتاب والشكوى وبالتحرّق والأسى بسبب سهره على نظم المدائح له، لكنّه قابله بالصدّد، فقال يعاتبه، فيقول: [37] (الكامل)

كَمْ قَدْ سَهَرْتُ عَلَى عُلاكَ بِمِدْحَةٍ	غَرَاءَ مَا صَلَحْتُ لغيرِكَ أَحْمَدُ
عَلِّي أَحُوزُ بِمَا نَظَّمْتُ مَوَاهِبًا	مِنْ رَاحَتَيْكَ وَأَنْعَمًا لَا تَنْفَدُ
فَنَبَذْتُهَا نَبْذَ الْحَصَاةِ كَأَنَّهَا	صِلٌ يَنْضِضُ فِي يَمِينِكَ أَسْوَدُ
وَكأنَّ طَرَسَ قَصَائِدِي فِي مَدْحِكُمْ	وَرَقٌ يُصِرُّ بِهِ الدَّوَاءُ وَمِزْوَدُ
وَلَكُمْ مَدَحْتُ كَمَا مَدَحْتُكَ مَا جِدَا	أَسْدَى إِلَيَّ مَكَارِمًا تَتَرَدَّدُ
وَمَنْعَتِي فَمَكَ الَّذِي أَحْيَا بِهِ	وَمَنْعَتَ جُودِكَ قُلُوبَ مَنْ أَسْتَجِدُ
فَإِذَا كَسَوْتُكَ فِي زَمَانِي حُلَّةً	تَبْقَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَتَخْلُدُ ⁽¹⁾

أمّا المقطوعة التي وردت في العتاب فقد عاتب ابن الكتاني فيها الدهر كونه يرفع

وضيعاً ويحطّ رفيعاً، وشكا كراً أيامه العمياء، إذ يقول: [84] (البسيط)

إِنِّي لَأَبْغِضُ دَهْرًا لَا يُفَرِّقُ مَا	بَيْنَ الْأَمَاجِدِ وَالسَّفْسَافَةِ السَّفَلِ
يَحُطُّ لِللسنِ النَّحْرِيرِ قَعْرَ خَلَا	وَيَرْفَعُ الْعَيَّ أَعْلَى مُرْتَقَى زُحَلِ
لَعَلَّ مَا وَعَسَى الْأَيَّامُ قَدْ عَمِيَتْ	فَمَا تَفَرَّقُ بَيْنَ الصَّابِ وَالْعَسَلِ
بِالْعَقْلِ وَالنَّقْلِ يَزْدَادُ الْفَتَى شَرْفًا	فَمَا التَّنَاقُصُ ضَاقَتْ فِي الْوَرَى حِيلِي
ذَرِ الْعُلُومَ وَكُنْ فِي النَّاسِ مَسْخَرَةً	وَقَدْ وَلُطُّ وَازِنُ وَاشْرَبُ وَاسْتَبِحْ وَكُلْ
لَعَلَّ عَتَبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ	وَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْعِلِّ ⁽²⁾

ويبدو الشاعر في البيت الرابع من المقطوعة السابقة متأثراً بأبي الطيّب المتنبي حين قال:

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 291.

(2) نفسه، 327.

(الطويل)

وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرْفًا لَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَلْقِ (1)
تلاحظ الباحثة أنَّ عتاب ابن الكتاني كان يتضمَّن حُرقةً وأسى، ولا يحمل في ثناياه
الحقد أو الكُره، وإنما لجأ إليه ليوضح موقفه وسبب عتابه.

3. **الفخر:**

من الأغراض الشعرية التي طرقها ابن الكتاني في شعره الفخر، وقد وجدت له
مقطوعة واحدة يفخر فيها بنفسه، وأبيات أخرى متناثرة ضمَّنها في قصائده ومقطوعاته، يقول
الشاعر في المقطوعة يُعرِّض بنفسه إلى الملك العزيز عثمان: [75] (البسيط)

إِنْ كَانَ عِنْدَكَ بُسْتَانٌ بِلا ثَمَرٍ وَلَا اخْضِرَّارٍ وَلَا زَهْرٍ وَلَا وَرَقٍ
فَعِنْدَ عَبْدِكَ أَلْفَاطٌ حَدَائِقُهَا مُعْبَرَاتُ الْمَعَانِي نُعْسُ الْحَدَقِ
فَاشْرَبْ عَلَى مُلْحِ الْأَدَابِ مَعَ رَجُلٍ يُغْنِيكَ فِي بَرْدِ كَانُونٍ عَنِ الدَّقِّ (2)
كما ظهرت أبيات أخرى للشاعر يفخر فيها بشعره ضمَّنها قصيدته التي مدح فيها الملك

الصالح، فيقول: [15] (المنسرح)

نَظَّمْتُ فِيكَ الْمَدِيحَ يَا مَلِكًا جَوَاهِرًا مَا نَظَّمْتُ مُخْشَلِبًا
فَخَلَّ شِعْرُ الرُّعَاعِ عَنْكَ وَخُذْ شِعْرَ فَتَى قَدْ فَاقَ الْوَرَى أَدَبًا
تَزِيدُ إِنْ غَنَّتِ الْحُدَاةُ بِهِ وَدَارَتِ الْكَأْسُ بَيْنَنَا طَرَبًا
فَلَا تَحِدْ فِي الزَّمَانِ عَنْ رَجُلٍ عَلَى مَعَالِيكَ حَقُّهُ وَجَبًا
يُنْسِيكَ فِي أَرْوُسِ الْمَنَابِرِ بِالْـ مَدْحِ ثَنَاءِ جَمِيعِ مَنْ خَطَبَا (3)

(1) العكبري، ديوان أبي الطيب المتنبي، 320/2.

(2) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 322.

(3) نفسه، 267.

فالشاعر ينظم في الممدوح القصائد التي بدت كالجواهر والحلي، وشعره قد فاق الخلق أدباً، تُغنيهِ الحُداة، وتدور الكاسات طرباً لسماعه، وقد أصبح حق الشاعر واجباً على الممدوح، ينبغي ألا يحيد عنه، حتى إن مدحه كاد ينسي الممدوح ثناء كل من يخطب على المنابر.

كما ظهر فخر الشاعر بنفسه في شطر بيت عاتب فيه الأمير مرهف بن أسامة بن

منقذ، إذ يقول: [56] (المنسرح)

فَصَدَّهَا عَنْ هَوَاهُ أَسْوَدُهُ وَمَا دَرَى أَنَّنِي أَبُو الشُّعْرَا
أَقَابِلُ الْجُودَ بِالْمَدِيحِ وَمَا زِلْتُ بِهِذَا أَعَامِلُ الْأُمَرَا⁽¹⁾

ويقول في بيت آخر يفخر فيه بمدحه للوزير ضياء الدين أحمد بن شيخ السَّلامية: [48]

(الخفيف)

كُلُّ شَيْءٍ يَفْنَى سِوَى مِدْحِي فِيهِ كَ وَلَوْ جُدْتَ لِي بِمُلْكٍ كَبِيرٍ⁽²⁾

4. الشكوى:

وقد ظهرت للشاعر مقطوعة في الشكوى من ثلاثة أبيات، قالها شاكياً بعد أن أتعبه

الدَّيَّوان في إيصال ما يستحقه من راتب: [31] (الهزج)

أَيَا مَنْ يَشْتَرِي الْحَمْدَ وَمَنْ يَكْتَسِبُ الْمَدْحَا
وَمَنْ يَحْتَقِرُ الْغَيْثَ إِذَا مَا كَفُّهُ سَحَا
لَقَدْ وَقَعْتَ لِي صَحَّ وَلَكِنْ صَحَّ مَا صَحَا⁽³⁾

وقال يشكو من جماعة عند الملك العزيز عماد الدين عثمان – صاحب مصر - ذوي

محضرٍ سوء، ويمزج بين شكواه ومدحه فيه: [69] (الهزج)

عَلَى بَابِكَ أَقْوَامٌ إِذَا مَا قَدْ رَحَا حَافُوا

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 308.

(2) نفسه، 299.

(3) نفسه، 284.

وَأَنْتَ الْمَوْرِدُ الْعَذْبُ وَهُمْ حَوْلَكَ أَجْرَافُ
وَقَدْ يَنْبُتُ حَوْلَ الْكَرِ مِ لِبَلَابٍ وَصَفْ صَافُ⁽¹⁾

5. الذَّم:

وقد ظهر له بيتان ذمّ فيهما التَّكْبُرُ، إذ يقول: [99]

(الطويل)

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْكِبَرَ يُزْرِي بِأَهْلِهِ تَوَاضَعْتُ حَتَّى عَظَّمَ النَّاسُ حَالِيَا
إِذَا الْكِبَرُ زَارَ الْمَرْءَ شَانَ جَمَالِهِ وَأَصْبَحَ مِنْ ثَوْبِ الرُّئَسَاءِ عَارِيَا⁽²⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 319-320.

(2) نفسه، 340.

الفصل الثاني: الخصائص الفنية لشعر ابن الكثاني:

المبحث الأول: بناء القصيدة.

المبحث الثاني: الأسلوب واللغة.

المبحث الثالث: الصورة الشعرية.

المبحث الرابع: الموسيقى الشعرية.

المبحث الأول: بناء القصيدة:

المبحث الأول: بناء القصيدة:

اهتمّ النقاد العرب القدماء بالبناء الهيكلي للقصيدة العربية، وميّزوا بين ثلاثة أجزاء في بناء القصيدة العربية، وهي المطلع والتخلص ثم الخاتمة، وعدّوا الشاعر الحاذق من يجيد في تحسين هذه العناصر، فحثّوهم على الإجادة فيها، وجعلوها مقياساً في البراعة الفنية، ومعيّاراً من معايير المفاضلة بين الشعراء، إذ يقول القاضي الجرجاني في ذلك: "الشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال، والتخلص وبعدهما الخاتمة، فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء" (1).

كما تنبّه النقاد إلى ضرورة الملاءمة بين هذه الأجزاء، يقول ابن طباطبا في ذلك: "يجب أن تكون القصيدة كلها كلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها، نسجاً وحسناً وفصاحة، وجزالة ألفاظ، ودقة معان، وصواب تأليف، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه إلى غيره خروجاً لطيفاً، حتى تخرج القصيدة كلها مفرغة تفريغاً، لا تتأقّض في معانيها، ولا وهي في مبانيها، ولا تكلف في نسجها، تقضي كل كلمة ما بعدها، ويكون ما بعدها متعلقاً بها مُفْتَقِراً إليها" (2)، وقد عدّ ابن الأثير ذلك دليلاً على حذق الشاعر وقوة تصرفه، حيث تكون معانيه آخذة برقاب بعض: "من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاماً آخر بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً" (3).

والحديث عن تلك الأجزاء هو حديث عن الوحدة في القصيدة العربية، وقد علّق محمود السّمرّة على ذلك بقوله: "والحديث عن الابتداءات الحسنة في الشعر، وحسن التخلص منها،

(1) الوساطة بين المتنبي وخصومه، 48 .

(2) عيار الشعر، 213.

(3) المثل السائر، 244/2.

والخروج إلى الموضوع ثم الخاتمة، هو في الواقع حديث عن الوحدة في القصيدة العربية⁽¹⁾، وهذه الوحدة كما يرى إحسان عباس "قد تكون وحدة بناء وحسب، فتلك هي الغاية الكبرى من هذا التدقيق في التوالي والتدرج وإقامة العلاقات بين الأجزاء"⁽²⁾، كما يُعلق حسين عطوان على ذلك بقوله: "إنَّ النقاد بذلك يعدُّون القصيدة متماسكة لا انفصال بين مقدِّمتها وموضوعها، إذ هما متَّصلان اتصالاً يفضي إلى ما يشبه الوحدة العضوية"⁽³⁾.

اهتمَّ النقاد بمطالع القصائد، فوجَّهوا أنظار الشعراء إلى أن يبذلوا جهدهم للإجادة فيه، فقال ابن رشيق: "الشعر قفلٌ أوله مفتاحه"⁽⁴⁾ وأول ما ينظم من القصيدة، وقد ركَّز القدماء عليه بشكل كبير، فقد أشار حازم القرطاجني إلى وجوب أن تكون المطالع مستحبة؛ لأنها أول ما يقرع السَّمع⁽⁵⁾، والمطلع الجميل يكون داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من كلام، ويكون له أثر كبير في نفس السَّامع⁽⁶⁾، وذكر ابن طباطبا أنه: "ينبغي للشاعر الاحتراز في مفتتح أشعاره، ممَّا يُتطير به، أو يُستجفى من الكلام، ولا سيَّما في المدائح أو التَّهاني"⁽⁷⁾.

وقد جعل النقاد مقياساً عاماً لمطالع القصائد، فيجب أن يكون المطلع جيداً من حيث الأسلوب والمعنى، ويندرج تحت جودة الأسلوب أن يكون فخماً جزلاً، حلواً، سهلاً، وأن يكون

(¹) القاضي الجرجاني الأديب الناقد، 182 .

(²) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، 126 .

(³) مقالات في الشعر ونقده، 209.

(⁴) العمدة، 218/1، ويعمل ابن رشيق اهتمام النقاد القدماء بالمطلع بقوله: "إنَّه يدفع السَّامع إلى التَّنبيه والإصغاء إنَّ كان جيداً أسراً، وإلى الفتور والانصراف إنَّ كان ضعيفاً، لذلك عني الشعراء به، وصرفوا همَّهم إلى الإبداع فيه، وبلغ كثير منهم في ذلك مقاماً محموداً"، نفسه، 217/1.

(⁵) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأديباء، 286

(⁶) ينظر: العسكري، أبو هلال، الصناعتين، 437/1.

(⁷) عيار الشعر، 204.

واضحًا بعيدًا عن التّعقيد، ومجردًا من الألفاظ التي تدل على الضّعف والتّكلان كابتنائهم — (ألا) و (خليلي) و(قد) ⁽¹⁾، ويشترط عبد المطلب مصطفى في المطلع أن يكون "عذب اللفظ، سهل السبك، صحيح المعاني، وأنّ عيب الشاعر فيه ما يفحش ألفاظه" ⁽²⁾.

على هذا النحو مضى ابن الكتّاني يبدأ قصيدته المذحية، حيث بناها مستجيبًا للتقاليد الفنيّة التي جرى عليها الشعراء منذ القدم بما ورثوه عن أسلافهم، وذلك فيما يخص شكل القصيدة ونهجها، حيث تناول في أغلب قصائده أبرز مقومات بناء القصيدة المتمثلة في: مقدّماتها، وحسن التّخلص بين موضوعاتها، والخاتمة، وما يتّصل بذلك من حديث عن وحدة البناء، ووَحدة القصيدة.

ومن هنا تستطيع الباحثة القول: إنّ مقدمات القصائد عند ابن الكتّاني يمكن تقسيمها إلى نمطين رئيسيين:

أولهما : نمط تشبّث فيه الشاعر بالشكل التقليدي الذي سار عليه الشعراء منذ القدم، فكان يستهلّ بعض قصائده بالمقدّمات الغزليّة والطلليّة وما يتعلق بها من مجلس الشّراب وما فيه من السّقاة والجواري والقيان والغلمان وغيرها، وقد ظهر ذلك جليًّا في قصائده التي نظمها في المدح.

ومن الأمثلة على النمط الأوّل وهو الغالب في شيعره، قوله يمدح الملك الظّاهر غازي بن

صلاح الدين الأيوبيّ، وقد استهلّها بمقدمة غزليّة: [63]

(¹) ينظر: ابن رشيق، العمدة، 218/2.

(²) اتجاهات النقد خلال القرنين السّادس والسّابع الهجريين، 166.

(الطويل)

تُرَى مَنْ كَسَاكَ الْحُسْنَ مِنْ بَعْدِ مَا خَطَا عِذَارُكَ لَمَّا نَدَّ بِالْنَدِّ وَاخْتَطَا
وَمَنْ رَاشَ مِنْ جَفْنَيْكَ لِلنَّاسِ أَسْهُمَا تَعَطُّ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ بِهِ عَطَا⁽¹⁾

وقوله يمدح الملك الصالح وقد استهلها بالوقوف على الأطلال: [1] (مجزوء الرمل)

صَاحِ بِالزَّوْرَاءِ عُجْ بِـي زَادَ بِالزَّوْرَاءِ عُجْبِي
وَاسْأَلِ الدَّارَ عَنِ الْغِيَا لَعَلَّ الدَّارَ تُنْبِي⁽²⁾

ثانيهما: نمط تحرر فيه الشاعر من المقدمات التقليدية وغيرها، حيث يلج الشاعر فيه إلى الموضوع مباشرة، دون أن يظهر أي تقسيم في قصيدته، وذلك عندما تكون القصيدة ذات موضوع واحد يغلب عليها كلها، وغالبًا ما يكون ذلك في قصائد الإخوانيات والوصف والحنين والغزل والعتاب.

ومن الأمثلة على ذلك قوله في قصيدته التي نظمها جوابًا لكتاب ورد إليه من المقرَّب

يونس القرقوبي، يُظهِرُ فِيهَا حَنِينَهُ إِلَيْهِ، وَإِلَى أَيَّامِ شَبَابِهِ فِي مَدِينَةِ الزَّوْرَاءِ: [21] (مجزوء الكامل)

وَأَفَى كِتَابُكَ يَا مُقَرَّبَ فَبَدَا يُذَكِّرُنِي وَأَعْرَبَ
عَنْ طَيْبِ رِيْعَانِ الشَّبَا بِ وَنَحْنُ بِالزَّوْرَاءِ نَلْعَبُ⁽³⁾

وقوله يهنئ الملك المسعود قطب الدين بعيد الفطر: [81] (الخفيف)

جَاءَكَ الْعِيدُ يَا أَجَلَ الْمُلُوكِ فَارْتَشِفْهَا عَلَى أَذَانِ الدُّيُوكِ
مِنْ سَلَافٍ تُضِيءُ فِي اللَّيْلَةِ النَّيْـ لَاءِ نَارًا فِي جَوْهَرِ مَسْبُوكِ⁽⁴⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 315.

(2) نفسه، 256.

(3) نفسه، 272.

(4) نفسه، 325.

وتلاحظ الباحثة تحرّر الشاعر من المقدمات التقليدية، فقد تميّزت مطالعه في القصائد بوضوح المعنى وعذوبة الألفاظ وجرس العبارة، كما أنّها تجتذب السّامع وتثير فيه الانفعال الذي يريده الشاعر.

ومما يتّصل بمقدمة القصيدة الحديث عن مطلعها، فهو بالإضافة إلى أنّه أوّل ما يُقرع في السّمع، فإنّه ينبغي أن يكون مناسباً و متمشياً مع موضوع القصيدة، وقد بدأ ابن الكتّاني شعره بما يتناسب وموضوع القصيدة، وسار على أسس النّقاد ومعاييرهم في قصائده، ولا سيّما قصائد المدح، فأغلب قصائده تسير على نسق واحد من البناء، حيث جاءت في ثلاثة أجزاء، إذ يبدأ بالاستهلال الحسن، وقد يتخلّل القصيدة بعض الموضوعات الأخرى ذات العلاقة بموضوع القصيدة، ثمّ يتخلّص إلى الغرض الرئيس، ثمّ يختم قصيدته فيجتهد، محققاً بذلك شرط النّقاد الذي يؤدي إلى "استعطاف أسماع الحضور، واستمالتهم إلى الإصغاء" (1).

أما التّصريح (2) الذي اشترطه النّقاد في مطلع القصيدة، فقد التزم ابن الكتّاني به في معظم قصائده، من ذلك قوله: [34]

(الرمّل)

قَفْ عَلَى الْجَزَعِ مَتَى شِئْتَ وَنَادِي فَعَسَى يُخْبِرُكَ الْجَزَعُ مُرَادِي (3)

(المنسرح)

وقوله: [95]

يَا لَيْلَةَ زَارِي مُحْيَاهَا بَغِيرِ وَعْدٍ مَا كَانَ أَوْفَاهَا (4)

(1) ينظر: القاضي الجرجاني، علي، الوساطة بين المتنبي وخصومه، 48 .

(2) التّصريح: "عبارة عن استواء آخر جزء في صدر البيت وآخر جزء في عجزه في الوزن والروي والإعراب"

ابن حجة الحموي، خزنة الأدب، 278/2.

(3) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 287.

(4) نفسه، 337.

وعلى الرغم من التزام الشاعر بالتصريح في معظم قصائده، إلا أنه قد حاد عنه وأهمله

في قصائد أخرى، من ذلك قوله: [80] (مجزوء الرمل)

قُلْ لِنَجْمِ الدِّينِ يَا مَنْ عَمَّ بِالْجُودِ الْخَلْقُ⁽¹⁾

وقوله: [37] (الكامل)

كَمْ قَدْ سَهَرْتُ عَلَى عُلاكَ بِمِدْحَةٍ غَرَاءَ مَا صَلَحَتْ لِعَيْرِكَ أَحْمَدُ⁽²⁾

فيبدو أن الشاعر كان حريصاً على التصريح، كونه يعدُّ دِعامَةً موسيقيةً بارزة في النصِّ

الشعري⁽³⁾.

وستعرض الباحثة بعض النماذج التي توضّح ما يتعلّق ببناء القصيدة من مطلع وحسن

تخلّص وخاتمة.

فمن أمثلة المطالع الحسنة عند ابن الكتاني، قوله في افتتاح قصيدته التي مدح فيها الملك

المسعود: [88] (المتقارب)

تَعَلَّقْتُ أَسْمَرَ كَالذَّابِلِ مَلِيحِ الشَّمَائِلِ مِنْ بَابِلِ⁽⁴⁾

استهلَّ الشاعر قصيدته بمطلع حسن، وصاغه بعبارة سلسلة واضحة، وألفاظ عذبة رقيقة،

فمنذ الكلمة الأولى "تَعَلَّقْتُ" يشعر السامع بأنَّ الشاعر قد تعلّق بشخص أحبّه، ثم تأتي كلمة

"كالذابل" لتقرب هذا الشيء إلى ذهن السامع، فهو شيء تعلّق به من شدة رفقته، ثم تأتي كلمة

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 324.

(2) نفسه، 291.

(3) فائدة التصريح في الشعر "أنه قبل كمال البيت الأول في القصيدة تعلّم قافيتها" ابن الأثير، المثل

السائر، 237/1.

(4) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 330.

"مليح الشمائل" لتدلّ على المكانة التي يحتلها الممدوح، وبهذا فإنّ ما نتلمسه عند ابن الكتاني الانسجام بين المطلع وموضوع القصيدة، وهو بما استخدمه من ألفاظ قد بيّن عاطفته تجاه ذلك الممدوح، وهي عاطفة مشوبة بالإعجاب.

يلحظ القارئ أنّ الشاعر قد استهلّ قصيدته بمفتاح يحمل المعنى العام للقصيدة، ويتناسب مع موضوعها، تتلوه أبيات عدّة تُفصّل هذا المعنى، ويمهّد الشاعر من خلالها الانتقال إلى غرض القصيدة الأساسي.

وقد تغزّل الشاعر في فاتحة القصيدة بأحد الغلمان، وبسط فيها جواً يشي بالقوّة والجمال، فأسبغ على الغلام الصفات التي تصوّر محاسنه، واستعار في ذلك أدوات الحرب والسلاح، واستخدمها في وصف أثر هذا الغلام في النفوس كألفاظ القتل والجرح، المتمثلة في الألفاظ الآتية: رماك بالحاظه، وطرفه النابل، وسهام الجفون، وفوّقتها يدُ القاتل، ويقول في ذلك: [88] (المتقارب)

يَمِيسُ عَلَى الدَّعْصِ مِنْ لِينِهِ	فَأَخْشَى عَلَى خَصْرِهِ النَّاحِلِ
إِذَا هَزَّتِ الرِّيحُ أَعْطَافَهُ	تَمَايَلَ كَالْغُصْنِ الْمَائِلِ
وَقَدْ سَيَّجَ الْحُسْنَ فِي عَارِضِيهِ	عِذَارًا مِنَ الْعَبْرِ السَّائِلِ
وَيَيْسُمُ عَنْ لَوْلُو كَلَمًا	تَأَلَّقَ عَنْ شَنْبِ كَامِلِ
تَجُولُ الْمُدَامُ عَلَى ثَغْرِهِ	فَأَحْسَدُ لِلْسَّائِلِ الْجَائِلِ
إِذَا مَا رَمَاكَ بِالْحَاطِظِهِ	فَحِذْرَكَ مِنْ طَرْفِهِ النَّابِلِ
فَلَا مَرَّهْمُ لِسَهَامِ الْجُفُونِ	وَقَدْ فَوَّقَتْهَا يَدُ الْقَاتِلِ ⁽¹⁾

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 330-331.

فالشاعر هنا جسد في الغلام كل صفات الجمال والقوة ، وقد منحه الملك المسعود صفات الجمال والقوة والمنعة حتى استعصت على كل طالب، ومن ثم فإن الشاعر حين واجه ممدوحه على نحو مباشر كان الجمال والقوة من أبرز الصفات التي خلعتها عليه وعلى دولته، يقول: [88]

(المقارب)

يَرُوقُ لِي الْعَذْلُ مِنْ حُبِّهِ	فَأَعَشَقْتُ لِأَتَمِّ الْعَانِلِ
وَيَبْخُلُ بِالْوَصْلِ حَتَّى الْخِيَالِ	فَأَفْدِيهِ مِنْ رَشَا بِاخِلِ
إِذَا مَا تَحَفَّظْتُ مِنْ جَوْرِهِ	وَلَمْ أَكُ لِلْجَوْرِ بِالْحَامِلِ
فَلَسْتُ أَعْدُ مَعَ الْعَاشِقِينَ	وَلَا خَيْرَ فِي الْعَاشِقِ الْجَاهِلِ ⁽¹⁾

تلحظ الباحثة أن الشاعر يخلص من هذا الغزل الحزين الشاكي إلى شكوى الصّدود والهجران، فالمحبيب قد جار عليه وظلمه، في الوقت الذي لم يكن الشاعر فيه يحمل في نفسه ظمًا له، ويتخلص الشاعر إلى المدح من غير تكلف، دون أن يشعر القارئ بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد انتقل إلى المعنى الثاني لقوة الالتئام والممازجة، وهذا الجوّ الذي ينشره الشاعر في مقدّمة قصيدته ما هو إلا استئزال للملك المسعود كي يصغي إليه بكلّ سمعه، وقد برع الشاعر في التخلص إلى المدح، فيرى تفاني الرجال على حبّ ذلك الغلام وطمعهم به فلا يحصلون منه على طائل، ويعلن اهتمامه بالملك المسعود،

بأن تكون وجهته إليه فقط كونه الملك العادل، وفي ذلك يقول: [88] (المقارب)

أَقُولُ وَقَدْ سَلَّ مِنْ جَفْنِهِ	حُسَامًا يَطُولُ عَلَى الْعَامِلِ
(تَفَانِي الرَّجَالِ عَلَى حُبِّهِ	وَمَا يَخْصُلُونَ عَلَى طَائِلِ)
فَدَعُ عَنْكَ ذِكْرَ طِمَاعِ النُّفُوسِ	وَعَدِّ إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ ⁽²⁾

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 331.

(²) نفسه والصفحة نفسها.

يظهر في الأبيات السابقة حسن التخلّص مما أدى إلى اتّصال الغزل بالمديح، دون حدود فاصلة، وحسن التخلّص هو ممّا يتّصل بالقصائد ذات المقدمات، وقد عدّه النُّقاد من الأمور الجيدة والمحبة في القصيدة، والدّالة على قدرة الشّاعر وبراعته، فابن الكتّاني بدأ بالغزل وانتقل إلى المديح، دون أن يُشعر المتلقي بهذا الانتقال، ونلاحظ من هذا كلّهُ أنّ ثمة خيطاً نفسياً دقيقاً يجمع بين ألفاظ القصيدة بعضها إلى بعض، فحين ينتقل الشّاعر إلى مدح الملك المسعود يختار له من الصّفات ما يتلاءم والمناسبة التي قبلت فيها القصيدة، ويسبغ عليه أقوى الصفات، جاعلاً منه جواداً كريماً يعطي كلّ سائل، وشجاعاً له من القوّة ما يمكنه من القضاء على الأعداء المتخاذلين يوم النّزال، فيقول: [88]

(المتقارب)

وَلَا تَثْنِ عَزْمَكَ عَنْ مَاجِدٍ	يُخْلِلُ لِلْعَارِضِ الْهَاطِلِ
إِذَا سَأَلَ النَّاسُ مَا فِي يَدَيْهِ	يَرَى ذَاكَ شُحّاً مِنْ السَّائِلِ
يَرَى بَذْلَ وَجْهِكَ عِنْدَ السُّوَا	لِ أَكْثَرِ مَنْ ذَلِكَ النَّائِلِ
وَيَحْتَقِرُ الْأُسْدُ يَوْمَ النَّزَالِ	وَلَوْ أَنَّهَا عَدَدُ الْوَابِلِ
وَيَقْتُلِعُ الْخَيْلَ مَسْرُودَةً	تَهِفُ بِكُلِّ فَتًى بِاسِلِ ⁽¹⁾

وقد خصّ الشاعر الممدوح ببيت حاول فيه أن يشعر القارئ وبتدرُّج ملحوظ بقرب النّهاية

الوشيكّة، إذ يقول: [88]

(المتقارب)

لَقَدْ عَلِمَ الْبَيْضَ ضَرْبَ الطُّلَا	وَسُمِرَ الْقَتَا الطَّعْنَ فِي الْجَاهِلِ ⁽²⁾
---	---

وإذا ما أراد الشاعر أن يُنهي قصيدته فإنّه يختار لها خاتمة تتلاءم مع الجوّ العام الذي بثّه فيها، فيَصِلُ إلى ختام القصيدة بعد أن جعل للممدوح من القوّة التي تُذهل الجميع ممّا يجعلهم

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 331-332.

(2) نفسه، 332.

يلجأون إليه في النَّائِبَات، فهو النَّصِير لهم فيها، وهذه القوَّة التي منحها للممدوح تتناسب تمامًا مع

القوَّة والجمال اللَّذَيْن منحهما للغلام، إذ يقول: [88] (المقارب)

بِهِ نَسْتَطِيلُ عَلَى النَّائِبَاتِ وَأَيْنَ النَّصِيرُ مِنَ الْخَاذِلِ⁽¹⁾

ومن الجدير ذكره أنَّ الشَّاعر بدأ هذه القصيدة بمقدِّمة غزليَّة تغزِّل فيها بغلام أسمر، وجاء غزله في ثلاثة عشر بيتًا ثمَّ تَخَلَّصَ إلى المدح في بيتين ثمَّ جاء المدح في ستَّة أبيات، ثمَّ ختم القصيدة بالإشادة والنَّثاء على الممدوح، ومما يلحظ على هذه القصيدة قِلَّة أبيات المدح، وقد استنبح النِّقاد هذه الظاهرة وعدُّوها من عيوب المدح، ومن بينهم ابن رشيق إذ يقول: "من عيوب هذا الباب أَنْ يَكْثُرَ التَّغَزُّلُ وَيَقُلَّ المَدِّحُ"⁽²⁾.

ومن المفيد أنْ نقف عند نموذج آخر من قصائد الشَّاعر، يظهر فيها المطلع وحسن التخلُّص والخاتمة، فالقارئ لمطالع القصائد عند ابن الكتَّاني يلحظ أنَّه قد وُفِّق في مطالعه توفيقًا حسنًا، فقد عمد إلى استخدام الألفاظ المناسبة للموضوع المتحدَّث عنه، وجاء المطلع مناسبًا لغرض القصيدة، وكانَّ المطلع يدل على الموضوع الذي ستتحدث عنه الأبيات التي تليه، ومن ذلك قصيدته التي يمدح فيها الملك الصَّالح محمود بن محمد، ومطلعها: [15] (المنسرح)

وَمَجْلِسٍ رَصَّعَتْ جَوَانِبُهُ عَلَيَّكَ يَا نَاصِرَ الدُّنَا ذَهَبًا⁽³⁾

فمطلع القصيدة جميل، يترك أثرًا عميقًا في النَّفس، ويجتذب القارئ بجمال صياغته، فقد صاغه الشَّاعر في لفظ رائق وتصوير جميل، وموسيقا رقيقة، ولطافة معنى، ويلتمس القارئ

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتَّاني"، 332.

(2) العمدة، 123/2.

(3) القسم الثاني "شعر ابن الكتَّاني"، 266.

الانسجام بين المطلع وموضوع القصيدة في المكانة التي يرسمها الشاعر للممدوح من خلال قصيدته، وتجلى ذلك عندما خصَّ الممدوح بقوله: (يا ناصر الدُّنَا ذهبًا)، ثم يستهلّ الشاعر قصيدته في تصوير مجلس لهو ومجون، واصفًا ما دار في هذا المجلس بألفاظ عذبة رقيقة، متغنيًا بالشراب وبجمال قَيْنَةٍ حلوة، وقد مضى الشاعر في هذا النسيب الرقيق، إذ يقول: [15] (المنسرح)

تَدُورُ كَاسَاتُهُ وَقَدْ عَقَدَ الـ مَزْجُ مِنَ الدُّرِّ حَوْلَهَا حَبَبَا
مَعَ قَيْنَةٍ حُلُوةٍ إِذَا عَثَّتْ أَكْفُهَا خِلَتْ جَحْفَلًا لَجَبَا
تَبْسِمُ عَنْ لَوْلُو كَأَنَّ بِهِ مِسْكَ فَتَيْقَا وَعَنْبَرًا وَكَبَا
يَرُوقُ لِلشَّرْبِ رِيْقَهَا فَإِذَا مَا مَزَجَ الْكَاسَ رِيْقَهَا عَذْبَا
إِنْ لَفَّتْ ظَبْيَةٌ وَإِنْ نَظَرَتْ إِلَيْكَ سَلَّتْ مِنَ الْجُفُونِ ظُبَا⁽¹⁾

بعد هذا الاستهلال الذي يبين فيه الشاعر جمال القينة الأخاذ وما يبعثه في النفس من نشوة وصفاء، يتخلّص إلى المدح بأسلوب حسن لطيف من غير تكلف، ليمتزج بما قبله من الغزل الرقيق، وبما بعده من المدح دون انفصال، وبذلك تكون قد تحققت فائدة الاستهلال في " أن يُعرف من مبدأ الكلام ما المراد به" ⁽²⁾ فتتالت الأبيات وقد أخذ بعضها برقاب بعض في تناسب دقيق، وترابط محكم، وهذا ما يراه النقاد من أنه سبب ارتياح الممدوح ⁽³⁾، وقد أحسن التخلّص جاعلاً المعنى الأوّل وهو الاستهلال سبباً إليه، وذلك عندما جعل من القينة الجميلة أن تظهر على الملك الذي ساد العالم، مُشيداً بجوده وعطائه، وبأصله ونسبه الكريمين، إذ يقول: [15]

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 266.

(2) ابن الأثير، المثل السائر، 223/2 .

(3) ينظر: ابن رشيق، العمدة، 217/1 .

(المنسرح)

تُجَلَّى عَلَى مَالِكٍ يَسُودُ عَلَى الْـ عَالَمٍ أُمَّا كَرِيمَةً وَأَبَا
أَسْمَحَ مِنْ حَاتِمٍ نَدَى وَيَدَا وَرَاحَتَاهُ تُبَخِّلُ السُّحْبَا⁽¹⁾
ثم يستطرد الشاعر في هذا المدح في تناسق جميل، مع حرصه على انتظام المعاني وترابطها في الأبيات، مُشيداً بصفات الممدوح، محاولاً أن يُلفتَ نظره إليه ليهتم به وبشعره، إذ

(المنسرح)

يقول: [15]

يُعْطِي بِلَا مَنَّةٍ وَلَا مَلَلٍ إِذَا انْتَحَاهُ مُؤَمِّلٌ طَلَبَا
تَجُودُ مَا لَا يَجُودُهُ مَلِكٌ وَغَيْرُهُ يَسْتَرِدُّ مَا وَهَبَا
تَرْجُ إِنْعَامَهُ وَنَائِلُهُ فِي جَذَلٍ وَالْمَقَرِّ إِنْ غَضِبَا
تَسْجُدُ شَمْسُ الضُّحَى إِذَا جَلَسَ الصَّنْ صَالِحُ طَوْعَا وَالْبَدْرُ إِنْ رَكِبَا
وَتَسْتَحِطُّ النُّجُومُ هَيْبَتُهُ مِنْ فَلَكٍ ضَمَّ سَبْعَةَ شُهُبَا⁽²⁾

ثم يفتخر الشاعر بنفسه وبشعره، ويستكمل قصيدته متمماً موضوعها، فيقول: [15]

(المنسرح)

إِذَا تَبَاهَى الْأَنَامُ سَادَهُمْ وَحَقَّ مَنْ صَوَّرَ الْوَرَى نَسْبَا
نَظَّمْتُ فِيكَ الْمَدِيحَ يَا مَلِكَا جَوَاهِرًا مَا نَظَّمْتُ مُخْشَلَبَا
فَخَلَّ شِعْرُ الرُّعَاعِ عَنْكَ وَخُذْ شِعْرَ فَتَى قَدْ فَاقَ الْوَرَى أَدْبَا
تَزِيدُ إِنْ غَتَّ الْحُدَاةُ بِهِ وَدَارَتِ الْكَأْسُ بَيْنَنَا طَرَبَا
فَلَا تَحْدُ فِي الزَّمَانِ عَنْ رَجُلٍ عَلَى مَعَالِيكَ حَقُّهُ وَجَبَا

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكثاني"، 266.

(²) نفسه، 267.

يُنْسِيكَ فِي أُرُوسِ الْمَنَابِرِ بِالْ— مَدَحِ ثَنَاءٍ جَمِيعٍ مِّنْ خَطْبَا⁽¹⁾
 لم يكن اهتمام ابن الكتّاني بخاتمة القصيدة أقلَّ مِنْ اهتمامه بمطلعها⁽²⁾، فإذا ما أراد إنهاء
 قصيدته راح يُجمل ما فصله فيها، متدرّجاً بالقارئ إلى آخر بيت فيها، فإذا ما وصل القارئ إليه
 شعر بالاكْتفاء فلا بدّ حينها من التوقّف، وقد عدّ النقاد الخاتمة قاعدة القصيدة و"آخر ما يبقى منها
 في الأسماع، وإذا كان أوّل الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه"⁽³⁾، وعند رجوع
 الباحث لشعر ابن الكتّاني تجد أنّه قد أحسنَ وتدرّج نحو الخاتمة تدرّجاً طبيعياً، وهياً القارئ بقرب
 النهاية، فبدأ ذلك بقوله: [15]

(المنسرح)

كَمْ بَيْنَ مَنْ يَبْذُلُ الرَّغَائِبَ لِيْ وَبَيْنَ مَنْ مَلَّ بَعْدَ مَا رَغَبَا
 اجْهَدْ عَلَى غَلَبِ مَنْ تُعَانِدُ مَا اسْ— طَعْتَ فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمَنْ غَلَبَا⁽⁴⁾

والشاعر يخص الممدوح ببذل العطايا المرغوب بها، ويذكر أنّه الغالب في هذه الدُّنيا،
 محاولاً بذلك الوصول إلى ما يستحقه الممدوح مقابل ذلك، جاعلاً ختام القصيدة دعاءً له بالبقاء مع

(المنسرح)

الدهر في سعة ورخاء من العيش، إذ يقول: [15]

وَابْقَ مَعَ الدَّهْرِ فِي بُلْهَيْتِهِ مَا شَاقَ صَبًّا حَبِيبُهُ فَصَبَا⁽⁵⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 267.

(2) واهتمام الشاعر بخاتمة القصيدة يتفق مع رأي النقاد فيما ينبغي أن تكون عليه الخاتمة، وذلك في "أن لا يُقطع الكلام على لفظ كربه، أو معنى منفّر للنفس، وأن يكون الختام مناسباً للغرض الذي سبقت له القصيدة، وأن يتضمن معنى تاماً يؤدّن بالنهاية" مصطفى، عبد المطلب، اتجاهات النقد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، 180.

(3) ابن رشيق، العمدة، 239/1.

(4) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 267.

(5) نفسه والصفحة نفسها.

مما تقدّم تلحظ الباحثة أنّ الشّاعر قد لجأ في مطالع قصائده إلى بعض الأساليب الإنشائية، والتّقريرية والخطابية، لإثارة انتباه المتلقي واهتمامه، وتهيينه لاستماع القول، وستعرّض الباحثة لذلك أثناء الحديث عن اللّغة والأسلوب، كما تبيّن لها أنّ الانسجام بين مطالع القصائد وغرض القصيدة كان واضحاً عند ابن الكتّاني، بالإضافة إلى تميّزها بالجودة والبراعة، والصدّق في التّعبير.

بعد استقراء القصائد التي نظّمها ابن الكتّاني فيما وصل إلينا من شعره، والتي بلغت سبعا وأربعين قصيدة، يتبيّن أنّه استهلّ معظمها بالمقدّمات التّقليدية، وبخاصّة قصائد المدح، ولعلّ ذلك عائداً إلى أنّ الوقوف على الأطلال وذكر المرأة وما يتعلّق بها من الخمرة ومجلسها وسقاتها وما يدور فيها، يتناسب مع الجوّ العامّ للقصيدة⁽¹⁾، فهو مثلاً يضيف على محبوبته صفات القوة والجمال، ليصل من خلالها إلى ممدوحه ويثني عليه، وبالتالي أكثر الشّاعر من الإشادة بصفات القوة التي أسبغها على الممدوح فبدأ وكأنّه المحبوبة تماماً.

يطول المقام بالباحثة لو استعرضت أساليب استهلال ابن الكتّاني لقصائده المدحية، لأنّ أغلب الأغراض التي طرقها الشّاعر كانت في المدح، ولعلّ في النّماذج التي عرّضت سابقاً ما يفي بالغرض، ويُستنتج منها أنّ الشّاعر كان يستهلّ قصيدته بالمقدّمات الغزليّة وغيرها، كونها جاءت مديحاً صريحاً ولا تختصّ بحادثة من الحوادث، ويتّفق هذا مع رأي النّاقّد ابن الأثير، الذي رأى أنّه من الواجب على الشّاعر إذا نظم قصيدة أن ينظر "فإذا كانت مديحاً صريحاً لا يختصّ

(1) ويعلل ابن رشيق سبب افتتاح القصائد بالنّسب، وسيطرته على مقدّمات القصائد، ذاكراً أنّ هذا يعود لما في النّسب "من عطف القلوب، واستدعاء القبول بحسب ما في الطّباع من حبّ الغزل، والميل إلى اللهو والنّساء" العمدة، 225/1.

بحادثة من الحوادث، فهو مخير في أن يفتحها بغزل أو لا، أمّا إذا كانت في فتح أو هزيمة جيش أو غير ذلك، فإنّه لا ينبغي الابتداء بالغزل، بل يرتجل المديح ارتجالاً من أولّها " (1).

أمّا ما تبقى من شعره الذي نظمه في الإخوانيّات والغزل والخمرة والعتاب والوصف فقد كان يلج إلى الموضوع مباشرة، ويهجم على الغرض الأساسي للقصيدة، ونستطيع القول إن مطالع القصائد جاءت واضحة، سهلة اللفظ، واضحة المعاني، مترابطة مع بقية أجزاء القصيدة، وتناسب في مجموعها مع الغرض الأساسي للقصيدة.

أمّا فيما يتعلّق بحسن التخلّص فلم يكن ابن الكتّاني محتاجاً إليه في قصائده الوجدانيّة كالإخوانيّات والحنين والغزل والوصف والعتاب؛ لأنّها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بموضوع القصيدة وجوّها العام، فجاءت المطالع معبرة ومتوافقة مع موضوع القصيدة.

أمّا شعره الذي اشتمل على المقدمات التقليديّة - وبخاصّة القصائد التي قدّم لها بمقدمات غزليّة - فقد أجاد التخلّص من هذه المقدمات وصولاً إلى الغرض الأساسي للقصيدة، وقد ظهر ذلك من خلال النماذج التي عرضتها الباحثة سابقاً (2).

وفيما يتعلّق بالخاتمة فقد وُفق ابن الكتّاني في نهاية القصائد وخواتيمها، محققاً ما ذهب إليه النقاد، ومن الأمثلة على ذلك قوله في خاتمة قصيدته التي مدح فيها عماد الدّين أبا بكر بن داود يُهنئه بعيد الفطر: [23]

(الخفيف)

جاءك العيد يا عماد يُهنّي — كَ بِمُلْكٍ يَبْقَى مَعَ السَّاعَاتِ

(1) المثل السائر، 223/2.

(2) ينظر: الدراسة، 144-151.

وَبِظِلِّ لَوْ سِرَتْ فِي أَلْفِ أَلْفٍ حَجَبَ الشَّمْسِ مِنْ عِيُونِ الْكُمَاةِ⁽¹⁾

وقوله مختتمًا قصيدته التي قالها متشوقًا للمقرَّب يونس بن أحمد القرقوبي: [21] (مجزوء الكامل)

مَا زَالَتِ الدُّنْيَا تَجِيءُ بِأَهْلَهَا أَبَدًا وَتَذْهَبُ⁽²⁾

ويختتم قصيدته التي يمدح فيها بدر الدِّين كَنَّان، طالبًا إنجاز وعده، بقوله: [27]

(مجزوء الرمل)

أَنْجِزِ الْوَعْدَ وَلَا تَخْشَعْ بَسْ بِذَا الْعَيْدِ الْخَرَجَا

فَخِيَارُ الْبِرِّ مَا عَجَبُ جِلِّ يَا بَذْرُ وَرَاجَا⁽³⁾

وأجمل من ذلك خاتمة قصيدته التي قالها يمدح فيها الملك الظَّاهر: [63] (الطويل)

إِلَى الظَّاهِرِ الْمَلِكِ الَّذِي بَحْرُ جُودِهِ يَغْطِيهِ رَاجِي جَوَاهِرِهِ غَطًّا⁽⁴⁾

فمعظم الخواتيم التي أنهى بها الشَّاعر قصائده جاءت متعلقة بالجور العام للأبيات، ومناسبة للغرض الذي سيقَّت إليه، وجاءت مُعَبَّرَةً عن عواطف الشَّاعر، وملخَّصة لما أراده الشَّاعر فيما سبق من الأبيات، فقد يلجأ الشَّاعر في الخاتمة إلى الدَّعاء للممدوح كما ورد ذلك في النماذج التي عُرضت سابقًا، وقد يختتم الشَّاعر بعبارات سهلة التَّركيب، واضحة المعنى، وتتناسب مع جوَّ القصيدة وغرضها الأساسي، فيشعر القارئ حينها أنَّ القصيدة قد انتهت، وأنَّه لا مزيد.

أما فيما يتعلق بطول القصيدة ووحدةها، فقد تحدَّث بعض النُّقاد العرب القدماء عن طول القصيدة العربية، وذكروا أنَّ تطويل القصائد محمود في مواقف التهويل والتفخيم، مثل الحماسة

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 275.

(2) نفسه، 272.

(3) نفسه، 281.

(4) نفسه، 317.

والمدح والرتاء⁽¹⁾، ويلاحظ أن أطول قصائد ابن الكتاني بلغ عددها واحداً وثلاثين بيتاً،

ومطلعها: [60]

(السريع)

قُمْ فَاسْقِنِي يَا طَلْعَةَ الشَّمْسِ سُلَافَةً تَحْيَا بِهَا نَفْسِي⁽²⁾

وقد بلغ عدد أبيات قصيدة أخرى سبعة وعشرين بيتاً، وعلى الرغم من أن أغلب شعر ابن الكتاني يصب في المدح إلا أنه من الملاحظ أن السمة الغالبة على قصائده هي التوسط خاصة في المدح والإخوانيات، وقد يكون للشاعر قصائد أخرى طويلة لم تصل إلينا، أو ضاعت كما ضاع الكثير من الشعر العربي، في هذه الحقبة الزمنية.

أمّا فيما يتعلّق بالوَحْدَة العضويّة فقد حظي هذا الموضوع باهتمام كبير من النقاد، فابن رشيق يشبّه القصيدة في وحدتها وتماسكها، بجسم الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض⁽³⁾، وفي رأي بعض النقاد يستطيع الشاعر أن يحقق الوحدة العضوية في القصيدة التي تنظم في غرض شعري واحد أو في أغراض متعددة إن توفّر الانسجام في العاطفة المسيطرة بين موضوعاتها، بحيث تجذب نحوها بقية العواطف التي يقع الشاعر تحت تأثيرها عند نظم قصيدته ذات الموضوعات المتعددة.

ويلق يوسف بكّار على هذا الجانب قائلاً: "إنّ الشاعر يحقق هذه الوحدة في بنائه لقصيدته، بعد أن يرتّب موضوعاتها ترتيباً يقوم على نحو مطّرد، بحيث ينشأ أحدها عن سابقه نشوءاً عضويّاً مُقنّعا، ويقود إلى لاحقه، بحيث تتكامل أجزاء القصيدة في توضيح عاطفتها

(1) ينظر: ابن رشيق، العمدة، 186/2، القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء، 288.

(2) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 309.

(3) ينظر: العمدة، 117/2.

المسيطرة، واتجاهها المركزي، حتّى إذا قرأنا القصيدة ازددنا دخولاً في عاطفتها، وبصرّاً باتجاهها فتركت علينا في النهاية أثراً فنياً موحداً متكاملًا، لم نشعر فيه بخلل أو تناقض أو انتكاس من الشاعر عن اتجاهه الذي كان يتّخذه" (1).

وقد حرصَ ابن الكتّاني على توفير العناصر الكافية لقصيدته وبخاصّة في قصائده المدحيّة منها، مما كفّل لها التماسك والانسجام، وبذلك تكون قصيدة المدح قد اتّسمت بوحدة الموضوع. كما لاحظت الباحثة تعدّد الموضوعات في بعض قصائد ابن الكتّاني المدحيّة، كما فعل في القصيدة التي مدح فيها الأسد المصري فقد استهلّها بالمدح والإشادة بالممدوح في ستة أبيات، ونادرًا ما يستهلّ ابن الكتّاني قصيدته المدحيّة مباشرة بالثناء على الممدوح، إذ يقول: [50]

(الهزج)

أَلَا يَا أَسَدَ الدِّينِ	وَحَقَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ
لَقَدْ أَوْحَشَنِي شَخْصٌ	كَفِي صَحْوِي وَفِي سُكْرِي
وَمَا لِي أَحَدٌ أُسْتَبَدُّ	دُفِي الْخَلْقِ بِهِ ظَهْرِي
سِوَى سَامِيكَ يَا مَنْ فَا	قَ فَوْقَ الْأَجْجَمِ الزُّهْرِي
أَرَى قَوْمًا بِإِلَاقَدْرِ	إِذَا مَا جَهَلُوا قَدْرِي
يَخَافُونَ بَأْنَ أَنْظِرْ	مَ فِي أَعْنَاقِهِمْ شِعْرِي (2)

ثمّ يستطرد الشاعر بعد ذلك في الحديث عن الخمرة في تسعة أبيات، ينتقل بعدها إلى الغزل بالمؤنث في ثلاثة أبيات، ثم ينتقل بعد ذلك إلى التّعزّل بالمذكّر في أربعة أبيات، وهو في

(1) بناء القصيدة العربيّة، 273.

(2) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 301.

غزله محب متودّد محتاج لحبيبه، ثمّ يتلطفُ في الانتقال إلى المدح فيأتي مدحه في أربعة أبيات،

إذ يقول: [50]

(الهج)

فَمِنْ طَرَّتِهِ لَيْلِي	وَمِنْ بَهَجَتِهِ فَجْرِي
كَذَاكَ الْفَالِقُ الْهَامَا	تِ أَعْنِي الْأَسَدَ الْمِصْرِي
كَرِيمًا غَرَّقَ الْعَالَمَ	مَ فِي الْبِرِّ مِنَ الْبِرِّ
وَيَحْمِي الْبَيْضَ بِالْبَيْضِ	وَيَحْمِي السُّمْرَ بِالسُّمْرِ
تَرَاهُ وَدَمَ الْمَالِ	عَلَى صَارِمِهِ يَجْرِي ⁽¹⁾

والمتملّ لهذه القصيدة - على الرّغم من تعدّد الموضوعات فيها - يجد أنّها حققت وحدةً منطقيةً، ولا يجد تناقضاً بين أجزائها، فكل غرض فرعي في القصيدة يصبّ في الغرض الأصل بطريقه أو بأخرى، فقد اجتمعت فيها مجموعة من المعاني التي جاءت لتحقيق غاية موضوعية واحدة وهي الإشادة بالممدوح، وبناءً عليه جاءت القصيدة مترابطة الأجزاء، متّحدة المعاني، متكاملة البناء، على الرّغم من احتواء بعضها على أكثر من فكرة، وأكثر من عاطفة، سار من خلالها مع العاطفة المسيطرة فيها، وحقق في النهاية الوحدة العضوية للقصيدة.

وتكاد قصيدة المدح لدى الشّاعر تسلك سبيلاً واحداً في هيكلها **الفني**؛ فالشّاعر غالباً ما يستهلّها بمقدّمة في النّسب، وتطول هذه المقدّمة أحياناً، ثمّ يتخلص من الغزل إلى المدح على نحو متقن، ثمّ يُنتهي على الممدوح ويُشيد بصفاته وغالباً ما يُنهي الشّاعر قصيدته المدحية بخاتمة يدعو فيها للممدوح، أو يعرض فيها حالته ويصوّر حاجته.

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 302-303.

ومن يتأمل قصائد الشاعر التي نظمها في الأغراض الأخرى، يجد أن موضوعاتها قد جاءت مترابطة ومتناسقة، ومعانيها منتظمة، وأفكارها متصلة ومنظمة، وإن بدا للناظر للوهلة الأولى أنها ذات محاور متعددة إلا أن الترابط والانسجام متوفران فيها، وبذلك يكون الشاعر قد حقق الوحدة العضوية، ومن الأمثلة على الوحدة العضوية للقصيدة النماذج التي عُرِضت سابقاً في هذا المجال⁽¹⁾.

وقد كثرت المقطوعات الشعرية بصورة واضحة في شعر ابن الكتاني، فجاءت كالوَمَصَّات السريعة التي تحمل في طياتها سرعة الانفعال والعرض، وتميّزت بوحدة الفكرة وقوة العاطفة، قالها في مختلف الموضوعات الشعرية التي طرقها، ولا يزيد عدد هذه المقطوعات عن الخمسين، ويتراوح عدد أبياتها بين البيتين والستة أبيات، هذا على اعتبار ما ذهب إليه النقاد من أن القصيدة ما تكونت من سبعة أبيات فأكثر⁽²⁾، ومن الجدير ذكره أن ظاهرة المقطوعات الشعرية قد كثرت خلال القرن السادس الهجري بصورة واضحة، ولا سيما في الغزل، والشكوى، وقد اتّسمت أغلب هذه المقطوعات بوحدة الفكر وقوة العاطفة⁽³⁾، وهذا ما تميل الباحثة إليه.

فمقطوعات الشاعر صاغها في أبيات قليلة انبثقت عن انفعال شديد دار في نفس الشاعر، وفي ذلك يقول حسن عبد الهادي: "إن ظاهرة المقطوعات القصيرة يجب أن تفهم على أنها وحدة

(1) ينظر: الدراسة، 144-151.

(2) ينظر: ابن رشيق، **العمدة**، 188/1.

(3) ينظر: الرقب، شفيق، **الشعر العربي في بلاد الشام في القرن السادس الهجري**، 314.

متكاملة، شأنها شأن القصيدة، وأنَّ الشَّاعر أراد أن يقول شيئاً فاكثفَ ببيتين أو ثلاثة أبيات ليقول ما يريد، وحاجته للقول قد استنفذت خلال هذه الأبيات الثلاثة مثلاً " (1).

وقد تنوعت المقطوعات الشعرية التي نظمها ابن الكتاني، ويعود ذلك إلى طبيعة العصر الذي عاش فيه، حيث كثرت فيه المقطوعات بصورة واضحة، وقد تطرَّق الشَّاعر فيها إلى الموضوعات العامة من غزل ووصف وعتاب وشكوى، ومن الغزل قوله: [76] (البسيط)

ثَمَلْتُ مِنْ حُسْنِهِ وَالْكَاسُ يَرشُفُهَا	ظَبْيٌ مِنَ التُّرْكِ أَضْحَى وَهُوَ مَعْشُوقٌ
ثَبَّتْ كَأَنَّ فِيهِ وَهُوَ مُعْتَبِقٌ	مِسْكَاً وَفِي يَدِهِ طَاسٌ وَإِبْرِيقٌ
ثُمَّ احْتَسَيْتُ مُدَامَ الْحُبِّ مِنْ فَمِهِ	صِرْفًا وَقَدْ زَانَهَا ثَغْرٌ وَرَاوُوقٌ
ثَقُّ بِي فَلَسْتُ مُذِيعًا سِرُّكُمْ أَبَدًا	وَالسِّرُّ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ صُنْدُوقٌ
تَكَلْتُ مَنْ لَامَنِي فِي نَبْتٍ عَارِضِهِ	وَقَدْ بَدَأَ فِيهِ تَنْوِينٌ وَتَعْرِيقٌ (2)

والقارئ لهذه الأبيات يلحظ سهولة ألفاظها وعذوبتها ورقتها، وقرب معانيها وخلوها من التَّكَلُّفِ والتَّعْقِيدِ، وهذا شأن المقطعات الشعرية لدى ابن الكتاني.

(1) دراسة شعر شمس الدين النواجي، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، القاهرة، 1980م، 260.

(2) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 322.

المبحث الثاني: الأسلوب واللغة:

المحور الأول: الأسلوب الزخرفي.

المحور الثاني: الأسلوب التقريري.

المحور الثالث: الأسلوب الإنشائي.

المحور الرابع: الأسلوب الخطابي.

المحور الخامس: أساليب أخرى.

المبحث الثاني: الأسلوب واللغة:

ثمة صلة وثيقة بين الأسلوب وأغراض القصيدة، فلكل فن شعري أسلوب خاص به، فأسلوب المديح يختلف عن أسلوب الهجاء، والأسلوب الذي يناسب شعر الغزل لا يصلح للرثاء والفخر، وهكذا بقية الموضوعات التي يحتاج كل منها إلى نسق معين يتلاءم مع موضوعها.

وقد تعرّض النقاد القدامى إلى الحديث عن الصلة الوثيقة بين الأسلوب والأغراض الشعرية، فيجعل القاضي الجرجاني تقسيم الألفاظ على رتب المعاني، ويميز كل غرض بلفظه الملائم لمعناه فيقول: " أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني، فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مديحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطائك، ولا هزلك بمنزلة جدك، ولا تعريضك مثل تصريحك، بل ترتب كلا مرتبته وتوفيه حقه: فتلطف إذا تغزلت، وتقم إذا افتخرت، وتصرّف للمديح تصرّف موقعه؛ فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام؛ فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به، وطريق لا يشاركه الآخر فيه" (1).

ويشير ابن طباطبا إلى مشاكلة اللفظ للمعنى فيقول: "وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها، فهي كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسناً في بعض المعارض دون بعض" (2).

(1) الوساطة بين المتنبي وخصومه، 24.

(2) عيار الشعر، 11.

وفي ذلك يقول ابن الأثير: الألفاظ تقسم على رتب المعاني وأقدارها تأتي مشاكلة لها، متلائمة معها: فالألفاظ الجزلة تستخدم في وصف الحروب، والتهديد وما أشبه ذلك، والألفاظ الرقيقة تستخدم في الغزل ووصف الأشواق، والاستعطاف، وما إلى ذلك⁽¹⁾.

وعليه فإنّ الألفاظ في الاستعمال تنقسم إلى جزلة ورقيقة، ولكلّ منهما موضع يحسن استعماله فيه، فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب . . . أمّا الرقيق فيستعمل في وصف الأشواق⁽²⁾، فللجزل أسلوبٌ يمتاز بالرقّة واللّين والسّهولة، وللرّثاء أسلوبٌ رقيقٌ لين، وللمديح والهجاء أسلوبهما الجزل شديد التأثير، أي أنّ طبيعة الموضوع تحدد - بشكل كبير - نوعيّة الألفاظ والأساليب المستعملة.

ومن الجدير ذكره أنّ الذي يعبر عن شخصيّة الشّاعر وفكره هو الأسلوب ومشاكلته للألفاظ والصور والمعاني، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ ثقافة الشّاعر، وطبّعه، وما يحيط به من تحولات وأحداث، جميعها عوامل تساعد في تحديد السمّات الأسلوبية عند الشّاعر، وابن الكتّاني قد جمع إلى جانب الموهبة الشعريّة ثقافة أدبيّة وظّفها في خدمة شعره.

وإذا عدنا إلى الفنون الشعريّة التي طرقها ابن الكتّاني نلاحظ أنّ شعره في المديح يختلف عن شعره في الأغراض الأخرى، فقد جاء مدحه قويّاً جزلاً، خالياً من التّكلّف والصنّعة، وقد جاءت ألفاظه متلائمة مع منزلة الممدوح، وتراكيبه متينة، غير أنّ الشّاعر مال في بقية أغراضه إلى الرّقّة والسّهولة والعذوبة، فالسّهولة طبعت لغة الشّاعر، وهي صفة تميّز بها الشعراء في

(1) ينظر: المثل السائر، 172/1.

(2) ينظر: نفسه، 172/1، الشايب، أحمد، الأسلوب، 77-83.

مصر والشَّام في العصر الأيوبي، وبما أن الشَّاعر قد عاش فترة في مصر، فالباحثة تجده قد اتَّجه إلى السَّهولة والرفقة التي تميَّز المصريون بها، فالألفاظ لينة، لم يعرفها الشعراء، أصحاب الألفاظ الجزلة الفخمة، وبحور الشعر مجزوءة أو قصيرة ⁽¹⁾.

وقد عرّف ابن حجة الحموي السَّهولة بقوله: " السَّهولة تعني: خلوص اللفظ من التَّكَلُّف والتَّعقيد والتَّعسف في السَّبْكِ، وهي: أن يأتي الشَّاعر بألفاظ سهلة، تتميز على ما سواها، عند من له أدنى ذوق من أهل الأدب، وهي تدل على رقة الحاشية، وحسن الطَّبع وسلامة الرُّويَّة" ⁽²⁾، والرفقة والسَّهولة لا تتحصران في حدود الألفاظ وحدها، بل يجري ذلك على موضوع القصيدة أيضاً، فبدت ظاهرة في أسلوب الشَّاعر، وهذا ما أكده ابن رشيق في قوله: " والكتاب أرقُّ النَّاسِ في الشعر طبعاً، وأملحهم تصنيعاً، وأحلامهم ألفاظاً، وأطفهم معاني، وأبعدهم على تصرُّف، وأبعدهم من تكلف" ⁽³⁾.

وقد لجأ ابن الكتَّاني في شعره إلى مجموعة من الضَّرورات الشعريَّة التي أُبيح للشَّاعر استخدامها دون غيره، كصرف الممنوع من الصَّرْف، وتسهيل الهمزة، وغيرها . . . ، من ذلك قوله: [84]

(البسيط)

يَحْطُّ لِلِّسَنِ النَّحْرِيرِ قَعْرَ خَلَاً وَيَرْفَعُ الْعَيَّ أَعْلَى مُرْتَقَى زَحَلٍ ⁽⁴⁾

فهنا صرف كلمة "زحل" وهي ممنوعة من الصَّرْف.

⁽¹⁾ ينظر: حسين، محمد كامل، دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين، 186.

⁽²⁾ خزانة الأدب وغاية الأرب، 478/2.

⁽³⁾ العمدة، 106/2.

⁽⁴⁾ القسم الثاني "شعر ابن الكتَّاني"، 327.

وقوله: [26]

(البسيط)

تَكَادُ تُخْرِسُ جَالُوتًا إِذَا هَزَجَتْ صَوْتًا وَتُنْطِقُ بَعْدَ الْمَوْتِ جَالُوتًا
نَفَقَتْ فِي عَلَقِ الْعُشَّاقِ سِحْرَ هَوَى بِهِ تَعَبَّدَتْ هَارُوتًا وَمَارُوتًا⁽¹⁾

فهنا صرف الكلمات (جالوت وهاروت وماروت) في البيتين، وهي ممنوعة من الصرف.

ومن الضرائر التي وجدت في شعره تسهيل الهمزة، في مثل قوله: [16]

(الكامل)

وَأَتَيْتُ مِنْ بَلَدِي بَبْلَقَيْسَ التِّي جُلَيْتُ وَجِئْتُ بِعَرْشِهَا لَا مِنْ سَبَا⁽²⁾

فهنا أتى بكلمة "سبا" بدلاً من سبأ.

ومن ذلك قوله: [89]

(مخلع البسيط)

وَلَا لِـرِيمِ الْفَلَاةِ فَرْعٌ أَسْحَمُ مِثْلُ الرَّشَا طَوِيلٌ⁽³⁾

فهنا أتى بكلمة (الرّشَا) بدلاً من الرّشأ.

ومن ذلك قوله: [61]

(الخفيف)

تَتَلَاشَى مِنَ اللَّطَافَةِ فِي الْأَجْبِ — سَامَ لَكِنْ تَفُوقُ عَمْرًا وَشَاسَا⁽⁴⁾

وفي البيت السابق أتى بكلمة (شاس) بدلاً من شأس.

ومن الضرورات التي وجدت في شعره، نصب الفعل المضارع المجزوم في قوله: [27]

(مجزوء الرمل)

وَزَبَادِي الْبَيْتِ لَمْ تَعْرِ — رِفَ يَوْمًا زِيرِبَاجَا⁽⁵⁾

وهنا أتى بكلمة (تعرف) بالفتح، صوابها تعرِفُ بسكون الفاء ولا يستقيم بذلك الوزن.

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 279.

(²) نفسه، 268.

(³) نفسه، 333.

(⁴) نفسه، 314.

(⁵) نفسه، 281.

وقد استخدَم ابن الكَتَّاني الكثير من الأساليب التَّعبيريَّة ليعبرَ من خلالها عن الأغراض التي طرقها، فقد تنوعت الأساليب وتعدّدت، تبعاً لتعدّد الأغراض وأجاد في اختيارها، ويمكن أن تُجمل الباحثة السّمات الأسلوبية التي استخدَمها الشّاعر في شعره ضمن المحاور الآتية: الأسلوب الزخرفي وتقصيد به (استخدام الفنون البديعية في الشّعر)، والأسلوب التّقريري، والأسلوب الإنشائي، والأسلوب الخطابي، وأساليب أخرى، وكان الشّاعر يرواح بين هذه الأساليب في شعره حسب مقتضيات المقام وأحوال المُخاطَب.

المحور الأوّل: الأسلوب الزّخرفي:

ولع الكثير من شعراء هذا العصر بالفنون البديعية، وصرفوا جُلَّ اهتمامهم وعنايتهم إلى استخدامها، فيرى محمد زغلول سلّام أنّ دارسي الأدب في القرنين الخامس والسادس الهجريين قد اهتموا بالبدیع وفنونه، واعتبروه حليّة ضروريّة لا يكون الشّعر إلا بها، فحدّدوا أنواعه وفرّعوا فيها ⁽¹⁾. وكان لهذه الفنون البديعية أثرٌ واضح في شعر ابن الكَتَّاني، فقد استخدم عدداً منها في شعره مثل: الجناس، والطّباق، والمقابلة، والتّقسيم، ورد الأعجاز على الصّدور، والتّورية، والتّصريح:

٧ أمّا **الجناس** فكان ابن الكَتَّاني مولعاً به، وظهر كثيراً في شعره بأنواعه المختلفة، ومن أنواع الجناس التي لجأ إليها الشّاعر جناس التّحريف، وهو ما اتفق ركناه في عدد الحروف وترتيبها واختلفا في الحركات ⁽²⁾، كما في لفظتي "الحبّر" و"الحَبَر" في قوله: [42]

(1) ينظر: تاريخ النّقد العربيّ من القرن الخامس إلى القرن السّابع الهجري، 313.

(2) ينظر: ابن حجة، خزنة الأدب، 441/1-443.

(البسيط)

وَلَمْ أَزَلْ وَحِيَا كَفَيْكَ أَرْتَعُ فِي رَوْضِ الرِّسَائِلِ بَيْنَ الْحَبْرِ وَالْحَبْرِ⁽¹⁾

(الهزج)

وكذلك في لفظتي (البرّ، والبرّ) في قوله: [50]

كَرِيمًا غَرَّقَ الْعَالَمَ — مِمَّ فِي الْبَرِّ مِنَ الْبَرِّ⁽²⁾

كما ظهر في شعره الجناس اللاحق، وهو ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير

(المنسرح)

مخرجه⁽³⁾، كما في كلمتي "سيدي وسندي" في قوله: [33]

مَا النَّوْرُ وَالْأَفْخُوَانُ أَحْسَنُ مِنْ تَغْرِكَ يَا سَيِّدِي وَيَا سَنَدِي⁽⁴⁾

(المديد)

وكذلك في لفظتي "حاز وحار" في قوله: [24]

حَازَ مِنْ حُسْنِ الْبَلَاغَةِ مَا حَارَ فِكْرِي فِي بِلَاغَتِهِ⁽⁵⁾

(المنسرح)

كما ظهر في لفظتي "البرد والزررد" في قوله: [33]

أَمَّا وَتَغَرَّ أَنْقَى مِنَ الْبَرْدِ وَعَارِضُ فِي تَضَاعُفِ الزَّرْدِ⁽⁶⁾

كما ظهر هذا الجناس في آخر القافية في الكلمات الآتية: بَدَدَ، هَدَدَ، سَدَدَ، وذلك في

(المنسرح)

قوله: [41]

بَدَدَ شَمْلِي بِبَيْتِهِ وَأَبَى يَجْمَعُ شَمْلِي مِنْ بَعْدِ مَا بَدَدَ

وَهَدَدَ اللَّيْثَ بِالصُّدُودِ وَمَا يَهْمُ مَيِّتٌ إِنْ صَدَّ أَوْ هَدَدَ

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 295.

(²) نفسه، 303.

(³) ينظر: ابن حجة، خزانة الأدب، 414/1.

(⁴) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 287.

(⁵) نفسه، 277.

(⁶) نفسه، 286.

لَوْلَا تَنَائِيَاهُ مَا اهْتَدَيْتُ وَقَدْ ضَيَّقَ طُرْقِي وَسُبُلَهَا سَدَّدٌ⁽¹⁾

كذلك بدا الجناس غير التام (الناقص) في لفظتي: ينفد، وينفذ، وذلك في قوله: [41]

(المنسرح)

أَخَافُ مِنْ ضَعْفِهِ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَيْتِي يَنْقُذُ أَوْ يَنْفَدُ⁽²⁾

ومن أنواع الجناس التي لجأ إليها الشاعر الجناس المطرف، وهو ما زاد أحد ركنيه على

الآخر حرفاً و كانت الزيادة في طرفه الأول⁽³⁾، كما في لفظتي "يهوي" و"هوي"

في قوله: [13] (مخلع البسيط)

أُرْسِلُهُ فِي الظَّلَامِ يَهْوِي هَوِيٌّ دَلَوِيَّ لَهَا وَجِيبٌ⁽⁴⁾

مما سبق يتبين أن الشاعر قد اعتمد على الجناس ليحقق إيقاعاً موسيقياً خاصاً بالنص

الشعري، ينسجم مع الجو العام للقصيدة.

٧ أما الطباق فقد مال ابن الكتاني إليه، وبالغ في الإكثار منه، ومن أمثلته: [28] (المديد)

جِيرَةٌ صَدُّوا بِلَا سَبَبٍ خَسِرُوا مِثْلِي وَمَا رِبْحُوا⁽⁵⁾

فهنا طباق بين لفظتي: خسروا وربحوا.

ومن أمثلة ذلك: [28] (المديد)

مَلِكٌ بِالْفَقْصِ مُغْتَبِقٌ وَبِذَلِ الْمَالِ مُصْطَبِحٌ⁽⁶⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 293-294.

(2) نفسه، 294.

(3) ينظر: ابن حجة، خزانة الأدب، 84/1.

(4) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 265.

(5) نفسه، 281.

(6) نفسه، 282.

فيلحظ في البيت السابق الطّباق بين لفظتي (مغتبق، مصطبج).

(الرمل)

ومن أمثلة ذلك قوله: [34]

نَارُكُمْ نَارَانِ سُخْطٌ وَرِضًا فَهِيَ ذُخْرٌ لِمُحِبٍّ وَمَعَادِي⁽¹⁾

حيث طابق بين لفظتي (سخط ورضا) وبين لفظتي (محب ومعادي).

أمّا المقابلة فقد لجأ إليها الشاعر في شعره وقصد بها: "إيراد الكلام ثم مقابله بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة"⁽²⁾، وقد قابل ابن الكتّاني بين البيض والسمّر، في

(الهزج)

الشطر الأول والشطر الثاني من البيت اليز يقول فيه: [50]

وَيَحْمِي الْبَيْضَ بِالْبَيْضِ وَيَحْمِي السُّمْرَ بِالسُّمْرِ⁽³⁾

ثمّ قابل بين الشطر الأول والشطر الثاني عندما أراد التعبير عن ازدياد همّ المحبوبة في

حال غياب الشاعر أحياناً ثم فرحها بمجيئه أحياناً أخرى، إذ يقول: [26]

(البسيط)

تَزْدَادُ هَمًّا إِذَا مَا غَبْتَ قَاتَلَهَا حِينًا وَتَفْرَحُ أحيانًا إِذَا جِئَا⁽⁴⁾

(مجزوء الكامل)

ومن أمثله، قوله: [54]

قَدْ كُنْتَ شَمْسًا قَبْلَ أَنْ أَهْوَى هَوَاكَ فَصِرْتَ بَدْرًا⁽⁵⁾

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 288.

(²) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، 337.

(³) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 303.

(⁴) نفسه، 278.

(⁵) نفسه، 306.

v أما التّقسيم فهو من محاسن الكلام وفنون البديع التي عمد إليها الشّاعر، فيرى ابن رشيق أنّ التّقسيم يعني: " استقصاء الشّاعر جميع أقسام ما ابتدأ به " ⁽¹⁾، وقد لجأ ابن الكتّاني إليه في

شعره، كما في قوله: [71] (الخفيف)

كَمْ تَمَرَّرْتُ فِي الْجَحِيمِ وَكَمْ صِرْتُ مُصَاغًا وَكَمْ تَقَلَّبْتُ صِنْفًا ⁽²⁾

ومن أمثله، قوله: [12] (الطويل)

يُحَمِّلُنِي شَوْقًا وَيَقْتُلُنِي قَلْبِي وَيَبْعُدُ عَنِّي وَهُوَ قَرِيبٌ ⁽³⁾

يُلاحظ أنّ لجوء الشّاعر إلى التّقسيم في شعره أضفى على الأبيات موسيقا عذبة جميلة، وتناغمًا بين مفردات كل قسم، تطرّب الأذن لسماعه.

v أما رد الأعجاز على الصدور: فهو التصدير، وسمّاه ابن المعتز: " رد أعجاز الكلام على ما

تقدمها " ⁽⁴⁾، ومن أمثله قول ابن الكتّاني: [12] (الطويل)

وَيُطْرِبُنِي نَوْحُ الْحَمَامِ وَإِنِّي عَلَى الدَّوْحِ مَا نَاحَ الْحَمَامُ طَرُوبٌ ⁽⁵⁾

حيث يظهر التصدير في لفظتي (ويطربني وطروب).

وقوله: [15] (المنسرح)

كَمْ بَيْنَ مَنْ يَبْذُلُ الرِّغَابَ لِي وَبَيْنَ مَنْ مَلَّ بَعْدَ مَا رَغَبَا

اجْهَدْ عَلَى غَلَبِ مَنْ تُعَانِدُ مَا اسْكُطْ فَإِنَّ الدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا ⁽⁶⁾

(¹) ابن رشيق، العمدة، 20/2.

(²) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 320.

(³) نفسه، 264.

(⁴) البديع، 47.

(⁵) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 264.

(⁶) نفسه، 267.

وهنا يظهر التصدير في لفظتي (الرغائب ورغبا)، ولفظتي (غلب وغلبا)..

وقوله: [98]

(مجزوء الكامل)

فَحَبَّاهُ يُغْنِي مَادِحِي ————— هِ إِذَا أَتَوْهُ عَنِ الْحَبِي⁽¹⁾

وهنا يظهر التصدير في لفظتي (فحباه والحبى).

v أما التورية: فهي " أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان، أو حقيقة ومجاز، أحدهما

قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى

البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب، فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك" ⁽²⁾.

وقد كان ابن الكتاني من الشعراء الذين اهتموا بالتورية من ذلك قوله: [41] (المنسرح)

لَوْ عَبَدَ النَّاسُ قَبْلَهُ بَشَرًا لَكَانَ مِنْ حُسْنِ وَجْهِهِ يُعْبَدُ

فَاقَ بَنِي الْحُسْنِ فِي الزَّمَانِ كَمَا فَاقَ عَلَى النَّاسِ بِالتَّقَى أَحْمَدُ⁽³⁾

في البيتين السابقين وردت التورية في كلمة "أحمد" إذ ذكر المعنى القريب وهو (النبي

محمد صلى الله عليه وسلم) وأراد المعنى البعيد وهو (اسم الوزير ضياء الدين الذي مدحه).

وفي قوله: [33]

(المنسرح)

مَا النَّوْرُ وَالْأَقْحُوَانُ أَحْسَنُ مِنْ تَغْرِكَ يَا سَيِّدِي وَيَا سَنَدِي

فَقَالَ: عَنِّي إِلَيْكَ، قُلْتُ: عَسَى تَرِيحُنِي مِنْكَ رَاحَةُ الْعَضْدِ⁽⁴⁾

جاءت التورية في كلمة (العضد) حيث ذكر المعنى القريب وهو (الساعد) وأراد المعنى البعيد

وهو (العضد أبو الفوارس مرهف بن أسامة بن منقذ).

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 340.

(²) خزائن الأدب، 414/1.

(³) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 294-295.

(⁴) نفسه، 287.

وفي قوله: [49]

(المنسرح)

جَاءُوا بِرَاحٍ كَانَتْهَا قَبَسٌ يَطِيرُ مِنْهَا الْحَبَابُ كَالشَّرَرِ
تُذَكِّرُ نُوحًا وَقَدْ تَعَلَّقَهَا آدَمُ مِنْ قَبْلِهِ أَبُو الْبَشَرِ
شَجُّوا قُؤَاهَا حَتَّى تَرِقَّ كَمَا رَقَّتْ مِنَ الْجُودِ رَاحَةُ الْخَضِرِ⁽¹⁾

جاءت التورية في كلمة (الخضر) حيث ذكر المعنى القريب وهو (الخضر الوارد ذكره مع سيدنا موسى عليه السلام) وأراد المعنى البعيد وهو (اسم الشخص الذي مدحه ابن الكتاني وهو الخضر بن شروة) .

وفي قوله: [22]

(المجتث)

تَشْدُو فَيَغْنِي غِنَاهَا عَنِ أَنْةِ النَّائِيَاتِ
كَأَنَّ دَاوُدَ يَتْلُو الْوَزْ زُبُورَ فِي الْخَلَوَاتِ⁽²⁾

جاءت التورية في كلمة (داود) حيث ذكر المعنى القريب وهو (النبي داود عليه السلام) وأراد المعنى البعيد وهو (الممدوح نور الدين محمد بن داود).

v أما التصريح: فهو " ما كانت عَرُوض البيت فيه تابعة لضربه، تنقص بنقصه وتزيد بزيادته " ⁽³⁾، ويرى قدامة أن الفحول والمجيدين من الشعراء يتوخون التصريح في قصائدهم، وربما كانوا يُصَرِّغُونَ أبياتاً أخرى من القصيدة بعد البيت الأول، وذلك يكون من اقتدارهم وسعة بحرهم ⁽⁴⁾.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 300.

(2) نفسه، 273.

(3) العمدة، 173/1.

(4) ينظر: نقد الشعر، 86.

ويشكل التصريع ظاهرة بارزة في شعر ابن الكتاني، ولمكانة التصريع في البناء الإيقاعي للقصيدة، تجد الباحثة أنّ الشاعر لا يكتفي بالتصريع في مطلع القصيدة فحسب بل نجده يعود إليه في مواضع أخرى في القصيدة، كما فعل في قصيدته التي افتتحها بقوله: [1] (مجزوء الرمل)

صَاحِ بِالزَّوْرَاءِ عَجْ بِي زَادَ بِالزَّوْرَاءِ عَجْبِي⁽¹⁾

فما لبث أن عاد إلى التصريع بعد بيتين، في قوله: [12] (مجزوء الرمل)

أَوْ رَأَتْ عَيْنُكَ صَاحِبِي فَعَلَى حَالِكَ صِخْ بِي⁽²⁾

من الجدير ذكره أنّ ابن الكتاني كان يكثر من استخدام الزخارف البديعية، التي تُعدّ من العوامل التي تضيف جمالاً على اللفظ والمعنى، وعمقاً في الصورة، وإيقاعاً في الموسيقى، وهكذا بدت تراكم شعره جزلة عبثت بها الزخارف، فكثر حيناً وتضاءلت حيناً آخر.

المحور الثاني: الأسلوب التقريري:

اعتمد ابن الكتاني في شعره على الأسلوب التقريري، حيث لجأ إليه لتأكيد معنى من المعاني، من ذلك:

V استخدام كم الخيرية، فقد شاع استخدامها عند الشاعر على نحو يسترعي النظر، وعبر بها

عن قوة مشاعره، كما في قوله: [15] (المنسرح)

كَمْ بَيْنَ مَنْ يَبْذُلُ الرِّغَائِبَ لِي وَبَيْنَ مَنْ مَلَّ بَعْدَ مَا رَغِبَا⁽³⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 256.

(2) نفسه والصفحة نفسها.

(3) نفسه، 267.

وقوله: [37]

(الكامل)

كَمْ قَدْ سَهَرْتُ عَلَىٰ عِلَاكَ بِمِدْحَةٍ غَرَاءَ مَا صَلَحَتْ لِغَيْرِكَ أَحْمَدُ⁽¹⁾

وقوله: [53]

(الخفيف)

كَمْ أَنَا جِيكَ فِي الرَّقَاعِ وَفِكْرِي فِي مَعَالِيكَ يَنْظُمُ الْأَشْعَارُ⁽²⁾

وقوله على التَّكْثِيرِ: [87]

(مجزوء الكامل)

كَمْ لِيَا لِيَا قَصِيئُهَا بَيْنَ الْغَرَالَةِ وَالْغَزَالِ
مَعَ كُلِّ خَوْدٍ كَالْغُلَا مِ شَادِنِ خَنَثِ الدَّلَالِ⁽³⁾

٧ التَّكْرَارُ: وكثيراً ما يعتمد الشاعر إليه، وهو: "أن يكرّر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى، والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التّهويل، أو الوعيد، أو الإنكار، أو التوبيخ، أو الاستبعاد، أو لغرض من الأغراض"⁽⁴⁾.

وقد استخدم ابن الكتاني التكرار في الألفاظ والمعاني، سواء أكان ذلك في القصيدة نفسها أم في قصائد مختلفة، إذ يستخدم الشاعر ألفاظاً ومعاني تتكرّر في شعره وتوحي بالعلبة والتفوق، ويركز الشاعر عليها تحقيقاً للفكرة التي أرادها، وترسيخاً لها، من ذلك تأكيد الرّابط بين الشاعر ومن يمدحه أو يتغزل به، ومن هذه الألفاظ والمعاني: تبسّم عن ثغر، ومُعقرب الصّدغ، والمُسك الفتيق، يقول في ذلك: [15]

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 291.

(²) نفسه، 305.

(³) نفسه، 329.

(⁴) خزانة الأدب، 361/1.

(المنسرح)

تَبَسُّمٌ عَنْ لَوْلُو كَأَنَّ بِهِ مِسْكًا فَتِيْقًا وَعَنْبَرًا وَكِبَا⁽¹⁾

(الطويل)

ويقول أيضاً: [63]

تَبَسَّمَ عَنْ ثَغْرِ كَأَنَّ شَتِيَّتَهُ قَلَابِدُ دُرٍّ لَا تُعَارُ وَلَا تُعْطَى⁽²⁾

(الكامل)

وقوله في عقرب الصدغ: [51]

وَمَعْقَرِ الصَّدُغَيْنِ تَعْطِفُهُ الصَّبَا مِنْ لَيْنِهِ عَطْفَ الْقَضِيبِ النَّاضِرِ⁽³⁾

(مجزوء الكامل)

وقوله: [98]

وَبِعَقْرِ الصَّدُغَيْنِ فَوْ قَ بَنَفْسِجٍ غَضٌّ طَرِي⁽⁴⁾

وقد عمد الشاعر إلى تكرار عبارة (مسك فتيق وعنبر عطر) في شعره من ذلك قوله: [79]

(الرمل)

إِنْ يَكُنْ يَجْحَدُ قَبْلِي فِي الْهَوَى فَدَمِي يَنْطِقُ كَالْمِسْكِ الْفَتِيْقِ⁽⁵⁾

(المنسرح)

وقوله: [49]

رِيْقَتُهَا فِي الزُّجَاجِ أَطْيَبُ مِنْ مِسْكِ فَتِيْقٍ وَعَنْبَرٍ عَطْرِ⁽⁶⁾

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكثاني"، 266.

(²) نفسه، 316.

(³) نفسه، 303.

(⁴) نفسه، 339.

(⁵) نفسه، 324.

(⁶) نفسه، 299.

كما عمد الشاعر إلى تَكَرَّارِ التَّرْكِيْبِ اللُّغَوِيِّ على وجه يُفْضِي إلى ضرب من التَّغْنِي، فقد

أقام الأبيات الآتية على تركيب واحد يتصدَّرها الفعل المضارع، إذ يقول: [88] (المقارب)

يَرَى بَذْلَ وَجْهِكَ عِنْدَ السُّوَا لِ أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ النَّائِلِ
وَيَحْتَقِرُ الْأَسَدَ يَوْمَ النَّزَالِ وَلَوْ أَنَّهَُا عَدَدُ الْوَابِلِ
وَيَقْتُلُ الْخَيْلَ مَسْرُودَةً تَهْفُ بِكُلِّ فَتًى بَاسِلٍ⁽¹⁾

ومثل هذا الأسلوب يخلق إيقاعاً موسيقياً رتيباً، يعطي نوعاً من الحركة والاستمرارية ليدل

على أن خصال الممدوح متعدّدة وفيها حيويّة لا تنقطع، ويتيح للشاعر أن يتوقف عن سرد

الأحداث للتغني بخصال الممدوح واستقصاء جوانبها المختلفة⁽²⁾.

ومن الأمثلة كذلك ما تلحظه الباحثة من تَكَرَّارِ لفظة الشَّوْقِ بشكلٍ متتالٍ في أبيات ثلاثة،

إذ عمد الشاعر إلى تكرارها تأكيداً لشوقه وحنينه إلى صديقه يوسف العقاب، إذ يقول: [4]

(مخلع البسيط)

شَوْقِي إِلَى يُوسُفَ الْعَقَابِ الْعَالَمِ الْمَاجِدِ الشَّهَابِ
شَوْقُ كُنَيْبٍ إِلَى حَبِيبٍ وَشَوْقُ ظَامٍ إِلَى الشَّرَابِ
شَوْقًا إِذَا مَا اقْتَصَرْتُ فِيهِ أَطْلُتُ فِي بَعْضِهِ خَطَابِي⁽³⁾

وعليه يمكن القول إنَّ من السمات الفنية البارزة في شعر ابن الكتاني بناء العبارات

الشعرية في الأبيات المتتابعة على نمط لغويّ وبيانيّ متشابه أو متقارب، ولعلَّ هذا يعود إلى حدة

إحساسه ورغبته في إبراز هذا الإحساس بأقصى ما يمكن من البيان والتأكيد.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 332.

(2) ينظر: الرقب، شفيق، الرشيد النابلسي حياته وشعره، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، م12، ع2، 1997م، 456.

(3) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 259.

ومن المعاني المتكررة البارزة في شعره، تكراره للصّور المتعلقة بمن يتغزل به، واصفاً

ثغر المحبوب بأنه: (يبسم عن ثغر لؤلؤي)، إذ يقول: [87] (مجزوء الكامل)

يَرْنُو إِلَيَّ بِمُقَلَّتِي رِيمٌ وَيَبْسِمُ عَنْ لَائِي⁽¹⁾

وقوله: [88] (المتقارب)

وَيَبْسِمُ عَنْ لُؤْلُؤٍ كُلَّمَا تَأَلَّقَ عَنْ شَنْبٍ كَامِلٍ⁽²⁾

ومن المعاني المتكررة في شعره، تكراره لأسماء الإبل المختلفة، مثل: أينق، واليعملات،

والقود، والسرب، والركاب، كقوله: [63] (الطويل)

مِنَ الْيَعْمَلَاتِ الْقُودِ مَا مَسَّهَا وَجَى وَلَا سَمَعَ الْحَادِي لَهَا فِي السُّرَى نَحَطًا⁽³⁾

كما يعمد الشاعر في مواضع كثيرة إلى تكرار أدوات الاستفهام والشرط والنداء وأدوات

العطف وغيرها من الحروف، مثل تكرار (كم) في قوله: [71] (الخفيف)

كَمْ تَمَرَّرْتُ فِي الْجَحِيمِ وَكَمْ صِرْتُ مُصَاغًا وَكَمْ تَقَلَّبْتُ صِرْفًا⁽⁴⁾

ومن أمثله أيضاً تكرار أداة النداء (يا) وذلك في قوله: [2] (الهمز)

سَدِيدَ الدَّوْلَةِ الْمَعْرُوفَ فَالْتَشْرِيحِ فِي الطَّبِّ

وَيَا مَنْ حَلَّ فِي الْعِلْمِ مَحَلَّ الْعِلْمِ مِنْ قَلْبِي

وَيَا مَنْ فَاقَ فِي الْآفَا قَ فَوْقَ السَّبْعَةِ الشُّهُبِ⁽⁵⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 329.

(2) نفسه، 330.

(3) نفسه، 317.

(4) نفسه، 320.

(5) نفسه، 258-257.

v **الواقعية**، وتعني الباحثة بها أن يستمدّ الشاعر ألفاظه من الواقع الذي يعيش فيه، إذ فرضت عليه طبيعة العصر ذكر ألفاظ الحرب، وأدوات القتال، مثل: (القتل، والضرب، والطعن، والسهم، والدروع، والسيف، والخنجر، والنزال، والعسكر، والجراح، والقصاص، والوغي، والجنود، والرماح ... وغيرها، وقد أشارت الباحثة إلى بعضها سابقاً⁽¹⁾، ومن ذلك قوله: [88]

(المتقارب)

لَقَدْ عَلِمَ الْبَيْضَ ضَرْبَ الطُّلَا وَسُمِرَ الْقَتَا الطَّعْنَ فِي الْجَاهِلِ⁽²⁾

وقوله: [51] (الكامل)

سَلَّتْ مَحَاجِرُهُ عَلَيَّ خَنَاجِرًا فَوَقَعْتُ بَيْنَ مَحَاجِرٍ وَخَنَاجِرِ⁽³⁾

وقوله: [12] (الطويل)

تَقُلُّ رِمَاحُ الْخَطِّ أَقْلَامُ خَطِّهِ وَيُرْسِلُهَا دُونَ السَّهَامِ تُصِيبُ⁽⁴⁾

ومما يرتبط بالواقعية ذكر المواقع الجغرافية، فقد اهتم ابن الكتاني بذكر أسماء المدن والأماكن، ونظم شعره فيها مادحاً أو متغزلاً أو واصفاً لها، من بينها: الزوراء، وآمد، وبغداد،

ومصر ومن ذلك قوله عن مدينة الزوراء: [1] (مجزوء الرمل)

صَاحَ بِالزُّورَاءِ عُجْجٌ بِي زَادَ بِالزُّورَاءِ عُجْبِي⁽⁵⁾

⁽¹⁾ ينظر: الدراسة، 86-87.

⁽²⁾ القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 332.

⁽³⁾ نفسه، 304.

⁽⁴⁾ نفسه، 265.

⁽⁵⁾ نفسه، 256.

وقوله: [21]

(مجزوء الكامل)

وَأَفَى كِتَابُكَ يَا مُقَرَّبُ فَبَدَا يُذَكِّرُنِي وَأَعْرَبُ
عَنْ طَيْبِ رِيْعَانِ الشَّبَا بِ وَنَحْنُ بِالزُّورَاءِ نَلْعَبُ⁽¹⁾

ويقول في وصف الأماكن العراقية، حيث ذكر عددًا غير قليل منها: [92] (المقارب)

أَحْنُ إِلَى الْجِسْرِ وَالرَّقَّتَيْنِ وَدَارِ السَّلَامِ وَسُكَّانِهَا
وَتَاجِ الْخِلَافَةِ وَالْجَانِبَيْنِ مِنْ الشَّطِّ وَالظِّلِّ مِنْ بَاتِهَا
وَبَابِ الْمَرَاتِبِ وَالزَّنْدُورِ وَنَهْرِ الْمُعَلَّى وَغَزَلَاتِهَا
وَسُوقِ الْعَمِيدِ وَبَابِ الْحَدِيدِ وَخُورِ الْجَنَانِ وَلِدَانِهَا⁽²⁾

ومما يرتبط بالواقع أيضًا دخول العنصر الإفرنجي للبلاد الإسلامية، واختلاط المسلمين بالنصارى، مما جعل الشعراء يستمدون بعض ألفاظهم، لتوظيفها في خدمة النص الشعري، فقد استمد ابن الكتاني بعض ألفاظه من الديانة النصرانية مثل: القس، والشَّمَّاس، والشَّمَّامس، والدَّير،

والقلاية، ومن ذلك قوله يصف الخمرة عند القس ورجال الدين: [49] (المنسرح)

بَاكَرَهَا الْقَسُ فِي الظَّلَامِ عَلَى عَادَتِهِ وَالنُّجُومُ لَمْ تَغْرِ
فِي فِتْيَةٍ مِنْ بَنِي الشَّمَّامِ يَزُ هُونًا بِأَعْطَافِهِمْ عَلَى الزَّهْرِ⁽³⁾

وقوله: [60] (السريع)

فَصَارَ يَهْدِينِي سَنَاها إِلَى قَلَايَةِ فِي الدَّيْرِ كَالْحَبْسِ⁽⁴⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 272.

(2) نفسه، 335-336.

(3) نفسه، 300.

(4) نفسه، 311.

ومن الأساليب التي استخدمها الشاعر في شعره استخدام الدخيل من الألفاظ الفارسية والأعجمية والمعرّبة والرومية، وهي من السمات التي امتاز بها شعر العصر نتيجة اختلاط الأجناس المختلفة في المجتمع آنذاك، ومن هذه الألفاظ: المخشّب، الديوان، شهنشاه، الجامكية، الإسفنت، شباط، كانون، قرمد، آمد، الياقوت، الدّست...، كما في قوله: [95] (المنسرح)

مُرْتَمِيَاتِ بِنَا إِلَى الْمَلِكِ الصَّنْ صَالِحِ أَعْنِي بِهِ شَهْنَشَاهَا⁽¹⁾

وقوله: [63] (الطويل)

فِيَا لَكَ مِنْ بَدْرِ سَقَتْنِي لِنَاتُهُ بَغِيرِ مَزَاجٍ مِنْ كُؤُوسِكَ إِسْفَنْطَا⁽²⁾

كذلك يظهر استخدام الشاعر للآلات والأدوات الموسيقية ومنها: (النّاي، والعود، والجنك،

والطّبّل، والبوق)، وقد أشارت الباحثة إلى بعضها سابقاً⁽³⁾، كما في قوله: [23] (الخفيف)

قَدْ أَتَى الْفِطْرُ فِي عَسَاكِرِهِ تَزْ حَفْ بَيْنَ الطُّبُورِ وَالْبُوقَاتِ⁽⁴⁾

كما استخدم الشاعر ألفاظاً مستوحاة من المعجم الطبي ومنها (الطبيب، والدواء، والدنف، والشفاء،

والمرض، والجراح) وقد ساهمت في تلوين الصورة في شعره، كما في قوله: [94] (البسيط)

وَعَيْدُهُ أَنْ مَا أَسْدَاهُ يُمْرِضُنِي فَكَانَ عَيْنَ شِفَائِي وَالدَّوَا فِيهِ⁽⁵⁾

وقوله: [7] (مجزوء الكامل)

هِيَ رُقِيَّةُ الْمَلْدُوحِ إِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ عَلَى الطَّيِّبِ⁽⁶⁾

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 338.

(²) نفسه، 315.

(³) ينظر: الدراسة، 107-108.

(⁴) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 274.

(⁵) نفسه، 337.

(⁶) نفسه، 261.

كما أورد الشاعر في شعره ألفاظ الأموال والنقد وتتمثل في: (الذهب والفضة والورق

والتبر)، كقوله: [73] (الكامل)

غَارَتْ عِيُونُ نَدَاكَ أَمْ صَفَرَتْ كَفَّاكَ مِنْ ذَهَبٍ وَمِنْ وَرَقٍ⁽¹⁾

المحور الثالث: الأسلوب الإنشائي:

يلاحظ على استهلالات القصائد عند ابن الكتاني اعتمادها على الأساليب الإنشائية الانفعالية بأنماطها المتعددة، وهي بدورها تحقق التواصل الأدبي بين القارئ والقصيدة من خلال العلاقة الوجدانية التي تنيرها بين الشاعر والمتلقي، فتعتمد هذه الأساليب إلى إثارة المتلقي وتنبيهه، وتهيئته للاستماع، فمن

ذلك أسلوب التنبيه والنداء ، كما في قوله: [50] (الهج)

أَلَا يَا أَسَدَ الدِّينِ وَحَقَّ لِيَلَاةِ الْقَدْرِ⁽²⁾

وقوله: [41] (المنسرح)

يَا قَمَرًا فِي جَمَالِهِ أُوحَدُ مِثْلَكَ فِي الْعَالَمِينَ لَا يُوجَدُ⁽³⁾

وأسلوب الأمر كما في قوله: [91] (الخفيف)

قُلْ لِسَاقِي الشَّمُولِ حُثَّ الشَّمُولَا وَأَدْرِهَا سُلَافَةً سُلَّ سَبِيلَا⁽⁴⁾

وقوله: [7] (مجزوء الكامل)

أَقْرِي السَّلَامَ وَقَبْلِي بِاللَّهِ يَا رِيحَ الْجَنُوبِ⁽⁵⁾

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 321.

(²) نفسه، 301.

(³) نفسه، 293.

(⁴) نفسه، 334.

(⁵) نفسه، 260.

(الكامل)

وأسلوب الاستفهام كما في قوله: [16]

مَاذَا أَقُولُ إِذَا سُئِلْتُ عَنْ الَّذِي أَغْنَىٰ بِنَائِلِهِ الْعُفَاةَ وَأَرْغَبَا⁽¹⁾

(الطويل)

وقوله: [12]

أَعَاذِلَ مَا لِي فِي السُّلُوكِ نَصِيبٌ وَهَلْ بَعْدَ شَيْبِي فِي هَوَاهُ أَتُوبُ⁽²⁾

(مجزوء الكامل)

وأسلوب القسم، كقوله: [98]

أَقْسَمْتُ بِالنَّغْرِ النَّقِيِّ وَبِحُسْنِ وَجْهِهِ يُوسُفِي⁽³⁾

(مجزوء الكامل)

وأسلوب النفي والنهي، كما في قوله: [86]

لَا ذَنْبَ لِي فِيمَا طَلَبْتُ لَسْتُ وَلَيْسَ ذَنْبٌ لِلْجَمَالِ⁽⁴⁾

(الخفيف)

وقوله: [36]

مَا ثَنَانِي عَنِ الثَّنَاءِ الْبَعَادُ الْهَوَىٰ وَالْوَدَادُ ذَاكَ الْوَدَادُ⁽⁵⁾

وكما لجأ الشاعر إلى استخدام هذه الأساليب في مطالع قصائده، فقد لجأ إليها أيضاً في

بقية شعره، حيث استخدم الشاعر أسلوب الدعاء مثلاً، وبخاصة في قصائد المدح، التي يدعو

فيها للممدوح بطول العمر والحفظ والبقاء، ومن الأمثلة على ذلك قوله يدعو للملك المؤيد: [40]

(المتقارب)

فَعَمَّرَكَ اللَّهُ عُمَرَ الزَّمَانِ وَلَا عَمَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ أَحَدًا⁽⁶⁾

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 268.

(²) نفسه، 264.

(³) نفسه، 339.

(⁴) نفسه، 328.

(⁵) نفسه، 290.

(⁶) نفسه، 293.

وقوله يمدح الصَّارم خطباً: [8]

(مجزوء الرمل)

فَأَبْقَ عُمَرَ الدَّهْرِ مَا عُمُ — مَرَفِي الدُّنْيَا عَسِيبُ
وَصُمُ الْأَعْوَامَ يَا مَنْ — صَدْرُهُ صَدْرٌ رَحِيبٌ⁽¹⁾

مما تقدّم يتبيّن أن الشاعر نوع في استخدامه للأساليب الإنشائيّة التي أغنت شعره وأكسبته قوّة وجزالة وفخامة.

المحور الرابع: الأسلوب الخطابي:

لجأ الشاعر إلى هذا الأسلوب مخاطباً - في أغلبه - الممدوح، ليخلق - من جهة - أثراً في النفس لدى المخاطب، ولتقريب المسافة بينه وبين الممدوح من جهة أخرى، من ذلك قوله: [58]

(المتقارب)

فَأَنْتَ الزَّمَانُ إِذَا مَا سَطَا — وَأَنْتَ الصَّبَاحُ إِذَا مَا ظَهَرَ
وَكَفُّكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِينَ — تَمُدُّ الْجِيَادَ وَتُعْطِي الْبَدْرَ
فَمِنْكَ الْعَطَاءُ وَمِنَّا التَّثَاءُ — فَسَيَّرَهُ بِالْمَعَاتِي سِيرَ⁽²⁾

(مجزوء الرمل)

وقوله: [8]

أَنْتَ يَا صَارِمُ لِلْعَا — لَمْ فِي الْخَيْرِ نَقِيبُ
صُنْتَ وَجْهَ النَّاسِ مُذْ صِرَ — تَ بَجَاكَ دَوَاكَ تَصُوبُ⁽³⁾

(مجزوء الكامل)

وقوله يخاطب صديقه شهاب الدّين: [7]

أَنْتَ الَّذِي ابْتَهَجَ الصَّدِي — قُ بِهِ وَصَالَ عَلَى الْخُطُوبِ⁽⁴⁾

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 262.

(²) نفسه، 309.

(³) نفسه، 262.

(⁴) نفسه، 261.

المحور الخامس: أساليب أخرى:

٧ من السمات الأسلوبية التي استخدمها الشاعر في شعره استخدام مصطلحات العلوم المختلفة ولا سيما المصطلحات اللغوية والنحوية والعروضية، ويهدف الشاعر منها إلى إظهار قدرته اللغوية والشعرية والثقافية الواسعة، وربما يقصد منها موافقة القافية وتحقيق المجانسة كألفاظ:

(القافية والقوافي، والشعر، والشرط، والتتوين، والرواة) من ذلك قوله: [9] (الطويل)

إِذَا انْتَسَبْتُ غُرُّ الْقَوَافِي فَإِنِّي لَغُرِّ الْقَوَافِي وَالْعُلُومِ نَقِيبُ
فَلَا تُخِبِ الْأَيَّامُ ظَنِّي وَإِنَّمَا ظُنُونُ الْقَوَافِي فِي سِوَاكَ تَخِيبُ⁽¹⁾

وقوله ذاكرًا الشعر: [15] (المنسرح)

فَخَلَّ شَعْرَ الرُّعَاعِ عَنْكَ وَخُذْ شَعْرَ فَتَى قَدْ فَاقَ الْوَرَى أَدَبًا⁽²⁾

وقوله: [76] (البسيط)

تَكَلَّمْتُ مَنْ لَمْ يَنْبِتْ عَارِضِهِ وَقَدْ بَدَأَ فِيهِ تَتْوِينٌ وَتَعْرِيقُ⁽³⁾

وقوله: [46] (الوافر)

فَمَا لِلْقَلْبِ حِينَ يُحِبُّ شَرْطُ وَهَلْ شَرْطٌ لِمَسْلُوبِ الْقَرَارِ⁽⁴⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 263.

(2) نفسه، 267.

(3) نفسه، 322.

(4) نفسه، 297.

وقوله: [29]

(الكامل)

مِنْ كُلِّ قَافِيَةٍ مُهَذَّبَةٍ تُعْيِي الرُّوَاةَ وَتُخْرِسُ الْفُصَحَا⁽¹⁾

ويستعير ابن الكتاني بعض الألفاظ المتعلقة بالكتابة (كالنقط، والحبر، والخط، والرسائل) من ذلك قوله مُصَوِّرًا تَعْلَقَ خَدَّ الْمَحْبُوبِ فِي كَبَدِ الشَّاعِرِ كَتَعْلَقَ نَقْطَةِ الْكَاتِبِ فِي الْخَطِّ

والرسائل: [79]

(الرمز)

عَلَقْتُ فِي خَدِّهِ مِنْ كَبَدِي نُقْطَةُ الْكَاتِبِ فِي الْخَطِّ الدَّقِيقِ⁽²⁾

وقوله: [82]

(الوافر)

كَتَبْتُ إِلَيْكَ مِنْ شَعْفِي وَشَوْقِي شِهَابَ الدِّينِ خَطِّي كَي يَرَاكَ⁽³⁾

وقوله: [45]

(البسيط)

أَرُومُ نَفْسِ دَوَاتِي مِنْ سَحَائِكَ السُّدُودِ الَّتِي حَجَبَتْ مِنْ جَوْفِهَا الْقَمَرَ⁽⁴⁾

وقوله: [42]

(البسيط)

وَلَمْ أَزَلْ وَحِيَا كَفَيْكَ أَرْتَعُ فِي رَوْضِ الرِّسَائِلِ بَيْنَ الْحَبْرِ وَالْحَبَرِ⁽⁵⁾

فهذه الأساليب كلها تدل على ثقافة الشاعر الواسعة وإلمامه بعلوم العصر.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 283.

(2) نفسه، 324.

(3) نفسه، 326.

(4) نفسه، 307.

(5) نفسه، 295.

ويشير في البيت السابق إلى قوله تعالى ﴿ ۞ ۞ ۞ ﴾ (1).

وفي قوله: [50] (الهج)

أَضَاعَتْ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ ————— لِمِثْلِ الْكَوْكَبِ الدَّرِّي (2)

ويشير هنا إلى قوله تعالى: ﴿ ۞ ۞ ۞ ﴾ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ (3).

مما سبق يتبين أن اقتباس الشاعر لبعض النصوص القرآنية يشف عن فهم الشاعر لمعانيها ودلالاتها، ومعرفته التامة بمدلولاتها، ويلاحظ أنها قد أكسبت السياق جمالاً فنياً، وأضفت عليه قوة وإيحاء.

كما اقتبس ابن الكتاني الألفاظ والمصطلحات والرموز الدينية: (الإسلامية واليهودية والمسيحية)، التي نشرت جواً دينياً في شعر الشاعر، وقد عكست هذه الرموز غرضاً نفسياً يكشف عما يدور في فكر الشاعر، ومتفصلاً له يبدي من خلالها رأيه في مجالات الحياة المختلفة، وهذه الألفاظ بدت ظاهرة في شعره، وهي مستمدة من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والواقع الذي يحيط بالشاعر، ومن هذه الألفاظ: (يهدي الله، تالله أقسم، القرآن، النار، قبس، الإله، لظى، الدين، الكفر، الصلاة، الوتر، الركوع والسجود، القانت، العوذ الثلاث، الشرع، الزور، أفأكا، ليلة القدر، فرض، الزبور، الإنجيل، جنان الخلد، سقر، تلاء، هاروت وماروت وجالوت، عيسوي،

هامان) من ذلك قوله: [83] (السريع)

وَاللّٰهُ لَا أَنْسَى وَلَا يَقْتَضِي دِينِي أَنْ أَكْفُرَ نِعْمَاكَ

(1) الفرقان، 53، فاطر، 12.

(2) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 302.

(3) النور، 35.

لَعَلَّ نَذْلًا جَاءَ يَا سَيِّدِي
يُرِيدُ أَنْ يَنْسَخَ شَرْعَ الْوَقَا

وقوله: [35]

يَنْقُلُ عَنِّي الزُّورَ أَفَاكَا
لَا كَانَ مَا يَخْتَارُهُ ذَاكَا⁽¹⁾

(مجزوء الرجز)

كَأَنَّه الْقَانِتُ فِي الرِّ
أَوْ طَفْلَةٌ مِنَ الظَّبَّاءِ
تَقُومُ شَفْعًا وَتُصَلِّ

وقوله: [80]

رُكُوعٍ وَالسُّجُودِ
عِيبًا لَئِنْ زُنُودِ
لِي الْوَتَرِ مِنْ قُعُودِ⁽²⁾

(مجزوء الرمل)

بِكَ يَهْدِي اللَّهُ مَنْ ضَلَّ
هَكَذَا قَدْ نَطَقَ الْقُرُ

وقوله: [50]

لَ عَنِ النَّهْجِ الطَّرَائِقِ
أَنْ وَالْقُرْآنُ صَادِقُ⁽³⁾

(الهزج)

أَلَا يَا أَسَدَ الدِّينِ

وقوله: [43]

وَحَقِّ لَيْلَةٍ الْقَدْرِ⁽⁴⁾

(المديد)

شَدَّ زَنْبَارًا لَهُ وَتَلَا
وَهُوَ لِلْإِنْجِيلِ مُعْتَبِقُ
كَيْفَ يَصْلِيهِ إِلَهُ لَظَى
إِنْ يَكُنْ ذَا الْحُسْنِ فِي سَقَرِ

مَا تَلَا دَاوُدُ مِنْ زُبْرِهِ
يَطْبَعُ الْأَلْحَانَ مِنْ سُورِهِ
وَهُوَ أَسْنَى الْخَلْقِ مِنْ صُورِهِ
فَجَنَانُ الْخُلْدِ فِي سَقَرِهِ⁽⁵⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 236-327.

(2) نفسه، 290.

(3) نفسه، 324.

(4) نفسه، 301.

(5) نفسه، 296.

كما ذكر الشاعر في شعره بعض الأنبياء (كيوسف ونوح وادم، وإيشوع)، من ذلك

قوله: [49]

(المنسرح)

تُذَكِّرُ نُوحًا وَقَدْ تَعَلَّقَهَا آدَمُ مِنْ قَبْلِهِ أَبُو الْبَشَرِ⁽¹⁾

أما الاستدعاء الأدبي فإنه يقوم على تداخل النصوص الأدبية المختارة شعراً أو نثراً مع النص لإغنائه، ويتمثل ذلك: في إيراد نصوصٍ شعريّة، وأسماء أعلام الأدب، بالإضافة إلى مجموعة من الأمثال والأقوال، يعتمد الشاعر إلى توظيفها في النص، فكلام المتقدمين من المنظوم والمنثور "مما تشدّد القريحة، وتذكّي الفطنة، وإذا كان صاحب الصناعة عارفاً بها، تصير المعاني التي ذكرت وتعب في استخراجها كالشيء الملقى بين يديه يأخذ منه ما أراد ويترك ما أراد"⁽²⁾.

ومن المصادر التي استقى منها ابن الكتّاني ألفاظه ومعانيه: الأمثال، فقد استوحى الشاعر بعض الأمثال الدالة على المعنى الذي يريده في عبارة موجزة، فجاءت كالشاهد على ما يقول، كما

في قوله: [33]

(المنسرح)

قُلْتُ وَقَدْ مَاسَ كَالْأَرَاكِهَ يَا ظَبْيَ الْفَيْافِي وَبَيْضَةَ الْبَلَدِ⁽³⁾

يشير الشاعر هنا إلى المثل القائل (فلان بيضة البلد)، وضرب مثلاً للرجل الفريد الوحيد الذي لا يدانيه أحد⁽⁴⁾.

كذلك في قوله : [64]

(مجزوء الرجز)

يَا سَيِّدًا أَصْدَقُ فِي وَغُودِهِ مِنْ الْقَطَا⁽⁵⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 300.

(2) ابن الأثير، المثل السائر، 69/1.

(3) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 287.

(4) ينظر: العسكري، جمهرة الأمثال، 1 / 59.

(5) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 317.

يشير الشاعر إلى المثل القائل (أصدق من قِطَاة)، وهو مثل من الأمثال المضروبة في
التناهي والمبالغة؛ لأنَّ القِطَاة لها صَوْتُ واحدٌ لا تغيّره، وصوتها حكاية لاسمها ⁽¹⁾.

وكذلك قوله: [80] (مجزوء الرمل)

لَا نَبَا سَيفُكَ فِي يَوْمٍ مِ الْوَعَى مَا ذَرَّ شَارِقُ ⁽²⁾
يشير الشاعر إلى المثل القائل: (ما ذرَّ شارِق) إذ يقال: (لا أفعل ذلك ما ذرَّ شارِق)،
يعنون الشّمس، أي ما طلع قرن الشمس ⁽³⁾.

وقوله: [87] (مجزوء الكامل)

كَمْ لَيْلَةٍ قَضَيْتُهَا بَيْنَ الْغَزَاةِ وَالْغَزَالِ
مَعَ كُلِّ خَوْدٍ كَالْغُلَا مِ وَشَادِنِ خَنْثِ الدَّلَالِ ⁽⁴⁾
يشير هنا إلى المثل القائل: أخنث من دلال، وهو من الأمثال المضروبة في التناهي
والمبالغة ⁽⁵⁾.

ويدخل ضمن الاستدعاء الأدبي استدعاء الشاعر للشخصيات الأدبية والتاريخية، فقد ورد
في شعره: (كسرى ملك الفرس، وعمرو وشأس، وحاتم الطائي، وعنترة العبسي، وبلقيس) من
ذلك قوله يصوّر الخمرة وقد عُنُقَتْ من عهد كسرى: [60]

⁽¹⁾ ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، 412/1، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، 206/1، العسكري، جمهرة الأمثال، 567/1.

⁽²⁾ القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 325.

⁽³⁾ ينظر: العسكري، جمهرة الأمثال، 196/1.

⁽⁴⁾ القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 329.

⁽⁵⁾ أخنث من دلال: يقصد نافذ وهو من مخنثي المدينة وكنيته أبو يزيد، وهو ممن خصاه ابن حزم الأنصاري
أمير المدينة في عهد سليمان بن عبد الملك، ينظر: العسكري، جمهرة الأمثال، 99/1.

(السريع)

وَبَيْنَهُمْ مَـشْمُوءَةٌ عَنُقَتْ مِنْ عَهْدِ كِسْرَى مَلِكِ الْفُرسِ⁽¹⁾

(الخفيف)

وقوله: [61]

تَتَلَشَّى مِنَ اللَّطَافَةِ فِي الْأَجْبِ — سَامَ لَكِنْ تَفُوقُ عَمْرًا وَشَاسَا⁽²⁾

ويدخل ضمن الاستدعاء الأدبي ما يسمى بالتضمنين، وقد عرفه ابن رشيق بقوله: "فأما التضمنين فهو قصدك إلى البيت من الشعر أو القسم فتأتي به في أواخر شعرك أو في وسطه كالتمثّل" ⁽³⁾، وعرفه أسامة بن منقذ بقوله: "أن يتضمن البيت كلمات من بيت آخر" ⁽⁴⁾، ومن المحدثين من عرفه بقوله: "أنه استعارة الأبيات وأنصافها من شعر الغير وإدخالها في أثناء أبيات القصيدة" ⁽⁵⁾، والتضمنين يعكس مدى اتصال الشاعر بالموروث الأدبي، وتوظيفه له بما يخدم النص الشعري وينسجم مع دلالاته.

ولجأ ابن الكتاني إلى التضمنين، حيث ضمّن بيتاً كاملاً للمتنبّي في قصيدته التي يمدح فيها

(المتقارب)

الملك المسعود، حين يقول: [88]

(تَفَاتَى الرَّجَالُ عَلَى حُبِّهَا وَمَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلِ)⁽⁶⁾

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 311.

(²) نفسه، 314.

(³) العمدة، 84/2.

(⁴) البدیع فی نقد الشعر، 249 .

(⁵) طبانة، بدوي، السرفقات الأدبية، 63.

(⁶) العكبري، ديوان أبي الطيب المتنبّي، 34/3.

كما ضمّن بيتاً آخر للمتنبّي في قصيدته التي يعاتب فيها الدّهر، إذ يقول: [84] (البسيط)

(لَعَلَّ عَتَبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ وَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْعِلِّ)⁽¹⁾

وضمّن بيتاً لأبي العباس النّاشئ⁽²⁾، إذ يقول: [47] (المتقارب)

(كَأَنَّ الدُّمُوعَ عَلَى خَدِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جُنَّارِ)⁽³⁾

يتضح مما تقدم أن ظاهرة الاستدعاء في شعر ابن الكتّاني لم تكن سطحية ساذجة، وإنما جاءت مسخرة لخدمة الأغراض الشعريّة، ولتحقيق الهدف الذي كان يصبو إليه الشّاعر، حيث وظف ابن الكتّاني النّصوص الدّينيّة والأدبيّة توظيفاً خدم شعره بشكل ملموس، وهي في الغالب محصلة لقراءة الشّاعر في تراثه الدّيني والأدبي اللذين حفظهما واختزنهما في ذاكرته، واختلطتا في شعره حتى بدا نتاجه الشعريّ كالشيء الواحد.

ومن السمّات الأسلوبية التي استخدمها ابن الكتّاني اللجوء إلى أسلوب الحوار، وهو أن يحكي المتكلم مراجعة في القول، ومحاورة في الحديث بينه وبين غيره، إمّا في بيت واحد أو في أبيات⁽⁴⁾، مما يضيف على النّصّ الشعريّ شيئاً من الحيويّة والجاذبيّة، كما يقيم الشّاعر من خلاله صلةً وجدانيّة ولسانيّة بين شعره ومتلقّيه، ومن هذه الرّكائز التي كان لها حضور واضح في شعره

(قال، وقلت) ومن ذلك قوله: [59] (الخفيف)

قَالَ قَوْمٌ عَلَى سَبِيلِ التَّهَازِي شَعَرَاتٌ بَدَتْ بِعَارِضِ غَازِي
قُلْتُ قَوْلَ الْمُحِبِّ حِينَ بَدَا الرِّيبُ حَانَ مَا حُلَّةٌ بَغَيْرِ طِرَازِ⁽⁵⁾

(1) العكبري، ديوان أبي الطيب المتنبّي 86/3.

(2) أبو العباس النّاشئ: هو النّاشئ الأكبر وقد سبقت ترجمته في هذه الدراسة، 17.

(3) الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، 470/1.

(4) ينظر: ابن حجة، خزنة الأدب، 197/2.

(5) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 309.

وقوله: [60]

(السريع)

قَالُوا: سَنَى ذَلِكْ أَمْ نَشْرُهَا هَذَاكَ يَا ابْنَ السَّادَةِ الْحُمَسِ
فَقُلْتُ: عَيْنٌ شَرَدَتْ مِنْ يَدِي فَجِئْتُ أَفْقُو أَثَرَ الْعَنْسِ⁽¹⁾

هكذا تفنّن ابن الكتاني في استخدام الأساليب التعبيرية التي وظّفها في شعره، فقد حافظ في لغته وأساليبه على الصورة الأصلية للشعر العربيّ، وأخذ بالأساليب الرّصينة الجزلة في موضوع المدح، وجنح إلى الرّقة والسّهولة في الوصف والغزل والخمرة والإخوانيات، مقدّمًا للقارئ تشكيلات فنيّة جميلة من خلال استخدامه للأساليب التعبيرية المختلفة التي تعبّر عن مقدرة الشاعر على التّحكّم بالأساليب على اختلاف أنواعها، وتوظيفها توظيفًا موفقًا لخدمة غاياته الفنيّة لغوية كانت أم دلاليّة أم موسيقيّة.

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 311.

المبحث الثالث: الصّورة الشعريّة:

المحور الأول: الصّورة الشعريّة مفهومها ووظيفتها

المحور الثاني: مصادر الصّورة الشعريّة

المحور الثالث: أنماط الصّورة الشعريّة

أولاً: الصّورة الحسيّة:

1. الصّورة البصريّة

أ. الصّورة اللويّة

ب. الصّورة الضويّة

2. الصّورة السميّة

3. الصّورة الشميّة

4. الصّورة الذوقيّة

5. الصّورة اللمسيّة

ثانياً: الصّورة العقليّة:

ثالثاً: الصّورة الإيحائيّة:

المحور الأول: الصّورة الشعريّة مفهومها ووظيفتها:

تمثل الصّورة جوهر التجربة الذاتيّة للشاعر، وأداته الفعّالة في تشكيل الواقع حسب رؤيته الخاصة، وهي كالطّاقة تمدّ الشّعْر بالحياة، فهي "أساس الشّعْر وروحه، وهو قائم عليها، وهي جزء من مبنى القصيدة، ووسيلة الشّاعر لتجسيد إحساسه وتعبيره عن حالة نفسيّة معيّنة يعاني منها إزاء موقف معين من مواقفه مع الحياة" (1).

وقد تعددت آراء النّقاء القدامى والمحدثين حول الصّورة وتشعّبت أفكارهم، فبناء الصّورة قديماً قائم على الخيال: من مجاز أو تشبيه أو استعارة وغيرها من الفنون، لكن هناك صوراً كثيرة لا تعتمد على تلك الصّور البلاغيّة، فالشّاعر يملك غيرها الكثير من وسائل التّعبير، وهي التي تنبّه إليها النّقاد في العصر الحديث فأطلقوا عليها مصطلح الصّورة الشعريّة.

والخيال عنصر مهم في رسم الصّور الشعريّة فهو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلّفوا صورهم، وهم لا يؤلّفونها جُزأً، بل يؤلّفونها من إحساسات سابقة لا حصر لها تختزنها عقولهم، وتظلّ كامنة في مخيلتهم حتى يحين الوقت فيؤلّفون منها الصّورة التي يريدونها (2)، وهو مصدر "لتوليد الصّور الشعريّة التي وظيفتها تصوير الحقائق النفسيّة والأدبيّة" (3).

فالشّاعر المبدع يعتمد في تكوين صورته على خطوط وألوان وحركة وظلال تحمل في طياتها فكرة وعاطفة، توحى بأكثر من المعنى الظّاهر وأكثر من انعكاس الواقع الخارجي.

(1) عبّاس، إحسان، فنّ الشّعْر، 192.

(2) ينظر: ضيف، شوقي، في النّقد الأدبي، 167.

(3) هلال، محمد غنيمي، النّقد الأدبي الحديث، 156.

ويعرّف جابر عصفور الصُّورة الشعريّة بقوله: "إنّ الصُّورة هي الوسيط الأساسي الذي يستكشف به الشاعر تجربته، ويتفهّمها كي يمنحها المعنى والنظام، فالشاعر الأصيل يتوسّل بالصُّورة ليعبّر بها عن حالات لا يمكن له أن يتفهّمها أو يجسّدها بدون الصُّورة" (1).

ويربط علي البطل بين مصطلح الصُّورة وشكلها إذ يقول: "الصُّورة تشكيل لغويّ، يكونها خيال الفنّان من معطيات متعدّدة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فأغلب الصُّور مستمدة من الحواس، إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصُّور النفسيّة والعقليّة وإن كانت لا تأتي بكثرة الصُّور الحسيّة، أو يقدّمها الشاعر أحياناً كثيرة في صور حسيّة، ويدخل في تكوين الصُّورة بهذا الفهم ما يعرف بالصُّورة البلاغيّة من تشبيه ومجاز، إلى جانب التّقابل، والظلال والألوان، وهذا التّشكيل يستغرق اللّحظة الشعريّة والمشهد الخارجي" (2).

بينما تُعدّ الصُّورة الشعريّة وسيلة تعبيرية يستعملها الشعراء للتعبير عن تجاربهم الشعريّة فهي تمثل عند عبد القادر القط: "الشكل الفنيّ الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظّمها الشاعر في سياق بياني خاص، ليعبّر عن جانب من جوانب التجربة الشعريّة الكاملة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتّركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز، والتّرادف والتّضاد، والمقابلة والتّجانس، وغيرها من وسائل التّعبير الفنيّ، والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفنيّ، أو يرسم بها صورته الشعريّة" (3).

(1) الصورة الفنيّة في التراث النّقدّي والبلاغي، 309 .

(2) الصورة في الشعر العربيّ حتى آخر القرن الثّاني الهجري ، 30.

(3) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر. 391.

ولا تميل الباحثة إلى أن الصورة تشكيل لغوي؛ لأن الصورة ليست هي اللغة بل هي من إحياءات اللغة التي تُوحى بالتشكيل، وتكون لدى المتلقي التشكيل المطلوب، وفي الوقت نفسه تتبنى الباحثة التعريف الذي قدمه عبد القادر القط للصورة؛ كونه يفي بالمطلوب إلى حد كبير.

وللصورة دورٌ تؤديه في خدمة العمل الأدبي، فهي لا تنحصر في تجسيد الأشياء المجردة والعبور من الشيء المعنوي إلى الشيء المحسوس فهذا غير دقيق - كما يرى صلاح فضل - فوظيفة الصورة عنده عبارة عن "تجاوز اللغة الدلالية إلى اللغة الإيحائية، وهو عبورٌ يتم عن طريق الالتفاف خلف كلمة تفقد معناها على مستوى لغويٍّ أول، لتكتسبه على مستوى آخر وتؤدي بهذا دلالة ثانية لا يتيسر أداؤها على المستوى الأول" (1).

كما تبرز أهمية الصورة في قبضها على "الرابط الذي يشدّ العالم الداخلي إلى العالم الخارجي" (2)، كما أن الصورة "حمالة دلالات مفتوحة، تولّد من المعنى المباشر للفظ دلالات تخلق الارتباط فيما بينها، ودلالات جديدة وأبعاداً رمزية لا تطل إلا بالتأويل" (3).

وللصورة أهمية كبرى لدى الناقد "فهي وسيلته التي يستكشف بها القصيدة، وموقف الشاعر من الواقع، وهي إحدى معايير الهامة في الحكم على أصالة التجربة، وقدرة الشاعر على

(1) نظرة البنائية في النقد الأدبي. 279-280.

(2) عساف، ساسين، الصورة الشعرية (وجهات نظر غربية وعربية)، 66-67.

(3) عوض، ريتا، بنية القصيدة الجاهلية (الصورة الشعرية لدى امرئ القيس)، 198.

تشكيلها في نسق يحقق المتعة والخبرة لمن يتلقاها " (1)، كما أن للصورة أثراً في نفس المتلقي ينبثق من كون التصوير هو " القاعدة الأولى في التعبير " (2).

المحور الثاني: مصادر الصورة الشعرية:

للصورة الشعرية مصادر وينابيع تستقى منها الألفاظ والصّور، ودراسة المصادر الشعرية للصورة تكتسب أهميتها من " تركيزها على العناصر المتخذة للصورة، والعناية بها من حيث هي مركز ثقل في العملية التصويرية بما هي المعيار، أو المعادل الذي يقيس عليه ما يتحدّث عنه، ويريد تصويره " (3).

وأغلب الشعراء ينهلون من مصدر رئيسي واحد وهو الحياة بما فيها من أحداث، وفي ذلك يقول: محمد حسن عبد الله : " إنَّ الطَّبيعة بكل ما تتطوي عليها من أشياء وجزيئات وظواهر هي المصدر الأساسي لإمداد الشاعر بمكونات الصورة " (4)، غير أن ذلك : " لا ينفي وجود حقيقتين هامتين: أولاهما: أنَّ الشعراء الذين عاشوا في بيئة واحدة، وزمان واحد يختلفون في تخيّر المنابع التي ينهلون منها صورهم لارتباط ذلك بذواتهم، وطبيعة تكوينهم النفسي والمعرفي، وثانيهما: أنَّ الشعراء يختلفون في توظيف الصورة، واستعمالها في النصّ اختلافاً يشمل البنية والنمط، وأساليب التعبير " (5).

(1) عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، 7.

(2) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، 86.

(3) الصّغفاني، عبد الرحمن، تشكيل الصورة ودلالاتها في شعر زهير بن أبي سلمى، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، اليمن، 2002م، 98.

(4) الصورة والبناء الشعري، 33.

(5) البار، عبد الله، شعر امرئ القيس (دراسة أسلوبية)، رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء، اليمن، 1998م، 113.

هذا الاختلاف الذي ترمي إليه الباحثة هو الذي يُميّز الشعراء بعضهم عن بعض في مقدرتهم الفنيّة وإبداعهم، ومن خلال استقراء شعر ابن الكتاني نجد أنّ مصادر الصّورة متعددة في شعره، ويمكن ردها إلى محورين: البيئة بنوعيّها الصّامت والمتحرك، والموروث الثقافي بأنواعه المتمثّلة في الموروث الديني والأدبي والتاريخي، وكانت في شعره متفاوتة وفق الآتي:

1. البيئة الصامتة:

استمدّ الشاعر كثيراً من صورة من البيئة الصّامتة التي عاشها، ومنها: الحرب وأدواتها ومثال ذلك ما قاله مستوحياً ألفاظه من الحرب وأسلحتها، مُصوِّراً الجفون بالسّهام وكأنه يتحدّث

(مخلع البسيط)

عن معركة: [89]

مَا لَجُفُونِ الْمَهَا سِهَامٌ تُرَاشُ مِنْهَا وَلَا نُصُولٌ⁽¹⁾

وقد استمدّ الشاعر صورته من بيئته الطّبيعيّة، حتى بدت في شعره موشاة بصنوف الورود والأزهار وغيرها، فنظم أبياتاً اصطنع فيها الألفاظ المتعلقة بالزّراعة والكتابة مثل (الغرس،

(السريع)

والزّنجار، والنّفس، والطّرس، وأقلام): [60]

لِلَّهِ أَيَّامٌ مَضَتْ طَيِّبَةً قَضَيْتُهَا بِالشُّرْبِ فِي الْغَرَسِ
مَعَ فِتْيَةٍ سَادُوا عَلَى كُلِّ مَنْ يَكْتُبُ بِالزَّجَّارِ وَالنَّقْصِ
إِنْ خَطَرَتْ بِالطَّرْسِ أَقْلَامُهُمْ تَوَاتَبَ الْجَيْشُ مِنَ الطَّرْسِ⁽²⁾

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 333.

(²) نفسه، 312.

2. البيئة المتحركة:

من أمثلة الصورة المستوحاة من الطبيعة المتحركة استخدام صورة الحيوان، فقد عمد ابن الكتاني إلى استخدام هذه الصورة في بعض نصوصه الشعرية توضيحاً لفكرة المدح في شعره، فاستلهم الشاعر صورتي الأسد والخيول ليصور شجاعة الممدوح، إذ يقول: [88] (المتقارب)

وَيَحْتَقِرُ الْأَسَدَ يَوْمَ النَّزَالِ وَلَوْ أَنَّهَا عَدَدُ الْوَابِلِ
وَيَقْتُلِعُ الْخَيْلَ مَسْرُودَةً تَهْفُ بِكُلِّ فَتًى بِاسِلٍ⁽¹⁾

كما استوحى الشاعر صوراً أخرى من الطبيعة سبق وأن أشارت الباحثة إليها أثناء الحديث عن أثر الطبيعة في شعر ابن الكتاني⁽²⁾.

3. الموروث الثقافي:

ومن أمثلة الصورة المستمدة من الموروث الثقافي: لجوء الشاعر إلى التاريخ، ليستقي منه الصور الشعرية، فيشير إلى بلقيس ملكة سبأ، فيقول: [16] (الكامل)

وَأَتَيْتُ مِنْ بَلَدِي بِلَقَيْسِ التِّي جُلَيْتُ وَجِئْتُ بِعَرْشِهَا لَا مِنْ سَبَا⁽³⁾

مما سبق يتبين أن ابن الكتاني قد استمد صورته الشعرية من ثلاثة مصادر، وعمد إلى توظيفها بما يتلاءم مع فكرته ويخدم أغراضه المتعددة.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 332.

(2) ينظر: الدراسة، 113-119.

(3) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 268.

المحور الثالث: أنماط الصورة:

للصورة الشعرية في الشعر العربي أنماط عديدة حظيت باهتمام ودراسة كثير من الباحثين، فقد بنى القدماء مفهوم الصورة على أنماط عدة هي: التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز والخيال⁽¹⁾، لكنهم وضعوا لكل ركن منها أسساً وقواعد أبعدتها بشكل أو بآخر عن التعمق في جمالية الشعر وفنيته، أما المحدثون فقد جعلوا للصورة أنماطاً متعددة ومتنوعة بشكل كبير، اكتسبت الصورة من خلالها أبعاداً ذهنية مجردة، ومناحي رمزية، ومن ثم أسطورية، وأتيح لها أن تتحرر من ضرورة إيراد طرفين للمماثلة أو ربطها بالمشابهة كما في الجانب الاستعاري، وبذلك أصبح جمالها فيضاً داخلياً إيحائياً نابعاً من كونها صورة فحسب⁽²⁾.

لذا نلاحظ أنّ المحدثين توسّعوا في تعداد أنماط الصورة الشعرية، مما يجعل تحديد هذه الأنماط أمراً صعباً لذا اعتمدت الباحثة على شعر ابن الكثاني في دراستها لأنماط الصورة أكثر من الاعتماد على الأبحاث النظرية في هذا الميدان.

ومن الجدير ذكره أنّ كل باحث له شخصيته المتميزة يبتكر من خلالها طريقة ومنهجاً خاصاً في دراسته، فالشاعر في العصر الأيوبي مثلاً يتطلب من الباحث طريقة معينة في الدراسة مغايرة عما يتطلبه الشاعر المعاصر، لذا ترى الباحثة أن دراسة الأشكال البلاغية في الشعر من خلال الصورة أكثر شمولية من التشبيه والاستعارة والكناية وغيرها.

(1) ينظر: عبد الرحمن، نصرت، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، 12.

(2) ينظر: أبوجهج، خليل ذياب، الحدثا الشعرية العربية، 217.

وعليه فإنّ الباحثة في دراستها للصّورة الشعريّة قد أخذت بعين الاعتبار مزايا الشعر في تلك الحقبة التاريخيّة، كالبيئة التي عاشها الشاعر ثم طريقة تناول الشاعر نفسه للصّورة، فتناولت الصّورة الشعريّة، ثمّ تعمّقت من خلالها لدراسة التشبيه والاستعارة والكناية. وقد اعتمد ابن الكتّاني على الصّورة الشعريّة واتخذها وسيلة للتعبير الفنّي عن مشاعره وأفكاره، فالصّورة ما هي إلا نتاج تجربة ذاتيّة للشاعر يعايشها في حياته، مستلهمًا معالمها من البيئة المحيطة به.

وقد تنوعت أنماط الصّورة الشعريّة في شعر ابن الكتّاني، ويمكن توزيع هذه الأنماط على ثلاثة أقسام هي: (الصّورة الحسيّة، والصّورة العقليّة، والصّورة الإيحائيّة) كونها أكثر قدرة على احتواء هذه الأنماط، وأكثر ابتعادًا بنا عن الوقوف في التكرار إزاء نسبة الصّورة.

أولاً: الصّورة الحسيّة:

هي النمط القائم على " التّراسل بين شيئين محسوسين، وتبقى في نطاق المحسوس"⁽¹⁾، وترتبط عناصر هذا النمط بالحواس الخمس فتصنّف إلى عدة عناصر: بصريّة، وسمعيّة، وذوقيّة، وشميّة، ولمسيّة، "وتولّف العناصر الحسيّة في تشكيل الصّورة عند أي شاعر قاعدة الانطلاق؛ لأنّ الحسّ أساس المعرفة، ثم إنّ العنصر الخارجي المجسّد للتّجربة أو الرؤيا لا يبرز إلا في مظهر حسي"⁽²⁾، وللحواس " تأثيرها الفعّال في رسم الصّورة وتشكيلها بما يتطلّبه الموقف النفسي من عمق التّجربة، وصدق الشعور"⁽³⁾.

(1) عكّام، فهد، نحو معالجة جديدة للصّورة الشعريّة، أنماط الصورة في شعر أبي تمام، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع8، 1985م، 156.

(2) الرباعي، عبد القادر، الصّورة الفنيّة في شعر زهير بن أبي سلمى، 153.

(3) الراعي، علي بن علي، الصّورة في شعر ابن هتيمل، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، اليمن، 2005م، 85.

ومن الجدير ذكره أنّ نظرة القارئ للصّور الحسيّة قد تختلف، فيحكم بخلاف ما حكمنا، ويرجع الصّورة إلى حاسة غير ما قلنا، ولا نستطيع أنّ نخطئه فالحواس مختلطة متداخلة تفرق لتلتقي وتختلف لتتفق، وتسير كلها جنباً إلى جنب في نقل الإدراك أو الإحساس⁽¹⁾.

أفردت الباحثة هذه الحواس بالدراسة نظراً لشيوعها في شعر ابن الكّثاني، ولا غرابة في ذلك؛ لأنّ الشّاعر يستقي صوره من الواقع المحسوس من حوله، وقد تمّ البدء بحاسة البصر لأنّها من أكثر الحواس تأثيراً في التّصوير.

1). الصّورة البصريّة:

هذه الصّورة قائمة على حاسة البصر التي تنزع الصّور الحسيّة، فالبصر نتاج تتعاون فيه مختلف الحواس، وهو مهم في جودة التّصوير الحسي والإدراكي، حيث إنّ الصّورة " الشعريّة تخطف حدس الشّاعر المبدع خلال لحظة فائقة تنير معالم نفسيّته جميعاً " (2).

ويبدو أنّ الصّورة البصريّة كانت هي الغالبة لدى الشّاعر في تمثّل الصّور، هذا مع توفّر مجموعة من الصّور الأخرى المرتبطة بالحواس، ويرجع السبب في شيوع الصّورة البصريّة في الشّعر أكثر من غيرها؛ لأنها "ترتبط - عادة- بشكل له حدود قابلة للإدراك، لذلك فهي تحمل قسماً من البروز قد لا يتوفّر لغيرها" (3).

ومن أمثلتها في شعر ابن الكّثاني، ما قاله وقد أعطاه الملك المؤيد ضيعة فحسده عليها

جماعة من النّاس، فوظف الصّورة البصريّة وتفنّن فيها، إذ يقول: [40]

(1) ينظر: نافع، عبد الفتاح، الصّورة في شعر بشار بن برد، 133.

(2) حاوي، إيليا، فن الوصف وتطوره في الشّعر العربي، 15- 16.

(3) الرباعي، عبد القادر، الصّورة الفنيّة في شعر أبي تمام، 146.

(المتقارب)

جَعَلْتَ بِنُعْمَاكَ يَا ابْنَ الْمُلُوكِ أَعَادِي لِي مِنْ طَرِيقِ الْحَسَدِ
وَكَيْفَ وَلَا يَحْسُدُونِي وَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ بِأَمِّ الْبَلَدِ
أَرَى كُلَّمَا زِدْتَنِي رَفْعَةً يَمُوتُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَمَدٍ⁽¹⁾

فالشاعر يمدح الممدوح ليبرز الرفعة التي وصل إليها بسبب الضيعة التي منحها الممدوح للشاعر، وتتجلى الصور البصريّة هنا باستعارة الأركان الدّاعمة، التي جعلها للرفعة التي رآها وتجلّت أمامه للدلالة على موت حسّاده كلّ يوم، بزيادة رفعة الممدوح له، ويتّضح ذلك من خلال توظيف الصّورة البصريّة المتمثلة بقوله: (أرى).

وقد رسم ابن الكتّاني صورة مشابهة أخرى عندما مدح عزيز مصر، وكان قد طوّل به زماناً إلى أن قرّبه إليه وأسبغ نعمته عليه، حيث رسم الشاعر صورة الممدوح ليبرز ما كان عليه

(الطويل)

من الجود والعطاء، وذلك في قوله: [68]

أَخَافُ انْقِضَاءَ الْعُمْرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَرَى عَطَايَاكَ قَدْ مَدَّتْ يَدَيَّ بِرِّ يُوسُفَ
وَهَبِكَ مَنَحْتَ الْكَنْزَ لِي بَعْدَ مُدَّةٍ أَيْنَسَاغُ طَعْمًا بَعْدَ طُولِ تَوَقُّفِي
وَلَسْتُ بِجَعْدِ الْكَفِّ بَلْ أَنْتَ دِيمَةٌ تُغَرِّقُ إِلَّا غَلَّتَنِي وَتَلَهَّفَنِي⁽²⁾

فقد عمد الشاعر هنا إلى توظيف الصّورة البصريّة المتمثلة بقوله: (أرى)، واستعار لها الرّكن الدّاعم لها والمتمثل بالعطاء، وذلك للدلالة على انقضاء العمر بانقطاع عطايا الممدوح، كما جسّدت الصّورة البصريّة مكنونات نفس الشاعر فحين يرضى عن الممدوح فإنّه ينظر إليه نظرة فيها مبالغة، ليرفعه من خلالها إلى درجة عالية من الشرف والرفعة.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 293.

(2) نفسه، 319.

ومن أمثلة الصورة البصريّة ما قاله مصوراً ليلةً باتَ فيها بالحَمَّام، إذ يقول: [17] (الوافر)

رَقَدْنَا فِي الْجَحِيمِ عَلَى أُنَاةٍ لِيُبَيِّنَنَا وَلَمْ نَخَفِ التَّهَابَا
فَلَمَّا أَنْ تَرَاءَى الصُّبْحُ نَزَّتْ أَفَاعِيهَا فَالْقَيْنَ الثِّيَابَا
وَحَرَّقَتْ الْإِهَابَ فَمَذْنَعَنَا رَأَيْتُ الطَّلَّ قَدْ غَمَرَ الْإِهَابَا⁽¹⁾

فهذه صورة يعكس الشاعر من خلالها جحيم تلك الليلة التي باتها في الحمام وهو بالموصل، وقد تراءى أمام ناظريه الصُّبح، وكيف ألقى ثيابه عنه من شدة ما عاناه في تلك الليلة من الحرارة التي حرقت جسده، فما إن نزعها حتّى غمرته الفرحة برؤية صباح اليوم التالي، التي بدت كالطلّ الذي غمر جسده، فيلاحظ كيف لجأ الشاعر إلى عنصر اللغة، واستخدمها بكل ما فيها من إمكانيات إذ اختار كلمتي (تراءى) و (رأيت) ليصور مظهر طلوع الصُّباح الذي أخرجه من جحيم تلك الليلة.

ومن الجدير ذكره أنّ تغزّل الشاعر بالمؤنث والمذكر، والتّغني بهما قائم على الرّؤية المباشرة لحسنهما وجمالهما، فقد عمد ابن الكتّاني إلى استخدام الصورة البصريّة ليجرز من خلالها جمال المؤنث والمذكر وحسنهما، إذ يقول في غلام فاق حسناً وجمالاً بطرفه الكحيل: [89]

(مخلع البسيط)

وَأَكْحَلِ الطَّرْفَ فَاقَ حُسْنًا يَا حَبَّذَا طَرْفُهُ الْكَحِيلُ⁽²⁾

(المتقارب)

كما تجلّت الصورة البصريّة في قوله: [88]

وَقَدْ سَيَّجَ الْحُسْنَ فِي عَارِضِيهِ عِذَارًا مِنَ الْعَنْبَرِ السَّائِلِ⁽³⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 269.

(2) نفسه، 332.

(3) نفسه، 330.

وَيَبْسِمُ عَنْ لَوْلُو كَلَمًا تَأْلُقَ عَنْ شَنْبِ كَامِلٍ⁽¹⁾

حيث فصل الشاعر في صورة جمال المحبوب، ونسجها وأخرجها بمنظر ساحر، وقد استعان في إظهار ذلك بخياله وثقافته اللغوية في انتقاء الألفاظ المعبرة التي توحى بحسن المحبوب، إذ يصور عارضه وقد خطّ فيه الشعر، وكيف يسيل العرق من حوله كأنه العنبر السائل، كما صور ابتسامته التي تعلو وجهه، إذ تظهر معها أسنانه وبريقها اللامع كاللؤلؤ، فيبدو هنا أن ابن الكتاني حاول أن يجمع كل ما أمكنه جمعه من ألفاظ وعبارات مختصرة ووظفها في النصّ الشعري ليبرز من خلالها حسن المحبوب وجماله.

وفي صورة بصرية أخرى يرسم الشاعر صورة لحسن محبوبه الذي بدا كالسيف يسطو

عليه وهو في المقابل الضعيف البالي، إذ يقول: [85] (السريع)

وَسَلَّ سَيْفَ الْحُسْنِ يَسْطُو بِهِ عَلَى كَيْبِ دَنْفٍ بَالِيٍ⁽²⁾

يظهر كيف استوحى الشاعر الصورة من الواقع الذي يعيش فيه، مستخدماً ألفاظ الحرب المتمثلة في (سلّ) و (سيف) و (يسطو).

كما استخدم الشاعر الصورة البصرية ليبرز من خلالها جمال منديل، لصديق له طلب منه

أبياتاً لينقشها عليه، إذ يقول: [74] (مجزوء الكامل)

لَمْ لَا أَتِيهِ عَلَى الْفَتِيقِ وَأَسْوَدُ كَاسَاتِ الرَّحِيقِ
وَتَحَارُ فِي حُسْنِي الْعُيُو نُ لِيَصْنَعَةَ النِّقْشِ الدَّقِيقِ⁽³⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 330.

(2) نفسه، 328.

(3) نفسه، 321.

فرسم الشاعر صورة لَمَنْدِيل نُقِشَتْ عليه الأبيات بدقّة، ليعكس من خلال هذه الصّورة منظر المنديل، وقد تراءى أمام عينيه، وكيف تحار به عيناه من شدة جماله ودقّة صنعة النقوش فيه. وقد تجلت للشاعر صورة بصرية لافتة تعكس قدرته الإبداعية والفنية، وذلك في

قوله: [49] (المنسرح)

أَمَّا تَرَى اللَّيْلَ قَدْ مَضَى هَرَبًا مُنْهَزِمًا وَالصَّبَاحُ فِي الْأَثَرِ
فِي لَيْلَةٍ ظَلَّ مِنْ تَقَاصُرِهَا يَعْثُرُ ذَيْلُ الصَّبَاحِ بِالسَّحَرِ⁽¹⁾

حيث رسم قصر الليل في صورة الرجل الذي أخذ في الهرب منهزماً وكان الصبح في أثره، وقد وظف الشاعر طاقاته اللغوية ليبرز من خلالها صورته، فاختار من الألفاظ ما يبعث فيها الحركة في قوله: مضى هرباً، والجمال اللوني في قوله: الصباح، وفي صورة مقابلة لليل رسم صورة لطلوع الصباح ليعكس من خلالها صورة الرجل الذي يتعثر من سحر جمال المحبوبة.

ويندرج تحت هذا الشكل من الصّورة نوعان من الصّور يمكن ارتدادها إلى حاسة البصر وهما: الصّورة اللونية والصّورة الضوئية، وستوضحهما الباحثة فيما يأتي:

أ. الصّورة اللونية:

هذه الصّورة تقوم على أساس اللون، إذ أنّ اللون يعدّ مدخلاً أساسياً لفهم الصّورة الشعرية؛ لأنّه جزء لا ينفصل عنها، وبما أنّ القصيدة عبارة عن صورة مركبة، فاللون - من هذا المنطلق - شديد الالتحام بعناصر الصّورة الأخرى كالصوت والحركة وغيرهما، ويسهم في إثراء النصّ الشعري، وتتبع أهميته في الشعر في أنه يشكّل جزءاً أساسياً من نسيج النصّ الشعري،

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكثاني"، 300.

فاللون على الرغم من أنه عنصر أقرب ما يكون إلى عالم الرسم، إلا أنه يمتلك فاعلية بصرية تخاطب الوجدان والشعور، وبخاصة حين يوضع في إطار سياق شعري دال (1).

والصورة اللونية من أكثر الصور البصرية دوراً في الشعر، وقد تناول ابن الكتاني عدة ألوان منها: (الأبيض، والأسود، الأحمر، والأخضر، والأصفر...) ووظفها لخدمة النص الشعري، سواء أصرح به بلفظه المباشر أم بلفظة أخرى دالة عليه، ولكل لون منها دلالات معنوية وارتباطات نفسية تعكس نفسية الشاعر وانفعالاته، وأثر الواقع في نفسه، كما أشار نوري القيسي إلى أن " الشاعر في كثير من الأحيان يعمد إلى استخدام الألوان ليعبر بها عن بعض ما يريد التعبير عنه " (2).

ويبدو أن اللون الأبيض قد نال على إعجاب الشاعر، حيث لجأ إليه أكثر من غيره من الألوان، إذ ارتبط حضور هذا اللون في شعره بدلالات توحى بالجمال والصقاء والنقاء، ومن أمثلة هذا اللون في شعره تصويره لأسنان المحبوبة البيضاء بقوله: [32] (السريع)

وَتَغْرِهَا الْمَنْظُومُ مِنْ لَوْلُؤٍ مُضْدٍ مِثْلَ بَيَاضِ الْأَفَاحِ (3)
فهنا يرسم صورة لبياض أسنان المحبوبة التي بدت في بياضها مثل بياض زهرة الأفحوان، كما صور أسنانها المتراسة المتسقة بجانب بعضها البعض باللؤلؤ في بريقها، فتظهر الألفاظ التي اتكأ عليها وتوحى باللون الأبيض والمتمثلة في (اللؤلؤ، وبياض، والأفاح الذي تشبّه به الأسنان).

(1) ينظر: ربابعة، موسى، جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى، مجلة جرش، م 2، ع 2، 1998م، 10.

(2) دراسات في الأدب الجاهلي، 161.

(3) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 285.

ومن الصّور اللونية تصوير الشّاعر لشعر محبوبه الأسود، مُستخدماً لفظة أسحم ليدلنا

على ذلك، إذ يقول: [89]

(مخلع البسيط)

وَلَا لِرِيمِ الْفَلَاةِ فَرْعٌ أَسْحَمُ مِثْلُ الرَّشَا طَوِيلُ
فَكَمْ دَمٍ لِلْمُحِبِّ ظَلَمًا أَسْأَلُهُ خَدُّهُ الْأَسِيلُ⁽¹⁾

ومن الصّور اللونية قوله يمدح الملك العزيز ليبرز كرمه وعطاءه: [16]

(الكامل)

وَكَسَا بِأَنْعَمِهِ الْحَدَائِقَ سُنْدُسًا تَفْتَرُّ عَنْ يَقْقٍ وَنَوْرِ أَشْهَبَا⁽²⁾

فقد رسم هنا صورة لعطاء الممدوح إذ نظر إليه الشّاعر نظرة فيها مبالغة، حيث جسد الشّاعر اللون الأخضر المتمثل بلفظة (سندس)، ووصف عطاء الممدوح المتواصل وشبهه بالحدائق الغنيّة بالسندس، والسندس يوحي بظلال اللون الأخضر، وقد وظّف الشّاعر هذا اللون ليدلنا على عطاء الممدوح المتواصل ونعمه البيضاء الكثيرة، بالإضافة إلى توظيفه اللون الأبيض في لفظتي (يقق ونور)، كما يظهر الانسجام الذي أحدثه الشّاعر بين اللون الأخضر والأبيض، فقد أظهر هذين اللونين اللذين يدلان على الخير والصفاء والنقاء والعطاء.

ومن صوره اللونية تلك الصّورة التي رسمها للخمرة في صفائها فجعلها كصفاء ماء

السّحب في قوله: [26]

(البسيط)

أَشْرَبَ عَلَى نَفَحَاتِ الرُّندِ مِنْ هَيْتَا حَمَرَاءَ تَحْسِبُهَا فِي الْكَأْسِ يَأْفُوتَا
سُلَافَةً كَدُمُوعِ الْمُزْنِ صَافِيَةً تَهْوَى الدُّنَانِ وَتَجْتَازُ الْحَوَانِيَتَا⁽³⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 333.

(2) نفسه، 268.

(3) نفسه، 278.

يرسم الشاعر في البيتين السابقين صورة الخمرة المشروبة فهي صافية كماء السحب، وحمراء كاليافوت، مُتَكَنَّا على عناصر عدة ليصور لون الخمرة وصفاءها، ليؤكد أنها صافية خالية من المزج.

ويرسم الشاعر صورة أخرى للخمرة اعتمد فيها على اللون الأحمر أيضاً، إذ يقول: [81]

(الخفيف)

قَدْ كَسَاهَا الْمِزَاجُ فِي الْكَأْسِ إِكْلِيْـمً لَا يُضَاهِي لِلْوُلُوِّ الْمَسْكُوْكَ
بُنْتُ كَرْمٍ حَمْرَاءَ صَيَّرَهَا الْعَصْرُ رُمِعَ الْعَصْرُ كَالْدَمِ الْمَسْفُوكِ⁽¹⁾

يرسم الشاعر في البيتين السابقين لوحة زاخرة بالألوان ليعبر فيها عن موقف شعوري واحد يتمثل في إعجابه بهذه الخمرة وهي في حالة المزج إذ صورها بالإكليل الذي يضاهي اللؤلؤ المسكوك، كما صور حمرة لونها، مُستعيناً بعنصر آخر وهو الدم، مما يظهر ارتباطاً وثيقاً بين اللون الأحمر والدم، إذ يتعاونان في رسم الصورة معاً، حيث يريد الشاعر بذلك تثبيت حمرة اللون في الخمرة التي أمامه.

ويرسم الشاعر صورة أخرى للخمرة يقابل فيها بين لونين: [60]

(السريع)

حَمْرَاءَ كَالْيَافُوتِ لَا مُزَّةَ تَمَنَعُ أَوْ صَفْرَاءَ كَالْوَرَسِ⁽²⁾

فيظهر في البيت السابق كيف وظّف الشاعر - بالإضافة إلى اللونين الأحمر والأصفر - لفظتين تشير إليهما، إحداها توحى بظلالها إلى اللون الأحمر وهي (اليافوت)، والأخرى توحى بظلالها إلى اللون الأصفر وهي (الورس).

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 325.

(²) نفسه، 310.

ومن أمثلتها في شعر ابن الكتاني تلك الصورة التي رسمها للوعته وحزنه إذ يقول: [78]

(الرمل)

إخْشَ دَمْعِي وَلَهَيْبِي فَهَمَا يُغْرِقُ النَّابِلَ أَوْ يُحْرِقُهُ⁽¹⁾

فالشاعر في البيت السابق يرسم صورة لدموعه الغزيرة المنهمرة، ويذكر مستمعيه أن يخشوها فهي ذات حُرقة شديدة، ناتجة عن لوعة الشاعر وحزنه، فلون حرقته أحمر كلهيب النار، ويظهر هنا كيف استمد الشاعر لون الحُرقة من اللون الأحمر.

هكذا يتبين أن الشاعر لجأ إلى الألوان ووظفها في شعره واستخلص منها دلالات كامنة لبرز من خلالها معاني متعددة.

ب. الصورة الضوئية:

هي الصورة التي يلجأ إليها الشاعر، بمؤازرة حواسه وملكاته من عناصر الضوء في الطبيعة، كالنجوم والكواكب، والظلام والنور، والليل والنهار، والشمس والقمر⁽²⁾.

ومن أمثلة الصورة الضوئية في شعر ابن الكتاني ما قاله مصوراً المحبوب، إذ يقول: [29]

(الكامل)

شَرِبَ الْغُبُوقَ وَظَلَّ مُصْطَبِحًا فَسَكِرْتُ مِنْ لَحَظَاتِهِ وَصَاحَا
فَكَأَنَّهُ وَالْكَأْسُ فِي يَدِهِ بَدْرُ الدُّجَى تَسْقِيهِ شَمْسُ ضُحَى
تَنْقُضُ فِي جَنَابَتِهَا شُهَبٌ حَتَّى ظَنَنْتُ سَمَاعَنَا الْقَدَحَا
وَيُدِيرُهَا فَلَا تُرْخِهُ نَفَحَاتُهَا فِيهِنَّهَا فَرَحَا
وَيَكَادُ يَرْقُصُ كُلَّمَا رَقَصَتْ فِي خَدِّهِ لَهَبَاتُهَا مَرَحَا⁽³⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 323.

(2) ينظر: الشناوي، علي، الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، 144.

(3) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 282.

يرسم الشاعر من خلال الأبيات السابقة لوحة فنية رائعة صور من خلالها حسن المحبوب وجماله متفنناً في وصفه، فقد حشد من خلال هذه اللوحة مجموعة من العناصر الضوئية المتمثلة في (البدر، والشمس، والدُّجى، والضُّحى، والشُّهب، والفلَك) وقد وظَّف الشاعر جميع هذه الألفاظ، مازجاً بين عنصري الفتنة: الخمر والمحبوب، ليبرز مدى جمال المحبوب المتمثل بإشراقته الممزوج بجمال الخمرة المتمثل ببريقها في الكأس التي في يده، على أنَّ الصورة هنا تقوم على تراكم التشبيهات، وإيراد الصُّور المتلاحقة، فمحبوبه مشرق كالبدْر، والخمرة صافية رقيقة شفافة لا تكاد ترى، إذ صورها بشمس الضُّحى ليدلنا من خلالها على الروحانية والنورانية، مُصوِّراً تطاير شرارها في الكأس بالشُّهب، ولا يكتفي بذلك بل يعود ويصور إشراقها في يد ساقها بالفلَك، حتى يخلص إلى صورة أخرى له وهو يرقص فرحاً، ليصور سعادته الدَّاخلية نتيجة لهب الخمرة المتطاير على خده.

وفي موضع آخر للشاعر يصور الخمرة التي أضاءت في ظلام الليل مثل الكوكب الدُّري،

إذ يقول: [50] (الهزج)

أَضَاءَتْ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ ——— لِمِثْلِ الْكَوْكَبِ الدُّرِيِّ⁽¹⁾

فهنا يرسم صورة جميلة للخمرة، وقد اتكأ فيها على مجموعة من الألفاظ الضوئية مثل

(تضيء، والكوكب الدري).

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 302.

(2) الصورة السمعية:

هي من الصور الحسية التي يتم إدراكها عن طريق حاسة السمع، من خلال جرس العبارات وإيقاع الكلمات، وقد آزرت حاسة السمع حاسة البصر في تشكيل الصورة الشعرية، فكما تحسّس الشاعر مواطن الجمال ببصره، فقد أدركها بسمعه أيضاً " فالإحساس بالجمال وتمثله لا يكون عن طريق العين فقط، بل من الممكن أن يحسّه الإنسان بطرق مختلفة، فهناك السمع، وهناك اللمس، وهناك الشم والتذوق، فلماذا يقتصر الإنسان على الجمال المرئي" ⁽¹⁾.

وهذه الصورة أقل شيوعاً في شعره من الصور البصرية، ومن ذلك قوله: [35] (مجزوء الرجز)

أَرْقُلُ مِنْ جُودِكَ فِي	ذَيْلِ قَبَا جَدِيدِ
وَلَيْسَ لِي عِنْدَكَ مَنْ	يَطْرِبُ مِنْ نَشِيدِي
تَحْيَرَ الْحَمَامُ فِي	غُصُونِ مِنْ تَغْرِيدِي
كَأَنِّي نَائِحَةٌ	تُفْجِعُ بِالْتَعْدِيدِ ⁽²⁾

يرسم الشاعر صورته السمعية من خلال هذه الأبيات التي يعدّها مدخلاً لبيت من خلالها طلبه فالأبيات السابقة تحوي كثيراً من المعاني التي لجأ الشاعر فيها إلى عناصر الصوت المتمثلة في: (يطرب، ونشيدي، وتغريدي، ونائحة، وتقجع) فهذه الألفاظ مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحاسة السمع، والشاعر يريد من وراء هذه الألفاظ رسم صورته وهو ينوح على باب الممدوح علّه ينال من جوده وعطاياه.

(1) نافع، عبد الفتاح، الصورة في شعر يشار بن برد، 169.

(2) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 289.

(الطويل)

ومن الأمثلة على الصّور السّميّة قوله: [12]

وَيُطْرِبُنِي نَوْحُ الْحَمَامِ وَإِنِّي عَلَى الدَّوْحِ مَا نَاحَ الْحَمَامُ طَرُوبٌ⁽¹⁾

فالشاعر ينقل إلينا إعجابه بصوت نوح الحمام الذي أطربه، إذ يرى في تجليه روعة كبرى، فلجأ إلى أصوات عدّة تمثّلت في (يطربني، ونوح، وناح، وطروب) ليبرز مدى تعلّقه بالمحبوبة، فنقل من خلالها مواطن الجمال بواسطة حاسة السّمع، وما يثيره الصّوت في النفوس من لذة ومتعة وجمال.

وفي المدح يصوّر الشاعر - الذي يرجو عطاء الممدوح - بالطيور المغرّدة، إذ يقول: [38]

(مخلع البسيط)

مَا سَجَعَ الطَّيْرُ فَوْقَ غُصْنٍ مُغَرِّدًا وَالْحَيَا يَجُودُ⁽²⁾

فالطير المغرّد كالشاعر المادح، فنسمع في البيت السّابق أصوات الطيور التي تغرّد، وهي ما إن تغرّد حتى تحيا بكرم الممدوح وجوده.

ويرسم الشاعر صورة سمعيّة أخرى تمثّلت في الخمرة وهي ترقص بالראووق، على

(مجزوء الرجز)

سماع مغنّيّة روميّة، فيقول: [19]

كَالشمسِ إِلَّا أَنَّهُـَا	أَحْسَنُ مِنْ لَوْنِ الذَّهَبِ
تَرْقُصُ إِذْ غَنَّى بِهَـَا الرُّ	رَاوُوقٌ فِي الكَأسِ طَرَبِ
كَأَنَّمَا شُعَاعُهَا	بَنَانٌ سَاقِيهَا خُضْبِ
عَلَى سَمَاعٍ قَيْنَةٍ	لَهَا مِنَ الرُّومِ نَسَبِ ⁽³⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 264.

(2) نفسه، 292.

(3) نفسه، 270.

فلجأ الشاعر إلى توظيف الألفاظ المرتبطة بحاسة السمع وهي (غنى، وطرب، وسماع وقينة)، وهذه الصورة السمعية ترسم ملامح الشاعر وهو في ذروة انتشائه وانبساطه.

(المجتث)

ومن صوره السمعية قوله: [22]

عَلَى سَمَاعِ فَتَاةٍ	تُزْرِي بِكُلِّ فَتَاةٍ
دَقِيقَةَ الْخَصْرِ خُودٍ	جَمِيعَةَ الْوَجَنَاتِ
تَشْدُو فَيُغْنِي غَنَاهَا	عَنْ أُنَّةِ النَّايَاتِ
كَأَنَّ دَاوُدَ يَتْلُو الزُّورَ	زُبُورَ فِي الْخَاوَاتِ ⁽¹⁾

فالشاعر في هذه الأبيات يصور غناء الفتاة الجميلة بترتيل داود للزبور، ويرسمه بكل دقة، مبرزاً تفاصيل ذلك، وهذا مما يعدّه الشاعر من تطريب الغناء، فجمع عدة أصوات تمثلت في الألفاظ الآتية: (سماع فتاة، وتشدو، وغناها، وأنة النايات، ويتلو) ليبرز من خلالها لحظات هيام الشاعر وهو ينتشي الخمرة.

(السريع)

ومن أمثلته التي صور فيها صوت مغنية قوله: [60]

قُمْ فَاسْقِنِي يَا طَلْعَةَ الشَّمْسِ	سُلَافَةً تَحْيَا بِهَا نَفْسِي
مَعَ قَيْتَةٍ تَطْرِبُ إِنْ رَجَعْتُ	صَوْتًا بِعُودٍ طَيِّبِ الْحِسِّ
كَالشَّمْسِ إِلَّا أَنَّهَا وَالَّذِي	صَوَّرَهَا أَبْهَى مِنَ الشَّمْسِ
تُرْنَحُ الصَّمَّ بِتَهْزِجِهَا	وَتَنْشُرُ الْمَوْتَى مِنَ الرَّمْسِ
وَتُنْطِقُ الْخُرْسَ وَمِنْ قَبْلِهَا	مَا نَطَقَتْ أَلْسِنَةُ الْخُرْسِ ⁽²⁾

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكثاني"، 273.

(²) نفسه، 309-310.

رسم الشاعر في هذه الأبيات لوحة حشد فيها مجموعة من الألفاظ التي ارتبطت بحاسة السمع ليبرز من خلالها جمال صوت المغنية وما يثيره في النفوس من لذة ومتعة وجمال، والألفاظ التي لجأ الشاعر فيها إلى عناصر الصوت تمثلت في: (قينة، وتطرب، وصوت، وعود، وطيب الحس، وترنح، وتهزيجها، والرّمس، وتنطق الخرس).

(3) الصورة الشّميّة:

الصورة الشّميّة هي التي يتم إدراكها عن طريق حاسة الشم، وقد اعتمد ابن الكتاني عليها في رسم صورته الحسيّة، وهذه الصورة تعتمد على إثارة المتلقي حين يشم رائحة بعينها، متعمّقاً للموقف في مخيلته، حتى تتجلى الفكرة التي يريدّها الشاعر.

ومن الصور التي كرّرها الشاعر والتي تشير إلى حاسة الشم هي (رائحة المسك، والعنبر والورد، والعبير، والريحان، والخمرة، ودلالاتها الإيجابية)، ومن الروائح التي أكثر ابن الكتاني من استعمالها في صورته الشّميّة رائحة المسك والعنبر، حيث تكرر جمعهما في شعره، محاولاً من خلالهما إبراز بعض مفاتن المرأة أو لإبراز طعم الخمرة.

فالشاعر في غزله أشار إلى رائحة المسك والعنبر اللذين يفوحان من ثغر المحبوبة، من

(المنسرح)

ذلك قوله: [15]

مَعَ قَيْنَةٍ حُلُوءَةٍ إِذَا عَبَّثَتْ أَكْفَهَا خِلْتُ جَحْفَلاً لَجَبَاً
تَبَسُّمٌ عَنْ لَوْلُؤٍ كَانَ بِهِ مِسْكَاً فَتَيْقَا وَعَنْبَرًا وَكِبَاً⁽¹⁾

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 266.

ومن ذلك قوله مصورًا ريق المحبوبة الذي يفوح برائحة المسك والعنبر: [49] (المنسرح)

بَدِيعَةُ الْحُسْنِ مِنْ لَطَافَتِهَا تُعَلِّمُ النَّاسَ صَنِيعَةَ الصُّورِ
رِيقَتُهَا فِي الزُّجَاجِ أَطْيَبُ مِنْ مِسْكِ فَتَيْقٍ وَعَنْبَرٍ عَطْرِ⁽¹⁾

وفي المعنى نفسه يقول: [32] (السريع)

لَمَّا تَعَلَّقْتُ بِهَا قَالِ لِي قَلْبِي فَقَدْ تَهَتَّ بِهَا لَا جُنَاحَ
وَجْهَ كَبَدْرِ التَّمِّ يَحْوِي لَمَى كَانَهُ الْمِسْكِ إِذَا الْمِسْكِ فَاحَ⁽²⁾

ومن الصور الشمّية قوله: [7] (مجزوء الكامل)

أَقْرِي السَّلَامَ وَقَبْلِي بِاللَّهِ يَا رِيحَ الْجَنُوبِ
بَغْدَادَ وَالتَّجَاجَ الَّذِي مَحَصَتْ مَحَبَّتُهُ دُنُوبِي⁽³⁾

فالشاعر جعل ريح الجنوب التي تبشر بالخير تحمل السلام إلى بغداد والمواقع القريبة

منها كالذي يحمل الرسائل بين الأحبة.

ومثلما جعل ابن الكتاني الريح تحمل السلام والقبلات إلى بلاده، فقد جعلها تحمل في

حركتها رائحة تفوح برائحة الخمرة عندما تفتح وتُشَقَّ في كرخ بغداد من دنّها، فإذا بريحتها تصل

إلى القدس، إذ يقول: [60] (السريع)

لَوْ بُزِلَتْ بِالْكَرْخِ مِنْ دَنِّهَا لَفَاحَ رِيَّاهَا إِلَى الْقُدْسِ⁽⁴⁾

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 299.

(²) نفسه، 285.

(³) نفسه، 260.

(⁴) نفسه، 310.

كما عمد ابن الكتاني إلى توظيف الصورة الشّميّة في سياق المدح، ليمرّز من خلالها منزلة

الممدوح ورفعته وقدره، من ذلك قوله: [56] (المنسرح)

جِئْتُ إِلَى بَابِكَ الْكَرِيمِ وَقَدْ نَقَحْتُ فِكْرِي فِي مَدْحِكُمْ دُرّاً
كَأَنَّهَا رَوْضَةٌ وَقَدْ نَثَرَ الـ غَيْمٌ عَلَيْهَا مِنَ النَّدى مَطَرًا
تَضُوعٌ مِنْ رِيّهَا إِذَا اضْطَرَبَتْ مِسْكَاً فَتَيْقًا وَعَنْبَرًا عَطَرًا⁽¹⁾

فالشاعر رسم صورة للرقعة التي جاء بها إلى باب الممدوح وجعلها كالروضة التي
تضوع برائحة المسك والعنبر، فيبدو أنه لجأ إلى الصورة الشّميّة ووظفها في إطار المدح من أجل
أن تحقق فاعليتها من خلال الشعور بالراحة النفسية التي تبثها في الممدوح، حينها يتخيل الممدوح
نفسه في روضة تفوح بالرائحة العطرة، فيجود بالعطاء الوفير للشاعر.

(4) الصورة الذوقية:

هي الصورة التي يتم تخيلها وإدراكها عن طريق حاسة التذوق، ويستحضر الشاعر من
خلالها الأطعمة المختلفة من حلاوة ومرارة، ويعمد إلى توظيفها في شعره، ومن هذه الألفاظ التي
تكررت في شعر ابن الكتاني والدالة على رصده لبعض الأطعمة: (الزلال، والصّاب، والعسل،
وطعم الخمر، والزّاد، والطلا، والتّفاح... وغيرها).

وكثيراً ما يقرن ابن الكتاني بين ريق المحبوبة والخمرة، إذ يعمد عند تصوير رضاب
المرأة إلى مقارنته بالخمرة، ومن الأمثلة التي عمد فيها إلى تصوير ريق المحبوبة بالخمرة

مستخدماً الصورة الذوقية قوله: [32]

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 307.

(السريع)

كَأَنَّمَا رِيْقَتُهُمَا فَرَّقَ فُ تُرْشَفُ مِنْ تِلْكَ الشَّيَا الْمِلَاحُ⁽¹⁾

فالشاعر يحسُّ من خلال ريق المحبوبة بالنشوة التي وصلت إليها نفسه.

(البسيط)

[76] ومن ذلك قوله:

ثَمَلْتُ مِنْ حُسْنِهِ وَالْكَأْسُ يَرْشِفُهَا ظَبْيٌ مِنَ التُّرْكِ أَضْحَى وَهُوَ مَعْشُوقُ
ثَبَّتْ كَأَنَّ بَفِيهِ وَهُوَ مُغْتَبِقُ مِسْكَاً وَفِي يَدِهِ طَاسٌ وَإِيرِيقُ
ثُمَّ احْتَسَيْتُ مُدَامَ الْحُبِّ مِنْ فَمِهِ صِرْفًا وَقَدْ زَانَهَا ثَغْرٌ وَرَاوُوقُ⁽²⁾

فالشاعر يرسم في الأبيات السابقة صورة لغلام تركي يرتشف الخمرة، وقد بدت في ثغره مسكاً، وقد جمع الشاعر بين حاستي الشم والتذوق فهما مكملتان لبعضهما البعض، كما صور احتساء الشاعر لمدام الحب من فم ذلك الغلام، وتلاحظ الألفاظ التي اتكأ عليها والتي توحى بحاسة التذوق والتمتلة في (يرشفها، وكأنَّ بفيه مسكاً، واحتسيت، ومن فمه)، كما يتبين أنَّ الشاعر قد جمع في صورته أكثر من حاسة واحدة، فلم يقتصر نسج الصورة على التذوق، إنما اشترك البصر واللمس في تشكيلها.

وقريب من المعنى السابق تصوير الشاعر لريق المحبوب بأنَّه أَلذَّ وأشهى من طعم

(مجزوء الرجز)

[35] إذ يقول:

رِيْقَتُهُ أَطْيَبُ مِنْ سُـلَافَةِ الْعُقَّةِ وَدُ⁽³⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 285.

(2) نفسه، 322.

(3) نفسه، 289.

فالجامع بينهما هو إحداث اللذة والنشوة في النفس، والمعروف أنّ السُّلَافَةَ هي أفضل أنواع الخمر وأخلصه، وبها تضرب الأمثال في الحلاوة واللذة، فأجاد الشاعر في اختيار كلمة أطيّب المتعلقة بحاسة التذوق، عامداً إلى المقارنة القائمة على التذوق في مقابلة ريق المحبوب بالخمرة، مما زاد في جمال الصورة.

ومن أمثلته على الصورة الذوقية قوله يصور طعم الخمرة: [19] (مجزوء الرجز)

أَلْذُّ مِنْ طَعْمِ الضَّرْبِ مَا أَنْسَاغَ مِنْ مَاءِ الْعَنْبِ
مُدَامَةً قَدْ عَتَّقْتُ مِنْ عَصْرِ هَامَانَ حَقَبٌ⁽¹⁾

فالشاعر يرسم صورة للخمرة العتيقة المنساعة من ماء العنب، مُصَوِّراً إياها بأنّها أَلْذُّ مِنْ طَعْمِ الْعَسَلِ، فيبدو أنّ الشاعر قد نجح في اختيار الكلمة الموحية في مجال حاسة التذوق، كما عمد إلى المقارنة القائمة على التذوق في مقابلة الخمرة بالعسل مما أضفى بعداً جمالياً على الصورة السابقة.

كما تظهر الصورة الذوقية في قوله يمدح بدر الدّين كنان: [27] (مجزوء الرمل)

يَا كَمِيَّاً عَلَّمَ الْآ سَادَ فِي الْحَرْبِ الْهَيَاجَا
وَجَوَادًا غَسَلَتْ أَيْمُ — يَأْمُهُ الْمُنْجَحُ الْأَجَا⁽²⁾

يرسم الشاعر في هذين البيتين صورة لعطاء الممدوح وكرمه الذي طال الجميع، ويبالغ في ذلك لدرجة أنّ ذلك العطاء قد غَسَلَ أَيَّامَ الْمُلُوحَةِ الشَّدِيدَةِ الْمُرَّةِ.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 270.

(2) نفسه، 280.

وينتقل ابن الكتاني بالصورة الذوقية إلى ما هو أعلى من ذلك، كما يبدو ظاهراً في قوله

مُعَاتِبًا الدَّهْرَ: [84]

(البسيط)

إِنِّي لَأَبْغِضُ دَهْرًا لَا يَفَرِّقُ مَا بَيْنَ الْأَمَاجِدِ وَالسَّفْسَافَةِ السَّفَلِ
يَحُطُّ لِلْسِّنِ النَّحْرِيرِ قَعْرَ خَلَا وَيَرْفَعُ الْعَمَىٰ أَعْلَىٰ مُرْتَقَىٰ زُحُلِ
لَعَلَّ مَا وَعَسَى الْأَيَّامُ قَدْ عَمِيَتْ فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الصَّابِ وَالْعَسَلِ⁽¹⁾

في الأبيات السابقة قامت صورة الدهر عند الشاعر على الذوق، ليميز من خلالها صورة الدهر، وما أصابه من العمى، كونه يرفع وضيعاً ويحط ربيعاً، فالأيام في هذا الدهر قد عميت فأصبحت لا تفرق بين حلوها ومرّها، وقد استعار الشاعر لبيان ذلك لفظتي: الصّاب والعسل، نظراً لتجربته في الحياة، كما تظهر براعة الشاعر في توظيف ألفاظه ليميز من خلالها الفكرة التي يرغب في التعبير عنها، مستخدماً الطباق في ألفاظه (الأمجد، السفسافة) و (يحط، يرفع) و(قعر خلا، أعلى مرتقى) و (الصّاب، العسل).

ثم ينتقل ابن الكتاني بالصورة الذوقية ليميز من خلالها حنينه وشوقه إلى صديقه المقرب

يونس القرقوبي، إذ يقول: [21]

(مجزوء الكامل)

لِلَّهِ أَيَّامٌ مَضَتْ وَأَنَا وَأَنْتَ بِكُلِّ مَكْتَبٍ
نَلْهُو بِأَخْلَاقِ الْأَذْ ذَمِّنَ الطَّلَا طَعْمًا وَأَطْيَبَ⁽²⁾

رسم الشاعر صورة الحنين والشوق إلى الأيام الماضية التي قضاها في الزوراء برفقة صديقه، فتظهر استعارة الشاعر للألفاظ وتوظيفها في إبراز صورته الذوقية والمُتمثلة في المفردات الآتية وهي: (الأذ، والطلا، وطعم، وأطيب).

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 327.

(2) نفسه، 272.

(5) الصورة اللمسية:

يعتمد الشاعر في إبراز الصورة اللمسية على حاسة اللمس، فقد تحسّس ابن الكتاني بلمسه وجلده ظواهر طبيعية وأخرى ساعدت على تعميق علاقته مع الآخرين، فقد أشار في نتاج شعره إلى ألوان عدّة من اللمس تمثّلت في: (النار، والحرارة، والظلّ، والقسوة، والليونة، والنعومة... وغيرها).

فقد برزت صورة النار في شعر ابن الكتاني بحرارتها وتوهجها، ومن ذلك قوله يصور

ليلةً بات فيها بالحمّام وهو بالموصل: [17] (الوافر)

رَقَدْنَا فِي الْجَحِيمِ عَلَى أَنَاةٍ لُبَيْلَتَنَا وَلَمْ نَخَفِ التَّهَابَا
فَلَمَّا أَنْ تَرَاءَى الصُّبْحُ نَزَتْ أَفَاعِيهَا فَأَلْقَيْنَ الثِّيَابَا
وَحَرَّقَتْ الْإِهَابَ فَمُذْنَعْنَا رَأَيْتُ الطَّلَّ قَدْ غَمَرَ الْإِهَابَا⁽¹⁾

فقد عمد الشاعر في الأبيات السابقة إلى اختيار النار في تصوير تلك الليلة التي باتها في الحمّام إذ صورها بالجحيم في توقّدها، فمن شدّة الحرارة حُرِقَ جلده، كما أشار الشاعر إلى الطلّ الذي غمر جلده بعد أن خرج من الحمّام في الصّباح .

ويعمد الشاعر مرّة أخرى إلى النار في إطار تصوير أشواقه فيقول: [41] (المنسرح)

يَا قَمَرًا فِي جَمَالِهِ أَوْحَدُ مِثْلَكَ فِي الْعَالَمِينَ لَا يُوجَدُ
سَلَطْتَ نَارَ الْأَسَى عَلَى كَبْدِي فَكُلُّ نَارٍ مِنْ مُهْجَتِي تُوقَدُ⁽²⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 269.

(2) نفسه، 293.

يرسم الشاعر في البيتين السابقين صورةً للنَّار التي أحسَّها، فبدت كأنَّها النار الموقدة في قلبه، فاستخدم الشاعر هنا لفظة النَّار لتوحي بتوقُّد الشَّوق المتجدِّد في قلبه.

وفي المدح أشار الشاعر إلى قوافي شعره التي صاغها في مدح سيف الدِّين، إذ

يقول: [29]

(الكامل)

فَصِفَاتُ سَيْفِ الدِّينِ يُطْرِبُنَا إِرَادُهَا فَفَنُصُوغُهَا مِدْحًا
مِنْ كُلِّ قَافِيَةٍ مُهَذَّبَةٍ تُغِيي الرُّوَاةَ وَتُخْرِسُ الْفُصْحَا
عَايَنَتْهَا فَوَجَدْتُهَا حَمَاءً وَصَنَعْتُهَا فَتَمَثَّلَتْ مُلْحَا⁽¹⁾

فالشاعر يصوِّر معاينته للمدحة قبل إيرادها للممدوح، بالحمأ من شدة توهجها في صدر الشاعر، مما يعكس حرارة الحب والإعجاب الكامنة في صدره تجاه الممدوح.

في مقابل تلك النَّار وتوهجها يبدو أنَّ الشاعر يلجأ إلى الظلِّ في إطار الصُّورة اللَّمسيَّة، إذ

يقول مهنئاً عماد الدِّين بالعيد: [23]

(الخفيف)

جَاءَكَ الْعِيدُ يَا عِمَادُ يُهْنِي كَ بِمُلْكٍ يَبْقَى مَعَ السَّاعَاتِ
وَبِظِلِّ لَوْ سِرْتَ فِي أَلْفِ أَلْفٍ حَجَبَ الشَّمْسِ مِنْ عِيُونِ الْكُمَا⁽²⁾

فالشاعر أشار إلى ظلِّ ممدوحه المعنويِّ الواسع الفضفاض الذي غمر الآلاف، والزَّآخر بالكرم والعطاء، راسماً صورة له وهو يحجب الشَّمس عن عيون الكُماة.

وقريب من المعنى السابق قوله يصوِّر كرم الممدوح وجوده بالظلِّ الظِّلِيل: [89] (مخلع البسيط)

كَمَا يَعِيشُ الْأَنَامُ طُرًّا فِي جُودِ مَنْ ظَلُّهُ ظَلِيلٌ⁽³⁾

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 283.

(2) نفسه، 275.

(3) نفسه، 334.

ومن ذلك أيضاً تصويره الممدوح بالبحر الذي يغطي كل من يطرق باب كرمه

وجوده: [63]

(الطويل)

إِلَى الظَّاهِرِ الْمَلِكِ الَّذِي بَحْرُ جُودِهِ يَغْطُّ بِهِ رَاجِي جَوَاهِرِهِ غَطًّا⁽¹⁾

ومن الصُّورِ للمسيّة التي أشار الشاعر إليها قوله: [23]

(الخفيف)

وَاجْتَلِيَهَا بِكُرٍّ فَأَحْسَنُ مَا تُجْ لَى عَلَيْنَا مُسْتَحْسَنَاتُ الْبَنَاتِ

فَهِيَ أَحْلَى مِنَ الْحَلَالِ وَأَفْسَى مِنْ قُلُوبِ الْخَرَائِدِ الْخَفِرَاتِ⁽²⁾

يبدو أنّ الشاعر قد نجح في اختيار الكلمة الموحية في مجال حاسة اللمس، والمتمثلة بلفظة

(أفسى)، كما عمد إلى المقارنة القائمة على اللمس في مقابلة الخمرة بقلوب الفتيات الحسان

الشديدات الحياء مما أضفى بعداً جمالياً على الصورة السابقة.

وتكثر في تصوير الشاعر الصُّور الموحية بالنعومة والليونة والانتشاء والعطف والتمايل،

وهي من الأمور المرتبطة ارتباطاً شديداً باللمس، من ذلك قوله: [8]

(مجزوء الرمل)

فَهِيَ شَمْسٌ لَيْسَ فِي الْأَيْ يَامِ وَاللَّيْلُ تَغْيِبُ

صَارَتْ جِسْمِي قَضِيْبًا وَهِيَ كَالْغُصْنِ قَضِيْبُ

غُصْنِي ذَاوٍ وَلَكِنْ غُصْنُهَا غَضٌّ رَطِيْبُ

وَلَهَا سَاقَانِ كَالْبَرِّ دِيَّ يَغْلُوهُمَا كَثِيْبُ⁽³⁾

يرسم الشاعر لمحبوبته صوراً تقليدية، حشد من خلالها تشبيهات عدّة شملت: الوجه،

والقدّ، والساقين، والرّدف، وجمع في الأبيات السابقة أربعة تشبيهات حيث: صور وجهها بالشمس،

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكثاني"، 317.

(2) نفسه، 274.

(3) نفسه، 261.

وقدّھا بالغصن الرطّيب، وساقیها بالبرديّ، وردّفها بالكثيب، فتشكّلت الصّورة عنده من تلك التشبيّهات بعد أن تآلفت لتشكّل صورة رائعة توحى بجمال المحبوبة.

ومن أمثلة الصور اللمسیّة قوله متغزلاً في هذه الأبيات التي يَصوّر فيها غلاماً أحبه: [54]

(مجزوء الكامل)

تَهْتَزُّ مِنْ مَرِّ النَّسِيْدِ	مِمَّ فَمَنْ تُرَى سَمَّاكَ صَخْرًا
حَتَّى أَقْبَلَ لِيَصِدْ	قِ مَقَالِهِ خَمْسًا وَعَشْرًا
لَمَّا تَمَكَّنْتَ الْمَحَبَّ	بَهُ صِرْتُ كَالْمَصْفُودِ أَسْرًا
أَسْأَلُ مَتْنِي لِلنَّائِبِ	تَ تَحْدُنِي بَطْنًا وَظَهْرًا ⁽¹⁾

مما تقدم تلحظ الباحثة سيطرة الحاسة البصريّة عند الشاعر وخاصة البصريّة الحركيّة، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى ما ألمّ بالشاعر من مواقف في حياته، التي أصابها بعض الركود في نظره، فعمد إلى الحركة ليعلن أنه ما زال متشبّثاً بالحياة.

ثانيًا: الصورة العقلية:

هي الصّورة التي ترتدّ إلى ثقافة الشاعر أو عقله المجرد، ويتم إدراكها من غير توظيف الحواس، فهي تتخطى حدود الحواس وتصل إلى أعماق القلب، وهي "وليدة شاعرية مركبة من خيال وفكر، وإنها صادرة عن العقل والتفكير، فالعقل ضابط للشعور متحكم بالتجربة وخاضع للصورة" (2).

(1) القسم الثاني "ملحق الشعر"، 306.

(2) عسّاف، ساسين، الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، 38 .

ويُعرّف علي الشناوي الصُّورة العقلية بقوله: " هي الصُّورة التي ترتد إلى ثقافة الشاعر المتنوعة، فتجعلها مجالاً خصباً ولا تخلو من الحسيّة " (1).

ونظراً لتفاوت الناس في قدراتهم العقلية فإنّ فاعليّة هذه الصُّورة تكون أقلّ من فاعليّة الصُّورة الحسيّة، فتذوّقها ليس سهلاً بل تحتاج إلى إعمال العقل والفكر للوصول إلى الفكرة التي تختلج في نفس الشاعر، وفي ذلك يقول ساسين عسّاف: " إذ لا بد لنا من إعمال الفكر المدقق للوقوف على أسرارها وعلى ما فيها من خيال مُركّب عميق " (2).

ومن أمثلة الصُّورة العقلية في شعر ابن الكتّاني قوله: [22] (المجتث)

عَلَى سَمَاعِ فَتَاةٍ	تُزْرِي بِكُلِّ فَتَاةٍ
دَقِيقَةِ الْخَصْرِ خَوْدٍ	جَمِيعَةِ الْوَجَنَاتِ
تَشْدُو فَيَغْنِي غَنَاهَا	عَنْ أُنَّةِ النَّايَاتِ
كَأَنَّ دَاوُدَ يَتْلُو الْوَزْنَ	زُبُورَ فِي الْخَلَوَاتِ (3)

فالشاعر رسم في الأبيات السابقة صورة عقلية اتّكأ فيها على تلاوة داود عليه السلام للزّبور، فالإيه نُسيبت المزامير حيث يقال: مزامير داود، لشدة جمال الصّوت، فقد " كانت لداود نبي الله معزفةً يضرب بها إذا قرأ الزّبور، فكان إذا قرأ اجتمع إليه الإنس والجن والطّير، فبكى وأبكى من حوله، ولهذا قيل: مزامير داود، كأنه أغاني داود " (4)، فابن الكتّاني أراد أن يرسم صورة حسنة لغناء فتاة، فاتكأ على تلاوة داود عليه السلام للزّبور ليبرز لنا حالة مشابهة تكمن في فتاة تغني، حتى إن غناءها أغنى الشاعر عن أُنَّة النّايات.

(1) الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، 146.

(2) الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، 38.

(3) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 273.

(4) ابن قتيبة، عيون الأخبار، 135/1.

ومن أمثلة الصّورة العقليّة عند الشّاعر قوله يمدح الملك الصّالح: [15] (المنسرح)

أَسْمَحَ مِنْ حَاتِمٍ نَدَى وَيَدًا وَرَاحَتَاهُ تُبَخِّلُ السُّحْبَا
يُعْطِي بِلَا مَنَّةٍ وَلَا مَلَلٍ إِذَا انْتَحَاهُ مُؤَمِّلٌ طَلَبَا
تَجُودُ مَا لَا يَجُودُهُ مِلْكٌ وَغَيْرُهُ يَسْتَرِدُّ مَا وَهَبَا
تَرْجُحُ إِنْعَامُهُ وَنَائِلُهُ فِي جَنْدَلٍ وَالْمَقَرِّ إِنْ غَضِبَا⁽¹⁾

عمد ابن الكتّاني إلى المقارنة القائمة على الكرم والجود في مقابلة الممدوح بحاتم الطائي، محاولاً إبراز صورة حسنة لممدوحة، مستذكراً بعض الشخصيات التي عرفها على مرّ التاريخ، كل شخصيّة وما يلحقها في مجالها، فأضفى الشّاعر بعداً جمالياً على الصّورة السابقة حيث أعمل فكره واستذكر حاتم الطائي الذي يضرب به المثل في السّماحة والجود، واتكأ عليه ليبرز من خلال ذلك سماحة الممدوح وكرمه الذي يعطيه بلا منة أو كلل.

وفي صورة عقليّة أخرى للشاعر يقول: [60] (السريع)

يَحَارُ فِكْرُ الْمَرْءِ فِيهَا فَمَا تُدْرِكُ بِالْعَقْلِ وَلَا الْحِسِّ
تُصَيِّرُ الْفَسْلَ إِذَا عَبَّهَا أَشْجَعَ مِنْ عَنْتَرَةِ الْعَبْسِيِّ⁽²⁾

فالشّاعر أعمل عقله مستذكراً عنتره العبسيّ الذي يضرب به المثل في الشّجاعة، واتكأ عليه ليبرز لنا من خلاله صورة الخمرة التي يحار فيها فكر المرء، ويستكمل الشّاعر الصّورة عندما يجعل من الرّجل الذي لا مروءة فيه وهو يشربها شجاعاً بل يفوق في شجاعته عنتره العبسيّ.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 266.

(2) نفسه، 310.

ثالثاً: الصورة الإيحائية:

الصورة الإيحائية تعبير عن المطلق بالمحدد، فهي تشير إلى المعاني المجردة فتجسمها، كما أنها مجازية تعبر عن المعنوي بالحسي، وأنها وسيلة إيجاز في دنيا المجهول، تخلق عالماً مجازياً مصفى من الأثقال المادية (1).

والصورة الإيحائية قائمة على الرمز، إذ يشكل الرمز البنية الأساسية في هذا النمط من الصور " التي لا تعتمد على تشابه مظهري بين الأشياء، فليس الرمز أداة عقلية لإنجاز التعبير تنضم إلى غيرها، ينتج من ذلك صورة استنتاجية تعمل في جوهرها على الإيحاء، فالشاعر قد يتخذ الرمز وعاءً فنياً تكون الكلمة هي البنية أو الخلية الأولى، لتتواءم مع سواها حين تقترن بها ليتولد من ذلك تركيب فني جديد" (2).

ومن الأمثلة عليها في شعر ابن الكتاني قوله متغزلاً بمحبوبه: [41] (المنسرح)

يَا قَمَرًا فِي جَمَالِهِ أَوْحَدٌ مِثْلُكَ فِي الْعَالَمِينَ لَا يُوجَدُ
سَلَّطْتَ نَارَ الْأَسَى عَلَى كَبْدِي فَكُلُّ نَارٍ مِنْ مُهْجَتِي تُوقَدُ (3)

فأشار الشاعر في البيتين السابقين إلى نار الأسى وهو لا يقصد بها النار بعينها، وإنما يقصد بها ما أحدثته حب المحبوب في قلبه من أسى وحرقة وتوقد يعدل توقد وحرقة النار، فالصورة التي رسمها الشاعر هنا توحى بمدى تأجج الحب واضطرامه في قلبه، وفي ذلك يقول حسام التميمي: " مثل هذه الصورة أقدر من غيرها على إثارة العاطفة وتحريك الوجدان، وهذه الصورة تمتعنا فنياً " (4).

(1) ينظر: عسّاف، ساسين، الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، 118 .

(2) عيد، رجا، لغة الشعر (قراءة في الشعر العربي الحديث)، 96.

(3) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 293.

(4) الصورة الشعرية في شعر القديسات زمن الفتح 583هـ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، 13، ع2، 1999م 535 .

وقد عمد ابن الكتّاني إلى اتخاذ الكناية دعامة لصورته الإيحائية الرمزية، ومن ذلك قوله

يمدح الملك العزيز: [68]

(الطويل)

أَخَافُ انْقِضَاءَ الْعُمْرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَرَى عَطَايَاكَ قَدْ مَدَّتْ يَدَيَّ بِرِّ يُوسُفَ
وَهَبَّكَ مَنَحْتَ الْكَنْزَ لِي بَعْدَ مُدَّةٍ أَيْنَسَاغُ طَعْمًا بَعْدَ طُولِ تَوَقُّفِي
وَلَسْتُ بِجَعْدِ الْكَفِّ بَلْ أَنْتَ دِيمَةٌ تَغْرُقُ إِلَّا غَلَّتِي وَتَلْهَفِي⁽¹⁾

يظهر الشاعر في الأبيات السابقة ما يختلج في نفسه في تلك اللحظة التي أسبغ فيها الممدوح بعطاياه عليه، وقربه إليه بعد أن طالت فترة انتظار الشاعر لعطاياه ووهبها إليه بعد مدة، وقد لجأ الشاعر لتشكيل صورته الإيحائية إلى استخدام ألفاظ موحية على ما هو بصدد، فنراه يستخدم أسلوب الصورة الكنائية⁽²⁾ ليعبر من خلاله عن كرم الممدوح وجوده وعطائه وديمومته، فاستخدم الشاعر عبارتين هما (لست بجعد الكف) و (أنت ديمة) والعبارتان تتعلقان بالكرم والجود ونيل العطايا، وقد لجأ الشاعر إليهما ليصور تفاصيل مشهد الممدوح وما أسبغه من نعم وعطايا على الشاعر، وعليه فإن الشاعر أراد أن يرفع من شأن ممدوحه فاتجه إلى صفة معنوية تعجب الممدوحين وتروقهم، إذ لم يكتف الشاعر بوصفه بالكرم والبعد عن البخل بل نجده يُضيف على ذلك أنه دائم العطاء، جاعلاً من الديمومة صفة ملازمة له، فيلاحظ أن الشاعر عدل عن ذكر الصفة التي لا تلازم الممدوح بشكل مباشر ورمز إليها بعبارة (لست بجعد الكف بل أنت ديمه) ليوحي من خلالها بالعطايا والنعم التي أغرقها عليه الممدوح، وهذه الصورة الكنائية التي اعتمدها

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتّاني"، 319.

(2) الصورة الكنائية: هي التي تنهض على عنصر الكناية، والمراد بها أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوحي به إليه ويجعله دليلاً عليه، ينظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، 105 .

الشاعر أسلوباً تعبيرياً موحياً عمّا يحس به من مشاعر وأحاسيس تجاه الممدوح هي التي هيمنت على جلّ مشاعره، وقد عمد إلى استخدامها كوسيلة تعبيرية موحية بأوسع المعاني وأدقها في ألفاظ موجزة.

(المنسرح)

ومن صوره الإيحائية قوله: [15]

تَدُورُ كَأَسَاتِهِ وَقَدْ عَقَدَ الْـ مَزَجُ مِنَ الدُّرِّ حَوْلَهَا حَبَبَا
مَعَ قَيْنَةٍ حُلْوَةٍ إِذَا عَبَثَتْ أَكْفُهَا خِلَتْ جَحْفَلًا لَجَبًا⁽¹⁾

فهذه الصورة توحى بالتغيير والتبديل الذي يحصل عند قدوم القينة الجميلة إلى مجلس الشراب، فلجأ الشاعر إلى التشخيص جاعلاً قدومها إلى مجلس الشراب والزينة وهي تعبت في كفيها بجيش عرمرم عظيم.

(المنسرح)

ومن أمثلة الصورة الإيحائية قوله يمدح: [39]

لَا زَالَتِ النَّيِّرَاتُ تَخْدُمُ عَلْـ يَاهُ رُكُوعًا وَالْبَيْضُ وَالسُّودُ⁽²⁾

تظهر في البيت السابق صورة رمزية ذات دلالات إيحائية، حيث عمد الشاعر إلى تشكيل صورته الرمزية مستخدماً الألوان، وموظفاً الدلالات الإيحائية لتلك الألوان، فالشاعر حين أراد أن يصور (الخدم) من الناس وهم حول الممدوح عدل عن التعبير المباشر إلى التعبير الموحى بذلك فصورهم على أنهم البيض والسود، وهذا التصوير يحمل دلالة العلو والسمو والارتفاع التي أرادها الشاعر للممدوح.

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 266.

(²) نفسه، 292.

ومن أمثلتها أيضاً قوله: [33]

(المنسرح)

قُلْتُ وَقَدْ مَاسَ كَالْأَرَاكَةِ يَا ظَبْيَ الْفَيْافِي وَبَيْضَةَ الْبَلَدِ⁽¹⁾

لجأ الشاعر في تشكيل صورته الإيحائية إلى استخدام ألفاظ موحية، حيث يستخدم المثل ليعبر من خلاله عن كرم الممدوح، متجهاً بذلك إلى الصفات المعنوية التي تُعجب الممدوحين، ليرفع من شأنهم، فعدل الشاعر عن ذكر صفة الكرم للممدوح بشكل مباشر ورمز إليها بعبارة (ببيضة البلد) ليوحي من خلالها أن الممدوح منفرد لا يدانيه أحد.

يتضح مما سبق أن الصورة الشعرية عنصر جليل من عناصر الأدب، تتفاعل مع العاطفة والفكرة والخيال لتحقيق غايتها المتمثلة في نقل التجربة الانفعالية إلى الآخرين، وعليه فإن الألفاظ والعبارات تتضافر معاً وتتشكل في إطار الصورة حتى تعبر عن التجربة الشعرية في القصيدة.

(¹) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 287.

المبحث الرابع: الموسيقى الشعرية:

المحور الأول: الموسيقى الداخلية.

المحور الثاني: الموسيقى الخارجية:

أولاً: الوزن

ثانياً: القافية

ثالثاً: الروي

المبحث الرابع: الموسيقى الشعرية:

تُعَدُّ الموسيقى الشعرية جوهرًا وأساسًا لكيان الشعر في كلِّ زمان ومكان، وأحد العناصر الأساسية في التشكيل الجمالي له، وموسيقى الشعر وما يتعلَّق بها من خواص إيقاعية قديمة قدم الشعر نفسه، فالشعر والموسيقى من الفنون الأدبية، يتصل كل منهما بالآخر اتصالاً وثيقاً، وكلاهما سمعيّ، " ومادة الموسيقى الأصوات، ومادة الشعر الألفاظ، وهي تتحلَّل إلى أصوات"(1).

وقد اهتمَّ النقاد العرب القدماء بالموسيقى والإيقاع الشعريّ وأدركوا أهميتهما وانحصر تصورهم لهما بركني الموسيقى الأساسيين: الوزن والقافية، فنجد ابن رشيق يقول: " الوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة"(2)، والقافية شريكة الوزن في الموسيقى إذ يقول ابن رشيق عنها في موضع آخر: " القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمَّى شعراً حتى يكون له وزن وقافية " (3)، وهذا يعني أنَّ قيمة الأداء الشعريّ تقلُّ ما لم تتَّصَبَّ الألفاظ الشعرية بما فيها من مخاطبة للفكر والعاطفة والوجدان في القلب النغمي المكون من الوزن والقافية، وهذا يذكرنا بتعريف قدامة بن جعفر القديم للشعر بأنه: "القول الموزون المقفَّى الدال على معنى"(4).

وعليه تلحظ الباحثة أنَّ موسيقى الشعر تتشكَّل بتأثير عناصر عدَّة، العنصر الأوَّل يرتبط بالوزن، الذي يدعِّم فاعلية الكلمات ويقوي وشائج العلاقات بينها، فيبرزها ويوجِّه الانتباه إلى

(1) ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، 95.

(2) العمدة 134/1.

(3) نفسه، 151/1.

(4) نقد الشعر، 11.

أصواتها⁽¹⁾، أما العنصر الثاني فيرتبط بالقافية بإيقاعها الحسن، والعنصر الثالث يرتبط ببعض الفنون البديعية كالجناس والتصريع والطباق، والرابع⁽²⁾.

جدير بالذكر أنّ الموسيقى الشعرية ليست مرتبطة بالوزن والقافية وبعض الفنون البديعية فحسب، بل هناك عامل آخر يساعد في تشكيلها، ولا تقل أهميته عن غيره من العوامل، ويتمثل في تكرر كلمات متقاربة الحروف والنغم يستمتع من خلالها المتلقي.

وفي ذلك يقول إبراهيم أنيس: "إن العناية بحسن الجرس، ووقع الألفاظ في الأسماع، ومجيء هذا النوع في الشعر، يزيد من موسيقاه وذلك؛ لأن الأصوات التي تتكرر في حشو البيت، مضافة إلى ما يتكرر في القافية، تجعل البيت أشبه بفاصلة موسيقية متعددة النغم، مختلفة الألوان، يستمتع بهما من له دراية بهذا الفن، ويرى فيها المهارة والقدرة الفنية"⁽³⁾.

وعليه فإنّ الموسيقى الشعرية تنبع من اختيار الشاعر لكلماته، وما يناسبها من تلاؤم في الحروف والكلمات، ومدى انسجام ذلك مع الجو العام لقصائده ومقطوعاته الشعرية. فالناظر في شعر ابن الكتاني يلحظ امتلاكه أدناً موسيقية، فهو شاعر يملك القدرة على الاختيار الموفق لموسيقا شعره، إذ حرص على توافرها في شعره، فلجأ إلى عزف موسيقا خفية تنبع من كلماته المتلائمة المنسجمة في حروفها وحركاتها.

ويمكن تقسيم الموسيقى الشعرية عند الشاعر إلى محورين : الموسيقى الداخلية والموسيقا

الخارجية.

(¹) ينظر: ويليك، رينيه، ووارين، أوستن، نظرية الأدب، 225 .

(²) ينظر: ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، 97 .

(³) موسيقا الشعر، 39.

المحور الأول: الموسيقى الداخلية:

ولع ابن الكتاني بالفنون البديعية مثل: (الجناس، والتقسيم، والتصريع، ورد الأعجاز على الصدور) والتي كان لها أثر كبير في إحداث الموسيقى وتشكيلها في شعره، وقد أشارت الباحثة سابقاً إلى هذه الفنون المعززة بالأمثلة⁽¹⁾.

وترى الباحثة أنه من المناسب ذكر بعض الأمثلة الأخرى، كقول الشاعر: [75] (البسيط)

فَعِنْدَ عَبْدِكَ أَلْفَاظٌ حَدَائِقُهَا مُعْبَرَاتُ الْمَعَانِي نَعْسُ الْحَدَقِ⁽²⁾

فلجأ الشاعر إلى التقسيم إذ قسم شطر البيت السابق إلى قسمين متساويين متوازيين في اللفظ والصوت، إذ جعل كل قسم يوازي الآخر، فـ (معبرات المعاني) تقابل (نعس الحدق).

(البسيط)

ومن ذلك قوله أيضاً، كقوله: [84]

يَحْطُ لِّلْسِنِ النَّحْرِ قَعْرَ خَلَاً وَيَرْفَعُ الْعِيَّ أَعْلَى مُرْتَقَى زَحَلِ⁽³⁾

فقد قسم الشاعر البيت إلى قسمين، جاعلاً لكل لفظة في الشطر الأول ما يوازيها في الشطر الثاني فـ (يحط) توازيها (يرفع)، و(النحر) توازيها (العي)، و(قعر) توازيها (أعلى) و(خلا) توازيها (زحل).

وقد يأتي الشاعر بكلمتين متلاحقتين في البيت الواحد لإحداث الموسيقى، كقوله: [91] (الخفيف)

لَوْ رَأَاهَا الْخَلِيلُ تَرْقُصُ فِي الرَّأ حَ لَأَضْحَى لَهَا الْخَلِيلُ خَلِيلًا
وَلَمَّا لَا أَجْهَهَا وَهِيَ كَالْأَر وَاحِ تَجْرِي فِينَا قَلِيلًا قَلِيلًا⁽⁴⁾

⁽¹⁾ ينظر: الدراسة، 165-170.

⁽²⁾ القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 322.

⁽³⁾ نفسه، 327.

⁽⁴⁾ نفسه، 334.

نلمس في هذين البيتين عناية الشاعر بالتقسيم الداخلي والإيقاع المتوازن، فقد أتى في البيت الأول بكلمة (الخليل) وألحقها بكلمة تشبهها وهي (خليلا)، وفي البيت الثاني أتى بكلمة (قليلاً) وألحقها بنفسها، فجاءت مكررة في اللفظ والنغم، مما أحدث موسيقاً ملموسة داخل البيت. وقد يلجأ الشاعر إلى تكرار حرف بعينه أكثر من مرة في كلمات البيت الواحد، كتكرار

حرف (لا) في قوله: [75] (البسيط)

إِنْ كَانَ عِنْدَكَ بُسْتَانٌ بِلَا ثَمَرٍ وَلَا اخْضِرَارٍ وَلَا زَهْرٍ وَلَا وَرَقٍ⁽¹⁾

وهذا التكرار يعطي نوعاً من الجرس الموسيقي.

تُضاف هذه الأمثلة إلى ما ذكرته الباحثة سابقاً في أثناء حديثها عن الأسلوب البديعي في شعر الشاعر، من: الجناس والطباق والتكرار والتزامه بالتصريح في أغلب مطالع القصائد، أو التزامه به في أبيات أخرى من القصائد، وما كان له من أثرٍ موسيقي واضح⁽²⁾.

وابن الكتاني شاعر يملك القدرة على الاختيار الموفق لموسيقاً شعره، إذ حرص على توافرها ليس في البيت الواحد فحسب بل في أبيات القصيدة ككل، لتتناسب مع موضوعها بالألفاظ والحروف التي وظفها في شعره.

ومن خلال استقراء شعر ابن الكتاني والأغراض الشعرية التي طرقها يبدو أن موسيقاه الشعرية جاءت متنوعة وتتناسب مع أغراضه الشعرية، حتى لو اشتملت القصيدة الواحدة على

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 322.

(2) ينظر: الدراسة، 165-170.

غزل وفخر ومدح، فإنَّ موسيقا كل غرض من هذه الأغراض يختلف عن الآخر، إذ أنَّ كل غرض شعري يحتاج إلى ما يناسبه من الألفاظ التي تظهر من خلالها الموسيقا.

لذا فقد كانت موسيقا الشاعر في المديح ذات وقع قوي، وجرس موسيقيٍّ شديد، لنتناسب مع الصِّفات التي أوردها في الممدوح، كما جاءت موسيقاه عذبة لينة خفيفة سلسلة رقيقة في الغزل والوصف، وشجية محزنة في الحنين والإخوانيات، من ذلك قوله يمدح سعد الدين أستاذ دار الملك

المؤيد: [98]

(مجزوء الكامل)

أَفَسَمْتُ بِالتَّغْرِ النَّقِيِّ	وَبِحُسْنٍ وَجْهِهِ يُوسُفِيٍّ
وَبَعْقَرَبِ الصَّدُغَيْنِ فَوُو	قَ بَنَفَسَجِ غَضٍّ طَرِيٍّ
وَبِنَرَجِسِ الْعَيْنَيْنِ أَفْـ	سِمُ لَا بِسِحْرِ بَابِلِيٍّ
وَبِحَاجِبِ حَجَّابِ الْعُيُو	نَ عَنِ الْقَوَامِ السَّمْهَرِيٍّ
وَبِخَصْرِهِ الْوَاهِي الدَّقِيِّ	قِ وَوَرْدِ خَدَيْهِ الْبَهِيِّ
وَبِمَبْسَمِ عَطَرِ اللَّثَا	تِ وَظَلَمِ تَغْرِ لَوْلُؤِيٍّ
لَا حُلْتُ عَنْ مَدْحِي لِسَعْفِ	دِ الدِّينِ ذِي الْأَصْلِ الزَّكِيِّ
الْوَاهِبِ الْأَمْوَالِ لِلْسَدِّ	سُؤَالِ بِالْكَفِّ السَّخِيِّ
فَحَبَاهُ يُغْنِي مَدْحِي	هَ إِذَا أَتَوْهُ عَنِ الْحَبِيِّ ⁽¹⁾

فعمد الشاعر في الأبيات السابقة إلى توظيف الألفاظ الملائمة لغرضه الشعري، محاولاً إظهار ما يختلج في نفسه في تلك اللحظة من معانٍ كانت تدور فيها، فالأبيات ذات جوٍّ موسيقيٍّ، ومُنَاحٍ إيقاعيٍّ ملائم للمعنى العام والصياغة التركيبية للبيت وللنص ذاته، فجاءت ألفاظه في الأبيات الستة الأولى عذبة رقيقة صور من خلالها شدة حبه وإعجابه بالمحبيب، إذ أحدثت تلاوفاً

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكثاني"، 339-340.

وانسجاماً في الألفاظ والصفات التي تعبر عن جمال المحبوب والمتمثلة بـ (الشَّعر النقي، والوجه اليوسفي، والخصر الدقيق، والشَّعر اللؤلؤي، والمبسم العطر...)، هذا بالإضافة إلى ما تحمله تلك الألفاظ من أحاسيس وخلجات في نفسه، كما لجأ الشاعر إلى تعداد صفاته بشكل متلاحق لخلق تناعم موسيقي داخلي، يخدم البناء النصي للأبيات، ويحقق غايته الكبرى وهي إجراء التوازن الإيقاعي بين مفرداته وألفاظه، إضافة إلى إظهار قدرة الشاعر على توليد الألفاظ في سياق لغوي، أسهم بشكل كبير في بناء وحدات صوتية قريبة المخارج شديدة الجذب لأذن السامع، في حين نجد الألفاظ الفخمة تجسدت في الأبيات التي مدح فيها الممدوح والمتمثلة في (الواهب الأموال، والأصل الزكي، والكف السخي، ويغني مادحيه).

وحقيقة أن ابن الكتاني عبّر عن أغراضه وأفكاره ومشاعره بالشَّعر الذي يلبي غرائزه وانفعالاته، فجاءت قصائده ومقطوعاته على أوزان كثيرة.

المحور الثاني: الموسيقى الخارجية:

ستقف الباحثة عند الموسيقى الخارجية في شعر ابن الكتاني وستعرض لها من خلال الحديث عن الوزن والقافية والرّوي.

أولاً: الوزن:

يُقصد به محور الشَّعر العربيّ، وقد صاغ شعراء القرن السادس الهجري قصائدهم ومقطوعاتهم على معظم أوزان الخليل بن أحمد الفراهيدي المعروفة، إلا أنهم وظّفوا البحور بنسب متباينة وحسب متطلبات أغراضهم وموضوعاتهم الشعريّة، دون أن يقصروا غرضاً ما على بحر أو قافية بذاتها.

وعلى هذا النهج سار ابن الكتّاني فجاءت قصائده ومقطوعاته الشعريّة على أوزان كثيرة يحاكيها في أنغامه وألحانه المتنوّعة على بحور الشّعْر المختلفة وقوافيه المتنوّعة، وقد اشتمل شعر ابن الكتّانيّ على (823) بيتاً توزّعت على (47) قصيدة، و(49) مقطوعة، وقد نُسِجت القصائد والمقطوعات على (13) بحرًا من بحور الشّعْر العربي، وفيما يلي جدولان يتضمّنان البحور الشعريّة التي استخدمها ابن الكتّاني في نظم قصائده ومقطوعاته:

الجدول رقم (1) يمثل استخدام البحور الشعريّة في القصائد

الرقم	البحر الشعري	عدد القصائد	النسبة المئوية	عدد الأبيات	النسبة المئوية
1	الكامل	10	21.5 %	104	16.5 %
2	المنسرح	7	15 %	116	18.2 %
3	الرمل	6	13 %	84	13.2 %
4	الخفيف	5	11 %	59	9.5 %
5	المتقارب	4	9 %	45	7 %
6	المديد	3	6.4 %	43	6.8 %
7	الرجز	3	6.4 %	42	6 %
8	السريع	2	4.2 %	41	5.9 %
9	الهزج	2	4.2 %	38	6 %
10	الطويل	2	4.2 %	36	5.8 %
11	المجثث	2	3 %	18	3 %
12	البسيط	1	2.1 %	13	2.1 %
		47	100 %	639	100 %

الجدول رقم (2) يمثل استخدام البحور الشعرية في المقطوعات

الرقم	البحر الشعري	عدد المقطوعات	النسبة المئوية	عدد الأبيات	النسبة المئوية
1	البسيط	9	%18.3	36	%19.5
2	الخفيف	8	%16	25	%13.5
3	الطويل	6	%12	20	%10.8
4	الكامل	5	%11	21	%11.2
5	الوافر	5	%11	14	%7.7
6	السريع	4	%7.7	16	%8.6
7	الرمل	3	%6	15	%8.5
8	المتقارب	3	%6	14	%7.7
9	المنسرح	2	%4	6	%3.2
10	الهمزج	2	%4	6	%3.2
11	الرجز	1	%2	6	%3.2
12	المجتث	1	%2	5	%2.9
		49	%100	184	%100

عندما تعقبت الباحثة الموسيقا الخارجية في شعر ابن الكتاني من خلال الجدولين (2+1) تبين لها أن البحور التي نظم عليها شعره مرتبة حسب الأكثر استعمالاً، هي (الكامل، والمنسرح، والرمل، والبسيط، والطويل، والخفيف، والسريع، والمتقارب،) (بنسب تتراوح بين أكثر من 14% وأقل من 28% تقريباً).

وعليه تستطيع الباحثة القول إن الأوزان الخفيفة تشغل حيزاً كبيراً من قصائد ابن الكتاني وأوفاهها نصيباً البحر الكامل، ولا غرابة في ذلك؛ لأنه أتم الأبحر، ويصلح لمختلف الأغراض الشعرية، وكان ولا يزال يتمتع برتبة متقدمة بين البحور⁽¹⁾، ولهذا "كان كثيراً في كلام المتقدمين

(¹) ينظر: أنيس، إبراهيم، موسيقا الشعر، 191.

والمُتأخِّرين، وهو أجود في الخبر منه في الإنشاء وأقرب إلى الشدَّة منه إلى الرِّقة " (1)، وينسجم مع العاطفة القويَّة النَّشاط والحركة سواء أكانت فرحة قويَّة الاهتزاز أم كانت حزناً شديداً الجُلجلة" (2).

فنتائج الجدولين السَّابِقين تتفق مع ما ذهب إليه إبراهيم أنيس من أنَّ البحر الطَّويل قد بدأ في التَّراجع في العصور الإسلاميَّة المتأخِّرة بعد أن كان أكثر من ثلث الشَّعر العربيَّ قد نُظِم عليه، ليخلي بذلك مكانه للكامل (3)، وفي العصور الإسلاميَّة المتأخِّرة تعدَّدت فنون الشعر العربي وتباينت الموضوعات (4)، مما أدَّى إلى تقدُّم البحر الكامل؛ لأنَّ البحور الأخرى كالطَّويل والبسيط لا تصلح للتعبير عن هذه الموضوعات.

ويمثِّل البحر المنسرح المرتبة الثَّانية في شعر ابن الكتَّاني، وقد نظم عليه أطول قصائد شعره، حيث تقدَّم على غيره من البحور، وهو من الأوزان النَّادرة في الشَّعر العربي، إذ لم ينظم فيه كبار الشُّعراء في الجاهليَّة والإسلام إلَّا النَّزر اليسير.

والملاحظ أنَّ البحر السَّريع اتَّخذ موضعاً متقدِّماً في شعر ابن الكتَّاني بالقياس إلى موضعه في المجموعات التي ذكرها إبراهيم أنيس، ولعلَّ السَّبب في إعجاب الشَّاعر ببحر السَّريع وحبِّه له أكثر من غيره من بحور الشَّعر المتقدِّمة يعود إلى أنَّ هذا البحر يتيح للمنشئ والمتلقِّي أن يقرأ

(1) علي، أسعد، الإنسان والتَّاريخ في شعر أبي تَمَّام، 22.

(2) النويهي، محمد، الشَّعر الجاهلي، منهج في دراسته وتقويمه، 61/1.

(3) ينظر: موسيقا الشعر، 198-199.

(4) ينظر: هداره، محمد مصطفى، اتِّجاهات الشعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، 348-349.

قافية القصيدة المطلقة مقيّدة في كثير من الأحيان، كما أنّ البحر السريع قريب جدًا من البحر الكامل، الذي يحتل مركزًا متقدمًا في بحور الشعر العربي⁽¹⁾.

ثمّ يتبع البحور الثمانية السابقة في نسبة الشّيوخ مجموعة من البحور، وهي على التّرتيب حسب كثرتها: الرّجز، والهزج، والوافر، والمديد، والمجتث، (وبنسب تتراوح بين أقل من 4% وأكثر من 9% تقريبًا)، واللافت للانتباه أنّ الشّاعر نظم في بحر المجتث وهو نادر الاستعمال قديمًا وحديثًا ولم يستعمله الشعراء إلّا لمأما في سائر العصور الأدبيّة.

والجدولان السّابقان يوضّحان أنّ الشّاعر نظم على ثلاثة عشر بحرًا عروضيًا، واستثنى ثلاثة بحور من بحور الشعر العربي هي: المضارع، والمقتضب، والمتدارك (الخبب أو المحدث). أمّا بالنسبة للمضارع والمقتضب فقد استعرض إبراهيم أنيس جميع ما روي في كتاب الأغاني للأصفهاني بحثًا عنهما فلم يجد لهما ذكرًا إذ يقول: "وقد استعرضت جميع ما روي في الأغاني لعلّي أظفر بأمثلة لهذين الوزنين، فلم أجد لهما ذكرًا، إلّا في مقطوعتين قصيرتين نسبت إحداهما للحسين بن الضحّاك وهي من بحر المقتضب، ونسبت الأخرى لسعيد بن وهب وهي من بحر المضارع"⁽²⁾، كما أشار بدر الدين الدّماميني إلى قلّة هذين البحرين في شعر العرب، بقوله: "قال الزّجاج: هما قليلان، حتّى إنّ لا يوجد منهما قصيدة لعربي، وإنما يروى من كل واحد منهما البيت والبيتان، ولا ينسب بيت منهما إلى شاعر من العرب، ولا يوجد في أشعار القبائل"⁽³⁾.

(1) ينظر، السّراحنة، حسن عبد الهادي، دراسة شعر تاج الملوك بوري بن أيوب، 98.

(2) موسيقا الشعر، 54-55.

(3) العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة، 76.

وبالنسبة للمتدارك فهو "بحرٌ لم يعرض له الخليل، وينسب إلى الأخفش" (1) والشواهد التي وردت عليه في كتب العروض متّحدة، وهي أبيات معزولة لم تُنسب لأصحابها (2). وعليه فإن استثناء ابن الكتاني لهذه البحور الثلاثة لا يُعد خروجاً على النظام التقليدي للوزن الشعري العربي.

مما تقدّم يتبيّن أنّ ابن الكتاني استخدم في شعره بحوراً ذات أوزان طويلة مثل: الكامل، والطويل، والبسيط، والمديد، وهذه البحور تتلاءم مع معاني الشدة والفخامة التي ركّز الشاعر عليها في ممدوحيه، كما استخدم البحور الخفيفة مثل: السريع، والمتقارب، والرجز، والهجج، وهي من البحور التي تتلاءم مع معاني الحركة والخفة والحيوية المكملّة لصورة الممدوح، واستخدم الشاعر البحور القصيرة ذات الأوزان الخفيفة مثل: الرمل، والخفيف، والرجز، والهجج، والمجثث وهي بحور تتلاءم مع الانفعال العاطفي البارز في غزله ووصفه، كما اعتمد بحر الرجز في إخوانياته لخفة تفعيلاته وسهولة مقاطعه.

ويقول ناصر الدين الأسد مؤكداً على ضرورة الاتفاق والتلاؤم ما بين بحور الشعر والمعنى الذي يريده الشاعر: "والذي يبدو لي أنّ بحور الشعر إنّما تتسق في اتفاق وتلاؤم مع المعنى الذي يرمي إليه الشاعر، فهو إذا قصد معنى من معاني الجد، فيه جلال ووقار مال إلى البحور الطويلة، وإذا قصد إلى معنى من معاني اللهو فيه عذوبة ورقّة مال إلى البحور الخفيفة" (3).

(1) الهاشمي، أحمد، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، 97.

(2) ينظر: الراضي، عبد الحميد، شرح تحفة الخليل في العروض والقافية، 300-301.

(3) القيان والغناء في العصر الجاهلي، 196.

ثانياً: القافية:

القافية أصوات تتكرّر في أواخر الأسطر أو الأبيات من القصيدة، وتكرّرها هذا يعدّ جزءاً من الموسيقى الشعريّة، فهي فواصل يتوقع السّامع تردها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الأذن فترات موسيقيّة منتظمة ⁽¹⁾، ولهذا تعدّ " القافية مركز ثقل مهم في البيت " ⁽²⁾.

وقد أدرك النّقاد القدماء أهميّة القافية في الشعر فجعلوها شريكة الوزن في تمييز الشعر عن غيره من الأنماط الإبداعية ⁽³⁾، إذ تعدّ القافية من أهمّ الجوانب في أداء النّاحية الموسيقيّة في الشعر، كما أنّها تنظّم إيقاعات الشعر، وتسهم في لطافة المعنى ونقل ما يدور في نفس الشّاعر من شعور ووجدان، عندما تقصر المفردات والألفاظ عن أدائها، ويكمن دورها البارز في حروفها وحركاتها ومقاطعها.

من هنا فإنّ القافية ذات وظيفتين: إيقاعيّة نغميّة تهدف إلى المتعة الموسيقيّة، وأخرى دلاليّة تهدف إلى إتمام المعنى وتوصيله إلى المتلقي ⁽⁴⁾.

وتقسم القافية تبعاً لحركة الروي إلى قسمين: مقيدة وهي التي يكون الروي فيها ساكناً، ومطلقة وهي التي يكون الروي فيها متحرّكاً أي بعد رويها وصل بإشباع الكسر أو الضمّ أو الفتح ⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ ينظر: الهاشمي، أحمد، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، 112-113.

⁽²⁾ نفسه والصفحة نفسها.

⁽³⁾ ينظر: ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، 64، ابن رشيق، العمدة، 151/1.

⁽⁴⁾ ينظر: سراحنة، سارة، أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، فلسطين، 223.

⁽⁵⁾ ينظر: عتيق، عبد العزيز، علم العروض والقافية، 131.

والنّاظر في شعر ابن الكتّانيّ يجد أنّ الشّاعر قد نوع في روي قصائده، فنظم على تسعة

عشر حرفاً من الحروف الهجائيّة، والجدول الآتي يبين ذلك:

الرقم	حرف الروي	عدد القصائد والمقطوعات	النسبة المئوية
1	الباء	21	22%
2	التاء	5	5%
3	الجيم	1	1%
4	الحاء	5	5%
5	الدال	9	9%
6	الراء	16	17%
7	الزاي	1	1%
8	السين	2	2%
9	الضاد	1	1%
10	الطاء	2	2%
11	الظاء	1	1%
12	العين	2	2%
13	الفاء	4	4%
14	القاف	9	9%
15	الكاف	3	3%
16	اللام	8	8%
17	النون	2	2%
18	الهاء	4	4%
19	الياء	2	2%
		98	100 %

يلاحظ من الجدول السّابق أنّ ابن الكتّانيّ نظم شعره على تسعة عشر حرفاً من الحروف

الهجائيّة، واستثنى منها (الهمزة والتّاء والحاء والدّالّ والشين والصّاد والغين والميم والواو)،

فالروّي الأكثر شيوعاً في شعره هو حرف الباء ونستطيع ترتيب الحروف المستخدمة حسب

كثرتها كما يلي: (الباء والراء والدّالّ والقاف واللام والحاء والتّاء والفاء والكاف والهاء والسين

والطاء والعين والنون والياء والجيم والزاي والضاد والظاء)، وقد احتلت حروف الروي الستة الأولى ما يساوي ثلثي شعره تقريباً.

ويلاحظ أن ابن الكتاني هذا حذو أبي العلاء المعري الذي أدخل على القافية ضرباً من الموسيقى والإيقاع عندما نظم ديوانه (لزوم ما لا يلزم)، إذ اشترط على نفسه فيه التزام حرف أو أكثر قبل حرف الروي، فقد عمد الشاعر إلى تقفية أبيات بعض قصائده بحرفين أو أكثر، وهذه الطريقة تسمى وفق منهج المعري (لزوم ما لا يلزم) وهي "أن تتساوى الحروف التي قبل الروي مع كونها ليست بواجبة التساوي" ⁽¹⁾، فهي من وجوه البراعة في النظم؛ لأنها تزيد من وحدات الإيقاع الصوتية.

وقد حاول ابن الكتاني أن يتبع هذا الأسلوب في بعض قصائده، إذ نجد في شعره قصائد التزم فيها هذا الأسلوب، من ذلك قوله في قصيدة تتألف من ثمانية عشر بيتاً وقد جعل التقفية فيها بحرفين (التاء والهاء): [24]

(المديد)

رَشَاءُ مِنْ حُسْنِ صُورَتِهِ	بِتْ مَسْرُورًا بِرُؤْيَتِهِ
زَارَانِي وَهَذَا فَبِتْ وَقَدْ	زَارَانِي أَهْلًا بَطْلَانِي
عَبَثْتُ كَأْسُ الْمُدَامِ بِهِ	فَتَنَّتْ عِنْدَ مِشْيَتِهِ
كَانَ يُخْفِي شُرْبَهَا فَبَدَتْ	قَبَسًا فِي مَاءٍ وَجَنَّتْهُ ⁽²⁾

كما كان الشاعر يعمد إلى جعل قوافيه مردوفة بحروف المدّ (الألف والواو والياء)

كالتزامه ياء المد قبل الروي في قوله: [62]

(1) ابن أبي حديد، عز الدين أبو حامد، شرح نهج البلاغة، 86/1.

(2) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 275-276.

(المتقارب)

وَمَا رَوْضَةً أَنْفٍ كَالْعَبِيرِ سَقَتْهَا عُيُونٌ يَعْالِيلُ بَيْضُ
يُلَاعِبُهَا الطَّلُّ حَتَّى النَّسِيمِ وَيُضْحِكُهَا لَمَعَانُ الْوَمِيضُ
وَيُطْلِعُهَا شُهْبًا كَالنُّجُومِ تَأْرَجُ مَا بَيْنَ رَوْضٍ أَرِيضُ
أَقَامَ بِهَا الشَّرْبُ حَتَّى الصَّبَاحِ وَقَدْ رَقَّ ثَوْبُ الطَّوِيلِ الْعَرِيضُ
وَأَهْيَفَ نَوْ فَالْجِ كَالْقَضِيبِ بَخْدٍ أَسِيلٍ وَجَفْنٍ مَرِيضٍ⁽¹⁾

ثالثاً: الروي:

يعد حرف الروي أبرز عناصر القافية وإليه تنسب القصائد، وقد اقتصرَت الباحثة الحديث عن الروي في أثناء الحديث عن القافية بوصفه أبرز أجزائها، فهو عنصر يرتبط بشكل عام بالوزن وبشكل خاص بالقافية، ويشترط أن يكون الروي في قوافي القصيدة كلها، فلا يكون الشعر مقفياً إلا باشماله على الروي المكرر في أواخر الأبيات.

ومن سكون الروي وحركته ميّز النقاد نوعين من أنواع القافية هما: المقيدة والمطلقة، وقد جاءت معظم قوافي ابن الكتاني متحركة باستثناء ست قصائد، وأربع مقطوعات عمد فيها الشاعر

(مجزوء الرجز)

إلى تقييد قوافيها، ومثال على ذلك قوله: [19]

أَلْذُّ مِنْ طَعْمِ الضَّرْبِ مَا أَنْسَاغَ مِنْ مَاءِ الْعَنْبِ
مُدَامَةً قَدْ عُنُقَتْ مِنْ عَصْرِ هَامَانَ حَقَبِ
كَانَتْ وَلَا شَيْءَ يُرَى قَبْلَ جُمَادَى وَرَجَبِ
قَدْ نَظَمْتُ فِي جِيدِهَا قَلَائِدًا مِنَ الْحَبَابِ⁽²⁾

فلجوء الشاعر إلى تقييد القافية يضيف على إيقاع الأبيات إيقاعاً آخر متميزاً بنغماته ودلالاته.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 314.

(2) نفسه، 270.

وإذا تتبعنا حركة حرف الرّوي عند ابن الكتّاني، والتي عمد إبراهيم أنيس إلى دراستها مبيّناً صفة كل حرف منها، ومدى شيوع كل منها، وضالة البعض الآخر⁽¹⁾، فإننا نجد أنّ حركة الرّوي عند الشّاعر جاءت كما هو مبين في الجدول الآتي:

الحركة	عدد القصائد والمقطوعات	النسبة المئوية
السكون	10	10.1%
الضمة	21	21.2%
الفتحة	27	27.2%
الكسرة	41	41.5%
	99	100%

وبعد دراسة حروف الرّوي في شعر ابن الكتّاني من خلال الجدول السّابق يبدو أنّ القافية المتحركة بالكسر احتلت المرتبة الأولى في شعره، ولا غرابة في ذلك فهي ذات حظ وفير من الشّيع والانتشار في قوافي الشّعر العربي، ثمّ جاءت بعد ذلك الفتحة فالضمة فالسّكون، وهذا التّرتيب في نسبة شيوع الحركات في قوافي شعر ابن الكتّاني يتوافق مع ترتيب شيوعها في الشّعر العربي عامّة.

أمّا عيوب القوافي التي يقصد بها عيوب ما قبل الرّوي (السّناد) فيكاد لا يخلو شعر أي شاعر عربي من هذه العيوب، ومن المفيد أنّ نشير هنا إلى أنّ ابن الكتّاني تنبه لهذه العيوب وحاول تجنّب ما استطاع، ففي القوافي المقيدة نجده تجنب عيب السّناد "وهو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الرّوي من الحروف والحركات"⁽²⁾، فالتزم الشّاعر بحركة واحدة سبقت الرّوي المقيد وترددت في كل بيت من أبيات القصيدة، كقوله: [80]

(1) ينظر: موسيقا الشعر، 248 .

(2) عتيق، عبد العزيز، علم العروض والقافية، 134.

(مجزوء الرمل)

قُلْ لِنَجْمِ الدِّينِ يَا مَنْ	عَمَّ بِالْجُودِ الْخَلَاءُ
وَالَّذِي مَازَالَ يُؤَلِّي الـ	بِرَّ طِفْلاً وَمُراًهُ
قَدْ تَعَلَّقَتْ بِأَهْدَا	بِ مَعَالِيكَ السَّوَابِقُ
بِكَ يَهْدِي اللَّهُ مَنْ ضَلَّ	لَ عَنِ النَّهْجِ الطَّرَائِقُ
هَكَذَا قَدْ نَطَقَ الْقُرْ	أَنْ وَالْقُرْآنُ صَادِقٌ ⁽¹⁾

هكذا استمر حتى آخر بيت في القصيدة، مما أكسب القافية موسيقا ظاهرة.

ومع ذلك فقد وقع ابن الكتاني في هذا العيب، ومن أمثلته في شعره قوله: [8] (مجزوء الرمل)

يَتَرَأَى إِنْ تَرَايَ	تُ وَإِنْ غَبَّتْ يُغِيبُ
كَيْفَ أَنْجُو مِنْ سَقَامٍ	خَانَنِي فِيهِ الطَّبِيبُ
أَنَا عَانٍ مِنْ هَوَاهَا	وَهِيَ تَلْهُو وَتَطِيبُ
مَنْ رَأَى كَالْمَوْتِ عِشْقًا	تَتَهَوَّاهُ الْقُلُوبُ
أَنْتَ يَا صَارِمٌ لِلْعَا	لَمْ فِي الْخَيْرِ نَقِيبُ ⁽²⁾

يلحظ في الأبيات السابقة أنَّ كلمة "القلوب" اختلفت في نمطها وصيغتها وحركاتها عن

الكلمات الأخرى (يغيب، والطبيب، وتطيب، ونقيب).

ومن عيوب القوافي التي وقع فيها الشاعر (الإيطاء والتضمين)، أمَّا الإيطاء فهو: "

إعادة كلمة الروي بلفظها ومعناها بعد بيتين أو ثلاثة إلى سبعة أبيات " (3)، أي العمل على إعادة

القافية قبل البيت السابع، وقد ورد في شعر ابن الكتاني في قوله: [34]

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 324.

(2) نفسه، 261-262.

(3) عتيق، عبد العزيز، علم العروض والقافية، 133.

(الرمل)

لَا يُبَالِي وَالْعَوَالِي شُرْعَ كَثُرَ الْحَاسِدُ أَمْ قَلَّ الْمُعَادِي
يَطْعَنُ الْأَلْفَ فَلَا يَرْهَبُهَا وَيَجُودُ الْأَلْفَ مِنْ غَيْرِ تَمَادِي
يَا بَنِي أُرْتَقِ إِنَّ عُدَّ النَّدَى أَنْتُمْ السَّامُونَ فِي تِلْكَ الْعِدَادِ
نَارُكُمْ نَارَانِ سُخْطٌ وَرِضَا فَهِيَ ذُخْرٌ لِمُحِبٍّ وَمُعَادِي⁽¹⁾

أما التضمين: "فهو ألا يستقل البيت بمعناه، بل يكون المعنى مجزوءاً بين بيتين، وبعبارة أخرى: أن يكون البيت الثاني مكماً للبيت الأول في معناه" ⁽²⁾، وهو من العيوب التي وقع فيها

(مجزوء الرجز)

الشاعر، من ذلك قوله: [35]

يَا صَارِمَ الدِّينِ لَقَدْ وَعَدْتَنِي فِي الْعِيدِ
أَرْفُلٌ مِنْ جُودِكَ فِي ذَيْلِ قَبَّاحٍ جَدِيدِ⁽³⁾

(الهزج)

وقوله: [50]

أَلَا يَا أَسَدَ الدِّينِ وَحَقَّ لِيَا لِقَاةِ الْقَدْرِ
لَقَدْ أَوْحَشَنِي شَخْصٌ كَ فِي صَحْوِي وَفِي سُكْرِي⁽⁴⁾

خلاصة القول إن ابن الكتاني استطاع أن يحقق التلاؤم بين اللغة والمعنى، وما يدور فيها من انفعالات من جهة، والإيقاع من جهة ثانية، فجاءت موسيقاه متلائمة مع ألفاظه وانفعالاته، ومع الحروف التي استخدمها، ولم يتحقق هذا التلاؤم عن طريق الموسيقى الخارجية المتمثلة بالوزن والقافية والروى فحسب، بل تحقق عن طريق الموسيقى الداخلية المتمثلة بالمحسنات البديعية.

(1) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 288.

(2) عتيق، عبد العزيز، علم العروض والقافية، 133.

(3) القسم الثاني "شعر ابن الكتاني"، 289.

(4) نفسه، 301.

الخاتمة

بعد أن أعان الله الباحثة على إنهاء هذه الدراسة، فإنه يمكن عرض أهم نتائجها وتوصياتها على النحو الآتي:

أ. النتائج:

❖ بيّنت هذه الدراسة جوانب من حياة الشاعر وصفاته وأخلاقه، من خلال التمعّن في نتاجه الشعريّ، كما كشفت عن الفترة التي تُوفي فيها الشاعرُ استنتاجاً عن طريق الاستدلال من نتاجه الشعريّ، والتي تُرجّحها الباحثة في العقد الثاني من القرن السابع الهجريّ تقريباً.

❖ طرق ابن الكتّاني شتّى مجالات الشعر وفنونه، ولعلّ المدح من أكثر الأغراض التي طرقها، وبرع فيها، فجاء شعر المديح في المرتبة الأولى من شعره، وشكّل شطراً كبيراً من أغراض شعره، خصّصه لمدح كبار رجالات الدولة الأيوبيّة من الملوك والأمراء والوزراء والقضاة والأعيان، ولم تُعثر الباحثة للشاعر على بيت في الهجاء وهذا يدل على صفاء قلبه، وقلة أعدائه، وربما علوّ مكانته.

❖ يلاحظ أنّ قصيدة المديح قد طغت على شعر ابن الكتّاني، فجاءت الكثير من الفنون الشعريّة ضمن المديح، كالغزل والوصف والخمرة ومجالسها وغيرها، ومن خلال دراسة الباحثة لشعر ابن الكتّاني، فإنّها تلاحظ تكرّاره للمعاني المدحيّة في معظم قصائده، مع اختلاف القوالب التي صبّت فيها هذه الألفاظ، وهو يكاد لا يحد عن المنهج الذي رسمه التقليد الشعريّ خلال القرون الماضية، فقد كانت قصائده في المديح تجري على وتيرة واحدة، وتكرّرت فيها معاني المدح التقليديّة، التي أثّرت عن عصور الأدب العربيّ السابقة، وكان غرض الشاعر الأول من هذه القصائد التّكسب.

❖ لاحظت الباحثة أنّ بقيّة أغراض ابن الكتّاني الشعريّة كالغزل والإخوانيات والخمرة والوصف والحنين والشوق، كانت متفاوتة فيما بينها، فقد استولى الشاعر على محاسن كلّ فنّ من فنون الشعر التي قصدها، وصور شعره الغزلي الذي جاء في مقدمات القصائد افتتاحه بالجمال، متغزلاً تارة بالمرأة العربيّة أو التركيّة، وبالغلمان تارة أخرى، معبراً بلغة مبهمّة عن حبيبة حرم منها الشاعر فألهبت قلبه حنيناً ولوعة، وجاءت معانيه في معظم أغراضه الشعريّة

تقليدية، لكنها لا تخلو في بعض الأحيان من الإبداع الذي يُظهر القدرة التي كان يتمتع بها ابن الكتاني في نظمه للشعر.

✓ صور شعر ابن الكتاني افتتانه بالطبيعة العراقية، وتمثل ذلك في تفننه بوصف بغداد والحنين إليها والتغني بها وبالمواقع والمعالم المشهورة فيها.

✓ بنى الشاعر قصائده ومقطوعاته بناءً فنيًا يتفق ومقاييس العصر، فعلى سبيل المثال كانت المقطوعات أكثر ملائمة لروح عصره للتعبير عن بعض الموضوعات كالخمرة والحنين والشوق والغزل، أما الصورة الشعرية فقد تأثرت بأحداث العصر وأوضاعه، بما أوحته من ألفاظ وصور انتزعت من أدوات الحرب التي كانت شائعة في الواقع الذي عاش فيه.

✓ حافظ الشاعر على الصورة الأصلية للشعر العربي سواء أكان ذلك في بناء القصيدة أم في صورها ولغتها وأساليبها، وكأن الشاعر يريد التأكيد على أن مقومات هذا الشعر يجب أن تظل حية في النفوس، كما أنه لا ينبغي أن يُصدّر حكم واحد على مجمل شعره، فهو يأخذ بالأساليب الرصينة الجزلة في موضوعات المدح، ويجنح إلى الرقة والسهولة في الوصف والغزل والخمرة والإخوانيات، مقدمًا للمتلقي تشكيلات فنية متميزة من خلال استخدامه الأساليب التعبيرية المختلفة التي تعبر عن مقدرة الشاعر على التحكم بالأساليب على اختلاف أنواعها، وتوظيفها توظيفًا موفقًا لخدمة غايته الفنية لغوية كانت أم دلالية أم موسيقية.

✓ يلاحظ شيوع الصنعة البديعية في شعر ابن الكتاني، واللجوء إلى الأساليب بمختلف أنواعها كالأسلوب الزخرفي والخطابي والتقريري والإنشائي، فضلاً عن احتواء معجم الألفاظ في شعره على ألفاظ دخيلة تسربت إلى الشعر العربي، وهي من السمات التي امتاز بها شعر العصر نتيجة اختلاط الأجناس المختلفة في المجتمع آنذاك، كما كان لثقافة الشاعر أثر واضح في التشكيل الفني، وتمثل ذلك في ظاهرة الاستدعاء الديني والأدبي التي اتخذت صوراً عديدة فجاءت مسخرة لخدمة الأغراض الشعرية بشكل ملموس.

✓ نظم ابن الكتاني في معظم البحور الشعرية، فجاءت قوافيه متنوعة، وموسيقاه متلائمة مع ألفاظه وانفعالاته.

ب. التوصيات:

أهم التوصيات التي توصّلت إليها الباحثة هي:

٧ حفظت لنا المصادر كثيرًا من الأشعار التي قالها شعراء هذا العصر وتصلح لأن تُجمَع في داووين وتُدرس؛ لأنّ مثل هذه الدراسات تشكّل أدلّة قويّة على ازدهار الشعر في البلاد الشاميّة والمصريّة والعراقيّة في القرن السادس الهجريّ، على أن جذوة الشعر لم تتطفئ في القرن المذكور، فقد تبيّنت للباحثة أسماء لبعض الشعراء، ورد ذكرها في بعض المصادر القديمة، وما زالت دواوينهم غير محقّقه أو مفقودة مثل: ديوان شهاب الدّين الشّوّاء الحلبي (ت 635 هـ)، وديوان ابن ظافر الأزدي (ت 623 هـ)، وديوان محيي الدّين بن عبد الظّاهر (ت 692 هـ)، مما يحفز الباحثين على التّقيب والبحث عنهم، وجمع شعرهم ودراسته.

٧ ولعلّ صفة الانحطاط التي لاصقت ظلماً هذا العصر تعود إلى أنّ الكثير من مصادره المخطوطة لا تزال مفقودة أو غير محقّقة، وعليه فإنّ الباحثة توصي بتحقيق مثل هذه المخطوطات لما فيها من فائدة عظيمة في ميادين الأدب المختلفة، راجية أن تكون هذه الدّراسة قد أضافت شيئاً جديداً في ميدان الدّراسات التي تهتمّ بالأدب العربي في العصر الأيوبي، وتدحض ما يوصف به هذا العصر من جمود وضعف في المستوى الفني.

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين)

القسم الثاني:
شعر ابن الكتّانيّ
جمع وتوثيق

المنهج المتبع في جمع شعر ابن الكتاني:

بَحَثَتِ الباحثة عن ديوان الشاعر ابن الكتاني بحثًا دؤوبًا، وبَذَلَتْ جهدًا كبيرًا في التفتيش في فهرس المخطوطات وسؤالِ دور الكتب الكبرى إلا أنها لم تعثر على الديوان، خاصة بعدما ورد في كتاب قلائد الجمان لابن الشعار الموصلي⁽¹⁾ أن لابن الكتاني "شعرًا كثيرًا مدونًا يدخل في مجلد كبير"⁽²⁾، وعندها عادت الباحثة إلى ما يمكن الاهتداء إليه من المصادر التي تحتوي على شيء من شعر الشاعر، ونظرًا لأن ابن الشعار قد جمع جزءًا كبيرًا من شعر الشاعر في كتابه "قلائد الجمان"، وحاولت الباحثة جاهدة أن تجد شعرًا آخر للشاعر إلا أن الجهد لم يُثمر باستثناء بعض الأبيات التي وردت في كتابي: الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، ومجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي الشيباني.

(1) ابن الشعار الموصلي: هو كمال الدين، وقيل: جمال الدين أبو البركات المبارك بن أبي بكر أحمد بن حمدان بن أحمد بن غلبون بن ماجد، المؤرخ الموصلي، المعروف بابن الشعار، ولد في الموصل في مستهل صفر سنة 595 هـ، ونشأ فيها، سافر إلى إربل في سنة (625 هـ) وأقام فيها ست سنوات، وتلمذ على ابن المستوفي، وله مصنفات عديدة منها: "عقود الجمان في شعراء هذا الزمان" وهو في الشعراء الذين دخلوا المائة السابعة للهجرة وأدركوها، ومن مصنفاته الأخرى: "تحفة الوزراء" المذيل على معجم الشعراء للمرزباني، توفي في حلب، وقد اختلفت الآراء في تحديد تاريخ وفاته، فقيل: سنة 654 هـ، أو 655 هـ، أو 656 هـ، ينظر ترجمته في: اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 33/1، الذهبي، العبر في خبر من غير، 219/5، اليافعي، مرآة الجنان، 136/4، المبارك الإربلي، تاريخ إربل، 384/1، البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، 3/6.

(2) 214/10.

وعلى الرغم من الجهد الطيّب الذي بذله الأستاذ كامل سلمان الجبوري محقق كتاب قلائد الجمان في تحقيق الكتاب ونشره، فإنَّ ثمة مواضع في شعر ابن الكّثاني حاولت الباحثة الاجتهاد في قراءة بعضها واستدراكها اعتمادًا على السياق دون إخلال في الوزن والمعنى.

وتتمثل الاستدراكات التي قامت بها الباحثة في الآتي:

- (1) رَقَمَت الباحثة كل قصيدة ومقطوعة ونبقة وبيت مفرد ترقيمًا متسلسلاً.
- (2) نسَقَت الشعرَ المجموع حسبَ القوافي على حروفِ الهجاء، ثم ابْتَدَأَتْ بالرَّوْيِ المكسور فالمضموم فالمفتوح فالساكن في قوافي كلِّ حرفٍ ثُمَّ ما أُلْحِقَ بها.
- (3) أثْبَتَت الباحثة الأصل كما ورد في المصدر الأقرب لعصر الشاعر، وقارنته بما ورد في غيره الأقرب فالأقرب، وعمَدَت إلى تصحيح الأصل الناتج عن خطأ، وصوَّبَت ما وقع في الشعر من أخطاء وأشارت إلى ذلك في الهامش.
- (4) شرَحَت الباحثة ما جاء في الشعر من غريب المفردات التي احتاجت إلى توضيح، دون إيقالٍ للنصِّ ليسهلَ على القارئ فهمه.
- (5) ضَبَطَت الباحثة أعلام الأشخاص والأماكن، وعرَّفَت بما ينبغي التعريفُ به، ممَّا ورد منها في النصوص الشعرية علمًا أنَّها لم تجد ترجمة في المصادر والمراجع المختلفة لعدد قليل منها.
- (6) خرَّجَت ما ورد في الشعر من الأمثال والحكم والآيات والشعر المضمَّن بالرجوع إلى المصادر المختلفة .

* قافية الباء :

[1] يقول في مدح الملك الصالح محمود بن محمد⁽¹⁾ : (مجزوء الرمل)

- 1- صَاحِ بِالزُّورَاءِ⁽²⁾ عُجْ بِي⁽³⁾ زَادَ بِالزُّورَاءِ عُجْبِي
- 2- وَاسْأَلِ الدَّارَ عَنِ الْغِيْهِ دَلَّ لَعْلَ الدَّارَ تُتْبِي
- 3- وَإِذَا مَا عَنِ⁽⁴⁾ سِرْبٍ مِنْ نَوَاحِيْهَا فَسِرْ بِي
- 4- أَوْ رَأَتْ عَيْنُكَ صَاحِبِيْ فَعَلَى حَالِكَ صِحْ بِي
- 5- عَدَّ عَنْ عَتَبٍ وَدَعْنِي عَانِلِيْ مِنْ نِكْرٍ عَتَبِ
- 6- إِنَّنِيْ عَقَّيْتُ ظَبِيًّا مِنْ بَنِي مَالِكٍ رَحْبِي⁽⁵⁾
- 7- فَاتِرَ الْعَيْتَيْنِ لَا يَصْنُ بُوْ وَلِلْعَشَاقِ يُصْنِي

التخريج :

[1] ابن الشعار، قلائد الجمان، 218-217/10 .

ضوء على الشعر :

(1) الملك الصالح: محمود بن محمد بن قُرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق، السلطان الملك الصالح ناصر الدين صاحب آمد وحصن كيفا، كان شجاعاً عاقلاً سخيّاً جواداً محباً للعلماء، قام بعده ولده الملك المسعود وكان بخیلاً فاسقاً، وهو الذي أخذ منه الملك الكامل الأيوبي آمد، وحبسه بمصر، ثم أطلقه، فمضى إلى التتار ومعه أمواله، فأخذت منه، مات بآمد في صفر سنة 618هـ، ينظر ترجمته في: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 71/29، الذهبي، تاريخ الإسلام، 383/44، ابن الوردي، تتمة المختصر، 212/2، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 198/2.

(2) الزوراء: مدينة ببغداد في الجانب الشرقي، سميت الزوراء لازورار في قبلتها، وقيل: الزوراء مدينة أبي جعفر المنصور، وهي في الجانب الغربي، وقيل: إنما سميت الزوراء؛ لأنه لما عمَّرها أبو جعفر المنصور جعل الأبواب الداخلة مزورة عن الأبواب الخارجة، أي ليست على سمتها، وقيل: هي دار بناها النعمان بن المنذر بالحيرة، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 156/3.

(3) عُجْ بِي: أي مل أو طُف بِي، يقال: وعَجَوْتُهُ عَجْوًا: أملتُه، وعَجَا شِدْقُهُ إِذَا فَتَحَهُ وَأَمَالَهُ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عجا).

(4) عَنْ: ظهر أمامك، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عن).

(5) رَحْبِي: هذه النسبة إلى الرحبة، وهي مَدِينَةٌ أَحَدَتْهَا مَالِكُ التُّغْلَبِيِّ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ بَيْنَ الرِّقَّةِ وَبَغْدَادَ، يقال لها: رَحْبَةُ مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ، يُنسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 34/3، الزبيدي، تاج العروس، 491/2، الشيباني الجزري، اللباب في تهذيب الأساب، 19/2.

- 8- لَوْلَى الثَّغْرِ إِلَّا أَنَّهُ لِلْعَقْلِ يَسْبِي
- 9- مَائِسًا يَهْتَزُّ تِيهَهَا شَغْبًا مِنْ غَيْرِ شُرْبِ
- 10- يَنْتَثِي مَثَلِ غُصْنِ مِنْ غُصُونِ الْبَانِ رَطْبِ
- 11- شَابَ كَأْسِي مِنْ ثَنَائِي هُ بَرِيقٍ مِنْهُ عَذْبِ
- 12- وَبَدَا يَضْرِبُ بِالْأَوْ تَارِ حَتَّى سَلَّ قَلْبِي
- 13- يَا بَنِي الزُّورَاءِ كُلِّ مِنْكُمْ جَارِي وَتَرْبِي (1)
- 14- خَبَرُوا بَغْدَادَ إِنْ أَخْـ خَرْتُ عَنْ بَغْدَادَ كُتْبِي
- 15- إِنَّنِي مُذْ غَبْتُ عَنْهَا بَيْنَ جَنَاتٍ وَقَضْبِ (2)
- 16- فِي رُبُوعِ الْمَلِكِ الصَّا لِحِ لِي أَبْقَاهُ رَبِّي

[2] وقال بالمحلة (3) الغربية يستهدي شراباً من السديد الطبيب (4): (الهج)

- 1- سَدِيدَ الدَّوْلَةِ الْمَعْرُوفَ فَبِالتَّشْرِيحِ فِي الطَّبِّ
- 2- وَيَا مَنْ حَلَّ فِي الْعِلْمِ مَحَلَّ الْعِلْمِ مِنْ قَلْبِي

التخريج:

[2] ابن الشعار، قلاند الجمان، 218/10.

ضوء على الشعر:

- (1) تَرْبِي: التَّربُّ: مَنْ وَلَدَ مَعَكَ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (تَرْب).
 (2) قَضْبٌ: شَجَرٌ تَتَّخِذُ مِنْهُ الْقِسِيُّ، وَكُلُّ شَجَرَةٍ طَالَتْ وَبَسَطَتْ أَغْصَانَهَا، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (قَضْب).
 (3) الْمَحَلَّةُ: بِالْفَتْحِ وَالْمَحَلُّ وَالْمَحَلَّةُ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُحِلُّ بِهِ، وَهِيَ مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ بِالذِّيَّارِ الْمَصْرِيَّةِ، وَهِيَ مَوَاضِعٌ عِدَّةٌ مِنْهَا: مَحَلَّةُ مَنْوَفٍ وَهِيَ مَدِينَةٌ بِالْغَرْبِيَّةِ ذَاتُ سَوْقٍ، يَنْظُرُ: الْحَمُوي، يَاقُوت، مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ، 63/5.
 (4) السَّدِيدُ الطَّبِيبُ: هُوَ شَيْخُ الطَّبِّ وَرَأْسُ الْأَطْبَاءِ بِالذِّيَّارِ الْمَصْرِيَّةِ، شَرَفَ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ دَاوُدَ بْنِ الْمُبَارَكِ، أَبُو الْمَنْصُورِ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ لَقَبُ أَبِيهِ، فَعُرِفَ بِالشَّيْخِ السَّدِيدِ، أَخَذَ الصَّنَاعَةَ عَنِ الْمَوْفِقِ بْنِ زُرَيْبٍ، وَخَدَّمَ السُّلْطَانَ صَاحِبَ الدِّينِ الْأَيُّوبِيَّ مَدَّةَ مَقَامِهِ بِالْقَاهِرَةِ، وَهُوَ مِنْ بَيْتِ عِلْمٍ بِالطَّبِّ، كَانَ أَبُوهُ طَبِيبًا لِلْخُلَفَاءِ قَبْلَهُ، تَوَفَّى بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ (592 هـ)، يَنْظُرُ تَرْجَمَتُهُ فِي: الذَّهَبِيِّ، الْعَرَبِ فِي خَيْرٍ مِنْ غَيْرٍ، 279/4، الْيَافَعِيِّ، مِرْآةُ الْجَنَانِ، 473/3، السِّيُوطِيِّ، حَسَنُ الْمَحَاضِرَةِ فِي أَخْبَارِ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ، 181/1، ابْنُ الْعِمَادِ، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ، 309/4.

- 3- وَيَا مَنْ فَاقَ فِي الْآفَا قَ فَوْقَ السَّبْعَةِ الشُّهُبِ (1)
- 4- سَرَى ذِكْرُكَ فِي الْبُلْدَا نِ بَيْنَ الْعُجْمِ وَالْعُرْبِ
- 5- فَلَوْ وَأَفَّاكَ جَالِينُ س (2) أَضْحَى طَائِرَ اللَّبِّ
- 6- وَسُقْرَاطُ (3) وَبُقْرَاطُ (4) وَجُودُهُ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ
- 7- لِأَضْحَا مِنْ تَلَامِيذِ كَ وَالْمَأْمُولِ مِنْ رَبِّي
- 8- دَعْتَنِي شَهْوَةُ اللَّهِوَ إِلَى الْمَأْكُولِ وَالشُّرْبِ
- 9- إِلَى مَشْمُولَةٍ (5) تَحْكِي أَرِيحَ الْمَنْدَلِ (6) الرُّطْبِ
- 10- لَنْ رَوَيْتَنِي مِنْهَا بِمَا أَطْفِي بِهِ كَرْبِي
- 11- سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُعْطِيَكَ فِي أَوْلَادِكَ النُّجُبِ

ضوء على الشعر:

- (1) السبعة الشُّهُبُ: النجوم السبعة، المعروفة بالذَّراري، وقيل: هي الطوالع التي أرفعها زحل وأدناها القمر، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 167/3، وفي البيت تضمين من بائية أبي تمام التي يقول فيها (البسيط): والعلم في شُهبِ الأرماحِ لأمعة *** بينَ الخَمِيسَيْنِ لافي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ، أبو تمام، الديوان، 41/1، ومن بيت أبي العلاء المعري (الطويل): أبي السبعة الشُّهبِ التي قيل إنها *** مُنْفَذَةُ الأقدارِ في العُربِ والعجم، أبو العلاء المعري، الديوان، 957/3.
- (2) جالينوس: فيلسوف يوناني ظهر بعد بقراط من، إمام الأطباء في عصره ورئيس الطبيعيين في وقته، مؤلف الكتب الجليلة في الطب وغيره ومؤلفاته تنيف على ستين مؤلفاً، جاب البلاد، وبرع في الطب والفلسفة والرياضة، وهو ابن سبع عشرة سنة، وجدّد علم بقراط، وبرع في علم التشريح، مات في مدينة سلطانية وقبره بها، وعاش ثماني وثمانين سنة، وظهر جالينوس بعد ستمائة وخمس وستين سنة من وفاة بقراط، ينظر: القنوجي، أجدد العلوم، 357/2 و 114/3.
- (3) سقراط: فيلسوف يوناني وهو أستاذ أفلاطون، وكان حكيماً زاهداً في الدنيا ونعيمها، قضى نحبه مسموماً، ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، 83/2، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 110/1-111.
- (4) بقراط الحكيم: أول من دوّن علم الطب، وهو حكيم مشهور، معتن ببعض علوم الفلسفة، سيد الطبيعيين في عصره، كان قبل الإسكندر بنحو مائة وسنة، وله في الطب تصانيف شريفة، وكان فاضلاً ناسكاً يعالج المرضى احتساباً، طوّافاً في البلاد وكان في زمن الفرس، وعاش خمساً وتسعين سنة، وله كتب نافعة مفسّرة بالعربية، ينظر: القنوجي، أجدد العلوم، 113/3.
- (5) مشمولة: يقال: خمر مشمولة باردة، وشمل الخمر: عرضها للشمال فبردت، ولذلك قيل في الخمر: مشمولة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (شمل).
- (6) المندل: العود الرطب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ندل).

[3] وقال أيضاً:

(المنسرح)

- 1 - تُغَيِّرُ الْخَمْرُ لِلْعُقُولِ كَمَا تُغَيِّرُ الْحَلِمَ سَوْرَةَ الْغَضَبِ⁽¹⁾
- 2 - فَاصْفَحْ وَلَا تَعْتَبِ الزَّمَانَ عَلَى مَنْ سَلَبَتْ لُبَّهُ ابْنَةُ الْعَنَبِ

[4] وقال أيضاً صدر كتاب كتبه إلى الشَّهاب يوسف العقاب⁽²⁾: (مخلع البسيط)

- 1 - شَوْقِي إِلَى يُوسُفَ الْعُقَابِ الْعَالِمِ الْمَاجِدِ الشَّهَابِ
- 2 - شَوْقُ كُنَيْبٍ إِلَى حَبِيبٍ وَشَوْقُ ظَامٍ إِلَى الشَّرَابِ
- 3 - شَوْقًا إِذَا مَا اقْتَصَرْتُ فِيهِ أَطْلُتُ فِي بَعْضِهِ خِطَابِي
- 4 - وَلَوْ كَتَبْتُ الَّذِي بَقَلْبِي إِلَيْهِ لَمْ يَخُوه كِتَابِي

[5] وقال يصف ساقياً:

(الطويل)

- 1 - أَقُولُ وَسَاقِيْنَا يَطُوفُ بِقَهْوَةٍ لَهَا حَبَبٌ يَرْفُضُ⁽³⁾ مِثْلَ الْكَوَاكِبِ
- 2 - بَدَتْ فِي سَمَاءِ الْكَاسِ شَمْسًا وَمَنْ رَأَى سَنَى الشَّمْسِ مَا بَيْنَ النُّجُومِ الثَّوَابِقِ

[6] قال وقد نفذ إلى شمس الدولة المبارك بن النفيس بن مخطر⁽⁴⁾ يستهديه شراباً: (الخفيف)

- 1 - كَانَ رَسْمِي عَلَى الْمُبَارَكِ شَمْسِ الدَّوْلَةِ الْمَاجِدِ الْكَرِيمِ الْمُهَابِ

التخريج:

[3] ابن الشعار، فلائد الجُمان، 222/10.

[4] نفسه، 224/10.

[5] نفسه، 224-225/10.

[6] نفسه، 225/10.

ضوء على الشعر:

(1) سَوْرَةُ الْغَضَبِ: السَّوْرُ بِالْفَتْحِ وَتُؤَبُّ مَعَ عُلُوٍّ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي الْغَضَبِ وَالْغَيْظِ، وَهِيَ بِمَعْنَى الْحِدَّةِ وَالثَّوْرَانِ، يَنْظُرُ: الزَّبِيدِي، تَاجُ الْعُرُوسِ، 99/12، الْمَنَاوِي، التَّوْقِيفُ عَلَى مَهْمَاتِ التَّعَارِيفِ، 419/1.

(2) الشَّهَابُ يَوْسُفُ الْعُقَابِ: يَبْدُو أَنَّهُ كَانَ صَدِيقًا لِلشَّاعِرِ، وَلَمْ تَعَثُرِ الْبَاحِثَةُ عَلَى تَرْجُمَةٍ لَهُ فِيمَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ مَصَادِرٍ وَمَرَاجِعٍ.

(3) يَرْفُضُ: يَسِيلُ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (رَفُضَ).

(4) شَمْسُ الدَّوْلَةِ الْمُبَارَكِ بِنِ النَّفِيسِ بِنِ مَخْطَرٍ: لَمْ تَعَثُرِ الْبَاحِثَةُ عَلَى تَرْجُمَةٍ لَهُ فِيمَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ مَصَادِرٍ وَمَرَاجِعٍ.

- 2- أَنَّنِي لَا عَدِمْتُ جُودَ أَيَادِيهِ — هِ إِذَا مَا خَلَوْتُ مَعَ أَحْبَابِي
- 3- أَقْتَضِي طَوْلَهُ الْكَرِيمَ وَإِنْ عَمَّ مَ بِنُقْلٍ⁽¹⁾ وَجَرَّةٍ مِنْ شَرَابِ
- 4- وَقِيَانٍ وَشَيْشِكٍ⁽²⁾ حَدَثَ السَّنْ نَ لَطِيفٍ يَأْتِي بِرَسْمِ الْكِبَابِ⁽³⁾
- 5- وَقَدْ احْتَجَبْتُ وَالرَّئِيسُ إِذَا اضْطَرُّ رَ يَوْمُ السَّبَّاحِ دُونَ الْكِلَابِ
- 6- لَا بَرِحْتَ الزَّمَانَ فِي نَعَمٍ تَتَّ — رَى⁽⁴⁾ وَفِي دَوْلَةٍ بَغِيرِ انْقِلَابِ
- [7] وقال صدر كتاب إلى شهاب الدين العقاب:
- (مجزوء الكامل)

- 1- أَفْرِي السَّلَامَ وَقَبْلِي بِاللَّهِ يَا رِيحَ الْجَنُوبِ⁽⁵⁾
- 2- بَغْدَادَ وَالتَّاجَ⁽⁶⁾ الَّذِي مَحَصَتْ⁽⁷⁾ مَحَبَّتُهُ ذُنُوبِي
- 3- قُلُوبِي لِمَوْلَانَا الشَّهَاءِ بِ الْعَالَمِ الْفَطْنِ اللَّيْبِ
- 4- إِنْ كَانَ غَبَّتَ عَنِ الْعُيُوبِ نَ فَمَا بَرِحْتَ عَنِ الْقُلُوبِ
- 5- حَاشَا خَيَالِكَ أَنْ يَغِيرَ — بَ وَأَنْ يَمِيلَ إِلَى الْغُرُوبِ

التخريج:

[7] ابن الشعار، قلائد الجمان، 225/10.

ضوء على الشعر:

- (1) للأقل: بالضم، ما يُنْقَلُ به على الشراب، وقيل للدَّوْلُ بفتح النون الانتقال على النبيذ، والعملة تضمه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نقل).
- (2) شيشك: لم تعثر الباحثة على معنى اللفظة، وترجَّح من معنى البيت أن الشاعر قد قصد بها: الغلام الحسن اللطيف.
- (3) كياب: اسم ماء بعينه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (كيب).
- (4) نَعَمٌ تَتَرَى: أي تتواتر ويتبع بعضها بعضاً، ولفظة تَتَرَى { مصدر كدعوى، وألفه للتأنيث وأصله وتَرَى، ومنها قوله تعالى: ﴿ * + ، ﴾ المؤمنون، 44، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (وتر).
- (5) ريح الجنوب: من الجنة، وهي الرِّيح اللواحق التي ذكرها الله في كتابه، وفيها منافع للناس، ينظر: المناوي، فيض القدير، 55/4، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 22/1.
- (6) التَّاج: اسم لدار مشهورة جليلة المقدار واسعة الأقطار ببغداد، من دور الخلافة المعظمة، كان أول من وضع أساسه وسماه بهذه التسمية الأمير المعتضد، ولم يتم في أيامه فأتمه ابنه المكتفي، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 3/2.
- (7) محصت: طهرت، من مَحَصَّ، بمعنى نقاها وخلَّصه مما يشوبه، وتمحيص الذنوب: تطهيرها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (محص).

- 6- أَنْتَ الَّذِي ابْتَهَجَ الصَّدِيدَ قُ بِهِ وَصَالَ عَلَى الْخُطُوبِ
7- وَأَصْرِلْ بِكُتُبِكَ إِنَّهَا أَشْهَى مِنَ الْعَيْشِ الرَّطِيبِ
8- هِيَ رُقِيَّةٌ⁽¹⁾ الْمَلْدُوعِ إِنَّ عَزَّ الدَّوَاءُ عَلَى الطَّبِيبِ

[8] وقال يمدح الصَّارِمَ خطيباً⁽²⁾ بمصر: (مجزوء الرمل)

- 1- أَنَا فِي الْحُبِّ كَنَيْبُ وَالْهَوَى شَيْءٌ عَجِيبُ
2- تَيَّمَّتْ قَلْبِي فَتَاةٌ حُسْنُهَا حُسْنُ غَرِيبُ
3- مِنْ بَنَاتِ التُّرْكِ لَكِنْ مَنْ دَعَاهَا لَا تُجِيبُ
4- فِي فُؤَادِي مِنْ هَوَاهَا زَفَرَاتٌ وَلَهْيُيبُ
5- وَلَهَا عَيْنَانِ كَالسَّهْلِ مِمَّنْ تُصْنِي⁽³⁾ وَتُصِيبُ
6- فَهِيَ شَمْسٌ لَيْسَ فِي الْأَيْمِ يَامِ وَاللَّيْلُ تَغْيِبُ
7- صَارَتْ جِسْمِي قَضِيبًا وَهِيَ كَالْغُصْنِ قَضِيبُ
8- غُصْنِي ذَاوٍ وَلَكِنْ غُصْنُهَا غَضُّ رَطِيبُ
9- وَلَهَا سَاقَانِ كَالْبَرْقِ دِي⁽⁴⁾ يَغْلُوهُمَا كَثِيبُ
10- وَعَلَيْهَا كَلَمًا جَنُودٌ تُلِي الْبَابَ رَقِيبُ
11- يَتَرَاءَى إِنْ تَرَاءَيْتُ تُلِي الْبَابَ رَقِيبُ
12- كَيْفَ أَنْجُو مِنْ سَقَامٍ خَانَنِي فِيهِ الطَّيِّبُ

التخريج:

[8] ابن الشَّعَار، قلائد الجمان، 219/10-220.

ضوء على الشعر:

(1) الرُّقِيَّةُ: بالضمّ: العُوْدَةُ الَّتِي يُرَقَّى بِهَا صَاحِبُ الْآفَةِ كَالْحُمَّى وَالصَّرَعِ وَغَيْرُهُمَا، يَنْظُرُ: الزَّيْدِيُّ، تَاجُ الْعُرُوسِ، 175/38.

(2) الصَّارِمُ خَطِيبًا: هُوَ صَارِمُ الدِّينِ قَتْلَغُ أَبِيهِ: وَالِي مِصْرَ، مِنْ أَمْرَاءِ صَلاَحِ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ، يَنْظُرُ: ابْنُ الْأَثِيرِ، الكامل، 106/10، وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو شَامَةَ بِقَوْلِهِ: "وَالِي مِصْرَ صَارِمُ الدِّينِ خَطِيبًا" فِي كِتَابِهِ: الروضتين في أخبار الدولتين، 3/94/1.

(3) تَصْنِي: الْإِنْصِمَاءُ: أَيِ الْإِقْبَالِ نَحْوَ الشَّيْءِ كَمَا يَنْصِمِي الْبَازِي إِذَا انْقَضَ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مَادَّةُ (صَمَا).

(4) الْبَرْدِيُّ، بَفَتْحِ الْبَاءِ: نَبْتُ مَعْرُوفٍ وَاحِدَتُهُ بَرْدِيَّةٌ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مَادَّةُ (بَرْد).

- 13 - أَنَا عَانٍ مِنْ هَوَاهَا وَهِيَ تَلْهُو وَتَطْيِبُ
 14 - مَنْ رَأَى كَالْمَوْتِ عِشْقًا تَهْـلَاوَاهُ الْقُلُوبُ
 15 - أَنْتَ يَا صَارِمٍ لِلْعَا لَمْ فِي الْخَيْرِ نَقِيبُ
 16 - صُنْتَ وَجْهَ النَّاسِ مُذْ صِرْتُ بِجَدِّكَ تَصُوبُ⁽¹⁾
 17 - وَإِذَا مَا فَهَتْ فَصَلًّا قَامَ بِالْفَصْلِ خَطِيبُ
 18 - يَا غَرِيبَ الْحُسْنِ قَدْ جَاكَ لِلرَّفْقِ غَرِيبُ
 19 - مِنْ بِلَادِ الشَّرْقِ وَأَفَاكَ وَالْأَيَّامِ لَا يَخِيِبُ
 20 - فَابْقِ عُمْرَ الدَّهْرِ مَا عُمِرَ فِي الدُّنْيَا عَسِيبُ⁽²⁾
 21 - وَصُمِ الْأَعْوَامَ يَا مَنْ صَدْرُهُ صَدْرٌ رَحِيبُ

[9] وقال في الملك العزيز⁽³⁾: (الطويل)

- 1 - وَلَوْ كُنْتُ قَبْلَ الرَّمْلِ⁽⁴⁾ أَقْنُ بِالَّذِي لَقِيتُ وَكَيْسِي بِالْإِيَّاسِ⁽⁵⁾ يَوْوبُ

التخريج:

[9] ابن الشعار، قلند الجمان، 221/10.

ضوء على الشعر:

- (1) الصَّوْبُ: القَصْدُ، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 212/3.
 (2) عَسِيبٌ: اسم جبل بعلية نجد، ويقال: لا أفعل كذا ما أقام عسيب، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 124/4، الزبيدي، تاج العروس، 369/3، وفي البيت تضمين من بيت امرئ القيس (الطويل): أجازتنا إن المزار قريب . . . وإني مقيم ما أقام عسيب، امرؤ القيس، الديوان، 357.
 (3) الملك العزيز: هو عماد الدين أبو الفتح عثمان بن صلاح الدين الأيوبي بن يوسف بن شاذي، ولد بالقاهرة سنة (567هـ) وكان نائباً عن أبيه في الديار المصرية لما كان أبوه بالشام، ولما توفي أبوه بدمشق استقل بمملكته باتفاق من الأمراء، وكانت مملكته خمس سنين وأشهرًا توفي سنة (595 هـ)، ينظر ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 251/3، الذهبي، تاريخ الإسلام، 188/42، العبر في خبر من غير، 287/4، العيني، عقد الجمان، 72/3، ابن تغري بردي، مورد اللطافة، 7/2، الحنبلي، أحمد، شفاء القلوب، 289، النعمي، الدارس، 293/1، ابن العماد، شذرات الذهب، 319/4.
 (4) الرَّمْلُ: هو الإسراع في المشي وهزّ المنكب، مع تقارب الخطى، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (رمل).
 (5) الإيَّاس: إيَّاسُ اسم رجلٍ من الأوس الذي هو العوض، على نحو تسميتهم الرجل عطية تفاؤلاً، ومثله تسميتهم عيَّاضاً وهو العطاء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أيَّاس)، الزبيدي، تاج العروس، 429/15.

- 2- لَكُنْتُ مِنَ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ أَنْبَاً⁽¹⁾ إِلَى بَلَدٍ فِيهِ الْغَرِيبُ نَسِيبُ⁽²⁾
- 3- تُوَخَّرْنِي وَالسَّبْقُ لِي بَعْدَ غَايَةِ وَأَيْنَ مِنَ الْبَحْرِ الْخِضَمِّ قَلِيبُ
- 4- إِذَا انْتَسَبْتُ غُرُّ الْقَوَافِي فَاتَنِّي لُغُرُّ الْقَوَافِي وَالْعُلُومِ نَقِيبُ⁽³⁾
- 5- فَلَا تُخِبِ الْأَيَّامُ ظَنِّي وَإِنَّمَا ظُنُونُ الْقَوَافِي فِي سِوَاكَ تَخِيبُ

[10] وقال بمصر: (الخفيف)

- 1- يَجْتَنِي الْجَهْلُ مِنْ غُصُونِ الْأَمَانِي ثَمَرًا مَا تَنَالَهَا الْأَلْبَابُ
- 2- وَتَمُوتُ الرُّؤُوسُ فِي زَمَنِ الْإِيْمَسَارِ جُوعًا وَتَشْبَعُ الْأَذْنَابُ

[11] وَقَالَ بِالْمَوْصِلِ أَيْضًا وَقَدْ هَلَّ الْهَلَالُ وَفِي جَنْبِهِ نَجْمٌ يَحْفَهُمَا سَحَابُ: (مجزوء الكامل)

- 1- أَدِرِ الْكُؤُوسَ وَغَنِّني طَرَبًا فَقَدْ رَقَصَ الْحَبَابُ
- 2- وَاشْرَبْ فَقَدْ هَلَّ الْهَلَالُ لُ وَأَفَقَةُ الْهَمِّ الشَّرَابُ
- 3- أَوْ مَا تَرَاهُ وَجَنَّبَهُ نَجْمٌ يَحْفُهُمَا سَحَابُ
- 4- فَكَأَنَّهُ فَخٌّ يَهُمُّ مُمُ لِفَظٍ حَبَّتْهُ شِهَابُ

التخريج:

[10] ابن الشعار، قلائد الجمان، 222/10.

[11] نفسه والصفحة نفسها.

ضوء على الشعر:

- (1) أَنبَا: اسم فاعل من آب، بمعنى راجع، وهو من الأوب بمعنى الرجوع، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أوب).
- (2) نَسِيبُ: يقال رجل نسيب منسوب: ذو حَسَبٍ وَنَسَبٍ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نَسَب)، وفي البيت تضمين من بيت امرئ القيس (الطويل): أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَا هُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ، امرؤ القيس، الديوان، 357.
- (3) نَقِيبُ: النقيب الرئيس الأكبر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نَقَب).

[12] وقال من قصيدة يمدح بها شمس الدين (1) قاضي دارا (2): (الطويل)

- 1- أَعَاذِلَ مَا لِي فِي السُّلُوفِ (3) نَصِيبُ وَهَلْ بَعْدَ شَيْبِي (4) فِي هَوَاهُ أَتُوبُ
- 2- إِذَا عَذَلَ الْمُشْتَاقَ خَالَ مِنَ الْهَوَى أَمِيلُ إِلَى تَعَذَالِهِ وَأَطِيبُ
- 3- يُرْنَحْنِي مَا فَاهُ بِالْحُبِّ مِثْلَ مَا تَرْنَحُ فِي وَادِي الْأَرَاكِ (5) قَضِيبُ
- 4- وَيُطْرِبُنِي نَوْحُ الْحَمَامِ (6) وَإِنِّي عَلَى الدَّوْحِ (7) مَا نَاحَ الْحَمَامُ طَرُوبُ
- 5- أَكْتَمْتُ حُبًّا قَدْ بَرَّانِي صُدُودُهُ وَيُعْرِضُ عُجْبًا إِنَّ ذَا لَعَجِيبُ
- 6- يُحَمِّلُنِي شَوْقًا وَيَقْتُلُنِي قَالِي وَيَبْعُدُ عَنْ عَيْنِي وَهُوَ قَرِيبُ
- 7- وَلَيْسَ لِرَاءِ قَدْ أَضَرَ بِمُهْجَتِي سِوَاهُ وَرَبُّ الْعَالَمِينَ طَبِيبُ
- 8- إِذَا مَرَّ بِي طَيْفٌ مِنَ الْحُبِّ زَائِرًا أَقُولُ وَفَوْقِي شَاهِدٌ وَرَقِيبُ
- 9- بِحَقِّ لِيَالِي الْوَصْلِ يَا طَيْفُ هَلْ بَدَا إِلَيْكَ مِنَ الْعَانِي الْمَشُوقِ ذُنُوبُ
- 10- إِذَا قُلْتُ أَهْلًا صَدَّ عَنِّي بَوَجْهِهِ دَلَالًا وَيَدْعُونِي رِضًا فَأَجِيبُ
- 11- وَمَا ذَاكَ إِلَّا فَرَطُ حُبٍّ تَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَيْنِ الْمُشْتِ (8) خُطُوبُ

التخريج:

[12] ابن الشعار، قلائد الجمان، 223/10.

ضوء على الشعر:

- (1) شمس الدين قاضي (دارا): هو عبد الله بن المختار بن محمد بن شريف أبو الفتح، من شعراء مصر، مشرف بدواوين قوص وأسوان من قبل الملك الكامل محمد بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب، عالم في الكتابة والترسل والشعر، توفي سنة 644 هـ، ينظر: ابن الشعار، قلائد الجمان، 182/3، وقد ورد ذكر شمس الدين المعروف بقاضي دارا وهو وزير الملك العادل، ومستحبه على المكارم ومشيره، في كتابي: أبي شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/459، والنويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 4/29.
- (2) دارا: بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين من بلاد الجزيرة، ينظر: الحموي، معجم البلدان، 516/2.

- (3) السُّلُوفُ، النسيان، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سلا)، الفيومي، أحمد، المصباح المنير، 1/287.
- (4) وردت في الأصل شيبني، وبها لا يستقيم الوزن، والصواب ما أثبتته الباحثة.
- (5) الأراك: شجر السواك، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أرك).
- (6) وردت في الأصل: الحمام وبها لا يستقيم المعنى، والصحيح ما أثبتته الباحثة.
- (7) الدَّوْحُ: الدَّوْحَةُ: الشجرة العظيمة المتسعة من أي الشجر كانت، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (دوح).
- (8) المُشْتِ: الشَّتْ: الافتراق والتفريق، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (شتت).

- 12 - يَمِيسُ عَلَى دِعْصٍ مِنَ الرَّمْلِ نَاعِمٍ
 13 - وَيَبْسِمُ عَنْ ثَغْرِ كَأَنَّ رُضَابَهُ
 14 - مِنَ التُّرْكِ أَمَّا خَصْرُهُ فَمَزْنَرٌ⁽²⁾
 15 - تَمَلَّكَ رِقًّا لَا يَبَاعُ فَرَقَّ لِي
 16 - فَتَى أَيْنَعَ الْأَيَّامِ وَالْعَامِ مَاحِلٌ
 17 - فَمَا مَنْصِبٌ إِلَّا وَلِلشَّمْسِ ذِي النُّهَى
 18 - تَقُلُّ⁽⁵⁾ رِمَاحَ الْخَطِّ أَقْلَامَ خَطِّهِ
 19 - يُمَوِّلُ حَتَّى لَا تَرَى الدَّهْرَ مُعْسِرًا
 20 - لَهُ مِنْ عِمَادِ الدِّينِ⁽⁶⁾ بَيْتٌ عِمَادُهُ
- كَمَا مَاسَ خُوطُ⁽¹⁾ الْبَانِ وَهُوَ رَطِيبٌ
 إِذَا مُزِجَتْ مِنْهُ الْمُدَامَةُ طِيبٌ
 نَحِيلٌ وَأَمَّا حُسْنُهُ فَعَرِيبٌ
 وَزِيرٌ بَحَلَّ الْمُشْكَلَاتِ⁽³⁾ لَبِيبٌ
 وَأَضْحَكَ سِنَّ الدَّهْرِ وَهُوَ قَطُوبٌ
 أَبِي الْفَتْحِ⁽⁴⁾ فِيهِ حِصَّةٌ وَنَصِيبٌ
 وَيُرْسِلُهَا دُونَ السَّهَامِ تُصِيبُ
 وَيُخْصِبُ حَتَّى لَا يُقَالَ جَدِيبٌ
 رَفِيعٌ وَصَدْرٌ لِلْوُفُودِ رَحِيبٌ

(مخلع البسيط)

[13] وقال بالموصل في غرض له:

- 1 - كُنْتُ بِجَوْبِ الْجِبَالِ مُغْرَى
 2 - أُرْسِلُهُ فِي الظَّلَامِ يَهْوِي
 3 - فَحِينَ زَارَ الْمَشِيبُ رَأْسِي
- وَكَانَ لِي سَابِحٌ مُجِيبٌ
 هُوِيَ دَلَوِ لَهَا وَجِيبٌ⁽⁷⁾
 أَثَرَفِي جِسْمِهِ الْمَشِيبُ

(الخفيف)

[14] وقال في هيثم المعلم⁽⁸⁾:

- 1 - قُلْ لِفَرَخِ الْعُقَابِ يَا أَوَّلَ الْأَوَّلِ
 لَادٍ مِنْ بَيْضَةِ عَلَاهَا عُقَابٌ

التخريج:

[13] ابن الشَّعَار، قِلَادَةُ الْجُمَانِ، 224/10.

[14] نفسه والصفحة نفسها.

ضوء على الشعر:

- (1) الخُوطُ: الغصنُ الناعمُ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خوط).
 (2) فَمَزْنَرٌ: وهو الحزام على وسط الجسم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (زئر).
 (3) وردت في الأصل: المُشْكَلَاتِ وبها لا يستقيم الوزن والصحيح ما أثبتته الباحثة.
 (4) أبو الفتح: يقصد ابن قاضي دارا.
 (5) تَقُلُّ: الفلّ: الكسر والضرب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قل).
 (6) عماد الدين: يقصد الملك العزيز عثمان بن يوسف.
 (7) جِيب: جمع جُيُوبٍ، وجِيبُ الْأَرْضِ: مَدْخَلُهَا، ينظر، الزبيدي، تاج العروس، 211/2.
 (8) هيثم المعلم: لم تعثر الباحثة على ترجمة له فيما بين يديها من مصادر ومراجع.

2 - لَسْتُ تَدْرِي مَا قُلْتُهُ فِيكَ حَتَّى تَتَعَاوَى عَلَى أَخِيكَ الْكِلَابُ

[15] وقال يمدح الملك الصالح محمود بن محمد على الشراب ارتجالاً: (المنسرح)

- 1 - وَمَجْلِسٍ رَصَّعَتْ جَوَانِبُهُ عَلَيَاكَ يَا نَاصِرَ الدُّنَا (1) ذَهَبَا
- 2 - تَدُورُ كَاسَاتُهُ وَقَدْ عَقَدَ الـ مَزْجُ مِنَ الدَّرِّ حَوْلَهَا حَبَبَا
- 3 - مَعَ قَيْئَةٍ خُلُوةٍ إِذَا عَبَثَتْ أَكْفُهَا خِلَتْ جَحْفَلًا لَجَبًا (2)
- 4 - تَبَسُّمٌ عَنْ لُؤْلُؤٍ كَانَ بِهِ مِسْكًا فَتِيْقًا (3) وَعَنْبَرًا وَكَبَا (4)
- 5 - يَرُوقُ لِلشَّرْبِ رِيْقُهَا فَإِذَا مَا مَزَجَ الْكَاسَ رِيْقُهَا عَذْبَا
- 6 - إِنْ لَفَتَتْ ظَبِيَّةٌ وَإِنْ نَظَرَتْ إِلَيْكَ سَلَّتْ مِنَ الْجُفُونِ ظُبَا (5)
- 7 - تُجَلَى عَلَى مَالِكٍ يَسُودُ عَلَى الْعَالَمِ أُمَّمَا كَرِيْمَةً وَأَبَا
- 8 - أَسْمَحَ مِنْ حَاتِمٍ (6) نَدَى وَيَدَا وَرَاحَتَاهُ تُبَخِّلُ السُّحْبَا
- 9 - يُعْطِي بِلَا مَنَّةٍ وَلَا مَلَلٍ إِذَا انْتَحَاهُ مُؤَمِّلٌ طَلَبَا
- 10 - تَجُودُ مَا لَا يَجُودُهُ مَلِكٌ وَغَيْرُهُ يَسْتَرْدُّ مَا وَهَبَا
- 11 - تَرْجُ أَنْعَامُهُ وَنَائِلُهُ فِي جَذَلٍ وَالْمَقَرِّ إِنْ غَضِبَا

التخريج :

[15] ابن الشعار، فلاذ الجمان ، 220/10.

ضوء على الشعر:

- (1) وردت في الأصل (النتى) والصحيح ما أثبتته الباحثة، والدنا: ما قرب من خير أو شر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (دنا).
- (2) (جَحْفَلًا لَجَبًا): الجحفل: الجيش العظيم، اللَّجَبُ: صوت العسكر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادَّتَا (جحف) و (لجب).
- (3) مسك فتيق: طيب الرائحة مخلوط بالعود وغيره، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (فتق).
- (4) الوكب: سواد التمر إذا نضج، وأكثر ما يستعمل في العنب، والوكب سواد اللون، من عنب أو غير ذلك إذا نَضُجَ، وكب العنب توكيبًا، إذا أخذ فيه تلوين السّواد، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (وكب).
- (5) (ظُبَا): حدّ السيف وطرّفه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ظبا).
- (6) حاتم: يريد حاتم الطائي، وأسمح من حاتم مثل يضرب في السماحة والجود والكرم، ينظر: العسكري، جمهرة الأمثال، 336/1.

- 12 - تَسْجُدُ شَمْسُ الضُّحَى إِذَا جَلَسَ الصَّنْ صَالِحُ طَوْعًا وَالْبَذْرُ إِنْ رَكِبَا
- 13 - وَتَسْتَحِطُّ⁽¹⁾ النُّجُومُ هَيْبَتُهُ مِنْ فَلكٍ ضَمَّ سَبْعَةَ شُهُبَا
- 14 - إِذَا تَبَاهَى الْأَنَامُ سَادَهُمْ وَحَقَّ مَنْ صَوَّرَ الْوَرَى نَسْبَا
- 15 - نَظَّمْتُ فِيكَ الْمَدِيحَ يَا مَلِكًا جَوَاهِرًا مَا نَظَّمْتُ مُخْشَلَبًا⁽²⁾
- 16 - فَخَلَّ شِعْرُ الرُّعَاعِ عَنْكَ وَخُذْ شِعْرَ فَتَى قَدْ فَاقَ الْوَرَى أَدْبَا⁽³⁾
- 17 - تَرِيدُ إِنْ غَنَّتِ⁽⁴⁾ الْحُدَاةُ بِهِ وَدَارَتِ الْكَأْسُ بَيْنَنَا طَرَبَا
- 18 - فَلَا تَحِدْ فِي الزَّمَانِ عَنْ رَجُلٍ عَلَى مَعَالِيكَ حَقُّهُ وَجَبَا
- 19 - يُنْسِيكَ فِي أَرْوُسِ الْمَنَابِرِ بِالْـ مَدْحِ ثَنَاءٍ جَمِيعٍ مَنْ خَطَبَا
- 20 - كَمْ بَيْنَ مَنْ يَبْذُلُ الرَّغَائِبَ لِي وَبَيْنَ مَنْ مَلَّ بَعْدَ مَا رَغَبَا
- 21 - اجْهَدْ⁽⁵⁾ عَلَى غَلَبِ مَنْ تُعَانِدُ مَا اسْـ طَعَّتْ⁽⁶⁾ فَإِنَّ الدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا⁽⁷⁾
- 22 - وَابْقَ مَعَ الدَّهْرِ فِي بُلْهَنِيَّةِ⁽⁸⁾ مَا شَاقَ صَبَاً حَبِيبُهُ فَصَبَا

ضوء على الشعر:

- (1) تستحط: من الحطط: وهو مراتب السفل، واحدها حطة، والحطة: نقصان المرتبة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حطط).
- (2) مُخْشَلَبٌ: خَرَزٌ بِيضٌ يُشَاكِلُ اللَّوْلُوَ يَخْرُجُ مِنَ الْبَحْرِ وَهُوَ أَقْلُ قِيَمَةٍ، وقيل: هو الرديء من الدر، ليس بعربي، لكنه استعمله على ما جرت به عادة العامة في الاستعمال واسمه في اللغة الخضض، واستعمل الشاعر لفظة (مخشلباً) لإقامة الوزن، وإتمام القافية، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 106/3، ويقال: مَشْخَلَبٌ، ينظر: الخفاجي، شهاب الدين، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، 268.
- (3) ورد عجز البيت في الأصل: (شعر فتى فاق الورى أدبا) وبه لا يستقيم الوزن، وقد أثبتت الباحثة ما يقوم الوزن.
- (4) غَنَّتْ: وردت في الأصل (عَنَّتْ) ولعل الأصوب: غَنَّتِ الْحُدَاةُ بِهِ، لقول ابن هرمة: تَمْشِي الْقَطُوفُ إِذَا غَنَّى الْحُدَاةُ بِهَا *** مَشَى النَجِيبَةُ بَلَّةَ الْجَلَّةِ النَّجْبَا، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (بله).
- (5) وردت في الأصل (إجهد) بالهمز والصحيح ما أثبتته الباحثة.
- (6) في الأصل (استطعت) وبها لا يستقيم الوزن.
- (7) قوله: (الدنيا لمن غلبا) هو مثل مشهور، ووقع في قول المتنبي: فالموت أعذر لي والصبر أجمل بي ... والبر أوسع والدنيا لمن غلبا، ووقع في عجز بيت مروان بن الحكم: إذ يقول: والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا، ينظر: العكبري، ديوان أبي الطيب المتنبي، 121/1، ابن الأبار، الحلة السيرة، 29/1، اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، 231/1-232.
- (8) الْبُلْهَنِيَّةُ: الرَّخَاءُ وَسَعَةُ الْعَيْشِ، يقال: هو في بُلْهَنِيَّةٍ مِنَ الْعَيْشِ بَضْمُ الْبَاءِ وَفَتْحُ اللَّامِ وَسُكُونُ الْهَاءِ وَكُسْرُ النُّونِ: أي في سَعَةٍ وَرَفَاهِيَةٍ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (بله)، الزبيدي، تاج العروس، 276/34.

[16] وقال يقتضي الملك العزيز عماد الدين أبا الفتح عثمان بن يوسف بن أيوب - صاحب الديار المصرية - وكان يطاول به حتى يستخدمه:
(الكامل)

- 1 - مَاذَا أَقُولُ إِذَا سُئِلْتُ عَنِ الَّذِي أَغْنَى بَنَائِلَهُ الْعَفَاةَ⁽¹⁾ وَأَرْغَبَا
- 2 - وَسَقَتْ مَكَارِمُهُ الْعُطَاشَ فَأَصْبَحَتْ رَوْضًا وَقَدْ كَانَتْ مَحِيلًا مُجْدِبًا
- 3 - وَكَسَا بِأَنْعَمِهِ الْحَدَائِقَ سُنْدُسًا تَفْتَرُّ عَنْ يَقْقٍ⁽²⁾ وَنَوْرٍ أَشْهَبَا
- 4 - وَسُئِلْتُ مَا بَذَلَ الْعَزِيزُ لِمَدْحَةٍ سَجَدَ الزَّمَانُ لِحُسْنِهَا وَتَعَجَّبَا
- 5 - وَأَتَيْتُ مِنْ بَلَدِي بَبْلَقَيْسٍ⁽³⁾ الَّتِي جَلِيَتْ⁽⁴⁾ وَجِئْتُ بِعَرْشِهَا لَا مِنْ سَبَا⁽⁵⁾
- 6 - أَنْكَحْتُهَا مَلِكًا أَغْرَ⁽⁶⁾ مُهَذَّبًا ضَخَمَ الدَّسِيعَةِ⁽⁷⁾ عَالِمًا مُتَادِبًا
- 7 - إِنْ قُلْتُ: لَمْ يَجِدِ الْجَوَادُ يُقَالُ لِي: مِثْلَ الْعَزِيزِ يَرُدُّ بِكَرْكٍ ثَيِّبًا

التخريج:

[16] ابن الشعار، قلائد الجمان، 221/10.

ضوء على الشعر:

- (1) العفاة: العافية والعفاة والعفى: الأضياف وطلاب المعروف، وقيل: هم الذين يعفونك أي يأتونك يطلبون ما عندك، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عفا).
- (2) يَقْقٍ: شديد البياض ناصعه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (يقق).
- (3) بلبقيس: ملكة سبأ التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، قَالَ تَعَالَى: ﴿...﴾ ! " # \$ % & ' () * + ، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 467/15.
- (4) جليّت: وردت في الأصل جليّت وبها لا يستقيم الوزن، والصحيح ما أثبتته الباحثة.
- (5) سبأ: وردت (سبا) بتسهيل الهمزة للضرورة الشعرية، والصحيح سبأ وهي مدينة تُعرف بمأرب، من صَنَعَاء باليمن وهي الآن خراب، كَانَتْ أَخْصَبَ بِلَادِ اللَّهِ، وَ(سَبَأً) اسم (بَلَدَةٍ بَلْقَيْسٍ) باليمن كانت تسكنها بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام المذكورة في القرآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتٌ بَقِيَّةٍ﴾ النمل، 22 ، ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، 302، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 181/3.
- (6) أغرّ: يقال: رجل أغرّ أي شريف، وكريم الأفعال واضحها، وهو على المثل، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (غرر).
- (7) الدسيعة: العطية، يقال: فلان ضخَم الدسيعة، الدسيعة هنا: مجتمع الكتفين، ويقال ذلك للرجل الجواد، وقيل: أي كثير العطية، وسميت دسيعة لدفع المعطي إياها بمرة واحدة كما يدفع البعير جرتة دفعة واحدة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (دسع).

- 8- حَاشَا ابْنَ يُوسُفَ أَنْ يُخَيَّبَ شَاعِرًا يُثْنِي عَلَيْهِ مُشْرِقًا وَمُغْرِبًا
9- مَلِكًا أَجَلَ مِنَ الْمُلُوكِ بِأَسْرِهِمْ أَمَّا وَأَكْرَمَ مِنْ جَمِيعِهِمْ أَبَا

[17] وقال بالموصل وقد بات في الحمام: (الوافر)

- 1- رَقَدْنَا فِي الْجَحِيمِ عَلَى أُنَاةٍ لُبَيْتَاتَا وَلَمْ نَخَفِ التَّهَابَا
2- فَلَمَّا أَنْ تَرَأَى الصُّبْحُ نَزَتْ أَفَاعِيهَا فَأَلْقَيْنَ الثَّيَابَا
3- وَحَرَقَتْ الْإِهَابُ⁽¹⁾ فَمُذْ نَزَعْنَا رَأَيْتُ الطَّلَّ قَدْ غَمَرَ الْإِهَابَا

[18] وقال في شمس الدولة المبارك بن النّفيس بن مخطر وقد نفذ إليه رقعة فأبى غلامه أن يحملها إليه: (الوافر)

- 1- كَتَبْتُ إِلَيْكَ شَمْسَ الْمُلْكِ خَطًّا وَحُقَّ لِقَدْرِ مِثْلِكَ أَنْ يُهَابَا
2- وَقُلْتُ لِبَعْضِ مَنْ يَغْشَاكَ هَلَّا حَمَلْتُ لِصَاحِبِي هَذَا الْكِتَابَا
3- فَاطَّرِقَ مِنْ رِقَاعَتِهِ قَلِيلًا وَقَالَ أَخَافُ شَمْسَ الْمُلْكِ يَابِي⁽²⁾
4- فَقُلْتُ وَهَلْ يَرُدُّ الشَّمْسُ خَطًّا تَضَمَّنَ فِي كِتَابَتِهِ شَرَابَا

[19] وقال يمدح المنتجب⁽³⁾ بالمحلة الغربية:

التخريج:

[17] ابن الشعار، قلائد الجمان، 222/10.

[18] نفسه، 225/10.

[19] نفسه، 218/10-219.

ضوء على الشعر:

- (1) الإهاب: الجلد ما لم يُدبغ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أهـ).
(2) في الأصل (يأبي) بتسهيل الهمزة وأثبت الشاعر لفظة (يأبي) للضرورة الشعرية.
(3) المنتجب: هو أبو عثمان المنتجب بن أبي محمد الواسطي، وقد ذكر أبو شامة فيما ينقله عن ابن المستوفي أنه: أبو عثمان المنتجب بن أبي محمد البحري الواسطي ورد إربل ووعظ بها، وكان له قبولٌ عظيم، وسافر إلى نور الدين محمود بن زنكي بن آق سنقر إلى الشام بسبب الغزاة، وأنفذ له نور الدين جملة من مال فلم يقبلها وردّها عليه، ينظر: أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 55/1، ويدلنا على أنه كان واعظاً وله قبولٌ عظيم بيت الشعر رقم (16) من القصيدة نفسها، والذي قاله الشاعر مُنَوِّهاً بأنّ المنتجب (زيّن في الدّين اللّقب).

(مجزوء الرجز)

- 1- أَلَذُّ مِنْ طَعْمِ الضَّرَبِ⁽¹⁾ مَا أَنْسَاغَ مِنْ مَاءِ الْعَنْبِ
- 2- مُدَامَةً قَدْ عَتَّقَتْ مِنْ عَصْرِ هَامَانَ حَقَبِ⁽²⁾
- 3- كَانَتْ وَلَا شَيْءَ يُرَى قَبْلَ جُمَادَى وَرَجَبِ
- 4- قَدْ نَظَمْتُ فِي جِيدِهَا قَلَادًا مِنَ الْحَبَبِ
- 5- لَهَا إِذَا مَا بُزِلَتْ⁽³⁾ فِي غَسَقِ اللَّيْلِ لَهَبِ
- 6- كَالشَّمْسِ إِلَّا أَنَّهَا أَحْسَنُ مِنْ لَوْنِ الذَّهَبِ
- 7- تَرْقُصُ إِذْ غَنَى بِهَا الرُّ رَاوُوقُ⁽⁴⁾ فِي الْكَأْسِ طَرَبِ
- 8- كَأَنَّمَا شُوعَا عَهِهَا بَنَانُ سَاقِيهَا خُضِبِ⁽⁵⁾
- 9- عَلَى سَمَاعِ قَيْنَةٍ لَهَا مِنْ الرُّومِ نَسَبِ
- 10- لَكِنَّهَا مِنَ الدَّلَا لِ تَنْتَمِي إِلَى الْعَرَبِ
- 11- جَارِيَةٌ مِنْ دُونِهَا بِيضُ الصَّفَاحِ وَالْيَلْبِ⁽⁶⁾
- 12- كَمْ سَلَبَتْ مِنْ عَاشِقٍ بَغْنَجِ عَيْنَيْهَا سَلَبِ
- 13- فِيهَا لِأَرْبَابِ الْهُوَى بُرْعٌ لِقَوْمٍ وَعَطَبِ⁽⁷⁾

ضوء على الشعر:

- (1) الضَّرَب: العسل الأبيض الغليظ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ضرب).
- (2) حَقَب: واحدها الحَقْبَة، والحَقْبَة بالكسر السنّة، والحَقْبَة من الدَّهر: مدّة لا وقت لها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حقب).
- (3) بُزِلَتْ: شُقَّتْ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (بزل).
- (4) الرَّاوُوقُ: المصفاة، وآلة ترويق الماء والخمر، وقيل: ناجودُ الشرابِ الذي يُرَوَّقُ بِهِ فيُصَفَّى والشرابُ يَتَرَوَّقُ منه من غيرِ عَصْرِ، وقيل: الكأس بعينها، مفردة: الرّوق: وهو الصافي من الماء وغيره، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (روق)، الزبيدي، تاج العروس، 376/25.
- (5) خُضِب: اخْضَرَ، وفيها عيب عروضي، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خضب).
- (6) الْيَلْبُ: الدُّرُوع، وقيل: جُلُود يُخَرَّرُ بعضها إلى بعض تُلبَس على الرؤوس خاصّة مثل الدُّرُوع، الواحدُ منها: يَلْبَةٌ، وقيل: الْيَلْبُ: الفُؤَادُ من الحديد، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (يلب).
- (7) الْعَطَبُ: الهلاك، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عطب).

- 14 - وَلَيْسَ لِي مِنْ نَاصِرٍ سِوَى الرَّئِيسِ الْمُتَجَبِّ
- 15 - مَنْ صَيَّرَ الْمَدْحَ إِلَى جُودِ أَيْدِيهِ سَبَبٌ
- 16 - قَدْ زَيْنَ الشَّعْرَ كَمَا زَيْنَ فِي الدِّينِ اللَّقَبَ
- 17 - فَكَفُّهُ مِنَ النَّدَى لَوْ شَاءَ سَحْبَانُ⁽¹⁾ سَحَبٌ
- 18 - لَا زَالَ يَغْفُو دَرَجًا مِنْ الْمَعَالِي وَرَتَبَ

[20] وَقَالَ بَآمِدَ⁽²⁾ يَقْتَضِي الْوَزِيرُ ضِيَاءَ الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ شَيْخِ السَّلَامِيَّةِ⁽³⁾

- وهو يومئذ وزير ملك ديار - وقد هَجَمَ الشَّتَاءَ حَطْبًا: (مجزوء الرجز)

1 - يَا سَيِّدًا عَالِي الرُّتَبِ وَعَالِمًا جَمَّ الْأَدَبِ

التخريج:

[20] ابن الشعار، قلائد الجمان، 222/10.

ضوء على الشعر:

(1) سَحْبَانُ: يقال: رجل سحبان أي جراف يجرف كل ما مرَّ به، وبه سمي سَحْبَانُ: وهو اسم رجل من وائل، خطيب العرب، كان لَسِينًا بليغًا يُضْرَبُ به المثل في البيان والفصاحة، فيقال: أفصح (أبلغ) من سحبان وائل، ينظر: العسكري، جمهرة الأمثال، 204/1، الميداني، مجمع الأمثال، 249/1، ابن منظور، لسان العرب، مادة (سحب).

(2) آمِد: بكسر الميم، لفظة رومية، بلد قديم حصين على نهر دجلة يقع في منطقة ديار بكر بالجزيرة قرب ميفارقين، ويطلق عليها ديار بكر باسم المنطقة التي توجد فيها وهي اليوم من بلدان تركيا، ينسب إليها كثير من العلماء منهم: أبو الحسن الأمدي، الكاتب، صاحب التصانيف المشهورة، يسميها الترك (قره آمِد) أي آمِد السوداء لسواد حجارتها، هي من الحصون القديمة التي تداولتها الدول، وكثر ذكرها في الحروب المتتابعة بين الفرس والروم، ثم بين الروم والعرب، ولا سيما الحمدانيين منهم ثم بين المسلمين والصليبيين، وفتحت آمِد في سنة عشرين من الهجرة، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان 1/ 56، <http://www.al-islam.com>، تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية، 1/ 64.

(3) السَّلَامِيَّة: قرية كبيرة بنواحي الموصل على شرقي دجلة، بينهما ثمانية فراسخ للمنحدر إلى بغداد مشرفة على شاطئ دجلة وهي من أكبر قرى مدينة الموصل وأحسنها وأزهرها، فيها كروم ونخيل وبساتين وفيها: حمامات وجامع ومنارة، ينسب إليها أبو العباس أحمد بن أبي القاسم بن أحمد السلامي المعروف بضياء الدين ابن شيخ السلامي ولد بها سنة 545هـ، ونشأ بالموصل وتفقّه بها وحفظ القرآن وتوجه إلى ديار بكر فصار وزيراً لصاحب آمد قطب الدين سليمان بن قرا أرسلان وبقي عليه مدة، وبنى بآمد مدرسة لأصحاب الشافعي ووقف عليها أملاكه هناك وكان له معروف وفيه مقصد وكانت الشعراء تنتابه فيحسن إليهم ثم فسد ما بينه وبين قطب الدين ففارقه وقدم الموصل فأقام بها كان حيًّا سنة 612 هـ، الحموي، ياقوت، معجم البلدان 3/ 234، لم تعثر الباحثة على ترجمة له فيما بين يديها من مصادر ومراجع إلا في معجم البلدان.

- 2- وَيَا وَزِيرًا إِنْ يَشَاءُ يَمْحُو وَإِنْ شَاءَ كَتَبَ
3- وَأَمْرُهُ أَنْفَذُ مَنْ وَقَعَ السَّهَامُ فِي الْيَلْبِ
4- وَصَاحِبًا عَوْدَتِي مِنْ كَفِّهِ لَفَظَ الذَّهَبَ
5- وَمَنْ إِذَا نَادَيْتُهُ فِي مِثْلِ ذَا الْيَوْمِ وَثَبَ
6- قَدْ هَجَمَ التَّلَجُّ عَسَى تَمِيرُنَا مِنَ الْحَطَبِ

[21] وقال أيضاً جواب كتاب ورد عليه من بغداد من المقرَّب يونس بن أحمد القرقُوبي⁽¹⁾:

(مجزوء الكامل)

- 1- وَأَفَى كِتَابِكَ يَا مُقَرَّبَ فَبَدَا يُذَكِّرُنِي وَأَعْرَبَ
2- عَنْ طَيْبِ رِيْعَانِ الشُّبَا بِ وَنَحْنُ بِالزُّورَاءِ نَلْعَبُ
3- فَلَتَمْتُ أَسْطَرَّةً وَكَدْتُ تُ أَطِيرُ مِنْ فَرْحِي وَأَطْرَبُ
4- لِلَّهِ أَيَّامٌ مَضَتْ وَأَنَا وَأَنْتَ بِكُلِّ مَكْتَبٍ⁽²⁾
5- نَلْهُو بِأَخْلَاقِ الْذُ ذِ مِنْ الطُّلَا طَعْمًا وَأَطْيَبُ
6- وَالْعَيْشُ مُخْضَرُّ الْوَرَا قِ⁽³⁾ مُطَرَّرُ الْكُمَيْنِ مُذْهَبُ
7- مَعَ جِوَرَةٍ مَا زَالَ نَأْ كُلُّ فِي مَجَالِسِهِمْ وَتَشْرَبُ
8- جَارَ الْقَضَاءِ فَشَرَّقَ الْـ بَيْنُ الْمُشْتِ بِنَا وَغَرَبَ
9- مَا زَالَتِ الدُّنْيَا تَجِيْءُ بِأَهْلُهَا أَبَدًا وَتَذْهَبُ

التخريج:

[21] ابن الشعَار، فَلَائِدُ الْجُمَانِ، 224/10، والأبيات الثلاثة الأولى في: ابن الفوطي، مجمع الآداب، 461/5.

ضوء على الشعر:

(1) المقرَّب يونس بن أحمد القرقُوبي: هو المقرَّب أبو منصور يونس بن أحمد القرقُوبي الشاعر، صديق لابن الكُتَّانِي، ينظر ترجمته في: ابن الفوطي، مجمع الآداب، 461/5، نقلها عن القلائد والقرقُوبي: نسبة إلى قرقُوب بالضَّم، وهي مدينة قريبة من الطيب بين واسط وكور الأهواز (بلدة متوسطة بين واسط والبصرة والأهواز)، الشيباني الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، 28/3.

(2) المَكْتَب: المعلم، وقيل هو الذي يعلم الكتابة، وقيل: موضع الكتاب، أو موضع التَّعليم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (كتب).

(3) الْوَرَّاق: بالفتح: خضرة الأرض من الحشيش وليس من الْوَرَق، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ورق).

* قافية التاء:

[22] وقال يُهنّي نور الدين⁽¹⁾ محمد بن داود⁽²⁾ بعيد الفطر في الحصن: (المجتث)

- | | | |
|------|--|----------------------------|
| 1 - | تَهَنِّ بِالْعِيدِ يَا مَنْ | لَهُ الزَّمَانُ مُوَاتِي |
| 2 - | وَأَشْرَبُ هَنِيئًا مَرِيئًا | بِحُذِّ وَهَآكَ وَهَاتِ |
| 3 - | خَمْرًا يَشْبُ سَنَاها | كَالنَّارِ فِي الْكَاسَاتِ |
| 4 - | أَخَافُ أَنْ تَتَلَطَّيَ | مِنْهَا أَكُفُّ السُّقَاةِ |
| 5 - | يُحِبُّ أَنْ يَشْهَدُهَا الشُّ | شُهودُ فِي الْحَانَاتِ |
| 6 - | عَلَى سَمَاعِ فَتَاةٍ | تُزْرِي بِكُلِّ فَتَاةٍ |
| 7 - | دَقِيقَةِ الْخَصْرِ خُودٍ ⁽³⁾ | جَمِيعَةِ الْوَجَنَاتِ |
| 8 - | تَشْدُو فَيَغْنِي غَنَاها | عَنْ أَنْةِ النَّائَاتِ |
| 9 - | كَأَنَّ دَاوُدَ ⁽⁴⁾ يَتْلُو الزُّ | زُبُورَ فِي الْخَلَوَاتِ |
| 10 - | أَوْ شُكْرَ مَوْلَايَ يَجْرِي | عَقِيبَ كُلِّ صَلَاةٍ |

التخريج:

[22] ابن الشعار، قلائد الجمان، 226/10.

ضوء على الشعر:

(1) نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سليمان بن أرتق، صاحب حصن كيفا وآمد، وخلف ابنين فملك الأكبر منهما واسمه سكرمان ولقبه قطب الدين حكم بين سنتي (562 و 581 هـ): توفي سنة (581 هـ)، ينظر ترجمته في: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 133/10، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 233/3، ابن الوردي، تتمة المختصر، 143/2-144، العيني، عقد الجمان، 28/1.

(2) وردت في الأصل داوود والصحيح ما أثبتته الباحثة.

(3) الخُودُ: الفتاة الحسنة الخلق الشابة، وقيل الجارية الناعمة، والجمع: خُودٌ وخَوْدَات، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خود).

(4) داود يريد نبي الله داود عليه السلام، وإليه نسبت المزامير حيث يقال: مزامير داود، لشدة جمال الصوت، فقد "كانت لداود نبي الله معزفة يضرب بها إذا قرأ الزبور، فكان إذا قرأ اجتمع إليه الإنس والجن والطير فبكى وأبكى من حوله، ولهذا قيل: مزامير داود، كأنه أغاني داود"، ينظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار، 322/1.

[23] وقال أيضاً يمدح عماد الدين أبا بكر بن داود⁽¹⁾ ويُهَنِّئُهُ بعيدَ الفطر: (الخفيف)

- 1 - بَاكِرِ الرَّاحِ⁽²⁾ قَبْلَ وَقْتِ الصَّلَاةِ وَاعْتَنِمِ عَقْلَةَ الزَّمَانِ الْمُوَاتِي
- 2 - فِي انْبِلَاجِ الصَّبَاحِ تَنْتَهَزُ الْأَقْـ دَاخُ لَا فِي غِيَاهِبِ الْحَالِكَاتِ
- 3 - وَاجْتَلِيهَا بِكَرٍّ فَأَحْسَنُ مَا تُجْـ لِي عَلَيْنَا مُسْتَحْسَنَاتُ الْبَنَاتِ
- 4 - فَهِيَ أَحْلَى مِنَ الْحَلَالِ وَأَفْسَى مِنْ قُلُوبِ الْخَرَائِدِ⁽³⁾ الْخَفِرَاتِ⁽⁴⁾
- 5 - قَدْ أَتَى الْفِطْرُ فِي عَسَاكِرِهِ تَزْـ حَفَّ بَيْنَ الطُّبُولِ وَالْبُوقَاتِ
- 6 - وَأَنِينُ النَّيَّاتِ وَالصَّوْمِ مَا زَا لَ هَزِيمًا⁽⁵⁾ مِنْ أَنَّةِ النَّيَّاتِ
- 7 - كُلَّمَا ضَجَّتِ الْجُنُودُ عَلَيْهِ جَاوَبَتْهَا طَقَاطِقُ الشَّيْزَاتِ⁽⁶⁾
- 8 - هَارِبًا مِنْ كَتَائِبِ الْفِطْرِ لَا يَعْـ رِفُ مِنْ خَوْفِهِ طَرِيقَ النَّجَاةِ
- 9 - وَافْتَرَعْنَا عَرَائِسَ الدَّنِّ وَالرَّا وَوُقُ يُبْكِي عَلَيْهِ بِالْعِبَرَاتِ

التخريج:

[23] ابن الشعار، فلاذ الجمان، 227-226/10.

ضوء على الشعر:

- (1) عماد الدين أبو بكر بن داود: هو شقيق نور الدين أبو بكر بن قرا أرسلان، وقد سبقت ترجمته، ينظر: أبو شامة، الروصتين في أخبار الدولتين، 227/3.
- (2) الرَّاح: الخمر، اسمٌ لها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (روح)، ومنها قول الأعشى (الطويل): لَعَمْرُكَ إِنَّ الرَّاحَ إِن كُنْتَ سَائِلًا *** لَمُخْتَلِفٌ غَدِيهَا وَعَشَاتُهَا، الأعشى، الديوان، 83.
- (3) الْخَرَائِدُ: مفردُها خريدة، ويقصد الفتيات الحسنات، والخريدة والخريد والخرود من النساء: البكر التي لم تمس قط، وقيل: هي الحبيبة الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المتسترة، والجمع خرائد، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خرد).
- (4) الْخَفِرَاتُ: المصُونات، شديداً الحياء، جمع: خَفَر وهي شِدَّةُ الحياء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خفر).
- (5) الهزيم: أي له صوت شديد كصوت الرعد، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (هزم).
- (6) طَقَاطِقُ الشَّيْزَاتِ: (القصاص) ويقصد به الصنج ويطلق على ما في الدفوف، وعلى ذي الأوتار، وهو عربي، والصنج هو ما يتخذ من صفر يضرب أحدهما بالآخر مختص بالعرب، وذو الأوتار مختص بالعجم، وهما معربان، ويضرب مع الطبول والرباب، ينظر: الهيثمي، ابن حجر، الزواجر عن اقتراف الكبائر، 905/2.

- 10 - وَأَبَارِيقُهَا تُقَهَّقُهُ وَالْكَأْسُ
سَاتُ قَدْ حُمِلَتْ عِيُونَ الْبُزَاةِ⁽¹⁾
- 11 - فَهِيَ شَمْسٌ وَالْكَأْسُ شَرَقٌ وَلَكِنْ
فَلَكَ الرِّاحُ فِي أَكْفِ السُّقَاةِ
- 12 - جَاءَكَ الْعِيدُ يَا عِمَادُ يُهَيِّئْ
كَ بِمُلْكٍ يَبْقَى مَعَ السَّاعَاتِ
- 13 - وَبِظِلِّ لَوْ سِرْتَ فِي أَلْفِ أَلْفٍ
حَبَبِ الشَّمْسِ مِنْ عِيُونَ الْكُمَاةِ⁽²⁾

[24] وقال يمدح الملك المسعود سكران بن محمد⁽³⁾ في معنى طلبه منه: (المديد)

- 1 - رَشَاءُ مِنْ حُسْنِ صُورَتِهِ
بِتْ مَسْرُورًا بِرُؤْيَتِهِ
- 2 - زَارَنِي وَهَذَا فَبِتْ وَقَدْ
زَارَنِي أَهْلًا بِطَلْعَتِهِ
- 3 - عَبَثْتُ كَأْسُ الْمُدَامِ⁽⁴⁾ بِهِ
فَتَنَّتْنِي عِنْدَ مَشْيَتِهِ

التخريج :

[24] ابن الشعار، قلائد الجمان، 227/10 - 228.

ضوء على الشعر :

(1) البُزَاة: البازي: واحد البُزَاة التي تصيد، وهو ضرب من الصقور، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (بزا).

(2) الكُمَاة: الكمي: الشجاع المتكمي في سلاحه؛ لأنه كمي نفسه أي سترها بالدرع والبيضة، أي اللابس السلاح، والجمع الكُمَاة، كأنهم جمعوا كامياً مثل: (قاضيًا) وقضاة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (كمي).

(3) الملك المسعود: قطب الدين سكران بن محمد بن داود، ابن الملك الصالح محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سكران بن أرتق، ومحمد بن قرا أرسلان المذكور، هو الذي ملكه السلطان صلاح الدين آمد بعد انتزاعها من ابن نيسان، وكان سبب انتزاع الملك الكامل آمد من الملك المسعود المذكور، سوء سيرته، وتعرضه لحريم الناس، وكان له عجز قوادة يقال لها الأزا، كانت تؤلف بينه وبين نساء الناس الأكابر، ونساء الملوك، ولما نزل الملك المسعود إلى خدمة الملك الكامل، وسلم آمد وبلادها إليه - ومن جملة معاقبتها حصن كيفا، وهو في غاية الحصانة - أحسن الملك الكامل إلى الملك المسعود وأعطاه إقطاعاً جليلاً بديار مصر، ثم بدت منه أمور اعتقله الملك الكامل بسببها، ولم يزل الملك المسعود معتقلاً إلى أن مات الملك الكامل، فخرج من الاعتقال واتصل بحماة، فأحسن إليه الملك المظفر محمود صاحب حماة، ثم سافر الملك المسعود المذكور إلى الشرق واتصل بالنتنر فقتلوه سنة (629هـ)، ولما تسلم الملك الكامل آمد وبلادها رتب فيها النواب من جهته، وجعل فيها ولده الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل، ينظر: أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 470/4، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 187/3، الذهبي، تاريخ الإسلام، 383/44، ابن الوردي، تتمة المختصر، 232/2.

(4) المُدَام: الخمر، وهي مدامة ومدام وسميت الخمر مدامة؛ لإدامتها في الدن زماناً حتى سكنت بعدما فارت، وقيل: سميت مدامة لعنفها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (دوم).

- 4- كَان يُخْفِي شُرْبَهَا فَبَدَتْ قَبَسًا فِي مَاءٍ وَجَنَّتْهُ
- 5- مَاسَ مِنْ لَيْنٍ فَخَفْتُ عَلَى خَصْرِهِ الْوَاهِي وَدَقَّتْهُ
- 6- أَبْدَعَ الرَّحْمَنُ⁽¹⁾ صُورَتَهُ وَتَنَاهَى فِي مَلَاَحَتِهِ
- 7- صَنَمٌ كَالْغُصْنِ رَنَحَهُ نَفْسُ الدَّانِي لِعُرَّتِهِ
- 8- تَهَتْ حُبًّا فِي هَوَاهُ وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ فِي عِبَادَتِهِ
- 9- بَتُّ مَشْعُوفًا⁽²⁾ بِهِ كَلَفَا مُسْتَهَامًا مِنْ مَحَبَّتِهِ
- 10- أَجْتَلِي مِنْ وَجْهِهِ قَمَرًا فِي دُجَى مِنْ لَيْلٍ طُرَّتِهِ
- 11- آه مِنْ آسِ⁽³⁾ الْعِذَارِ وَقَدْ خَطَّ مِسْكًا فِي صَاحِبَتِهِ
- 12- وَلَمَّا يَفْتَرُّ عَنْ بَرْدِ رَقٍّ عُنْذَالِي لِرِقَّتِهِ
- 13- لَوْ رَأَاهُ السَّامِرِيُّ⁽⁴⁾ لَمَّا ظَلَّ مَفْتُونًا بِأَيْتِهِ

ضوء على الشعر:

- (1) وردت في الأصل الرِّحمان والصواب الرَّحْمَن.
- (2) الشَّعْفُ: والشَّغْفُ: بمعنى واحد، هو الحبُّ وشدة الوجد، وشعفني حبها: أصاب ذلك مني، وشغفه الحب: أحرق قلبه وأمرضه، وقوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا^ط﴾ يوسف، 30، قُرِئَتْ بالعين والغين، فمن قرأها بالعين المهملة فمعناه نَيْمَهَا، ومن قرأها بالعين المعجمة أي أصاب شَغَافَهَا، وشَغَفَهُ الْهَوَى إذا بلغ منه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (شغف).
- (3) الآسُ: بالمدّ: نباتٌ من فصيلة الآسيات، بيضِيّ الورق، أبيض الزَّهر عطريّ، ثماره صغيرة ذات لون أبيض أو أسود تسمّى حبّ الآس، وورقه دائم الخضرة، ينبت بريًّا في بعض جبال الشام الغربيّة، ينظر: الحميري، البيدع في فصل الربيع، 176.
- (4) السَّامِرِيُّ: بفتح السين المشددة والميم والراء المشددة أيضًا، هذه النسبة إلى بلدة على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخًا يقال لها: سُرٌّ من رأى، فخففها الناس وقالوا: سامرة، وبها السرداب المعروف في جامعها الذي تزعم الشيعة أن مهديهم يخرج منه، وقد ينسبون إليها بالسمرمري أيضًا، وقيل: إنها مدينة بناها سام، ف قيل بالفارسية: سام را، أي هي لسام، وخربت هذه البلدة، ثم بناها المعتصم لما ضاقت بغداد عن عسكره، وكان الخلفاء بعده يسكنونها إلى أن انتقلوا بعد ذلك إلى بغداد، ينظر: السمعاني، الأنساب، 202/3.

- 14 - قَائِمًا يَسْعَى عَلَى قَدَمٍ فِي قَلَائِيهِ ⁽¹⁾ وَبَيْعَتِهِ
 15 - وَإِذَا رَاحَ الْكُؤُوسِ رَمَتْ لَهَبًا مِنْ فَوْقِ رَاحَتِهِ
 16 - رَاقٍ رَاوُوقُ الْمُدَامِ لَنَا مِنْ ثَنَائِيَاهُ وَرِيقَتِهِ
 17 - حَازَ مِنْ حُسْنِ الْبَلَاغَةِ مَا حَارَ فِكْرِي فِي بَلَاغَتِهِ
 18 - مِثْلَ مَا حَازَ الْعُلَا مَلِكٌ دَانَتْ الدُّنْيَا لِدَوْلَتِهِ

[25] وقال يتقاضى سيف الدين غازي بن مودود بن زكي بن آقسنقر ⁽²⁾ -صاحب الموصل -

بغفوة لما كان على نصيبين ⁽³⁾ :

(الكامل)

- 1 - مَوْلَايَ سَيْفَ الدِّينِ قَدْ هَجَمَ الشَّتَا وَمَتَى تَعَاوُدُ فِرَوْتِي وَإِلَى مَتَى
 2 - وَلَقَدْ ضَمَنْتُ عَلَيْكَ دَامَ لَكَ الْعُلَا أَنْ لَيْسَ يَخْلُفُهَا سِوَاكَ إِذَا فَتَى
 3 - فَانْعَمْ بِحَقِّكَ يَا ابْنَ مَوْدُودِ الَّذِي هَزَمَ الْجُمُوعَ وَجَمَعَ الْمُتَشَتَّتَا
 4 - تَالَلَّهِ أَقْسِمُ حِلْفَةً لَا بَدَّ أَنْ تَمْحُو بِأَمْرِكَ مَا تَشَاءُ وَتُثْبِتَا
 5 - يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي عَوَّذْتُهُ الـ عُوذَ الثَّلَاثَ وَبِإِلَالِهِ وَهَلْ أَتَى
 6 - لَا زِلْتَ تَكْتَبُ ⁽⁴⁾ لَيْتَ كُلَّ كَتِيبَةٍ أَبَدًا وَأَنْتَ مُظَفَّرًا لَنْ تَكْتَبَا

التخريج:

[25] ابن الشعَار، قلائد الجُمان، 226/10.

ضوء على الشعر:

(1) قَلَائِيهِ: مفردُها القَلِيَّةُ: وهي شبه الصومعة، قيل: كذا وردت، واسمها عند النصاري القَلَائِيَّةُ، وهي تعريب كَلَاذَة، وهي من بيوت عباداتهم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قلا).

(2) هو سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زكي بن آقسنقر، صاحب الموصل، تقلد المملكة بعد وفاة أبيه مودود، وهو والد سنجر شاه صاحب جزيرة ابني عمر، وكان مليح الثياب، عاقلاً عادلاً عفيفاً غيوراً، وأوصى بالملك إلى أخيه مسعود، وأعطى ابنه سنجر شاه بن غازي الجزيرة، توفي يوم الأحد ثالث صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة، وتولى بعده أخوه عز الدين مسعود، وكان مرضه السّل وطال به، عاش ثلاثين سنة، ينظر ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 5/4، ابن واصل، مفرج الكروب، 220/1، ابن الوردي، تتممة المختصر، 137/2، العيني، عقد الجمان، 299/1، ابن العماد، شذرات الذهب، 257/4.

(3) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 288/5.

(4) تَكْتَبُ: من كبت، والكَبْتُ: الصَّرْعُ؛ وقيل: الكَبْتُ صَرْغُ الشيء لوجهه، وقيل: كَبَتَهُ اللهُ لوجهه كَبَتًا أي صَرَعَهُ اللهُ لوجهه، فلم يَظْفَرْ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (كبت).

[26] وقال أيضاً مبدأ قصيدة يمدح الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن داود بالحصن (1):

(البيسط)

- 1 - اشْرَبَ (2) عَلَى نَفَحَاتِ الرُّنْدِ (3) مِنْ هَيْتَا (4) حَمْرَاءَ تَحْسِبُهَا فِي الْكَأْسِ يَاقُوتَا
- 2 - سُلَافَةً كَدُمُوعِ الْمُزْنِ صَافِيَةً تَهْوَى الدَّنَانُ (5) وَتَجْتَازُ الْحَوَانِيَتَا
- 3 - عَذْرَاءَ لَمْ يَفْتَرِعْهَا (6) فِي الْوَرَى أَحَدٌ سِوَى الْمِزَاجِ فَرَوَّجَهَا بِمَنْ شَيْتَا
- 4 - تَزْدَادُ هَمًّا إِذَا مَا غَبَتْ قَاتَلَهَا حَيْنًا وَتَفْرَحُ أَحْيَانًا إِذَا جِيَتَا
- 5 - كَانَتْ لِأَدَمَ شُرْبًا فِي شَبِيبَتِهِ وَعِنْدَمَا هَرَمُوا أَوْلَادُهُ قُوتَا
- 6 - مِنْ كَفِّ أَهْيَفٍ وَاهِي الْخَصْرِ تَحْسِبُهُ بَدْرًا عَلَى غُصْنٍ فِي الدَّعْصِ مَبُوتَا
- 7 - كَأَنَّ فَوْقَ عَذَارِيهِ وَقَدْ نَفَضَتْ أَصْدَاغُهُ وَرَقًّا بِالْمِسْكِ مَلْتُوتَا (7)

التخريج:

[26] ابن الشعار، فلاند الجمان، 228/10.

ضوء على الشعر:

- (1) الحصن: يقصد حصن كَيْفَا: ويقال كَيْبَا وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة، بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر، وكانت ذات جانبين، وعلى دجلتها قنطرة عظيمة، وهي لصاحب آمد من ولد داود بن سقمان بن أرتق، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 265/2.
- (2) وردت في الأصل (إشرب) بالهمز والصحيح ما أثبتته الباحثة.
- (3) الرُّنْدُ: الآس، وقيل: هو العود الذي يتبخر به، وقيل: هو شجر من أشجار البادية طيب الرائحة، يستاك به، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (رند) .
- (4) هَيْت: مدينة بين الرحبة وبغداد، وقيل هي بلدة على شاطئ الفرات فوق الأنبار، ذات نخل كثير وخيرات واسعة، وهي من أعمر البلاد، وبأرضها عيون تسيل بالقار، وعليها حصن، والهيئة: الهوة، وسميت هيت؛ لأنها في هوة، وهي الأرض المنخفضة، وبها قبر عبد الله بن المبارك، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 421/5، الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، 597.
- (5) الدَّنَانُ: أوعية الخمر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (دنان)، وفي الحديث النبوي الشريف "أَهْرِقِ الخمر واكسِر الدَّنَان" الترمذي، سنن الترمذي، 588/3.
- (6) يَفْتَرِعُهَا: افترع البكر: افتضحها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (فرع).
- (7) مَلْتُوتٌ: لَتَّ السَّوِيقَ أي بلَّه، والسويق هو العجين، ولعل صنم اللات قد اكتسب هذا الاسم من لَتَّه السويق على الصخرة التي هي صنم أهل الطائف، إذ قيل: إن أصل ذلك رجل كان يُلْتُ السويق للحاج، فمات، فعكفوا على قبره، وكانت صخرة مربعة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (لتت)، عبد الوهاب، محمد، مختصر السيرة، 71/1.

- 8 - وَقَيْنَةَ كَمَهَاةِ الرَّمْلِ مَا تَرَكَتْ لِعُودٍ مَعْبَدٍ (1) لَا صَوْتًا وَلَا صِيْتًا (2)
- 9 - جِيْدَاءَ نَاعِمَةٍ الْأَطْرَافِ نَاهِدَةٍ قَدْ جَرَدَتْ لِدَمِ الْعُشَاقِ إِصْلِيْتًا (3)
- 10 - تَكَادُ تُخْرِسُ جَالُوتًا إِذَا هَزَجَتْ صَوْتًا وَتُنْطِقُ بَعْدَ الْمَوْتِ جَالُوتًا (4)
- 11 - يَا ضِرَّةَ الشَّمْسِ أَيْنَ الشَّمْسُ مِنْكَ إِذَا مَا قُلْتَ قَوْلًا وَسَلَّيْتَ الْمَقَالِيْتَا (5)
- 12 - نَفَقْتُ فِي عَلَقِ الْعُشَاقِ سِحْرَ هَوَى بِهِ تَعَبَّدْتَ هَارُوتًا وَمَارُوتًا (6)
- 13 - تَرَنَّمِي بِمَدِيحِي وَاسْمَعِي غَزَلِي لِنَاصِرِ الدِّينِ مَضْبُوطًا وَمَبْثُوتًا (7)

ضوء على الشعر:

(1) مَعْبَدٌ: هو معبد المغني، الذي يضرب به المثل في جودة الغناء، اسمه معبد بن وهب، غنى في أول دولة بني أمية، وأدرك دولة بني العباس، وقد أصابه الفالج وارتعش وبطل، فكان إذا غنى يُضْحَكُ منه ويُهْزَأُ به، وقيل: إنّه مات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق، الأصفهاني، الأغاني، 46/1، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 484/1، الذهبي، تاريخ الإسلام، 269/8.

(2) الصيت: الذكر الحسن الذي ينتشر في الناس، دون القبيح، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صوت).
(3) إِصْلِيْتٌ: الصَّلْتُ: البارزُ المُسْتَوِي، ويقال: أَصْلَتُ السيفَ أَي جَرَدْتُهُ، وسيفٌ إِصْلِيْتٌ أَي صَقِيلٌ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صلت).

(4) جَالُوتٌ: اسم رجل أعجمي، لا ينصرف، ولا اشتقاق له، وفي التنزيل العزيز: ﴿ W V U ﴾ البقرة، 251، وكان جالوت أمير العمالقة وملكهم، وهو من قوم عاد، ومن جبابرة الكنعانيين، وكان ملكه بجهات فلسطين، وكان من الشدة، وطول القامة، بمكان عظيم، ويقال: إِنَّ الْبَرَّيرَ من نسله، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (جلت)، أبو حفص الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، 290/4، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 41/1.

(5) المقاتلة: واحدهنَّ مقاتلات، وهي المرأة التي لا يعيش لها ولد، وكانت العرب تزعم أن المرأة المقاتلة إذا وطئت رجلاً كريماً قُتلَ غدرًا عاش ولدها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قلت)، وقد أنشد كثيرٌ عَزَّةَ قاتلاً (الوافر): خَشَّاشُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا *** وَأُمُّ الْبَازِ مَقَاتٌ نَزُورٌ، كُثِيرَ عَزَّةَ، الديوان، 530.

(6) هاروت وماروت: قيل هما من الملائكة، وإن القرآن العظيم قد صرح بذلك في قوله تعالى: ﴿ 2 3 4 5 6 7 8 ﴾ البقرة، 102، وإن الذي أنزل عليهما هو علم السحر، ابتلاء من الله تعالى للناس، وحكى عن الحسن البصري أن هاروت وماروت علجان ألقافان من أهل بابل، كانا يعلمان الناس السحر، وقال قوم: كانا من الملائكة، فعصيا الله تعالى بالحيف في الحكومة، وقد كان استنقاضهما في الأرض، وركب فيهما الشهوة والغضب، على نحو ما ركب في البشر، امتحاناً لهما، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 265/6.

(7) مَبْثُوتٌ: متفرق، وقيل: مبسوط وكثير، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 161/5.

* قافية الجيم:

[27] وقال أيضاً يمدح بدر الدين كنان⁽¹⁾ ويهنئه بعيد الفطر بمصر: (مجزوء الرمل)

- 1- قُلْ لِبَدْرِ الدِّينِ يَا بَدْرُ أَتَى الْعَيْدُ وَقَاجَا
- 2- يَا كَمِيًّا عَلَّمِ الْآ سَادَ فِي الْحَرْبِ الْهَيَاجَا
- 3- وَجَوَادًا غَسَلَتْ أَيْمُ — يَأْمُهُ الْمِلْحُ الْأَجَاجَا⁽²⁾
- 4- اكْسُ وَجْهَ الْجَوِّ مِنْ نَسْ — جِجْ أَيْدِيكَ عَجَاجَا⁽³⁾
- 5- قَدْ مَضَى الصَّوْمُ هَزِيمًا مِنْ يَدِ الْفِطْرِ وَضَاجَا
- 6- يَرْهَبُ النَّايَ وَقَدْ جَا وَيَهُ الْجُنُكُ⁽⁴⁾ وَنَاجَا
- 7- فَاصْرِفِ الْهَمَّ بِصَرْفِ إِنْ تَعَايَيْتَ الْمَزَاجَا
- 8- وَاجْلُ بِنْتَ الْكَرْمِ⁽⁵⁾ بِكْرًا فَهِيَ تَخْتَارُ الزُّجَاجَا
- 9- يَا أَجَلَ النَّاسِ يَا مَنْ زَادَ حُسْنًا وَابْتَهَاجَا
- 10- قَدْ مَلَأَتِ الْبِرَّ بُرًّا سَدَّ عَنْ عَيْنِي الْفَجَاجَا⁽⁶⁾
- 11- مَنْزِلِي قَفَرٌ يَبَابُ⁽⁷⁾ مَا رَأَى لَيْلًا سِرَاجَا
- 12- وَقُدُورِي فَارَغَاتُ مَا حَوَتْ قَطُّ دَجَاجَا

التخريج:

[27] ابن الشعار، قلائد الجمان، 229-228/10.

ضوء على الشعر:

- (1) بدر الدين كنان: لم تعثر الباحثة على ترجمة له فيما بين يديها من مصادر ومراجع.
- (2) المِلْحُ الْأَجَاج: ماء أجاج أي ملح وقيل: مُرّ وقيل: شديد المرارة وقيل: الأجاج الشديد الحرارة، قَالَ تَعَالَى:
- (3) العَجَاج: بالفتح الغبار، وقيل: هو من الغبار ما ثَوَّرَتْهُ الرِّيحُ، واحدته عَجَاجَةٌ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عجج).
- (4) وردت في الأصل الجُنُكُ والصواب ما أثبتته الباحثة، يجمع على جنوك، وهو آلة يُضْرَبُ بها كالعود، معرَّب، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 100/27.
- (5) بنت الكرْم: يريد الخمرة.
- (6) الفَجَاج: مفردها الفَجُّ: وهو الطَّرِيقُ الواسِعُ بين جَبَلَيْنِ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (فجج).
- (7) يَبَاب: يقال: أرض يباب أي خراب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (يبب).

13 - وَزَبَادِي (1) الْبَيْتِ لَمْ تَعْرِفَ (2) يَوْمًا زِيرَبَاجًا (3)

14 - أَنْجِزِ الْوَعْدَ وَلَا تَخْشَعْ بَسْ بِذَا الْعَيْدِ الْخَرَجَا

15 - فَخَيْارُ الْبِرِّ مَا عَجَبَ جِلَّ (4) يَا بَذْرُ وَرَاجَا (5)

* قافية الحاء:

[28] وقال أيضاً يمدح الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن داود: (المديد)

1 - فَاضَ دَمْعِي لَيْتَهُمْ نَزَحُوا مَا جَرَى مِنْهُ وَمَا انْتَزَحُوا

2 - جِيرَةٌ صَدُّوا بِلا سَبَبٍ خَسِرُوا مِثْلِي وَمَا رَجَحُوا

3 - وَمِنْ الْأَبْرَاحِ (6) أَنَّهُمْ أَفْسَدُوا مِنِّي وَمَا اصْطَلَحُوا

4 - لَوْ أَرَادُوا وَصَلَ مُكْتَتِبٍ مَا نَالُوا عَنْهُ وَلَا بَرَحُوا

5 - رَحَلُوا وَالرُّوحُ مُوثَقَةٌ (7) مَعَهُمْ وَالْجِسْمُ مُطَّرَحٌ

التخريج:

[28] ابن الشعار، قلائد الجمان، 230/10.

ضوء على الشعر:

(1) الزبادي: الصَّحَاف، أي آنية الطعام، ومفردها زبدية، والزبدية بالكسر: صحفة من خَزَف، وفي التنزيل

العزیز: قَالَ تَعَالَى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ الزخرف، 71، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة

(صحف)، الزبيدي، تاج العروس، 140/8.

(2) (تعريف): وظفها للضرورة الشعرية، صوابها تعرف بسكون الفاء ولا يستقيم بذلك الوزن.

(3) الزيرباج: من ألوان الطبخ، السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 276/1.

(4) يقال: (خيار البر عاجله، وفي لفظ: خير البر عاجله)، ليس بحديث لكن روي بمعناه، وقد ورد عن العباس في

معناه لا يتم المعروف إلا بتعجيله، وشاع على الألسنة، واشتهر أن الانتظار أشد من الموت، ينظر: العجلوني،

إسماعيل، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، 461/1.

(5) (راجا): راج الأمر روجاً ورواجاً: أسرع، وروج الشيء وروج به: عجل. ينظر: ابن منظور، لسان العرب،

مادة (روج).

(6) الأبراج: من "البرخ"، بالفتح ثم السكون، ومعناه: الشدة والشر والأذى والعذاب الشديد والمشقة، يقال: لقي منه

برحاً بارحاً، أي شدة وأذى، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 304/6.

(7) وردت في الأصل (مؤتقة) والصواب (مؤتقة).

- 6- لَمْ يَبْنِ لَوْلَا الْكَلَامُ ⁽¹⁾ ضَنَى ⁽²⁾ فَهُوَ مِنْ فَرَطِ الْأَسَى شَبَحُ
- 7- أَفْصَرُوا فَالْعِشْقُ أَطْيَبُ مَا يُبْتَلَى فِيهِ وَيُقْتَضَحُ
- 8- لَا تُلُومُؤْنِي فَلِي مَلِكُ بَثِيَابِ الْعِزِّ مُتَشَحُّ
- 9- مَلِكُ بِالْفَضْلِ مُعْتَبِقُ ⁽³⁾ وَبِذَلِّ الْمَالِ مُصْطَبِحُ
- 10- نَاصِرُ الدِّينِ الَّذِي انْتَصَرَتْ بِعُلَاهُ فِي الْوَرَى الْمَدْحُ

[29] وقال أيضاً يمدح سيف الدين أتابك ⁽⁴⁾ غازي بن مودود بن زنكي: (الكامل)

- 1- شَرِبَ الْغُبُوقُ ⁽⁵⁾ وَظَلَّ مُصْطَبِحًا فَسَكِرْتُ مِنْ لَحْظَاتِهِ وَصَحَا
- 2- فَكَأَنَّهُ وَالْكَأْسُ فِي يَدِهِ بَدْرُ الدُّجَى تَسْقِيهِ شَمْسُ ضَحَى
- 3- تَنْقُضُ فِي جَنَابَتِهَا شُهْبًا حَتَّى ظَنَنْتُ سَمَاعَنَا الْقَدَحَا
- 4- وَيُدِيرُهَا فَلَا تَرْنَحُهُ نَفَحَاتُهَا فَيُهِنُهَا فَرَحَا
- 5- وَيَكَادُ يَرْقُصُ كُلَّمَا رَقَصَتْ فِي خَدِّهِ لَهَبَاتُهَا مَرَحَا
- 6- حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ إِلَيَّ مَلِكُ مَا زَالَ يَكْتُبُ مَا الزَّمَانُ مَحَا
- 7- غَرَبْتُ فَلَا وَاللَّهِ مَا طَلَعْتُ إِلَّا وَقَدْ خَسِرَ الَّذِي رَجَا

التخريج:

[29] ابن الشعار، قلائد الجمان، 229-230.

ضوء على الشعر:

- (1) الْكَلَامُ: جمع كلم وهو الجرح، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (كلم).
- (2) ضَنَى: الضنى: السقيم الذي قد طال مرضه وثبت فيه، بعض أهل اللغة لا يثنيه ولا يجمعه، بل يذهب به مذهب المصدر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ضنى).
- (3) مُعْتَبِقُ: من غبق، واغتبِق الرجل: شرب غبوقاً، فهو مغتبِق، والغَبَقُ والتَّغْبِقُ والاعْتِبَاقُ، والغُبُوقُ: الشرب بالعشي، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (غبق).
- (4) أتابك: لفظ تركي معناه الوصي، والأب السيد، وهو مركب من كلمتين "أنا" تعني المربي، و"بك" تعني الأمير، ومعناها مجتمعين: الأمير المربي، ويُطلق على من يتولى تربية أولاد الملوك، ينظر: شبارو، عصام محمد، السلطين في المشرق العربي، 116.
- (5) الْغُبُوقُ: الغَبَقُ والتَّغْبِقُ والاعْتِبَاقُ والغُبُوقُ: الشرب بالعشي، وهو خلاف الصَّبُوح، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (غبق).

- 8- مَلِكٌ لَهُ حَدَّانِ إِنْ نُوبٌ⁽¹⁾ حَدَّتْ وَصَفَحَ رِضًا إِذَا صَفَحَا
- 9- يُغْنِيكَ مَنْ يَدِهِ وَمِنْ قَمِيهِ فَلِسَانُهُ وَبَيَانُهُ اصْطَلَحَا
- 10- وَإِذَا تَبَسَّمَ فِي مَفَاكِهِ لَيْلًا إِلَيْهِ سَبِيلُنَا اتَّضَحَا
- 11- وَإِذَا نَوَى لِعِدَاهُ غَائِلَةً⁽²⁾ سَبَقَ الْقَضَاءَ وَقَاتَ مَا ذَبَحَا
- 12- فَصَفَاتُ سَيْفِ الدِّينِ يُطْرِبُنَا إِيْرَادُهَا فَفَنَصُوغُهَا مِدَحَا
- 13- مِنْ كُلِّ قَافِيَةٍ مُهَذَّبَةٍ تُعْيِي الرُّوَاةَ وَتُخْرِسُ الْفُصَحَا
- 14- عَايَنْتُهَا فَوَجَدْتُهَا حَمًا⁽³⁾ وَصَنَعْتُهَا فَتَمَثَّلَتْ مُحَا
- 15- تَجَلَّوْا عَلَى الْأَسْمَاعِ إِنْ سُمِعَتْ صَمَمًا وَعَنْ مُهْجَاتِنَا تَرَحًا⁽⁴⁾
- 16- تَبَقَّى مُؤَبَّدَةً يُقْبَلُهَا تَبَقَّى كُلٌّ مَنْ بِنِظَامِهَا صَدَحَا⁽⁵⁾
- 17- غَازِي بَنَ مَوْدُودٍ مَحَبَّتُكُمْ فَرَضُ وَمَنْ بَسَطَ الثَّرَى وَدَحَا⁽⁶⁾
- 18- لَا زِلْتُ بِالْإِقْبَالِ مُشْتَمَلًا وَبِأَيْمَنِ التَّأْيِيدِ مُتَّشِحَا

[30] وقال يقتضي الملك العزيز عماد الدين عثمان بن يوسف بن أيوب بمصر: (مجزوء الرمل)

- 1- يَا عِمَادَ الدِّينِ يَا مَنْ طَابَ تَغْزِيلًا وَمَدَحًا

التخريج:

[30] ابن الشعار، قلائد الجمان، 231/10.

ضوء على الشعر:

- (1) النُّوبُ: بنات الدهر، مفردا نائبة وهي المصيبة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نوب).
- (2) الغائلة: يقال: أتى غولاً غائلة، أي أمراً منكراً داهياً، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (غول).
- (3) حمًا: يقال حمئت البئر حمًا، بالتحريك، فهي حمئة إذا صارت فيها الحمأة وكثرت، والحمأة: الطين الأسود المنتن، وفي التنزيل العزيز: قَالَ تَعَالَى: ﴿ ~ أَلَا نَسْنَنُ مِنْ صَلَصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴾ ، الحجر، 26، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حمأ).
- (4) التَّرَحُّ: نقيض الفرح، وقد ترح ترحاً وتترح وترحه الأمر تترجاً أي: أحزنه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ت-رح).
- (5) صَدَحَ: صَدَحَ الرَّجُلُ يَصْدَحُ صَدْحًا وَصُدَّاحًا، وهو صَدَّاحٌ وَصَدُوحٌ وَصَيْدَحٌ: رفع صوته بغناء أو غيره، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صدح).
- (6) دَحَا: دَحَا الْأَرْضَ أَوْسَعَهَا، وَالدَّحُو: الْبَسْطُ، يقال: دَحَا يَدْحُو وَيَدْحِي أَي بَسَطَ وَوَسَّعَ، وفي التنزيل العزيز: قَالَ تَعَالَى: ﴿ n m l k ﴾ النازعات، 30، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (دحا).

- 2- وَالَّذِي مَا زَالَ يَهْمِي (1) فِي الْوَرَى طَشًا (2) وَسَحًا (3)
- 3- وَالَّذِي يَحْتَقِرُ الْمَوُ تَ إِذَا مَا جَرَّ رُمَحًا
- 4- أَتُرَى أَبْصِرُ مِنْ خَطِّ طِيكَ فِي كَفِّي (4) صَحًا
- 5- لَا إِذَا جُنْتُ إِلَى النُّوْ وَاب (5) قَالُوا لِي تَحَّى

[31] وقال وقد أتعبه الديوان (6) في إيصال الجامكية (7) بمصر: (الهزج)

- 1- أَيَا مَنْ يَشْتَرِي الْحَمْدَ وَمَنْ يَكْتَسِبُ الْمَدْحَ
- 2- وَمَنْ يَحْتَقِرُ الْغَيْثَ إِذَا مَا كَفُّهُ سَحًا
- 3- لَقَدْ وَقَعْتَ لِي صَحَّ (8) وَلَكِنْ صَحَّ مَا صَحَّا

التخريج:

[31] ابن الشعَار، فَلَانْد الْجُمَان، 231/10.

ضوء على الشعر:

- (1) يَهْمِي: أي كل شيء سقط منك وضاع فقد همى يهمي، وهَمَّت العين: صَبَّت دمعها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (همي).
- (2) الطَّش: من المطر، وقيل: أول المطر الرِّش ثم الطَّش، ومطر طش وطشيش: قليل، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (طشش).
- (3) السَّح: سَحَّ الدَّمْعُ والمطرُ، والماءُ يَسْحُ سَحًا وسُحُوحًا أي سال من فوق واشتدَّ انصبابُه، وسَحَّ الماء وغيره يَسْحُه سَحًا: صَبَّه صَبًّا متتابعًا كثيرًا، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سح).
- (4) وردت في الأصل (كَفِّي) وبها لا يستقيم الوزن، والصحيح ما أثبتته الباحثة.
- (5) النُّوَاب: جمع النَّائِب، وناب الشيء عَنْهُ، أي: عن الشيء نَوْبًا، وَمَنَابًا، قَامَ مَقَامُهُ، ويقال: ناب الوكيل عنه في كذا بِنُوبٍ، نِيَابَةً، فهو نَائِبٌ، وزيدٌ مُنُوبٌ عنه، ينظر: الزبيدي، تاج العروس 315/4.
- (6) الديوان: كلمة فارسية، معناها القديم: عمل الجن، ولها معانٍ منها: مكتب تابع للحاكم تُسَجَّل فيه طلبات الدولة وتُنفَّذ، وتوسَّع مفهومه مع اتساع رقعة الدولة، فكان هناك ديوان الخراج، وديوان الرسائل، وديوان الجند، وديوان الإنشاء، والفرس يسمونه (دفتر)، التونجي، محمد، المعجم المفصل في الأدب، 457/2.
- (7) الجامكية: لفظ فارسي يعني رواتب خدام الدولة، مشتق من "جامة" بمعنى اللباس، أي نفقات أو تعويض اللباس الحكومي، وقد ترد بمعنى الأجر أو الراتب أو المنحة والجمع جامكيات، وجوامك، وفي الاصطلاح تدل على رواتب الجند، وما يُدفع لهم، من طعام ولباس في أوقات مُحددة، ينظر: برهان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي 51، شير، أدبي، الألفاظ الفارسية المَعْرَبَة، 92.
- (8) صَحَّ الشيء: جعله صحيحًا، وصَحَّحْتُ الكتابَ والحسابَ تصحيحًا إذا كان سقيمًا فأصلحت خطاه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صح).

[32] وقال أيضاً مبدأ قصيدة يمدح بها الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن داود:

(السريع)

- 1- بِتْ أُرَاعِي النَجْمَ حَتَّى الصَّبَاحِ فِي حُبِّ مَنْ كَانَ هَوَاهَا مُزَاحِ
- 2- فَصَارَ جَدًّا وَالْهَوَى لَمْ يَزَلْ يَدِبُ فِي الْقَلْبِ دَيْبُ الرِّيَاحِ
- 3- لَمَّا تَعَلَّقْتُ بِهَا قَالَ لِي قَلْبِي فَقَدْ تَهَتَّ بِهَا لَا جُنَاحِ
- 4- وَجَهٌ كَبَدَّرِ التَّمَّ (1) يَحْوِي لَمَى (2) كَأَنَّهُ الْمِسْكُ إِذَا الْمِسْكُ فَاحِ
- 5- وَتَغْرُهَا الْمَنْظُومُ مِنْ لَوْلُؤِ مُنْضَدِّ (3) مِثْلَ بَيَاضِ الْأَقَاحِ (4)
- 6- تَرِيشُ بِالْهُدْبِ (5) سِهَامَ الْهَوَى وَتُثْنِ الْعَاشِقَ مِنْهَا جِرَاحِ
- 7- كَأَنَّمَا رِيْقَتُهَا قَرْقَفٌ (6) تُرْشَفُ مِنْ تِلْكَ الثَّنَائِيَا الْمِلَاحِ

التخريج:

[32] ابن الشعار، فلاند الجمان، 230/10.

ضوء على الشعر:

- (1) بدرُ التَّمَّ: التَّمَّ: الشيء التَّام، وتَمَامُ الشيء وتِمَامَتُهُ وتَتَمَّتُهُ: ما تَمَّ به، ويقال: بذُرُ تَمَامٍ وتَمَامٍ وبدرُ تَمَامٍ، وقمرُ تَمَامٍ وتَمَامٍ إذا تَمَّ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ت-مم).
- (2) لَمَى: هو سواد يكون في الشفتين (الشفاة السود)، وقيل: شربة سَوَادٍ، وقد لَمَى لَمَى، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (لمى).
- (3) مُنْضَدِّ: نَضَدْتُ الْمَتَاعَ أَنْضَيْتُهُ نَضْدًا وَنَضَّدْتُهُ: جَعَلْتُ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، وَقِيلَ: ضَمَمْتُ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ، وَالتَّنْضِيدُ: شُدُّ لِلْمَبَالِغَةِ فِي وَضْعِهِ مُتْرَاصِفًا، وَالْجَمْعُ أَنْضَادٌ، وَنَضَدَ الشَّيْءُ: جَعَلَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ مُتَّسِقًا، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نضد).
- (4) الْأَقَاحُ: الْأَقْحَوَانُ: نَبَاتٌ عَشْبِيٌّ حَوْلِيٌّ مِنَ الْفَصِيلَةِ الْمَرْكَبَةِ، يَنْمُو بَرِيًّا وَزَرَاعِيًّا، وَهُوَ مِنَ الْمَحَاصِيلِ الصَّنَاعِيَّةِ وَالطَّبِيبَةِ، وَأَوْرَاقُ زَهْرِ الْأَقْحَوَانِ صَغِيرَةٌ، يَزْهَرُ فِي أَوَاخِرِ الْخَرِيفِ وَالشَّتَاءِ، ينظر: الحميري، البدیع فی فصل الربیع، 176-177.
- (5) الْهُدْبُ: الْهُدْبَةُ وَالْهُدْبَةُ: الشَّعْرَةُ النَّابِتَةُ عَلَى شَفْرِ الْعَيْنِ، وَالْجَمْعُ هُدْبٌ وَهُدْبٌ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (هدب)، ويقال: قبل الرمي تراش السهام، وقبل الإقدام تراش السهام، ينظر: الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، 35/1.
- (6) قَرْقَفٌ: الْقَرْقَفُ: الْخَمْرُ، وَهُوَ اسْمٌ لَهَا، قِيلَ: سُمِّيَتْ قَرْقَفًا؛ لِأَنَّهَا تَقْرَقَفُ شَارِبُهَا أَيْ تَرْعَدُ، وَيُوصَفُ بِهِ الْمَاءُ الْبَارِدُ ذُو الصَّفَاءِ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرقف).

- 8- يُقِلُّ خُوطَ الْبَانِ مِنْهَا نَقًّا (1) يَمْوُجُ مِنْ تَحْتِ مَشَدِّ الْوَشَاحِ (2)
- 9- فَلَوِ رَأَتْهَا الشَّمْسُ قَالَتْ إِذَا مَا غَبْتُ كُونِي عَوْضِي فِي الصَّبَاحِ
- 10- فَعَدَّ عَنْ ذِكْرِ سَنَاها وَلَذْ بِنَاصِرِ الدِّينِ الْكَثِيرِ السَّمَاحِ

* قافية الدال:

[33] وقال يمدح العَضُدَ أبا الفوارسِ مُرْهَفَ بنِ أسامة بن منقذ (3) بمصر: (المنسرح)

- 1- أَمَا وَتَغْرِ أَنْقَى مِنَ الْبَرْدِ وَعَارِضٌ (4) فِي تَضَاعُفِ الزَّرْدِ (5)
- 2- وَأَسْهُمِ الْمُقْلَتَيْنِ تَرَشُّقُ لِلْـ عُشَّاقِ بَيْنَ الْفُؤَادِ وَالْكَبِدِ
- 3- وَوَرْدٍ خَدَّ بِالْأَسِ يَحْجُبُهُ أَوْحَدٌ (6) لَا يَرَعَوِي إِلَى أَحَدٍ
- 4- فَمَنْ رَأَى فِي زَمَانِهِ رَشَاءً يَطُولُ مِنْ حُسْنِهِ عَلَى أَسَدٍ
- 5- أَحْسَدُ كَأْسِ الطَّلَا إِذَا ارْتَشَفَ الْـ كَأْسَ بَظْلَمِ عَذْبِ اللَّثَاتِ نَدِي

التخريج:

[33] ابن الشعَر، قلائد الجمان، 231/10.

ضوء على الشعر:

(1) النقا: الكتيب من الرمل، القطعة من الرمل المحدوبة، والنقا من الرمل: القطعة تتقاد محدوبة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نقا).

(2) الوشاح: حلي النساء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (وشح).

(3) هو مرهف بن أسامة بن مُرشد بن علي بن مُقَلَّد بن نصر بن مُنْقِذ، الأمير العالم مُقَدِّمُ الأمراء، جمال الرؤساء، عَضُدُ الدولة أبو الفوارس ابن الأمير الكبير الأديب، مؤيد الدولة أبي المظفر، الكِنَاني، الكَلْبِي، الشَّيْزَرِي، أحد الأمراء المصريين، ولد بشيْزَر في سنة عشرين وخمسمائة، وسمع من أبيه وغيره، وكان مُسَنِّاً معمرًا شاعرًا كوالده، وقد جمع من الكتب شيئًا كثيرًا، وكان السلطان صلاح الدين قد أقطعه ضياعًا بمصر وأجراه أخوه العادل على ذلك، وكان الكامل ابن العادل يحترمه ويعرف حقه، وتوفي سنة ثلاث عشرة وستمائة، ينظر: الكتبي، فوات الوفيات، 502/2، الذهبي، تاريخ الإسلام، 172/44.

(4) عارض: العوارض من الأضراس، وقيل: عارضُ الفم ما يبدو منه عند الضحك، فهي الأسنان التي في عَرْضِ الفم وهي ما بين الثنايا والأضراس، واحداها عارضٌ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرض).

(5) الزرد: قيل الزرد من الطعام، اللين السريع الانحدار، أي ابتلع اللقم، والإزرداد: الابتلاع، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (زرد).

(6) أَوْحَدٌ: أي مُنْفَرِدٌ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (وحد).

- 6- تُسَلِّطُ النَّارُ وَالْعَقَّارُ⁽¹⁾ عَلَى وَجَنَتَيْهِ وَاسْتَجَنَ⁽²⁾ بِالْعُدَدِ
- 7- قُلْتُ وَقَدْ مَاسَ⁽³⁾ كَالْأَرَاكَةِ⁽⁴⁾ يَا ظَبْيَ الْفَيَافِي وَبَيَّضَةَ الْبَلَدِ⁽⁵⁾
- 8- مَا النَّوْرُ وَالْأَقْحُوَانُ أَحْسَنُ مِنْ ثَغْرِكَ يَا سَيِّدِي⁽⁶⁾ وَيَا سَنَدِي
- 9- فَقَالَ: عَنِّي إِلَيْكَ، قُلْتُ: عَسَى تَرِيحُنِي مِنْكَ رَاحَةُ الْعَضْدِ
- 10- فَخَرُ بَنِي مُنْقِذٍ وَبِالْجَدِّ فِي الْـ عَالَمِ تَنْبِي طَهَارَةَ الْوَلَدِ
- 11- سَادَ بَنِي الدَّهْرِ مِنْ سَيَادَتِهِ فَمَثَلُهُ فِي الْوُجُودِ لَمْ يُجَدِ
- 12- حَوَى مِنَ الْفَضْلِ كُلِّ مَكْرَمَةٍ بَدِيعَةٍ مِنْ نَفَائِسِ الزُّبْدِ⁽⁷⁾
- 13- لَهُ يَرَاعُ⁽⁸⁾ وَصَارِمٌ طَبِيعَا كِلَاهُمَا مِنْ رِضَا وَمِنْ حَرَدِ

[34] وقال أيضاً يمدح الملك المسعود قطب الدين أبا المظفر سكرمان بن محمد بن داود بآمد:

(الرمز)

- 1- قِفْ عَلَى الْجَزَعِ مَتَى شِئْتَ وَنَادِي فَعَسَى يُخْبِرُكَ الْجَزَعُ مُرَادِي

التخريج:

[34] ابن الشعار، قلائد الجمان، 233/10.

ضوء على الشعر:

- (1) العقَّار: قيل إن الخمر تسمى عقاراً؛ لأنها تعقر العقل، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عقر).
- (2) اسْتَجَنَ: اسْتَجَنَ بَجَنَةِ اسْتَجَنَ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (جنن).
- (3) مَاسَ، من المَيْسِ: وهو التَّبَخُّرُ، ومَاسَ يَمِيسُ مَيْسًا وَمَيْسَانًا: تَبَخَّرَ وَاخْتَالَ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ميس).
- (4) الأَرَاكَةُ: مفرد الأراك وهو شجر معروف وهو شجر السَّوَاكِ يُسْتَاكُ بِفُرُوعِهِ. اسْتَيْكَ بِفُرُوعِهِ من الشجر ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أراك).
- (5) بَيَّضَةُ الْبَلَدِ: ضَرْبٌ مَثَلًا لِلرَّجُلِ الْفَرِيدِ الْوَحِيدِ الَّذِي لَا نَاصِرَ لَهُ، يُقَالُ: هُوَ بَيَّضَةُ الْبَلَدِ، أَيِ هُوَ فِي وَحْدَتِهِ وَانْفِرَادِهِ كَبَيَّضَةِ فِي أَرْضٍ خَالِيَةٍ، مِنْ وَجْدِهَا أَخْذَهَا وَلَمْ يَمْنَعْهُ مَانِعٌ، وَيُقَالُ: فَلَانٌ بَيَّضَةُ الْبَلَدِ أَيِ: مَنْفَرْدٌ لَا يَدَانِيهِ أَحَدٌ، وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ يَكُونُ مَدْحًا وَيَكُونُ ذَمًّا، وَكَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُسَمَّى بِمَكَّةَ بَيَّضَةَ الْبَلَدِ، وَقِيلَ: مَنْ قَصَدَ بِهَا الْمَدْحَ أَرَادَ بِهَا أَصْلَ الطَّائِرِ، وَمَنْ ذَمَّ أَرَادَ أَنَّهَا لَا أَصْلَ لَهَا، ينظر: العسكري، جمهرة الأمثال، 1/ 59، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 326/1، ابن رشيقي، العمدة، 189/2، ابن منظور، لسان العرب، مادة (بيض)، الزبيدي، تاج العروس، 258/18.
- (6) وردت في الأصل (سَيِّدِي) وبها لا يستقيم الوزن.
- (7) الزُّبْدُ: الزبد زبد الماء والبعير والفضة وغيرها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (زبد).
- (8) يَرَاعُ، أَيِ الْقَلَمِ الَّذِي يُنْخَذُ مِنَ الْقَصَبِ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (يرع).

- 2- **إِنْ وَعَى قَوْلَكَ يَا سَعْدُ اللّوَى (1)** أَوْ وَعَى الْبَانُ فَعَرَضُ بِسُعَادٍ (2)
- 3- **أَتَرَاهَا نَسِيَتْ عَهْدَ الصَّبَا** أَمْ تَرَاهَا صَرَمَتْ حَبْلَ وِدَادِي (3)
- 4- **إِنْ يَكُنْ قَلْبِي جَدِيدًا فِي الْهَوَى** فَهِيَ مِغْطَاطِيسُ قَلْبِي وَفُؤَادِي
- 5- **سَلْ حَمَامَ الْأَيْكِ (4) عَنِّي سَحَرًا** هَلْ تَلَذَّذْتُ بِنَوْمٍ وَرَقَادٍ
- 6- **إِنْ شَدَا نُحْتُ وَإِنْ نُحْتُ شَدَا** فَكَلَانَا فِي ثِيَابٍ مِنْ حَدَادٍ
- 7- **مَا عَلَى طَيْفِ الْكَرَى لَوْ زَارَنِي** وَعَلَى طَيْفِ الْكَرَى كَانَ اعْتِمَادِي
- 8- **وَعَلَى أَنْعَمِ قُطْبِ الدِّينِ مُذْ** كُنْتُ فِي الذَّرِّ طَرِيفِي وَتَلَادِي
- 9- **مَلِكٌ تَسْطُو بِهِ الْحَرْبُ كَمَا** يَطْرُبُ النَّشْوَانُ مِنْ شِعْرِ وَشَادِي
- 10- **لَا يَبَالِي وَالْعَوَالِي (5) شُرْعٌ (6)** كَثُرَ الْحَاسِدُ أَمْ قَلَّ الْمُعَادِي
- 11- **يَطْعَنُ الْأَلْفَ فَلَا يَرْهَبُهَا** وَيَجُودُ الْأَلْفَ مِنْ غَيْرِ تَمَادِي
- 12- **يَا بَنِي أُرْتُقْ (7) إِنْ عُدَّ النَّدَى** أَنْتُمْ السَّامُونَ فِي تِلْكَ الْعِدَادِ
- 13- **نَارُكُمْ نَارَانِ سُخْطٌ وَرِضًا** فَهِيَ نَخْرٌ لِمُحِبٍّ وَمُعَادِي

ضوء على الشعر:

- (1) اللّوى: ما التوى من الرمل، وقيل: هو مُسْتَرْقُهُ، وهما لَوِيَانِ، والجمع أُلُوَاء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (لوي).
- (2) سعاد (محبوبة كعب بن زهير بن أبي سلمى).
- (3) وردت في الإصل وِدَادِي والصحيح وِدَادِي، فالَّذِي في اللسان وغيره من دواوين اللُّغَةِ الْمُوثُوقِ بِهَا: وِدَادٌ، بالكسر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ودد)، الزبيدي، تاج العروس، 281/9.
- (4) الأيك: الشجر الكثير المُلْتَفٍّ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أيك).
- (5) العوالي: أعلى القناة وهي بعكس السافلة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (علا).
- (6) شرّع: أي مرتفعة، ينظر، الزبيدي، تاج العروس 270/21.
- (7) أُرْتُقْ: بضم الهمزة وسكون الراء وضم التاء المثناة من فوقها وبعدها قاف، أُرْتُقَ بن ألب جد الملوك الأراتقة، وهو رجل من التركمان، تغلب على حلوان والجبل ثم سار إلى الشام مفارقاً لفخر الدولة أبي نصر محمد بن جهير، خائفاً من السلطان محمد بن ملكشاه سنة ثمان أو تسع وأربعين وأربعمائة، وكان رجلاً شهماً شجاعاً عالي الهمة، ذا عزيمة وسعادة وجد واجتهاد، تغلب على بلاد كثيرة، توفي سنة أربع وثمانين وأربعمائة وتولى ولده سكران القدس بعده، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 191/1، ابن كثير، البداية والنهاية، 138/12.

[35] وقال يهنئ صارم الدين خُتَلج⁽¹⁾ بالعيد - عتيق نجم الدين أبو الفتح يوسف بن الحسين بن المجاور الدمشقي⁽²⁾ وزير الملك العزيز عماد الدين عثمان بن يوسف بمصر - ارتجالاً، ويطلب منه ما كان قد وعده به:

(مجزوء الرجز)

- | | |
|---|--|
| 1 - يَا صَارِمَ الدِّينِ لَقَدْ | وَعَدْتَنِي فِي الْعِيدِ |
| 2 - أَرْفُلٌ مِنْ جُودِكَ فِي | ذَيْلِ قَبَا ⁽³⁾ جَدِيدِ |
| 3 - وَلَيْسَ لِي عِنْدَكَ مَنْ | يَطْرُبُ مِنْ نَشِيدِي |
| 4 - تَحْيَرَ الْحَمَامُ فِي الْـ | غُصُونِ مِنْ تَغْرِيدِي |
| 5 - كَأَنَّنِي نَائِحَةً | تُفَجِّعُ بِالتَّغْيِيدِ |
| 6 - وَأَهْيَفَ الْقَدْ نَشَأَ ⁽⁴⁾ | كَالْغُصْنِ الْأَمْوَدِ ⁽⁵⁾ |
| 7 - أَغْيَدَ ⁽⁶⁾ مَعْسُولِ اللَّمَى ⁽⁷⁾ | مِنْ الظَّبَّاءِ الْغِيْدِ |
| 8 - أَكْحَلَ ⁽⁸⁾ مَهْضُومَ الْحَشَا | مُورِدَ الْخُودِ |
| 9 - رِيْقَتُهُ أَطْيَبُ مِنْ | سُلَاقَةِ الْعُقُودِ |

التخريج :

[35] ابن الشعار، قلائد الجمان، 235-234/10.

ضوء على الشعر:

- (1) يقصد صارم الدين خطيباً، وقد سبقت ترجمته.
- (2) ابن المجاور: يوسف بن الحسين بن محمد بن الحسين، أبو الفتح، نجم الدين، وزير أديب من الشعراء، فارسي الأصل، من شيراز، مولده ووفاته بدمشق، وكان له " مكتب " يعلم فيه الصبيان، انتدبه السلطان صلاح الدين الأيوبي معلماً لابنه العزيز عثمان، وأنس به العزيز، فلما مات أبوه، واستقل بالسلطنة، فوَضَ إليه جميع أمور دولته، فكان من محاسنها، وهو غير ابن المجاور المؤرخ يوسف بن يعقوب، توفي سنة 601 هـ، ينظر: ابن سعيد الأندلسي، الغصون الياضية، 25-19.

- (3) القَبْ: ما يدخل في جيب القميص من الرقاق، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قَب).
(4) نَشَأَ: ارتفع وبدأ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نَشَأَ).
(5) الغُصْنُ الْأَمْوَدُ: النَّاعِم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (مَلَد).
(6) أَغْيَدَ: الْأَغْيَدُ: النَّاعِم اللَّيِّنُ الْأَعْطَافِ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (غِيد).
(7) اللَّمَى: سُمْرَةُ الشَّفَتَيْنِ وَاللِّثَاتِ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (لَمَى).
(8) أَكْحَلَ: يقال: رجل أكحل بين الكحل، وهو الذي يعلو جفون عينيه سواد، مثل الكحل من غير اكتحال، ينظر: الرازي، مختار الصحاح، 235/1.

- 10 - سَأَلْتُ عَنْ مَسْكَنِهِ فَقَالَ فِي زَيْدٍ⁽¹⁾
- 11 - وَلِي مَوَالٍ قَطَنُوا بِالْأَمْسِ فِي الصَّعِيدِ
- 12 - نَوَلْتُهُ الْكَأْسَ وَقَدْ مَالَ مِنَ الرُّقُودِ
- 13 - كَأَنَّهُ الْقَانِتُ فِي الرِّ رُكُوعٍ وَالسُّجُودِ
- 14 - أَوْ طِفْلَةً مِنَ الظُّبَا عِ بَنَلَةَ الزُّنُودِ
- 15 - تَقُومُ شَفْعًا وَتُصَلِّ لِي الْوَتْرَ مِنْ قُعُودِ
- 16 - أَفْدِيكَ يَا رَبَّ النَّهْيِ مِنْ صَارِمٍ صَنْدِيدٍ⁽²⁾
- 17 - لَا زِلْتَ تَعْلُو رُتَبًا عَلَى الْمُلُوكِ الصَّيْدِ⁽³⁾

[36] وقال في قصيدة أرسلها إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في الشام:

(الخفيف)

- 1 - مَا ثَنَانِي عَنْ الثَّنَاءِ الْبَعَادُ الْهَوَى وَالْوِدَادُ ذَاكَ الْوِدَادُ⁽⁴⁾
- 2 - كَيْفَ أَنْسَى تِلْكَ اللَّيَالِي وَأَيَّا مِي بِنُعْمَاكَ كُلَّهَا أَعْيَادُ
- 3 - وَجُلُوسِي إِذَا خَلَوْتُ بِعَلِيَا نْ وَسَمْعِي يُصْنَعِي لِمَا لَا يَعَادُ
- 4 - إِنَّ تَنَاسَيْتُ ذَلِكَ الْعَهْدَ لَا شِمَّ ت وَمِيضًا وَلَا سَقَتْنِي عَهَادُ

التخريج:

[36] ابن الشعار، قلائد الجمان، 234-233/10.

ضوء على الشعر:

(1) زَيْدٌ: قبيلة من قبائل اليمن، وزَيْدٌ بالضم بطن من مذحج رهط عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وزبيد بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت اسم واد به مدينة، يقال لها: الحصيب، ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به وهي مدينة مشهورة باليمن، أُحْدِثَتْ في أيام المأمون، وينسب إليها جمع كثير من العلماء منهم أبو قرة موسى بن طارق الزبيدي، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 131/3، ابن منظور، لسان العرب، مادة (زيد).

(2) صَنْدِيدٌ: الصنديد: الملك الضخم الشريف، وقيل: الصنديد السيد الشريف، وقيل: السيد الشجاع، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صند).

(3) الملوك الصيِّد: أي العظماء، والصيِّدُ: مصدرُ الأصيْد وهو الملكُ لا يَلْتَفِتُ من زَهْوِهِ، يَمِينًا ولا شِمَالًا، والأصيْدُ أيضًا: رافعُ رأسه كبرًا، وهو مجاز، وإنما قيل للملك: أصيْدُ لكونه يرفعُ رأسه كبرًا، ينظر، الزبيدي، تاج العروس، 307/8.

(4) في الأصل (الوداد) والصحيح ما أثبتته الباحثة.

- 5- أَوْ تَوَانِي فَمِي عَنِ الْمَلِكِ النَّا صِرَ يَوْمًا فَلَا وَرَى (1) لِي زِنَادُ
6- وَالَّذِي جَمَعَ الشَّتَاتَ وَأَنْشَأَ (2) سُحْبًا أَغْشَبَتْ لَدَيْهَا الْبِلَادُ
7- مُذْ تَرَحَّلْتُ عَنْ جَنَابِكَ مَا سِغَ سِتْ شَرَابًا وَلَا هَنَا (3) لِي زَادُ

[37] وقال يعاتب الوزير ضياء الدين أحمد بن شيخ السَّلامِيَّة: (الكامل)

- 1- كَمْ قَدْ سَهَرْتُ عَلَى عُلاكَ بِمِدْحَةٍ غَرَاءَ مَا صَلَحْتَ لِغَيْرِكَ أَحْمَدُ
2- عَلَيَّ أَحُوزُ بِمَا نَظَّمْتُ مَوَاهِبًا مِنْ رَاحَتَيْكَ وَأَنْعَمًا لَا تَنْقَدُ
3- فَنَبَذْتُهَا نَبَذَ الْحَصَاةِ كَأَنَّهَا صَلِّ (4) يُنْضِضُ (5) فِي يَمِينِكَ أَسْوَدُ
4- وَكَأَنَّ طِرْسَ (6) قَصَائِدِي فِي مَدْحِكُمْ وَرَقٌ يُصِرُّ بِهِ الدَّوَاءُ وَمَزُودُ
5- وَلَكُمْ مَدَحْتُ كَمَا مَدَحْتُكَ مَاجِدًا أَسْدَى إِلَيَّ مَكَارِمًا تَتَرَدَّدُ
6- وَمَنْعَتِي فَمَكَ الَّذِي أَحْيَا بِهِ وَمَنْعَتَ جُودِكَ قُلْ بِمَنْ أَسْتَنْجِدُ
7- فَإِذَا كَسَوْتُكَ فِي زَمَانِي حُلَّةً تَبْقَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَتَخْلُدُ

[38] وقال ارتجالاً وقد طلب منه الملك الصالح محمود بن محمد أبياتاً تكتب على باب عرضي (7):

(مخلع البسيط)

- 1- حَلَّ بِأَرْجَائِكَ السَّعُودُ وَلَا [خَبَا] (8) عَرْشُكَ الْمَجِيدُ

التخريج:

[37] ابن الشَّعَّار، قِلَانِدُ الْجُمَانِ، 234/10.

[38] نفسه، 235/10.

ضوء على الشعر:

- (1) وري: وري الزند يرى وريراً ووراه خرجت ناره، ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 629/2.
(2) أنشا: الهمزة هنا مسهلة فالشاعر يقصد (أنشأ) وبها لا يستقيم الوزن والصحيح ما أثبتته الباحثة.
(3) يقصد (هنا) بالهمز وبها لا يستقيم الوزن والصحيح ما أثبتته الباحثة؛ لأن الهمزة مسهلة.
(4) الصل: الحية التي تقتل إذا نهشت من ساعتها، وقيل: الحية التي لا تنفع فيها الرقبة، ويقال للرجل إذا كان داهياً منكراً: إنه لصل أصلال أي حية من الحيات، أي داهٍ منكراً في الخصومة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صل)، اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، 122/1.
(5) يُنْضِضُ: يقال استنضضت منه شيئاً ونضضته إذا حركته وأقلقته، ومنه قيل للحية نضناض، وهو الفلق الذي لا يثبت في مكانه لشروته ونشاطه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نضض).
(6) الطرس: الصحيفة، ويقال: هي التي مُحيت ثم كُتبت، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (طرس).
(7) باب عرضي: لم تعثر الباحثة على ترجمتها، وربما هو باب سمي بذلك في ذلك الحين.
(8) بياض في الأصل، ويستقيم الوزن بوضع الباحثة لفظة (خبا).

- 2- وَلَا غَدَا عَنْ ذَرَاكَ⁽¹⁾ وَقَدْ إِلَّا وَقَدْ نَالَ مَا تُرِيدُ
- 3- وَلَا بَرِحْتَ الزَّمَانَ تَعْلُو فِي نِعَمٍ مَا لَهَا نُفُودُ
- 4- مُتَمَّعًا بِالْبَقَاءِ تَأْتِي قَسْرًا إِلَى بَابِكَ الْأَسُودُ
- 5- مَا سَجَعَ الطَّيْرُ فَوْقَ غُصْنٍ مُغَرِّدًا وَالْحَيَا يَجُودُ
- 6- أَنْتَ لِمَنْ يَرْتَجِيكَ بَابُ لِلْخَيْرِ مِفْتَاحُهُ السُّجُودُ

[39] وقوله في الملك الصالح محمود بن محمد وقد طلب منه أبياتاً تكتب على باب المجاز⁽²⁾:

(المنسرح)

- 1- جَازَ⁽³⁾ بِيَابِ الْمَجَازِ مَحْمُودُ فَسَالَ مِنْ سَيْبٍ⁽⁴⁾ كَفَّهُ الْجُودُ
- 2- فِي دُولٍ مَا يَزَالُ يَكْنُفُهَا السُّدُ سَعْدُ وَتَعْنُو⁽⁵⁾ لَهَا الصَّنَادِيدُ⁽⁶⁾
- 3- لَا زَالَتِ النَّيِّرَاتُ⁽⁷⁾ تَخْدُمُ عَلَ يَاهُ رُكُوعًا وَالْبَيْضُ وَالسُّودُ⁽⁸⁾
- 4- مَا سَجَعَ الطَّيْرُ فِي الْأَرَاكِ وَمَا رَجَعَ خَلْفَ الرِّكَابِ⁽⁹⁾ غَرِيدُ

التخريج :

[39] ابن الشعار، قلائد الجمان، 235/10.

ضوء على الشعر:

- (1) ذَرَاكَ: ذروة كل شيء و ذروته: أعلاه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ذرا).
- (2) باب المجاز: ربما يقصد الشاعر باباً كان يجتازه المارة في ذلك الوقت.
- (3) جَازَ: جاز الموضع: سار فيه وسلكه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (جوز).
- (4) سَيْبٍ: السَّيْبُ: العطاء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سيب).
- (5) تعنو: هو من العناء بمعنى التعب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عنا).
- (6) الصناديد: الشجعان، ومفردها: صنديد، وتعني الملك الضخم الشريف، والسيد الشريف الشجاع، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صند).
- (7) النيرات: الأجسام المنيرة، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 301/14.
- (8) البيض والسود: يقصد الخدم من الناس.
- (9) الركاب: الإبل التي يسار عليها، واحدها راحلة ولا واحدة لها من لفظها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ركب).

[40] وقال وقد أعطاه الملك المؤيد نظام الدين⁽¹⁾ ضيعةً وكتبها له ملكاً، وكانت كثيرة الأشجار، لذينة الثمار، غزيرة الأنهار، وهي على شاطئ الفرات فحسده جماعة عليها وحملوه على أخذها منه، وكان قد كتب خطه معه، على توقيعه بها، بخط كفه: "ملعون من يغيرها ما عاش عليه أو يستعيدها أبداً". (المقارب)

- 1- جَعَلْتَ بِنُعْمَاكَ يَا ابْنَ الْمُلُوكِ أَعَادِي لِي مِنْ طَرِيقِ الْحَسَدِ
- 2- وَكَيْفَ وَلَا يَحْسُدُونِي وَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ بِأَمِّ الْبَلَدِ
- 3- أَرَى كُلَّمَا زِدْتَنِي رِفْعَةً يَمُوتُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَمَدِ
- 4- إِذَا لَمْ أَخَفْ بِعُلاكَ السَّبَاعِ أَخَافُ وَمِثْلُكَ لِي مِنْ نَقْدِ
- 5- فَعَمَّرَكَ اللَّهُ عُمَرَ الزَّمَانِ وَلَا عَمَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ أَحَدُ

[41] وقال يمدح الوزير ضياء الدين أبا العباس أحمد بن القاسم ابن شيخ السلامية - وهو يومئذ وزير الملك الصالح محمود بن محمد بآمد:

(المنسرح)

- 1- يَا قَمَرًا فِي جَمَالِهِ أَوْحَدُ مِثْلُكَ فِي الْعَالَمِينَ لَا يُوجَدُ
- 2- سَلَطْتَ نَارَ الْأَسَى عَلَى كَبِدِي فَكُلُّ نَارٍ مِنْ مُهْجَتِي تُوقَدُ
- 3- صُنْ عَقْرَبِيكَ اللَّتَيْنِ قَدْ لَسَبَا⁽²⁾ حَبَّةَ قَلْبِي بِصُدُغِكَ⁽³⁾ الْأَسْوَدُ
- 4- سُبْحَانَ رَبِّ بَرَكَ⁽⁴⁾ مِنْ حَمَأٍ⁽⁵⁾ بَذَرًا وَخَذَاكَ مِنْ دَمِي وَرَدَّ
- 5- بَدَدَ شَمْلِي بِيَبْتِهِ وَأَبَى يَجْمَعُ شَمْلِي مِنْ بَعْدِ مَا بَدَدَ

التخريج:

[40] ابن الشعار، فلائد الجمان، 232/10.

[41] نفسه، 232-233.

ضوء على الشعر:

- (1) الملك المؤيد: نظام الدين: لم تعثر الباحثة على ترجمة له فيما بين يديها من مصادر ومراجع.
- (2) اللَسَبُ: اللدغ والعض، يقال: لَسَبْتَهُ الْحَبَّةَ وَالْعَقْرَبُ وَالزُّبُورُ، بالفتح، تَلَسَّبُهُ وَتَلَسَّبُهُ لَسَبًا: لَدَغَتْهُ، وأكثر ما يُسْتَعْمَلُ فِي الْعَقْرَبِ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (لسب).
- (3) الصُدُغُ: ما انحدر من الرأس إلى مَرْكَبِ اللَّحْيَيْنِ، وقيل: هو ما بين العين والأذن، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صدغ).
- (4) بَرَكَ: من برأ بمعنى خلقك، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (برأ).
- (5) حَمَأُ: الْحَمَاءُ وَالْحَمَأُ: الطَّيْنُ الْأَسْوَدُ الْمُتَنَّنُ، وفي التَّنْزِيلِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿... ~ الْإِنْسَانُ مِنْ صَلَافٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ الحجر، 26، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حما).

- 6- وَهَدَّدَ اللَّيْثَ بِالصُّدُودِ وَمَا
7- لَوْلَا ثَنَائِيَاهُ مَا اهْتَدَيْتُ وَقَدْ
8- إِلَى قَوَامٍ كَأَنَّهُ غُصْنٌ
9- أَخَافُ مِنْ ضَعْفِهِ وَقَدْ نَظَرْتُ
10- يَكَادُ مِنْ لِينِهِ وَدَقَّتِهِ
11- لَهُ رُضَابٌ إِذَا مَزَجْتَ بِهِ الـ
12- أَبْرَدُ مِنْ دَمْعَةِ السُّرُورِ وَمِنْ
13- يَضُوعُ مِسْكَاً وَعَنْبَرًا عَطِرًا
14- إِذَا تَحَسَّيْتُ مِنْ سُلَافَتِهِ
15- ظَنَنْتُ أَنِّي بِدَسَّتِهِ (2) مَلِكٌ
16- أَفْدِي عِذَارًا مَا خَطَّهُ قَلَمٌ
17- أَبْدَعَ فِي خَلْقِهِ الْإِلَهَ فَمَا
18- لَوْ شَرِبَ الدَّهْرُ مِنْ لَطَافَتِهِ
19- مَا قَالَ رَأْيَا وَلَا بَدَا سَفَاةً
20- لَوْ عَبَدَ النَّاسُ قَبْلَهُ بَشَرًا
- يَهُمُّ مَيِّتٌ إِنْ صَدَّ أَوْ هَدَّدَ
ضَيِّقَ طُرْقِي وَسُبُلَهَا سَدَّدَ
مُزْتَرِ الْخَصْرِ نَاعِمٍ أَمْلَدَ
إِلَيْهِ عَيْنِي يَنْقَدُ أَوْ يَنْفَدُ
يُحَلُّ عِنْدَ الْقِيَامِ أَوْ يُعَقَّدُ
كَأْسَ سُحَيْرٍ وَالطَّيْرُ قَدْ غَرَّدَ
مَاءٍ بِكَانُونٍ (1) فِي الشِّتَا أَجَلَدُ
وَإِنْ بَدَا شَادِيًا فَمَنْ مَعْبَدُ
رَطْلَيْنِ بِالظَّاهِرِيِّ أَوْ أَزِيدُ
تُجْبَى إِلَيَّ الْبِلَادُ أَوْ تُحْشَدُ
كَأَنَّ دَاوُدَ (3) نَبَتْهُ زُرْدُ
أَحْسَنَ مَا صَاغَهُ وَمَا جَوَّدَ
مَا عَصَرْتُهُ الْأَكْفُ فِي صَرَخَدَ (4)
مِنْهُ عَلَى شَرِبِهِ وَلَا عَرِيدُ (5)
لَكَانَ مِنْ حُسْنِ وَجْهِهِ يُعْبَدُ

ضوء على الشعر:

- (1) كانون: شهر، وهي لفظة رُومِيَّة، والكانونان: شهران في قلب الشتاء: كانون الأول، وكانون الآخر، هكذا يسميهما أهل الروم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (كنن).
- (2) الدَّسْتُ: من (الثَّيَابِ وَالْوَرَقِ وَصَدْرِ الْبَيْتِ) لثَلَاثَةِ مَعَانٍ (مُعْرَبَاتٍ) عن المعجمة، وقيل: هو المجلس، ويراد به هنا العرش؛ لأنه يوضع في الصدر، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 518/4.
- (3) وردت في الأصل دَاوُودَ والصحيح ما أثبتته الباحثة، ويريد الشاعر به: النبي داود عليه السلام حيث كان معروفًا بأنه كان يزرّد الدروع ويصنعها.
- (4) صَرَخَدُ: بلدٌ ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهي قلعة حصينة وولاية واسعة حسنة، يُنسب إليها الخمر، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 401/3، ابن منظور، لسان العرب، مادة (صرخد).
- (5) عَرِيدُ: هنا بمعنى الطَّيْشِ وَالسَّقَةِ وَالْعِدْوَانِ، وَالْعَرِيدَةُ سُوءُ الْخُلُقِ، وَرَجُلٌ مَعْرِيدٌ: يُوْذِي نَدِيمَهُ فِي سَكْرِهِ، وَالْعَرِيدُ: الْحَيَّةُ الْخَفِيفَةُ، وَالْمَعْرُوفُ أَنَّهَا الْحَيَّةُ الْخَبِيثَةُ، وَالذَّكَرُ مِنَ الْأَفَاعِي يُسَمَّى عَرِيدًا: بفتح الباء، ومنه اشتقت عَرِيدَةُ الشَّارِبِ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عربد).

21 - فَأَقَ بَنِي الْحُسَيْنِ فِي الزَّمَانِ كَمَا فَأَقَ عَلَى النَّاسِ بِالتَّقَى أَحْمَدُ

* قافية الرّاء:

[42] وقال أيضاً جواب كتاب أرسله إليه من الموصل بهاء الدين علي بن السمين⁽¹⁾: (البسيط)

- 1 - وَأَفَى كِتَابُ بَهَاءِ الدِّينِ فَأَبْتَهَجَتْ عَيْنِي بِذَلِكَ فَلَمْ تَشْبَعْ مِنَ النَّظَرِ
- 2 - وَبَانَ مَنثورٌ تَبَرُّ قَدْ سَقِيَ أَدَبًا مِنْ وَابِلِ الْفِكْرِ لَا مِنْ وَابِلِ الْمَطَرِ
- 3 - وَلَمْ أَزَلْ وَحْيًا كَفَيْكَ أَرْتَعُ فِي رَوْضِ⁽²⁾ الرِّسَائِلِ بَيْنَ الْحَبْرِ⁽³⁾ وَالْحَبَرِ⁽⁴⁾

[43] وقال يمدح الملك المسعود قطب الدين أبا المظفر سكران بن محمد بن داود من قصيدة أولها:

(المديد)

- 1 - رَبِّ لَيْلٍ بَتٍ مِنْ سَهَرٍ أَجْتَلِي⁽⁵⁾ الْجَوَزَاءَ فِي قَمَرِهِ
- 2 - ظَلَمْتُ أَشْكُو طَوْلَهُ وَمَنْى مُهَجَّتِي تَشْكُوهُ مِنْ قِصَرِهِ
- 3 - لَمْ يُحْمَنْنَا أَنْقِضَاءَ هَوَى كُلِّ إِنْسَانٍ عَلَى قَدَرِهِ
- 4 - وَحَبِيبٍ كُنْتُ أَرْمُقُهُ خِيفَةَ الْوَاشِيِّنَ مِنْ حَذَرِهِ
- 5 - صَدَّ ظُلْمًا وَأَنْتَنَى غُصْنًا فَبَعَثْتُ النَّفْسَ فِي أَثَرِهِ
- 6 - كَيْفَ يَسْرِي الطَّيْفُ نَحْوَ فَتَى مَا يَجُولُ النَّوْمُ فِي بَصَرِهِ
- 7 - أَلِفَ الدَّهْرِ الصَّدُودَ فَمَا يَخْطُرُ السُّلُوفُ فِي فِكْرِهِ

التخريج:

[42] ابن الشعار، قلائد الجمان، 236-235/10.

[43] نفسه، 236/10.

ضوء على الشعر:

(1) بهاء الدين علي بن السمين: يبدو أنه كان أحد أصدقاء ابن الكتّاني، ولم تعثر الباحثة على ترجمة له فيما بين يديها من مصادر ومراجع.

(2) وردت في الأصل (رَوْض) والصحيح ما أثبتته الباحثة.

(3) الحبر: المبدأ الذي يُكتب به، وقيل: للعالم الحبر لمكان هذا الحبر الذي يُكتب به، وذلك أنه كان صاحب كتب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حبر)، والزبيدي، تاج العروس، 504/10.

(4) الحبر: السرور، وفي التنزيل العزيز: قَالَ تَعَالَى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ الروم: 15، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حبر).

(5) أَجْتَلِي: اجتلى الشيء: نظر إليه، واستوضح، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (جلا).

- 8- كَيْفَ يَسْأَلُو عَاشِقٌ بَشَرًا حَلَّ كُلَّ الْحُسْنِ فِي بَشَرِهِ
- 9- شَدَّ زَنْبَارًا لَهُ وَتَلَا مَا تَلَا دَاوُدُ مِنْ زُبُرِهِ
- 10- وَهُوَ لِلْإِجِيلِ مُعْتَنِقٌ يَطْبَعُ الْأَلْحَانَ مِنْ سُورِهِ
- 11- كَيْفَ يَصْلِيهِ الْإِلَهُ لَظَى وَهُوَ أَسْنَى ⁽¹⁾ الْخَلْقِ مِنْ صُورِهِ
- 12- إِنْ يَكُنْ ذَا الْحُسْنِ فِي سَقَرٍ ⁽²⁾ فَجَنَانُ الْخُلْدِ فِي سَقَرِهِ
- 13- تَخَجَّلُ الْأَغْصَانُ مِنْهُ كَمَا تَخَجَّلُ الْوُلْدَانُ مِنْ خَفَرِهِ ⁽³⁾
- 14- وَتَحَارُّ الْحُورُ مِنْهُ إِذَا سَلَ سَيْفَ الْحُسْنِ مِنْ حَوْرِهِ
- 15- حَازَ مِنْ بَحْرِ النَّسِيبِ ⁽⁴⁾ كَمَا حَازَ قُطْبُ الدِّينِ مِنْ دُرَرِهِ

[44] وقال في النحول: (السريع)

- 1- أَنْحَلَنِي الشُّوقُ فَلَوْ أَنَّي وَلَجْتُ فِي جَفْنِكَ لَمْ تَشْعُرْ
- 2- وَصِرْتُ لَا شَيْءَ وَمَنْ لَمْ يَبْنِ كَيْفَ تَنَاجِيهِ وَلَمْ يُبْصِرْ

التخريج:

[44] ابن الشعار، قلائد الجمان، 237/10.

ضوء على الشعر:

- (1) أَسْنَى: أرفع، وسنا إلى معالي الأمور سناء: ارتفع، وَسَوَّ في حَسَبِهِ سَنَاءً، فهو سَنِيٌّ: ارتفع، والسَنَاءُ من الرُّفْعَةِ، ممدود، والسَنِيُّ: الرَفِيعُ، وَأَسْنَاهُ أَي رَفَعَهُ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سنا).
- (2) سَقَرٌ: اسم من أسماء جهنم، مشتق من ذلك، وقيل سُمِّيَتْ النَّارُ سَقَرًا؛ لأنها تذيب الأجسام والأرواح، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سقر).
- (3) خَفَرَةٌ: الخَفَرُ، بالتحريك: شِدَّةُ الْحَيَاءِ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خفر).
- (4) النَّسِيبُ: رقيق الشعر في النساء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نسب).

[45] وقوله وقد طلب منه الوزير صفى الدين عبد الله بن علي بن شكر⁽¹⁾ أن يُجيز له بيت أبي فراس⁽²⁾:
(الوافر)

1- وَكَمْ أَبْصَرْتُ مِنْ حَسَنٍ وَلَكِنْ عَلَيْكَ لِشِقْوَتِي وَقَعٌ اخْتِيَارِي

[46] فقال أبو يعقوب:
(الوافر)

1- فَمَا لِلْقَلْبِ حِينَ يُحِبُّ شَرْطٌ وَهَلْ شَرْطٌ لِمَسْلُوبِ الْقَرَارِ

2- وَلَوْ وَجَبَ الْقِصَاصُ عَلَى دَلِيلٍ لَكُنْتُ أَخَذْتُ مِنْ عَيْنِي ثَارِي

التخريج:

[45] ابن الشعار، فلاذ الجمان، 237/10.

[46] نفسه، 237/10.

ضوء على الشعر:

(1) الوزير ابن شكر: هو أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الخالق بن الحسين بن منصور الصاحب صفى الدين بن شكر المصري الدميري المالكي، ولد بالديار المصرية بدميرة بين مصر والإسكندرية سنة ثمان وأربعين وخمسائة، ودفن بتربته عند مدرسته بمصر سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وقد ذكر صاحب النجوم الزاهرة أنه من وفيات سنة 623 هـ، وقد وزر للملك العادل كان مؤثراً لأهل العلم والصالحين، كثير البرّ لهم لا يشغله ما هو فيه من كثرة الأشغال عن مجالستهم ومباحثتهم، وأنشأ مدرسة قبالة داره بالقاهرة، وبنى مصلّى العيد بدمشق، وبلط الجامع الأموي، وعمّر الفوارة، وجامع المزة وجامع حرستا، وكان حلو اللسان، حسن الهيئة، ذا دهاء مفرط فيه، وخبث وطيش وحقد لا تخبو ناره، وكان مهيباً عالماً مبالغاً في ظلم الرعية، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 294/22، الكتبي، فوات الوفيات، 193/2، ابن كثير، البداية والنهاية، 109/13، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 280/6م.

(2) لم تعثر الباحثة على البيت في ديوان الشاعر أبي فراس الحمداني، لكن ورد هذا البيت (لأبي القاسم علي بن إسحاق بن خلف البغدادي المعروف بالزاهي الشاعر المشهور الذي كان وصافاً محسناً كثير الملح) في كتابي: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 371/3، الذهبي، تاريخ الإسلام 75/26، وورد (لمحمد بن وهيب الحميري وهو شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية وأصله من البصرة)، في: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 92/2، الأبيشي، المستطرف في كل فن مستظرف 273.

[47] وقال وقد طلب منه الأوحْدُ (1) المغني (2) أن يجيزَ له بيتاً يغني بما يجيزه؛ لأنه ما كان يحفظ غير ذلك البيت فحسب:

(المقارب)

- | | |
|---|---|
| 1- وَعَذْرَاءَ مَا لَبِسْتَ لِلْحُلِيِّ | ي إِلَّا خَلَعْتُ عَلَيْهَا عِذَارِي (3) |
| 2- تَمِيسُ مِنَ الدَّلِّ كَالْخِزْرَانِ (4) | وَيَعْطِفُهَا اللَّيْنُ عَطْفَ السَّوَارِ |
| 3- وَأَحْذَرُ مِنْ قَدِّهَا أَنْ يَمِيدَ (5) | فَيَنْقُذُ مِنْ هَيْفٍ وَأَنْحِصَارِ |
| 4- وَأَعْجَبُ مِنْ خَصَرِهَا كَيْفَ لَا | يَزُولُ وَقَدْ حَسَّ مَسَّ الْإِزَارِ |
| 5- فَمِنْ وَجْهِهَا زَهْرِي (6) إِنْ أَرَدْتُ | رَبِيعًا وَمِنْ رِيقٍ فِيهَا عَقَارِي |
| 6- تَعَلَّقْتُهَا وَزَمَانَ الشَّبَابِ | شَفِيعِي إِلَى صُورٍ كَالصَّوَارِ (7) |
| 7- فَلَمَّا كَلَفْتُ بِهَا قَادِنِي | إِلَى وَطْنِي عَدَمُ الْإِصْطِبَارِ |
| 8- فَوَدَّعْتُهَا وَلَالِي الْجُفُونِ | تَسَاقُطُ مَا بَيْنَ مَاءٍ وَتَارِ |
| 9- كَأَنَّ الدُّمُوعَ عَلَى خَدِّهَا | بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جُنَّارِ (8) |

التخريج:

[47] ابن الشعار، قلائد الجمان، 238-237/10.

ضوء على الشعر:

- (1) الأوحْد: لم تعثر الباحثة على ترجمة له فيما بين يديها من مصادر ومراجع.
- (2) المغني: بضم الميم وفتح العين المنقوطة وكسر النون المشددة هذه النسبة إلى الغناء، السمعاني، الأنساب، 354/5.
- (3) عذارى: خلع العذار أي الحياء وهذا مثلٌ للشباب المنهمك في غيه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عذر).
- (4) الخيزران: وردت في الأصل (كَالْخِيزْرَانِ) بالفتح والصحيح بالضم كما أثبتته الباحثة، والخيزران: عُودٌ معروف، وقيل: نبات لَيِّنُ القُضْبَانِ أَمْلَسُ العِيدَانِ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خزر).
- (5) يَمِيدُ: يَتَمَايَلُ، وماد يَمِيدُ إِذَا تَنَتَّى وَتَبَخَّرَ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ميد).
- (6) زَهْرِي: حُسْنُهُ وَبَهْجَتُهُ وَنَضَارَتُهُ، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 473/11.
- (7) الصَّوَارُ والصَّوَارُ: الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ، وقيل: وِعَاءُ الْمِسْكِ، وقيل: الْقَلِيلُ مِنَ الْمِسْكِ، وقيل: الْقِطْعَةُ مِنْهُ، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 363/12.
- (8) جُنَّار: معناه بالفارسية ورد الرِّمَان وهو الرِّمَان الذَّكَرُ وأجوده المصري، الحميري، البدیع فی فصل الربیع، 176، ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، 225/1، والبيت مضمَّن من شعر أبي العباس النّاشي، ينظر: الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، 470/1.

[48] وقال أيضاً وقد طلب من الوزير ضياء الدين أبي العباس أحمد بن القاسم ابن شيخ
السلامية شعيراً، قال له: قد نفذنا إلى الحصن في طلب الشعير:

(الخفيف)

- 1- قَدْ تَقَنَّنْتُ بِالشَّعِيرِ وَمِثْلِي لَا يُجَازِي لِشَعْرِهِ بِالشَّعِيرِ
- 2- يَا وَزِيرَ الْمَسْعُودِ⁽¹⁾ سَاعِدْ لِمَنْ لَا يَتَرَجَّى سِوَى أَيْدِي الْوَزِيرِ
- 3- كُلُّ شَيْءٍ يَفْنَى سِوَى مِدْحِي فِيْكَ وَلَوْ جُدْتَ لِي بِمُلْكٍ كَبِيرِ
- 4- فَنَفَادُ الْقَلِيلِ يَا أَوْحَدَ النَّاسِ سِ يُوَازِي بِهِ نَفَادُ الْكَثِيرِ

[49] وقال في الخضر بن شرويه⁽²⁾ بمصر، وهو في خدمة الملك العزيز عماد الدين عثمان بن
يوسف بن أيوب:

(المنسرح)

- 1- بَتُّ أَعْطِي الْكُؤُوسَ فِي السَّحَرِ عَلَى أَنْبِينِ النَّيَّاتِ وَالْوَتَرِ
- 2- مِنْ كَفِّ جَيْدَاءَ كَالْغَزَالَةِ مَا أَخْفَهَا لَوْ مَشَتْ عَلَى بَصْرِي
- 3- بَدِيعَةُ الْحُسْنِ مِنْ لَطَافَتِهَا تَعَلَّمُ النَّاسُ صَنْعَةَ الصُّوَرِ
- 4- رِيْقَتُهَا فِي الزُّجَاجِ أَطْيَبُ مِنْ مِسْكٍ فَتِيْقٍ وَعَنْبَرٍ عَطْرِ
- 5- تَمِيلُ أَعْطَافُهَا إِذَا خَطَرَتْ كَمَا تَمِيلُ الْأَقْصَاحُ بِالْمَطَرِ
- 6- تَكَادُ تُخْفِي الصَّبَاحَ إِنْ أَسْفَرَ الصَّنْ صُبْحُ بِمُحْلَوْلِكَ مِنَ الشَّعْرِ
- 7- تُعَقِّدُ مِنْ لَيْنِهَا إِذَا خَطَرَتْ دُونَ مَهَاةٍ⁽³⁾ النَّقَا عَلَى خَطَرِ
- 8- وَقَيْنَةِ الْجَمَالِ حَالِيَةِ الْـ حَالِ تُغْنِي بِصَوْتِهَا الْخَمِرَ⁽⁴⁾

التخريج:

[48] ابن الشعار، قلائد الجمان، 238-237/10.

[49] نفسه، 239-238/10.

ضوء على الشعر:

(1) يريد الملك المسعود سكران بن محمد بن داود.

(2) الخضر بن شرويه: لم تعثر الباحثة على ترجمة له فيما بين يديها من مصادر ومراجع.

(3) المهامة: بقرة الوحش، سميت بذلك لبياضها على التشبيه بالبلورة والدرّة، فإذا شُبِّهَت المرأة بالمهامة في البياض فإنما يعنى بها البلورة أو الدرّة، فإذا شُبِّهَت بها في العينين فإنما يعنى بها البقرة، والجمع مها و مهوات، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (مها).

(4) صوتها الخمر: يريد صوتها المخمور.

- 9 - أَمَا تَرَى اللَّيْلَ قَدْ مَضَىٰ هَرَبًا
مُنْهَزِمًا وَالصَّبَاحُ فِي الْأَثَرِ
- 10 - فِي لَيْلَةٍ ظَلَّ مِنْ تَقَاصُرِهَا
يَعْتَرُ ذَيْلُ الصَّبَاحِ بِالسَّحَرِ
- 11 - هُبُّوا إِلَى قَهْوَةٍ مُعْتَقَةٍ
حَمَرَاءَ تَنْفِي وَسَاوِسَ الْفَكْرِ
- 12 - بَاكَرَهَا الْقَسُّ⁽¹⁾ فِي الظَّلَامِ عَلَى
عَادَتِهِ وَالنُّجُومُ لَمْ تَغُرِ
- 13 - فِي فِتْيَةٍ مِنْ بَنِي الشَّمَامِيسِ⁽²⁾ يَزُ
هُونَ بِأَعْطَافِهِمْ عَلَى الزَّهَرِ
- 14 - جَاءُوا بِرَاحٍ كَأَنَّهَا قَبَسٌ⁽³⁾
يَطِيرُ مِنْهَا الْحَبَابُ⁽⁴⁾ كَالشَّرَرِ
- 15 - تُذَكِّرُ نُوحًا وَقَدْ تَعَلَّقَهَا
آدَمُ مِنْ قَبْلِهِ أَبُو الْبَشَرِ
- 16 - شَجُّوا قَوَاهَا حَتَّى تَرِقَّ كَمَا
رَقَّتْ مِنَ الْجُودِ رَاحَةُ الْخَضِرِ⁽⁵⁾

ضوء على الشعر:

- (1) القس: رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم، وقيل: هو الكيس العالم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قسس).
- (2) الشَّمَامِيس: مفردا الشَّمَّاس، وهو خادم الكنيسة ومرتبته دون القسيس، ويقال: هو من رؤوس النصارى الذي يخلق وسط رأسه ويلزم البيعة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (شمس)، الزبيدي، تاج العروس، 173/16.
- (3) القبس: النار، والقبس: الشعلة من النار، يستعار من ذلك القبس شعلة النار، قَالَ تَعَالَى: - في قصة موسى عليه السلام - ﴿ Z Y X W V U [\] ^ _ ` a b c d ﴾ النمل، ٧، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قبس).
- (4) الحباب: الفقاقيع التي تطفو على وجه الماء أو الخمر، وقيل: هو ما جرى على الأسنان من الماء، كقطع القوارير، وكذلك هو من الخمر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حباب).
- (5) الخَضِر: فيها تورية، لعل المقصود هنا الخضر الوارد اسمه مع سيدنا موسى عليه السلام، وهو نبي من بني إسرائيل، سُمي بذلك؛ لأنه إذا جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز خضراء، وقيل: سمي بذلك؛ لأنه كان إذا جلس في موضع قام وتحت روضة تهتز، وقيل: كان إذا صلى في موضع اخضر ما حوله، ينظر: ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، 312/2، ابن منظور، لسان العرب، مادة (خضر).

[50] وقال يمدح أسد الدين المصري⁽¹⁾ بمصر:

(الهج)

- 1 - أَلَا يَا أَسَدَ الدِّينِ وَحَقَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ
- 2 - لَقَدْ أَوْحَشَنِي شَخْصٌ كَ فِي صَحْوِي وَفِي سُكْرِي⁽²⁾
- 3 - وَمَا لِي أَحَدُ أَسْنِـ قَدْ فِي الْخَلْقِ بِهِ ظَهْرِي
- 4 - سِوَى سَامِيكَ⁽³⁾ يَا مَنْ فَا قَ فَوْقَ الْأَنْجُمِ الزُّهْرِ
- 5 - أَرَى قَوْمًا بِلَا قَدْرِ إِذَا مَا جَاهُلُوا قَدْرِي
- 6 - يَخَافُونَ بِأَنْ أَنْظِرَ سَمَ فِي أَعْنَاقِهِمْ شِعْرِي
- 7 - وَلَوْ لَا إِبْنَةُ⁽⁴⁾ الْعُمَرِ لَأَوْدَى بَيْنَهُمْ عُمْرِي
- 8 - فَقُمْ وَاسْنَعِ إِلَى بَكْرِ شَبِيَّةِ الْغَادَةِ الْبَكْرِ
- 9 - إِلَى مَشْمُولَةٍ أَعْتَمَ سَقَ مِنْ آدَمَ فِي الذَّرِّ⁽⁵⁾
- 10 - تَزِيلُ الْهَمَّ عَنْ صَدْرِ كَ وَالْوَسْوَاسَ عَنْ صَدْرِي

التخريج:

[50] ابن الشعار، قلائد الجمان، 241/10-242.

ضوء على الشعر:

- (1) أسد الدين المصري: هو أبو الحارث الأمير شيركوه بن شاذي بن مروان، الملك المنصور أسد الدين الكردي الزراري وهو من قرية يقال لها دوين من أعمال أذربيجان، ونشأ بتكرت إذ كان أبوه متولي قلعتها، وهو عم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، تولى دمشق مدة وقام بحرب الفرنج وفتح حصونهم غير مرة وكان شجاعاً مقداماً مهيباً، وحج بالناس سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وتوفي بمصر سنة أربع وستين وخمسمائة، ينظر ترجمته في: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 23/ 284، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 479/2، ابن واصل، مفرج الكروب، 1/171، ابن الوردي، تتمة المختصر، 115/2-117، ابن كثير، البيداء والنهاية، 12/ 259، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 387/5، السخاوي، شمس الدين، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، 1/448، ابن العماد، شذرات الذهب، 211/4، الزبيدي، ترويح القلوب، 36.
- (2) السكر: النوم، نقيض الصحو والسكران خلاف الصّاحي، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سكر).
- (3) ساميك: من السمو. بمعنى الارتفاع والعلو، وسما الشيء يسمو سموًا، فهو سام ارتفع، ويقال: للحسيب وللشريف: قد سما، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سما).
- (4) وردت في الأصل (ابنة) بالهمز لاستقامة الوزن، والصحيح في اللغة بدون همز.
- (5) الذر: صغار النمل، واحده ذرة وقيل: الذرة ليس لها وزن، ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة، ومنه سمي الرجل ذرا وكني بأبي ذر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ذر).

- 11 - [أَضَاعَتْ] ⁽¹⁾ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ - لِمِثْلِ الْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ
- 12 - إِذَا مَا أَلْفَ الرَّاوُوْ - قَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْخَمْرِ
- 13 - وَطَابَتْ نَغَمَاتُ الْعُوْ - دَ بَيْنَ الطَّبْلِ وَالزَّمْرِ
- 14 - أَنْادِيكَ وَقَدْ زُفِّتْ - عَلَيَّا ابْنَةُ ⁽²⁾ الْخِذْرِ ⁽³⁾
- 15 - أَلَا فَارْتَشِفِ الرَّاحَ - عَلَى وَاضِحَةِ النَّحْرِ
- 16 - عَلَى نَاعِمَةٍ كَالْخُوْ - طِ مِنْ أَجْفَانِهَا سِحْرِي
- 17 - فَتَاةٌ كَمَهَاةِ الرَّمْ - لِمِ لَوْلَا هَيْفُ الْخَصْرِ
- 18 - فَمِنْ رُمَانِهَا نُقْلِي - وَمِنْ رِيْقَتِهَا خَمْرِي
- 19 - وَإِلَّا مَعَ فَتًى كَالْبَدْ - رِ أَوْ أَبْهَى مِنَ الْبَدْرِ
- 20 - غُلَامٌ مِنْ بَنِي عُذْرَ - ة ⁽⁴⁾ لَا يَقْبَلُ مِنْ عُذْرِي
- 21 - إِذَا مَا مُزَجَّ الرَّاحُ - بِرِيْقِ ⁽⁵⁾ ذَلِكَ الثَّغْرِ ⁽⁶⁾
- 22 - تَرَى سَوْسَنَةَ الْعَارِ - ضِ ⁽⁷⁾ تَنْهَلُ مِنَ الْقَطْرِ
- 23 - فَمِنْ طُرَّتِهِ لَيْلِي - وَمِنْ بَهْجَتِهِ فَجْرِي
- 24 - كَذَلِكَ الْفَالِقُ الْهَامَا - تِ أَعْنِي الْأَسَدَ الْمِصْرِي

ضوء على الشعر:

- (1) وردت في الأصل (تضيء) وبها لا يستقيم الوزن، والصحيح ما أثبتته الباحثة.
- (2) وردت في الأصل (ابنة) بالهمز لاستقامة الوزن والصحيح (ابنة) .
- (3) الخذر: بالكسر: سترٌ يمدُّ للجارية في ناحية البيت، ثم صار كلُّ ما وارك من بيتٍ ونحوه خِذْرًا، والجمع: خُذُورٌ وأخْدَارٌ وأخادير، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خذر).
- (4) بنو عُذْرَة: بضم العين المهملة، وسكون الذال المعجمة، قبيلة كبيرة من قضاة في اليمن مشهورة بالابتلاء بداء العشق، كانوا معروفين بشدة العشق، وغلبة الهوى ومنهم: جميل بن عبد الله بن معمر، وصاحبته بُثَيْنَةُ بنت الحياء، ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، 368/1، الزبيدي، تاج العروس، 551/12، كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب، 768/2.
- (5) وردت في الأصل (بريق) بالكسر وبها لا يستقيم الوزن، وترى الباحثة أن تكون بتتوين الكسر لاستقامة الوزن، رغم العلة النحوية.
- (6) الثغر: الفم، وقيل: هو اسم الأسنان كلها ما دامت في منابتها قبل أن تسقط، وقيل: هي الأسنان كلها، كن في منابتها أو لم يكن، وقيل: هو مقدم الأسنان، أي الثغور، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ثغر).
- (7) العارض: صفحة الخد من الإنسان، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 385/18.

25 - كَرِيمًا غَرَّقَ الْعَالَمَ — مَ فِي الْبَرِّ مِنَ الْبَرِّ

26 - وَيَحْمِي الْبَيْضَ بِالْبَيْضِ وَيَحْمِي السُّمْرَ بِالسُّمْرِ

27 - تَرَاهُ وَدَمُ الْمَالِ عَلَى صَارِمِهِ يَجْرِي

[51] قال أبو الفتح يونس بن أبي الغنائم بن أبي بكر بن محمد البغدادي⁽¹⁾ بحلب: أنشدني أبو يعقوب يوسف بن سليمان بن صالح لنفسه قصيدة يمدح بها الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب⁽²⁾:

1 - قَالُوا: سَلَا⁽³⁾ مُذْ تَمَّ نَبْتُ عِذَارِهِ فَأَجَبْتُ مَا خَطَرَ السُّلُوْ بِخَاطِرِي

2 - لَوْلَا اخْضِرَارُ النَّبْتِ مَا زَهَتْ الرَّبْيَى⁽⁴⁾ وَالنَّوْرُ مَا زَهَتْ الْغُصُونُ لِنَاطِرِ

ومنها يقول:

3 - وَمُعْقَرَبِ الصُّدُغَيْنِ⁽⁵⁾ تَعَطُّفُهُ الصَّبَا مِنْ لَيْنِهِ عَطْفَ الْقَضِيبِ النَّاضِرِ

التخريج:

[51] ابن الشعار، قلائد الجمان، 216/10.

ضوء على الشعر:

(1) يونس بن أبي الغنائم بن أبي بكر بن أبي الغنائم بن أبي بكر بن محمد، أبو الفتح المقرئ البغدادي، روى عن جماعة من الشعراء المتأخرين مقطعات من منظوماتهم ومنهم ابن الكتاني، استكثر من قول الأشعار ينظمها طبقاً من غير أن يشتغل بشيء من علم العربية، أقام بحلب مدة طويلة إلى أن توفي بها سنة (643هـ)، ينظر ترجمته في: ابن الشعار، قلائد الجمان، 329/10، الصقدي، الوافي بالوفيات، 399/29-400.

(2) الملك الظاهر: من ملوك الدولة الأيوبية، أبو الفتح وأبو منصور غياث الدين غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، الملقب بالملك الظاهر صاحب حلب، كان ملكاً عظيماً مهيباً حازماً متيقظاً، كثير الاطلاع على أخبار الملوك، وأحوال رعيته، عالي الهمة، حسن التدبير والسياسة، باسط العدل، محباً للعلماء مجيزاً للشعراء، أعطاه والده مملكة حلب في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، ومدة ولايته لحلب ثلاثون سنة وتسعة أشهر، ولد سنة ثمان وستين وخمسمائة، وهي السنة الثانية من استقلال أبيه بمملكة الديار المصرية، وتوفي بقلعة حلب، ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة وستمائة، ودفن بالقلعة، ينظر ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 6/4، العيني، عقد الجمان، 297/3، ابن العماد، شذرات الذهب، 55/5.

(3) سَلَا: سَلَاةً وَسَلَا عَنْهُ وَسَلِيَهُ: نَسِيَهُ، أَصْلُهَا مَا يَسْلِي الْإِنْسَانَ، وَمِنْهُ: السَّلْوَانُ وَالتَّسْلِي، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سلا).

(4) الرَّبْيَى: جمع رابية وهي ما ارتفع من الأرض، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ربا).

(5) الصُّدُغُ: مَا بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ، وَيُسَمَّى أَيْضاً الشَّعْرُ الْمُتَدَلِّي عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ صَدْعًا، وَيُقَالُ: صُدُغَ مُعْقَرَبٌ أَيِ مَعْطُوفٌ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صدغ).

- 4- سَلَّتْ مَحَاجِرُهُ⁽¹⁾ عَلَيَّ خَنَاجِرًا فَوَقَعْتُ بَيْنَ مَحَاجِرٍ وَخَنَاجِرٍ
- 5- اللَّهُ أَيَّامٌ مَضَتْ لِي بِالْحِمَى قَضَيْتُهَا مَعَ فِتْيَةٍ وَجَانِرٍ
- 6- وَالشَّمْسُ تَجْلُوهَا الْكُؤُوسُ وَحَوْلَهَا حَقُّ⁽²⁾ الضَّفَادِعِ فِي زُجَاجِ دَائِرٍ
- 7- رَقَّتْ كَرْفَةٌ خَاطِرِي لَمَّا أَنْبَرَى بِالْمَدْحِ فِي الْمَلِكِ الْغِيَاثِ الظَّاهِرِ

ومنها قوله:

(الكامل)

- 8- وَيَرْفَعُ النَّيْرَانُ فِي غَسَقِ الدُّجَى⁽³⁾ يَهْدِي الرُّكَّابَ إِلَى نَدَاهُ الْفَاخِرِ
- 9- فَكَانَتْهَا فَوْقَ الْجِبَالِ مَطَارِفُ⁽⁴⁾ حُمْرُ الذَّوَابِ⁽⁵⁾ أَوْ رِنَاتُ⁽⁶⁾ أَبَاعِرِ⁽⁷⁾

[52] وقال في رجلين كل منهما يلقب بالضيء أحدهما ضرير والآخر أعرج:

(المتقارب)

- 1- ضِيَاءَانِ مِنْ غَسَقٍ كُونَا بِسُومِهِمَا ذُو النَّهْيِ يَخْسِرُ
- 2- ضَرِيرٌ يَقُولُ رَأَيْتُ السُّهَا وَأَعْرَجٌ يُعْجِبُ مَا يَذْكُرُ
- 3- يَقُولُ لَحَقْتُ بِرَجُلِي الْغَزَالِ وَمَا فَاتَنِي الْبَارِقُ الْمُطْرُ
- 4- وَيَزْعَمُ أَنْ صَفَعَتْ كَفُّهُ ضَرِيرًا فَقِي وَقْتَهُ يُبْصِرُ

التخريج:

[52] ابن السَّعَّار، قلائد الجمان، 237-236/10.

ضوء على الشعر:

- (1) محاجر: ما حول العينين، وهو ما دار بالعين من العظم الذي في أسفل الجفن، وغار العين المستدير حولها يقال له: المَحَجَر، ويقال في جمعه: محاجر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجر).
- (2) حَقُّ: حدق به الشيء وأحدق: استدار، وكل شيء استدار بشيء وأحاط به، فقد أحدق به، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حدق).
- (3) غَسَقُ الدُّجَى: ظلمة الليل، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (غسق).
- (4) مطارف جمع مطرف: وهو رداء من خزّ مربع ذو أعلام، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (طرف).
- (5) الذَّوَابِ: جمع ذُوَابَة، والذَّوَابَةُ مَنِيْبُ النَّاصِيَةِ من الرأس، وهي الشعرُ المَصْفُورُ من شعرِ الرأس؛ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ذأب).
- (6) رِنَات: جمع رئة والرئة، كعدة: موضع النفس والريح من الإنسان وغيره، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (رأى).
- (7) أَبَاعِر: جمع بعير، والبَعِيرُ: الجمل البازل، والجمع أَبْعَرَةٌ في الجمع الأقل، وأباعرُ وأباعرُ وبُعْرانُ وبُعْرانُ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (بعر).

[53] وقوله فيما كتبه إلى الملك العزيز عماد الدين عثمان بن يوسف بمصر، وكان يحب أن يستزيد من رقاعه⁽¹⁾ وكان يطول به رغبة فيه ليستخدمه: (الخفيف)

- 1- كَمْ أَنَاجِيكَ فِي الرَّقَّاعِ وَفِكْرِي فِي مَعَالِيكَ يَنْظُمُ الْأَشْعَارَا
- 2- وَأَغَالِي مِنَ الْمَحَبَّةِ فِي الْمَدَحِ لَعَلِّي أَهْزُ مِنْكَ الثَّمَارَا

[54] وقال يمدح هلدرا⁽²⁾ ببلد مصر، وَيُغَزَّلُ بِأَيَّازِ الرُّومِيِّ⁽³⁾، وقد مرَّت عينه على يافا: (مجزوء الكامل)

- 1- يَا خُوطَ بَانَ مَاسَ سُكْرَا وَرَخِيمَ دَلَّ تَاهَ كِبْرَا
- 2- وَبَدِيعَ لَفْظٍ صَيَغَ بَالْتَا تَنْقِيحَ يَاقُوتَا وَدُرَا
- 3- مَا ضَرَّ طَيْفَكَ لَوْ يَجُودُ دُ بِلْيَالَةٍ فِي الدَّهْرِ أُخْرَى
- 4- حَتَّى أَبُتَّ إِلَيْهِ مَا لَاقَيْتُ مِنْكَ قَلْبِي وَهَجَرَا
- 5- فَلَقَدْ أَضْرَبَ بِي الْهَوَى لَوْ كُنْتَ تَنْظُرُ فِي أَجْرَا
- 6- أَرْسَلْتَ فَوْقَ عِذَارِكَ الْـ مُخْضَرَّ مِنْ صُدُغَيْكَ سِتْرَا

التخريج:

[53] ابن الشعار، قلائد الجمان، 239/10.

[54] نفسه، 239/10-240.

ضوء على الشعر:

(1) الرقعة: واحدة الرقاع التي تكتب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (رقع).

(2) هلدرا: لم أعثر على ترجمة له.

(3) أيَّاز الرومي: هو الأمير الكبير، فخر الدين النجمي، المعروف بالمقري، وإياز: اسم فارسي معناه المحبوب والمعشوق، وهو أحد حُجَّاب الملك الظاهر، وممن كان يعتمد عليه في المهمات، وثيق به، ولما تملك الملك المنصور جعله أميراً حاجباً، وأعطاه خبزاً كثيراً، وزادت منزلته عنده، وكان يَنْدِيهِ للمهمات لعلمه بدرايته ونهضته، حجَّ من الشام سنة ست وثمانين وخمسائة، وورد إلى مصر فتوفي بها في ربيع الأول وقد نيف على الستين، ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، 298/51، المصري، حسين مجيب، المعجم الفارسي العربي الجامع، 42.

- 7 - كَتَبَ الْبَيْفَسَجُ حَوْلَهُ بِالْعَنْبَرِ الشَّحْرِيِّ⁽¹⁾ سَطْرًا
- 8 - مَا الدُّرُّ نُضْدٌ فِي نُحُو رِ الحُورِ أَحْسَنُ مِنْكَ تَغْرًا
- 9 - قَدْ كُنْتَ شَمْسًا قَبْلَ أَنْ أَهْوَى هَوَاكَ فَصِرْتَ بَدْرًا
- 10 - تَفَّاحُ خَدِّكَ نُقْلٌ⁽²⁾ مِنْ يَمْتَاحٍ⁽³⁾ مِنْ شَفَتَيْكَ خَمْرًا
- 11 - يَا قَاتِلِي بِشَبَا⁽⁴⁾ الْجَفْوِ نِ إِلَى مَتَى بِجَفَاكَ تُغْرَى⁽⁵⁾
- 12 - أَسْلَبْتَنِي سِنَّةَ الْكَرَى وَبَدَأْتَ لِي فِي صِلٍ⁽⁶⁾ تَقْرًا
- 13 - وَسَحَرْتَنِي بِأَيَا⁽⁷⁾ الصَّبَا حِ وَكُنْتُ أَنْفُثُ مِنْكَ سِحْرًا
- 14 - تَهْتَزُّ مِنْ مَرِّ النَّسِيهِ مِ فَمَنْ تُرَى سَمَاكَ صَخْرًا
- 15 - حَتَّى أَقْبَلَهُ لِيَصِدَّ قِ مَقَالِهِ خَمْسًا وَعَشْرًا
- 16 - لَمَّا تَمَكَّنْتَ الْمَحَبَّ بَاءُ صِرْتُ كَالْمَصْفُودِ أَسْرًا
- 17 - أَسْلَمْتَنِي لِلنَّائِبَا تِ تَحْدُنِي بَطْنًا وَظَهْرًا
- 18 - لَوْلَا انْبِعَاثُ الْفِكْرِ فِي مَدْحِي لِمَوْلَانَا هَلْدَرًا

ضوء على الشعر:

- (1) الشَّحْرِي: بكسر الشين المعجمة، وسكون الحاء، وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى " شحر عُمان " والشحر: ناحية بين عدن وعُمان على ساحل البحر، ينسب إليها العنبر الشحري، والعنبر الشحري يضرب به المثل في الجودة، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 27/3، السمعاني، الأنساب، 407/3.
- (2) النُّقْل، بالضم، ما يُنْقَلُ به على الشراب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نقل).
- (3) يَمْتَاحُ: يستقي، ويقال: امتاح من المهواة أي استقى، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ميج).
- (4) شَبَا: شَبَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ: حَدُّ طَرَفِهِ، وَقِيلَ حَدُّهُ، وَحَدُّ كُلِّ شَيْءٍ شَبَاتُهُ، وَالْجَمْعُ شَبَوَاتٌ وَشَبَاً، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (شبا).
- (5) تُغْرَى: غَرِيَ بِالشَّيْءِ يَغْرَى غَرًا وَغَرَاءً: أُولِعَ بِهِ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (غرا).
- (6) فِي صِلٍ: يَرِيدُ الْقِرَاءَةَ بِصَوْتٍ عَالٍ وَمُضَاعَفٍ، وَالصِّلُ: مَنْ صَلَّ يَصِلُ صَلِيلًا، يُقَالُ: كَانَ صَوْتُ الصَّنَجِ فِي مُصْلَصِلِهِ، وَصَلَّ اللَّجَامُ: امْتَدَّ صَوْتُهُ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صلل).
- (7) أَيَا الصَّبَا: نوره، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أيا).

[55] وقال يطلب مداداً (1) من زين الدين بهروز (2)، وكان دزداراً (3) بقلعة بالوية (4):

(البسيط)

- 1 - أَرُومٌ (5) نَفْسٌ (6) دَوَاتِي مِنْ سَحَائِكَ السِّدِّ سَوْدُ اللَّيِّ حَجَبْتُ مِنْ جَوْفِهَا الْقَمَرَا
 - 2 - وَغَرَّقْتُ بِنَدَاهَا كُلَّ شَامِخَةٍ حَتَّى شَكَرْتُ عَلَى حَالَاتِهِ الْمَطَرَا
- [56] وقال وقد نفذ إلى العضد أبي الفوارس مرهف بن أسامة بن منقذ رقعة وجاء إلى بابه بها فردّه:

(المنسرح)

- 1 - جِئْتُ إِلَى بَابِكَ الْكَرِيمِ وَقَدْ نَقَّخْتُ فِكْرِي فِي مَذْحِكُمْ دُرَرَا
- 2 - كَأَنَّهَا رَوْضَةٌ وَقَدْ نَثَرَ الـ غَيْمُ عَلَيْهَا مِنَ النَّدى مَطَرَا
- 3 - تَضَوُّعٌ مِنْ رِيَّهَا إِذَا اضْطَرَبَتْ مِسْكَاً فَتَيْقَا وَعَنْبَرَا عَطَرَا
- 4 - رَصَّعْتُهَا فِي ابْنِ مُنْقِذِ الْعَضْدِ الـ عَالِمِ عَلَيَّ أَقْضِي بِهَا وَطَرَا

التخريج:

[55] ابن الشعار، قلائد الجمان، 239/10.

[56] نفسه، 240/10 - 241.

ضوء على الشعر:

- (1) المِذَاذُ: بالكسر: (النَّفْسُ)، بكسر النون وسكون القاف وسين مهملة، وهو الحبر الذي يُكْتَبُ به، وسُمِّيَ المِذَاذُ مِذَاذًا لِإِمْدَادِهِ الْكَاتِبَ، من قولهم أَمَدَدْتُ الْجَيْشَ بِمَدَدٍ، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 157/9.
- (2) زين الدين بهروز: لم تعثر الباحثة على ترجمة له فيما بين يديها من مصادر ومراجع.
- (3) دَزْدَارٌ: وهو لفظ أعجمي معناه حافظ القلعة، وهو الوالي، مكون من لفظين: دزه: بالعجمي القلعة، ودار: بمعنى الحافظ، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 142/7.
- (4) بالوية: جَدُّ والنسبة إليه بالوي، والبالوي: بفتح الباء المنقوطة بواحدة واللام بعد الألف وفي آخرها ياء منقوطة باثنتين من تحتها، هذه النسبة إلى بالويه وهو اسم لبعض أجداد المحدثين، والمشهور بهذه النسبة أبو الحسين عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن بالويه البالوي الحيري من أهل نيسابور، ينظر: السمعاني، الأنساب 270/1، الشيباني الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، 116/1.
- (5) أروم: من رام الشيء يرومه رومًا ومرامًا: طلبه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (روم).
- (6) النَّفْسُ: بالكسر، الحبر الذي يكتب به، وقيل: النَّفْسُ المِداد، والجمع أَنْفَاسٌ وَأَنْفَسٌ؛ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نفس).

- 5- وَقُلْتُ بِكَرٍّ مِنَ الْكَوَاعِبِ كَالشَّ - شَمْسٍ رَوْدٌ⁽¹⁾ أَنْكَحَتْهَا قَمَرًا
- 6- فَصَدَّهَا عَنْ هَوَاهُ أَسْوَدُهُ⁽²⁾ وَمَا دَرَى أَنْنِي أَبُو الشَّعْرَا
- 7- أَقَابِلُ الْجُودَ بِالْمَدِيحِ وَمَا زِلْتُ بِهِذَا أَعْمِلُ الْأَمْرَا

[57] وقال بالموصل وقد أخذه نسا⁽³⁾ في رجله اليسرى: (السريع)

- 1- يَا بَلْدَةَ الْمُوصِلِ أَوْرَثْتَنِي مَقَاصِلًا فِي رِجْلِي الْيُسْرَى
- 2- إِنْ لَمْ أَعْجَلْ لَانْصِرَافِي إِلَى⁽⁴⁾ بَغْدَادَ آيَسْتُ⁽⁵⁾ مِنَ الْأُخْرَى

[58] وقال في الوزير صفى الدين عبد الله بن علي بن شكر يطلب منه دستوراً لعله يمضي يقضي من أهله وطراً:

(المقارب)

- 1- دَعَانِي الْمَسِيرُ وَأَنْ السَّفَرُ فَجَدُّ لِي بِجُودِكَ مِمَّا حَضَرَ
- 2- مِنَ الصَّافِنَاتِ الْجِيَادِ⁽⁶⁾ الَّتِي طَوَّاهَا الطَّرَادُ⁽⁷⁾ بِجَيْشٍ مَجْرٍ⁽⁸⁾

التخريج:

[57] ابن الشعار، فلائد الجمان، 238/10.

[58] نفسه، 237/10.

ضوء على الشعر:

(1) وردت في الأصل (رود) وبها لا يستقيم الوزن والصحيح (رؤود) بالهمز، ورؤود: طوافة في بيوت جاراتها، وقيل: الفتاة الناعمة، والرؤدة: الشابة الناعمة الحسنة السريعة الشباب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (رود)، الزبيدي، تاج العروس، 79/8.

(2) أسودته: يريد قلبه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سود).

(3) نسا: النساء، عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمرّ بالعرقوب حتى يبلغ الحافر، فإذا سمتت الدابة انفلقت فحذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النساء بينهما واستبان، والأفصح أن يقال له النساء، لا عرق النساء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نسا).

(4) وردت في الأصل (غلى) والصحيح ما أثبتته الباحثة؛ لأنّ المعنى يقتضي ذلك.

(5) آيسْتُ منه: آيسُ يأساً: لغة في يئسْتُ منه أيأسُ يأساً، ومصدرهما واحد، أي انقطع الرجاء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أيس).

(6) الصَّافِنَاتِ الْجِيَادِ: يقصد الخيل، وفي التنزيل العزيز: قَالَ تَمَّالَى: ﴿ Z Y X W V ﴾ [ص، 31، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صفن)، ابن كثير، تفسير ابن كثير، 34/4.

(7) الطَّرَادُ: الرمح القصير؛ لأن صاحبه يُطارِدُ به، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (طرد).

(8) جَيْشٌ مَجْرٌ: المَجْرُ، بالتسكين: الجيش العظيم المجتمع، وقيل: للجيش العظيم مَجْرٌ لِثَقَلِهِ وَضَخَمِهِ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (مجر).

- 3- مُعوّدةٍ لِحِيَاضِ الْمُنُونِ وَطَنَ الذُّبَابِ وَرَنَ الْوَوْتَرِ
 4- أَيَا مَلِكًا بِسَمَاحِ الْيَدَيْنِ لِأَعْلَامِ جُودِ نَدَاهُ نَشْرَ
 5- فَأَنْتَ الزَّمَانُ إِذَا مَا سَطَا وَأَنْتَ الصَّبَاحُ إِذَا مَا ظَهَرَ
 6- وَكَفُّكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِينَ تَمُدُّ الْجِيَادَ وَتُعْطِي الْبِدْرَ⁽¹⁾
 7- فَمِنْكَ الْعَطَاءُ وَمِنَّا الثَّنَاءُ فَسِيرَهُ بِالْمَعَانِي سِيرَ

* قافية الزّاي :

[59] وقال في غلام اسمه غازي⁽²⁾ معذر⁽³⁾:
 (الخفيف)

- 1- قَالَ قَوْمٌ عَلَى سَبِيلِ التَّهَازِي شَعَرَاتٌ بَدَتْ بَعَارِضِ غَازِي
 2- قُلْتُ قَوْلَ الْمُحِبِّ حِينَ بَدَا الرَّيُّ حَانَ مَا حُلَّةٌ بَغِيرِ طِرَازِ⁽⁴⁾

* قافية السين :

[60] وقال أيضاً من قصيدة يمدح بها الملك الصّالح ناصر الدّين محمود بن محمّد بن داود،
 أولّها:
 (السريع)

- 1- قُمْ فَاسْقِنِي يَا طَلْعَةَ الشَّمْسِ سُلَاقَةً تَحْيَا بِهَا نَفْسِي
 2- مَعَ قَيْتَةٍ تُطْرِبُ إِنْ رَجَعْتُ صَوْتًا بِعُودٍ طَيِّبِ الْحِسِّ
 3- كَالشَّمْسِ إِلَّا أَنَّهَا وَالَّذِي صَوَّرَهَا أَبْهَى مِنَ الشَّمْسِ

التخريج:

[59] ابن الشعّار، قلائد الجمان، 239/10.

[60] نفسه، 242/10-243.

ضوء على الشعر:

- (1) البدر: والبدر: جلد السخلّة إذا فطم، والجمع بُدورٌ وبدرٌ، والبدر: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف، سميت ببدر السخلّة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (بدر).
 (2) غازي: لم تعثر الباحثة على ترجمة له فيما بين يديها من مصادر ومراجع.
 (3) معذر: يقصد شعره النّابت في موضع العذار، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عذر).
 (4) طراز: ما ينسج من الثياب للسلطان، وقيل: الطراز معروف هو الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجياد، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (طرز).

- 4- تُرَنِّجُ (1) الصَّمَّ بِتَهْزِجِهَا (2) وَتَنْشُرُ الْمَوْتَى مِنَ الرَّمْسِ (3)
- 5- وَتَنْطِقُ الْخُرْسَ وَمِنْ قَبْلِهَا مَا نَطَقَتْ أَلْسِنَةُ الْخُرْسِ
- 6- حَمْرَاءَ كَالْيَافُوتِ لَا مُزَّةَ (4) تَمْنَعُ أَوْ صَفْرَاءَ كَالْوَرْسِ (5)
- 7- تُجَلَّى (6) عَلَى شُرَابِهَا مِثْلَ مَا تُجَلَّى الْعَذَارَى لَيْلَةَ الْعُرْسِ
- 8- لَوْ بُزِلَتْ (7) بِالكَرْخِ (8) مِنْ دَنْهَا لَفَاحَ رِيَّاهَا (9) إِلَى الْقُدْسِ
- 9- قَدْ نَظَمَ الرَّأْوُوقُ فِي جِيدِهَا فَلَانِدًا جَلَّتْ عَنِ اللَّمَسِ
- 10- يَحَارُ فِكْرُ الْمَرْءِ فِيهَا فَمَا تُدْرِكُ بِالْعَقْلِ وَلَا الْحِسِّ أَشْجَعَ مِنْ عَنْتَرَةِ الْعَبْسِيِّ
- 11- تُصَيِّرُ الْفَسْلَ (10) إِذَا عَبَّهَا (11)

ضوء على الشعر:

- (1) تُرَنِّجُ: رَنَجَ الرجلُ وغيره وَتَرَنَجَ: تمايل من السُّكْرِ وغيره، وَتَرَنَجَ إِذَا مال واستدار، وترنحت: تنثنت وتمايلت، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (رنج).
- (2) الْهَزَجُ: صوتٌ مُطْرَبٌ، وقيل: صوت فيه بَحَجٌ، وقيل: صوت دقيق مع ارتفاع، والهِزَجُ: من الأغاني وفيه تَرَنُّمٌ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (هزج).
- (3) الرَّمْسُ: الصوت الخفي، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (رمس).
- (4) الْمُرَّةُ وَالْمُرَّةُ وَالْمُرَّاءُ: الخمر اللذيذة الطعم، سميت بذلك للذعها للسان، وقيل: اللذيذة المقطع، وقيل: المُرَّةُ وَالْمُرَّاءُ الخمر التي تلذع اللسان وليست بالحامضة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (مزز).
- (5) الْوَرْسُ: نبات أصفر اللون ليس ببريٍّ، يُزْرَعُ سَنَةً فَيَبْقَى، وقيل: الْوَرْسُ صَيْغٌ، وقيل: الْوَرْسُ نَبَتٌ أَصْفَرٌ يكون باليمن تتخذ منه الغُمرة للوجه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ورس).
- (6) تُجَلَّى: جَلَا الْأَمْرَ وَجَلَّاهُ وَجَلَّى عَنْهُ كَشَفَهُ وَأَظْهَرَهُ، وقيل: جُلِّيتِ الْعُرُوسُ عَلَى زَوْجِهَا وَاجْتَلَّاهَا زَوْجُهَا أَيِ نَظَرَ إِلَيْهَا، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (جلا).
- (7) بُزِلَتْ: بَزَلَ الشَّيْءُ، شَقَهُ وَفَتَحَهُ، وَبَزَلَ الْخَمْرَ وَغَيْرَهَا بَزْلًا وَابْتَزَلَهَا وَتَبَزَّلَهَا: ثَقَبَ إِنْاءَهَا، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (بزل).
- (8) الْكَرْخُ: مدينة صغيرة عامرة بشرقي دجلة، ومعروف الكرخي الزاهد من هذا الموضع، ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، 490.
- (9) (رِيَّاهَا): الرِّيَّا: الرِّيحُ الطيبة، ورِيًّا: كل شيء طيبٌ رائحته، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (روي).
- (10) الْفَسْلُ: الرُّذْلُ النَّذْلُ الذي لا مَرْوَةَ لَهُ وَلَا جِلْدَ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (فسل).
- (11) الْعَبُّ: شَرِبُ الْمَاءِ مِنْ غَيْرِ مَصٍّ، وقيل: أَنْ يَشْرَبَ الْمَاءَ وَلَا يَنْتَفَسُ، وقيل: الشُّرْبُ بِلَا تَنْفَسٍ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عب).

- 12 - أَغْوَزَنِي مِنْهَا صُرَاحِيَّةٌ⁽¹⁾ فِي لَيْلَةٍ حَالِكَةِ اللَّبْسِ
- 13 - فَصَارَ يَهْدِينِي سَنَاها إِلَى
- 14 - فَجَنَّتْهَا لَمْ أَرْ فِيهَا سِوَى
- 15 - وَوَاحِدٍ يَدْرُسُ إِنْجِيلَهُ
- 16 - وَيَبِينُهُمْ مَشْمُولَةٌ عَتَقَتْ
- 17 - عَتَقَهَا الْقَسُّ فَلَمْ يَجْلُهَا⁽⁴⁾
- 18 - لَمَّا رَأَوْنِي وَتَبُّوا خِيفَةً
- 19 - قَالُوا: سَنَى ذَلِكَ أَمْ نَشَرُهَا⁽⁵⁾
- 20 - فَقُلْتُ: عَيْنٌ شَرَدَتْ مِنْ يَدِي
- 21 - عَنَسَاءُ كَالْبِرْسِ فَهَلْ فِيكُمْ
- 22 - وَلَمْ أَزَلْ أَخْدَعُهُمْ حَيَاةً
- فِي لَيْلَةٍ حَالِكَةِ اللَّبْسِ
- قَلَايَةِ⁽²⁾ فِي الدَّيْرِ كَالْحَبْسِ
- أَرْبَعَةَ بِالْحَزْرِ⁽³⁾ أَوْ خَمْسِ
- وَوَاحِدٍ خَالَ مِنَ الدَّرْسِ
- مِنْ عَهْدٍ كَسَرَى مَلِكِ الْفُرْسِ
- مِنْ شُحِّهِ إِلَّا عَلَى قَسٍّ
- وَالْجِنْسُ لَا يَهْوَى سِوَى الْجِنْسِ
- هَذَاكَ يَا ابْنَ السَّادَةِ الْحُمْسِ⁽⁶⁾
- فَجَنَّتْ أَفْقُو أَثَرَ الْعَنَسِ⁽⁷⁾
- مِنْ شَامٍ لِي عَنَسَاءُ كَالْبِرْسِ⁽⁸⁾
- أَخْشَى عَلَى الْفَخِّ مِنَ الْفَقْسِ⁽⁹⁾

ضوء على الشعر:

- (1) صُرَاحِيَّةٌ: خَمْرٌ صُرَاحٌ وَصُرَاحِيَّةٌ خَالِصَةٌ، وَالصُّرَاحِيَّةُ أُنْيَةٌ لِلْخَمْرِ، وَالصَّرَحُ بِالْتَحْرِيكِ الْأَبْيَضُ الْخَالِصُ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (صَرَحَ).
- (2) قَلَايَةِ: الصَّوْمَعَةُ الَّتِي يَنْفَرِدُ فِيهَا الرَّاهِبُ، وَهِيَ مِنْ بَيُوتِ عِبَادَاتِ النَّصَارَى (مَسْكَنُ الْأَسْقَفِ)، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (قَلَا).
- (3) الْحَزْرُ: حَزْرُكَ عَدَدَ الشَّيْءِ بِالْحَدْسِ، حَزَرَ الشَّيْءَ يَحْزِرُهُ وَيَحْزِرُهُ حَزْرًا: قَدَّرَهُ بِالْحَدْسِ، تَقُولُ: أَنَا أَحْزَرُ هَذَا الطَّعَامَ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (حَزَرَ).
- (4) يَجْلُهَا: أَيُّ يُظْهِرُهَا، وَجَلَّ الْأَمْرَ وَجَلَّاهُ وَجَلَّى عَنْهُ كَشَفَهُ وَأَظْهَرَهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْلِي السَّاعَةَ أَيُّ يُظْهِرُهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُجْلِيهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ﴾ الْأَعْرَافُ، 187، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (جَلَا).
- (5) النَّشْرُ: الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (نَشَرَ).
- (6) الْحُمْسُ: مَفْرُودُهَا الْأَحْمَسُ: وَهُوَ الْوَرَعُ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَشَدَّدُ فِي دِينِهِ، وَقِيلَ: الشَّدِيدُ الصُّلْبُ فِي الدِّينِ وَالْقِتَالِ، وَقِيلَ الْحُمْسُ: قَرِيشٌ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (حَمَسَ).
- (7) الْعَنَسُ: النَّاقَةُ الْقَوِيَّةُ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (عَنَسَ).
- (8) الْبِرْسُ وَالْبُرْسُ: الْقُطْنُ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (بَرَسَ).
- (9) فَقْسٌ: يَقَالُ: فَقَسَهُ الْفَخُّ، وَفَقَسَ الشَّيْءَ يَقْفِسُهُ فَقَسًا: أَخَذَهُ أَخْذَ انْتِزَاعٍ وَغَضَبٌ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (فَقَسَ).

- 23 - وَصِرْتُ أَحْكِي لَهُمْ مَا جَرَى عَلَى بَنِي الْأَصْفَرِ فِي الْمَقْسِ⁽¹⁾
- 24 - وَقَتْلَةُ الْغُبْسِ بِأَسْيَافٍ مَنْ لَمْ يَبْقَ فِي مِصْرَ عَلَى الْغُبْسِ⁽²⁾
- 25 - وَكَانَ قَصْدِي شُرْبَ فَقْصِيَّةٍ لَيْسَتْ مِنَ التَّمْرِ وَلَا الدَّبْسِ
- 26 - مَا يَقْلَعُ الْقَلَاعُ مَعَ حَذْقِهِ لَطْعَمَهَا الطَّيِّبِ مِنْ ضِرْسِي
- 27 - اللَّهُ أَيَّامٌ مَضَتْ طَيِّبَةً قَضَيْتُهَا بِالشُّرْبِ فِي الْغَرَسِ⁽³⁾
- 28 - مَعَ فِتْيَةٍ سَادُوا عَلَى كُلِّ مَنْ يَكْتُبُ بِالزَّنْجَارِ⁽⁴⁾ وَالنَّقْسِ
- 29 - إِنَّ خَطَرْتَ بِالطَّرْسِ أَقْلَامَهُمْ تَوَاتَبَ الْجَيْشُ مِنَ الطَّرْسِ⁽⁵⁾
- 30 - بَسِّي مِنَ الصَّوْمِ فَقَدْ هَاضَنِي صَيَامُهُ يَا سَيِّدِي بَسِّي⁽⁷⁾
- 31 - فَاشْرَبْ وَمِلْ نَحْوَ فَتَى وَدُهُ قَدْ شَيْدَ بِالْقَرْمِيدِ وَالْكَلسِ⁽⁸⁾

ضوء على الشعر:

(1) المقس: بالفتح ثم السكون وسين مهملة: الجوب والخرق، ومقس في الأرض مقساً: ذهب فيها، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 513/16 والمقس: قديم، وكان في الجاهلية قرية تعرف بأَمَ دنين، وهي الآن محلة بظاهر القاهرة في برّ الخليج الغربي، وكان عند وضع القاهرة هو ساحل النيل، وإنما سميت المقس؛ لأن العشار وهو المكاس كان فيها يستخرج الأموال، فقل له المكس، ثم قيل المقس، يقال: مقسته في الماء مقساً إذا غططته فيه، والمقس كان في القديم يقعد عندها العامل على المكس فقلب وسمي المقس، وكان فيه حصن ومدينة قبل بناء الفسطاط وحاصرها عمرو بن العاص، وقاتله أهلها قتالاً شديداً حتى افتتحها، وربما يقصد الشاعر هنا قلعة المقس، حيث قيل: إن قلعة المقس كانت برجاً مطلاً على النيل في شرقي جامع المقس ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 175/5، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 53/4.

(2) الغُبْس: الغُبْسَةُ بِالضَّمِّ الظُّلْمَةُ كَالْغُبْسِ أَوْ هُمَا بَيَاضٌ فِيهِ كُدْرَةٌ وَهُوَ لَوْنُ الرَّمَادِ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (غبس).

(3) الغرس: غرس الشجر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (غرس).

(4) الزَّنْجَارُ: بالكسر يعني به صدى النحاس، وقيل: هو المتولد في معادن النحاس، وهو مُعَرَّبُ زَنْكَارٍ، بِالْفَتْحِ، وَغَيْرُ إِلَى الْكَسْرِ حَالُ التَّعْرِيبِ وَفِي كُتُبِ الطَّبِّ: زَنْجَارُ الْحَدِيدِ: هُوَ زَعْفَرَانُ الْحَدِيدِ وَالِدُودُ وَهُوَ مَاءُ الْحَدِيدِ، ينظر: ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، 265/2، الزبيدي، تاج العروس، 457/11.

(5) الطَّرْسُ: الصَّحِيفَةُ، وَيُقَالُ: الْكِتَابُ الَّذِي مُحِيْ ثُمَّ كُتِبَ، وَالْجَمْعُ أَطْرَاسٌ وَطُرُوسٌ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (طرس).

(6) هَاضَنِي: كَسَرَنِي، وَهَاضَ الشَّيْءُ هَيْضًا: كَسَرَهُ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (هيض).

(7) بَسِّي: يَرِيدُ حَسْبِي.

(8) الْكَلسُ: مِثْلُ الصَّارُوجِ يُبْنَى بِهِ، وَقِيلَ: الْكَلسُ الصَّارُوجُ، وَقِيلَ: الْكَلسُ مَا طُلِيَ بِهِ حَائِطٌ أَوْ بَاطِنُ قَصْرِ، شِبْهُ الْجِصِّ مِنْ غَيْرِ أَجْرٍ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (كلس).

[61] وقال أيضاً في الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن داود يمدحه من قصيدة

أولها: (الخفيف)

- 1- اسقِ بَدْرَ الدُّجَى مِنَ الشَّمْسِ كَاسَا وَاخْتَلَسْ غَفْلَةَ الزَّمَانِ اخْتِلَاسَا
- 2- مَعَ فِتَاةٍ مِثْلِ الْقَضِيبِ إِذَا مَا لَ سُحَيْرًا مِنَ النَّسِيمِ وَمَاسَا
- 3- كُلَّمَا غَاظَلْتُكَ أَجْفَانُهَا الْمَرْ ضَى مِنَ الْغُنْجِ⁽¹⁾ خِلْتَ فِيهَا نَعَاسَا
- 4- شَابَتِ الْكَأْسُ مِنْ رُضَابِ ثَنِيَا هَا فَزَادَتْ مِنَ الرُّضَابِ شِمَاسَا⁽²⁾
- 5- أَسْقَيْنِيهَا سُلَافَةً عَقَدَ الْمَرْ جُ مِنَ الْحَبِّ حَوْلَهَا بَرَجَاسَا⁽³⁾
- 6- بِنْتَ كَرَمٍ كَانَتْ وَمَا خَلَقَ اللَّ هُ شُهُورًا مِنْ قَبْلُهَا وَأَنَاسَا
- 7- عَصَرَتْهَا يَدُ الزَّمَانِ فَمَا تَع رِفَ قَسَّاسًا وَلَا رَأَتْ شَمَاسَا
- 8- قَهْوَةٌ عُنُقَتْ بِقُطْرُبُلٍ⁽⁴⁾ الزَّو رَاءِ تَنْفِي الْهُمُومِ وَالْوَسْوَاسَا
- 9- رَقَصَتْ فِي يَدِ الْمُدِيرِ وَقَدْ قَال لَدَهَا الْمَزْجُ فِي الزُّجَاجِ قُدَاسَا⁽⁵⁾
- 10- أَلْبَسَتْهَا الْأَيَّامُ ثَوْبًا فَأَبْلَتْ حَقَبُ الدَّهْرِ وَالسَّنُونُ اللَّبَاسَا

التخريج:

[61] ابن الشعار، فلاذ الجمان، 243/10.

ضوء على الشعر:

- (1) الغُنْجُ: مَلَاةُ الْعَيْنَيْنِ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مادة (غنج).
- (2) الشِمَاسُ: الْإِمْتِنَاعُ وَالْإِبَاءُ، وَيُقَالُ: شَمَسَتْ الذَّابَّةُ وَالْفَرَسُ تَشْمَسُ شِمَاسًا، بِالْكَسْرِ: شَرَدَتْ وَجَمَحَتْ، وَمَنْعَتْ ظَهْرَهَا عَنِ الرُّكُوبِ لَشِدَّةِ شَغَبِهَا وَحِدَّتِهَا، فَهِيَ شَامِسٌ وَشَمُوسٌ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مادة (شمس).
- (3) الْبُرْجَاسُ: بِالضَّمِّ، وَالْعَامَّةُ تَكْسِرُهُ: غَرَضٌ أَوْ هَدَفٌ فِي الْهَوَاءِ عَلَى رَأْسِ رُمْحٍ وَنَحْوِهِ يُرْمَى بِهِ، وَالْبُرْجَاسُ: مُؤَلَّدٌ، وَهُوَ حَجَرٌ يُرْمَى بِهِ فِي الْبُئْرِ لِيَفْتَحَ عَيُونُهَا وَيُطَيَّبَ مَاءُهَا، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مادة (برجس)، الزبيدي، تاج العروس، 445/15.
- (4) قُطْرُبُلٌ: بِالضَّمِّ وَسُكُونِ الطَّاءِ وَضَمِّ الرَّاءِ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ الْمَضْمُومَةِ، أَوْ بِتَخْفِيفِهَا وَتَشْدِيدِ اللَّامِ، كَلِمَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ، وَهِيَ اسْمُ قَرْيَةٍ بَيْنَ بَغْدَادَ وَعُكْبَرَا يُنسَبُ إِلَيْهَا الْخَمْرُ، يَنْظُرُ: الْحَمَوِيُّ، يَاقُوت، معجم البلدان 371/4، الحميري، الروض المعطار في خير الأقطار، 465، الزبيدي، تاج العروس، 259/30.
- (5) الْقُدَاسُ، بِالضَّمِّ: شَيْءٌ يَعْمَلُ مِنَ الْفِضَّةِ كَالْجَمَانِ (الْوَلُؤُ)، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مادة (قدس).

- 11 - وَإِذَا مَا بَزَلْتَهَا ⁽¹⁾ غَسَقَ اللَّيْلُ - لِمِنْ النُّورِ خِلْتَهَا مِقْبَاسًا ⁽²⁾
- 12 - فَهِيَ كَالنَّفْسِ لَا تَكَيِّفُ إِنْ فَكَ - كَرَّتْ فِيهَا وَلَا **تَحَدُّ** قِيَاسًا
- 13 - تَتَلَّشَى مِنَ اللَّطَافَةِ فِي الْأَجْب - سَامٍ لَكِنْ تَفُوقُ عَمْرًا وَشَاسًا
- 14 - مِثْلَ مَا فَاقَ فِي الْوَرَى الْمَلِكُ الصَّا - لِحُ قَدْرًا عَلَى الْمُلُوكِ وَرَاسًا ⁽³⁾

* قافية الضاد:

[62] وقال أيضًا يمدح نظام الدين أبا سعيد البقش ⁽⁴⁾ بماردين ⁽⁵⁾:

(المقارب)

- 1 - وَمَا رَوْضَةٌ أَنْفٌ ⁽⁶⁾ كَالْعَبِيرِ - سَقَتْهَا عَيْونُ يَعَالِيلٍ ⁽⁷⁾ بِيضُ
- 2 - يُلَاعِبُهَا الطَّلُّ حَتَّى النَّسِيمِ - وَيُضْحِكُهَا لَمَعَانُ الْوَمِيضُ
- 3 - وَيُطْلِعُهَا شُهْبًا كَالنُّجُومِ - تَأَرَّجُ مَا بَيْنَ رَوْضٍ أَرِيضٍ ⁽⁸⁾

التخريج:

[62] ابن الشعار، قلائد الجمان، 244/10.

ضوء على الشعر:

- (1) بَزَلَتْهَا: بَزَلَ الشيءَ بيزله بَزْلًا وبَزْلَةً فَبَزَلَتْ: شَقَّه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (بزل).
- (2) مِقْبَاس: جمع قبس النار وقيل: هي القطعة من النار، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قبس).
- (3) رَاسَ رَوْسًا: تَبَخَّرَ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (روس).
- (4) النظام البقش: متولي ماردين فهو الذي قام بتربية حسام الدين بولق أرسلان، ابن قطب الدين إيلغازي صاحب ماردين، وكان حسام حينها طفلًا، فقام النظام البقش الذي كان مملوك والده بتربيته وتدريب مملكته، وكان البقش دينًا خيرًا عادلاً حسن السيرة سليمًا، فأحسن تربية الولد وتزوج أمه فلما كبر الولد لم يمكنه النظام من مملكته لخبث وهوج كانا فيه، وكان لنظام الدين هذا مملوك اسمه لؤلؤ قد تحكم في دولته، وحكم فيها فكان يحمل النظام على ما يفعله مع الولد، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن مات الولد، وله أخ أصغر منه لقبه قطب الدين، فبقي كذلك إلى سنة إحدى وستمئة، فمرض النظام البقش فأتاه ناصر الدين، وقيل: قطب الدين يعود له فلما خرج من عنده خرج معه لؤلؤ وضربه قطب الدين بسكين معه فقتله، ثم دخل إلى النظام وببده السكين فقتله أيضًا وخرج وحده، ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 129/10، العيني، عقد الجمان، 24/2.
- (5) ماردين: قلعة من قلاع الدنيا الشهيرة على فُتَّة جبل الجزيرة، مشرفة على دُنَيْسِر ودارا ونصيبين، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 39/5، الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، 518.
- (6) رَوْضَةٌ أَنْفٌ: بالضم أي لم يرعها أحد، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أنف).
- (7) يَعَالِيل: حَبَابُ الماء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (علل).
- (8) رَوْضٍ أَرِيضٍ: يقال: أرض أريضة بيّنة الأراضة: إذا كانت لينة طيبة المقعد كريمة جيدة النباتات، وروضة أريضة: لينة الموطىء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أرض).

- 4- أَقَامَ بِهَا الشَّرْبُ حَتَّى الصَّبَاحِ وَقَدْ رَقَّ ثَوْبُ الطَّوِيلِ الْعَرِيضِ
5- وَأَهْيَفَ ذُو فَالَجٍ كَالْقَضِيبِ بِخَدِّ أَسِيلٍ وَجَفْنٍ مَرِيضٍ
6- إِذَا أَعْوَزَ الْقَطْرُ سَقَى الشَّرَابُ تَرَاهَا عَلَى مَعْبَدٍ وَالْغَرِيضُ⁽¹⁾
7- بِأَطْيَبَ مِنْ مِدْحِي فِي النِّظَامِ وَقَدْ رَجَعَتْهَا حُدَاةُ الْقَرِيضِ⁽²⁾

* قافية الطاء :

[63] وقال أيضاً يمدح الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب - صاحب حلب المحروسة - :

- 1- تَرَى مَنْ كَسَاكَ الْحُسْنَ مِنْ بَعْدِ مَا خَطَا عِذَارِكَ لَمَّا نَدَّ بِالْنَدِّ⁽³⁾ وَاخْتَطَا
2- وَمَنْ رَاشَ مِنْ جَفْنَيْكَ لِلنَّاسِ أَسْهُمَا تَعَطُّ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ بِهِ عَطَا⁽⁴⁾
3- فَيَا لَكَ مِنْ بَدْرِ سَقَتْنِي لِنَاتِهِ بَغَيْرِ مَزَاجٍ مِنْ كُؤُوسِكَ إِسْقَنْطَا⁽⁵⁾
4- وَمَا كُحِلَتْ عَيْنَاهُ يَوْمًا بِمِرْوَدٍ⁽⁶⁾ وَلَكِنْ عُيُونُ الْعَيْنِ سَاهَمْنَهَا قِسْطَا

التخريج :

[63] ابن الشعار، فلاذ الجمان، 245-244/10.

ضوء على الشعر :

(1) الغريضة: هو كل غناء مُحَدَّثٍ طَرِيٍّ، ومنه سمي المُغَنِّي الغريضة؛ لأنه أتى بغناء مُحَدَّثٍ، والغريضة معناه الطري من كل شيء، وهو لقب أحد المغنين اسمه عبد الملك وكنيته أبو يزيد، ذكر صاحب الأغاني أنه كان يضرب باليد وينقر بالدَّفِّ، وكان أحسن الناس غناءً، وكان يغني مرتجلاً ويوقع بالقضيب، وكانت وفاته في أيام سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز لم يتجاوزها، والأشبه أنه مات في خلافة سليمان، ينظر: الأصفهاني، الأغاني 353/2، ابن منظور، لسان العرب، مادة (غرض).

(2) القريض: الشعر، والقرض: قرض الشعر، ومنه سمي القريض، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرض).

(3) الندُّ: بالفتح: هو ضَرْبٌ مِنَ الطَّيِّبِ يُدَخَّنُ بِهِ، وقيل: عود يُتَبَخَّرُ بِهِ، أو هو العَنْبَرُ، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 215/9.

(4) العَطُّ: شقُّ الثوب وغيره عَرْضًا أو طُولًا من غير بَيُّونَةٍ، وربما لم يقيد ببَيُّونَةٍ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عطط).

(5) (إِسْقَنْطَا): الإِسْقَنْطُ: الخمر بالرومية، وهي الإِسْقَنْطُ، وقيل هي أعلى الخمر وصَفْوَتُهَا، وقيل: اسم من أسمائها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (اصفط).

(6) المِرْوَدُ: بكسر الميم: الميل الذي يُكْتَحَلُ بِهِ، والميم زائدة، مِرْوَدٌ يُقَالُ لَهُ: المِكَحَلُ والمِكَحَالُ: أي أداة يكتحل بها، ينظر: ابن سيده، المخصص، 377/1، ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، 321/4.

- 5- إِذَا مَا تَقَلَّدَنَ الْحِسَانَ مَخَانِقًا مِنْ الشَّدْرِ⁽¹⁾ وَالْيَاقُوتِ مَنْظُومَةً سِمَطًا
- 6- تَبَسَّمَ عَنْ ثَغْرِ كَأَنَّ شَتِيتَهُ⁽²⁾ قَلَانِدُ دُرٍّ لَا تَعَارُ وَلَا تُعْطَى
- 7- وَعَسَكَرَ مِنْ سِحْرِ الْجُفُونِ عَسَاكِرًا هُمُ الرِّهْطُ لِلْبَلَوَى فَيَا لَهُمُ رَهْطًا
- 8- إِذَا مَا تَتَنَّى فَوْقَ دِعْصٍ يُقْلُهُ رَأَيْتَ قَضِيْبًا رَنَحْتَهُ الصَّبَا سَبْطًا⁽³⁾
- 9- أَقْرَبُّهُ حَتَّى يَحِلَّ بِمُهْجَتِي مَحَلَّ الْهَوَى مِنْ يَ فَيُوسِعُنِي شَحْطًا⁽⁴⁾
- 10- وَأَرْضَى بِمَا يَرْضَاهُ لَوْ كَانَ مُنْصِفًا وَلَكِنَّ وَاشِي الْحُسْنَ عِلْمَهُ السُّخْطًا
- 11- أَحِبُّ مِنَ الرِّيمِ الْحِجَازِيِّ مَا رَنَا إِلَيَّ مُشِيْحًا⁽⁵⁾ إِنْ تَدَانَى وَإِنْ شَطًا⁽⁶⁾
- 12- وَيُعْجِبُنِي مِنْهُ إِذَا مُدَّ جِيْدُهُ لِيَقْتَاتَ مِنْ أَغْصَانِهِ ثَمَرَ الْأَرْطَى⁽⁷⁾
- 13- أَغَارِلُ غَزَلَاتَا مِنَ الْحَلِيِّ عَطَلًا⁽⁸⁾ وَقَدْ حَكَتِ الْجَوَزَاءُ فِي الْمَغْرِبِ الْقُرْطَا
- 14- وَقَدْ أَشَامَتْ⁽⁹⁾ بِي هِمَّةٌ عَرَبِيَّةٌ عَلَى أَيْنُقٍ مِنْ عِزِّهَا قَلَّ مَا تُمَطَّى⁽¹⁰⁾

ضوء على الشعر:

- (1) الشَّدْر: قِطْعٌ مِنَ الذَّهَبِ يُلْقَطُ مِنَ الْمَعْدِنِ مِنْ غَيْرِ إِذَابَةِ الْحَجَارَةِ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مادة (شذر).
- (2) شَتِيتُهُ: ثَغْرٌ شَتِيتٌ: مُفَرَّقٌ مُفْلَجٌ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مادة (شتت).
- (3) السَّبْطُ: نَقِيضُ الْجَعْدِ، أَيْ السَّهْلُ الْمُسْتَرْسِلُ، وَالْجَمْعُ سِبَاطٌ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مادة (سبط).
- (4) الشَّحْطُ وَالشَّحْطُ: الْبُعْدُ، وَقِيلَ: الْبُعْدُ فِي كُلِّ الْحَالَاتِ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مادة (شحط).
- (5) (مُشِيْحًا): الْمُشِيْحُ: الْحَذَرُ وَالْجَادُّ فِي الْأَمْرِ، وَقِيلَ: الْمَقْبَلُ إِلَيْكَ الْمَانِعُ لِمَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مادة (شيح).
- (6) (شَطًا): أَيْ بَعْدَ، قِيلَ الشَّطَاطُ: الْبُعْدُ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مادة (شطط).
- (7) الْأَرْطَى: شَجَرٌ يَنْبُتُ بِالرَّمْلِ، وَقِيلَ: هُوَ شَبِيهِهِ بِالْغَضَا يَنْبُتُ عَصِيًّا مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ يَطُولُ قَدْرُ قَامَةٍ وَلَهُ نَوْرٌ مِثْلُ نَوْرِ الْخِلَافِ وَرَائِحَتُهُ طَيِّبَةٌ، وَاحِدَتُهُ أَرْطَاةٌ، وَجَمْعُ الْأَرْطَى أَرَاطَى، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مادة (أرط).
- (8) (عَطَلًا): عَطَلَتِ الْمَرْأَةُ تَعَطَّلَ عَطَلًا وَعَطُولًا وَتَعَطَّلَتْ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا حَلْيٌ وَلَمْ تَلْبَسِ الزَّيْنَةَ وَخَلَا جِيْدُهَا مِنَ الْقَلَانِدِ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مادة (عطل).
- (9) أَشَامَتْ: يُقَالُ: تَشَاءَمَ الرَّجُلُ إِذَا أَخَذَ نَحْوَ شِمَالِهِ، وَفِي صِفَةِ الْإِبِلِ: وَلَا يَأْتِي خَيْرُهَا إِلَّا مِنْ جَانِبِهَا الْأَشَامِ، يَعْنِي الشَّمَالَ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْيَدِ الشَّمَالِ: الشَّؤْمَى تَأْنِيثُ الْأَشَامِ، يُرِيدُ بِخَيْرِهَا لِبْنِهَا؛ لِأَنَّهَا إِنَّمَا تُحَلَّبُ وَتُرَكَّبُ مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مادة (شأم).
- (10) تُمَطَّى: مِنْ (مَطَا) وَالْمَطِيَّةُ: النَّاقَةُ الَّتِي يُرَكَّبُ مَطَاها، وَالْمَطِيَّةُ: الْبَعِيرُ يُمْتَطَّى ظَهْرُهُ، وَجَمْعُهُ الْمَطَايَا، يَقَعُ عَلَى الذِّكْرِ وَالْأُنْثَى، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مادة (مطا).

- 15 - مِنَ الْيَعْمَلَاتِ (1) الْقُودِ (2) مَا مَسَّهَا وَجَى (3) وَلَا سَمَعَ الْحَادِي لَهَا فِي السَّرَى (4) نَحَطًا (5)
- 16 - إِلَى الظَّاهِرِ الْمَلِكِ الَّذِي بَحَرَ جُودَهُ يَغُطُّ بِهِ رَاجِي جَوَاهِرِهِ غَطًّا

[64] وقال أيضاً وقد هجم الثلج بآمد، وكان قد انقطع الطريق عن الحطب فنقذ إلى الوزير ضياء الدين أبي العباس أحمد بن القاسم يطلب منه حطباً: (مجزوء الرجز)

- 1 - يَا سَيِّدًا أَصْدَقُ فِي وَغُودِهِ مِنَ الْقَطَا (6)
- 2 - وَمَنْ إِذَا اسْتَرْفَدْتُهُ جَادَ سَمَاحًا وَعَطَا
- 3 - التَّلْجُ قَدْ جَارَ عَلَى دِيَارِكُمْ وَقَدْ سَطَا
- 4 - وَعَادَ كَانُونُ كَمَا كَانَ زَمَانُنَا أَفْرَطَا
- 5 - وَكُلُّ مَنْ يَحْسَبُ ذَا الشَّهْرِ سَبَاطًا (7) غَلَطَا

التخريج :

[64] ابن الشعار، قلائد الجمان، 245/10.

ضوء على الشعر :

- (1) اليَعْمَلَاتُ: جمع يَعْمَلَة، واليَعْمَلَة من الإبل: النَجِيبَة الْمُعْتَمَلَة المطبوعة على العمل، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عمل).
- (2) القُود: جمع قُودَاء، وهي النَّاقَة الطويلة العُنُق، قيل: أفراس قُود: أي طوال الأعناق، ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 377/2.
- (3) وجى: كعصا، يريد التَّعَبَ وشدة الحفا، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (وجا)، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 483/1.
- (4) السرى: السير ليلاً، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 115/12.
- (5) (نَحَطًا): النَّحْطَة داء يُصِيبُ الخيل والإبل في صدورهما لا تكاد تسلم منه، ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 547/2، وابن منظور، لسان العرب، مادة (نحط).
- (6) القَطَا: طائرٌ معروف، سمي بذلك لِثِقَلِ مَشْيِهِ، واحدته قَطَاة، والجمع قَطَوَاتٍ وَقَطَيَاتٍ، و(صدق القطاة) يُضْرَبُ بها المثل فيقال: إنه لأَصْدَقُ من قَطَاة، وهو مثل من الأمثال المضروبة في التناهي والمبالغة؛ لأنَّ لها صَوْتًا واحدًا لا تغيره وصوتها حكاية لاسمها، ينظر: العسكري، جمهرة الأمثال، 584/1، الميداني، مجمع الأمثال، 412/1، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، 206/1، ابن منظور، لسان العرب، مادة (قطا).
- (7) سَبَاط: اسم شهر بالرومية، وهو شهر شباط المعروف، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سبط).

- 6 - فَلَا تَقُلْ إِلَى مَتَى تَجُورُ هَذَا شَطَطًا⁽¹⁾
- 7 - فَمَنْ رَأَى خُطُوتَهُ تَطُولُ فِي الْمَشْيِ خَطًا

* قافية الظاء :

[65] وكتب إلى نظام الدين⁽²⁾ : (الطويل)

- 1 - كَسَوْتُكَ مِنْ لَفْظِي مَدِيحًا مُخَلَّدًا وَلَمْ تَكْسُنِي مَعْنَى يَدُومُ وَلَا لَفْظًا
- 2 - وَصَيَّرْتَ شِعْرِي فِي ثَنَاكَ مُشْرَدًّا يَطُوفُ فَلَا شَخْتًا⁽³⁾ يَعَافُ وَلَا غِلْظًا⁽⁴⁾
- 3 - وَعَاوَضْتَنِي شَيْئًا بِشَيْءٍ وَإِنَّمَا تَفَاوَقْتُ فَاسْتَقْلَعْتُ مِنْ شَجَرِي الْمَظَّا⁽⁵⁾
- 4 - إِذَا كَانَ لَا يَخْشَى مِنَ الْوَعْظِ غَافِلٌ فَمَا يَنْفَعُ الْمَغْرُورَ أَنْ سَمِعَ الْوَعْظَا
- 5 - وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ تَلْحَظُنِي هَوَى وَقَدْ صِرْتُ لَا شَزْرًا⁽⁶⁾ تَرَانِي وَلَا لَحْظَا
- 6 - وَكَمْ قُلْتُ طِعْنِي تَسْتَفِدُّ مِنْ مَكَارِمِي فَلَمْ أَسْتَفِدْ إِلَّا مِنَ الضَّيِّعَةِ الدَّلْظَا

* قافية العين :

[66] وقوله وقد أقبل على آمد، وكان في زمن الربيع فوجد برد كانون في ذلك الأوان: (الوافر)

- 1 - أَتَيْنَا آمِدَ السَّوْدَاءِ يَوْمًا لِنَمْدَحَ صَاحِبَ الشَّرَفِ الرَّفِيعِ
- 2 - فَلَمَّا أَنْ وَصَلْنَاهَا وَجَدْنَا هَوَا كَانُونَ فِي زَمَنِ الرَّبِيعِ

التخريج :

[65] ابن الشعار، فلاذ الجمان، 245/10.

[66] نفسه، 246/10.

ضوء على الشعر :

- (1) الشَّطَطُ: مُجَاوِزَةُ الْقَدْرِ فِي بَيْعٍ أَوْ طَلَبٍ أَوْ احْتِكَامٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَقِيلَ: شَطَّ فِي سِلْعَتِهِ وَأَشْطَطَ: جَاوَزَ الْقَدْرَ وَتَبَاعَدَ عَنِ الْحَقِّ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزُ قَالَ تَمَالَى: ﴿ J I H G F E D ﴾ الْجِنِّ، 4، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مادة (شطط).
- (2) يَرِيدُ الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ نِظَامَ الدِّينِ الَّذِي مَنَحَهُ الضَّيِّعَةَ، وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ.
- (3) الشَّخْتُ: الدَّقِيقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِمَعْنَى الضَّمُورِ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مادة (شخت).
- (4) الْغِلْظُ: ضِدُّ الرِّقَّةِ فِي الْخَلْقِ وَالطَّبْعِ وَالْفِعْلِ وَالْمَنْطِقِ وَالْعَيْشِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مادة (غلظ).
- (5) الْمَظَّا: رُمَانُ الْبَرِّ أَوْ شَجَرُهُ وَهُوَ يُنَوَّرُ وَلَا يَعْقِدُ وَتَأْكُلُهُ النِّحْلُ فَيَجُودُ عَسْلُهَا عَلَيْهِ، وَقِيلَ: هُوَ الرُّمَانُ الْبَرِّي لَا يُنْتَفَعُ بِحَمْلِهِ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مادة (مظظ).
- (6) (شَزْرًا): يُقَالُ: نَظَرْتُ شَزْرًا: أَيِ فِيهِ إِعْرَاضٌ كَنَظَرِ الْمَعَادِيِّ الْمُبْغِضِ، يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ، لسان العرب، مادة (شزر).

[67] وقال في نقطة سوداء بين ثنايا ⁽¹⁾ بيض وذلك في صباه: (الطويل)

1 - وَتَغْرِ نَقِيٍّ غَيْرِ شَيْنٍ ⁽²⁾ كَأَنَّهُ لَأَلْ نَظْمَانَهَا يُفْصِلُهَا جَزَعٌ ⁽³⁾

2 - أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَيْنَ لَوْلَا سَوَادُهَا لَمَا كَانَ نُورٌ لِلْبَيَاضِ وَلَا وَقَعُ

* قافية الفاء:

[68] وقال في الملك العزيز أيضاً وقد طوّل به زماناً إلى أن قرّبه إليه وأسبغ نعمته عليه: (الطويل)

1 - أَخَافُ انْقِضَاءَ الْعُمَرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَرَى عَطَايَاكَ قَدْ مَدَّتْ يَدِي بِرِّ يَوْسُفَ ⁽⁴⁾

2 - وَهَبِكَ مَنَحْتَ الْكَنْزَ لِي بَعْدَ مُدَّةٍ أَيْنَسَاغُ طَعْمًا بَعْدَ طُولِ تَوَقُّفِي

3 - وَلَسْتُ بِجَعْدِ الْكَفِّ ⁽⁵⁾ بَلْ أَنْتَ دِيمَةٌ ⁽⁶⁾ تَغْرِقُ إِلَّا غُلَّتِي ⁽⁷⁾ وَتَلْهَفِي

[69] وقال أيضاً يشكو من جماعة عند الملك العزيز عماد الدين عثمان - صاحب مصر - ذوي محضر

سوء:

(الهزج)

1 - عَلَى بَابِكَ أَقْوَامٌ إِذَا مَا قَدْ رَحَا حَافُوا

2 - وَأَنْتَ الْمَوْرِدُ الْعَذْبُ وَهُمْ حَوْلَكَ أَجْرَافُ

التخريج:

[67] ابن الشعار، قلائد الجمان، 246/10.

[68] نفسه والصفحة نفسها.

[69] نفسه والصفحة نفسها.

ضوء على الشعر:

(1) ثنايا: مفردا الثنية، والثنية واحدة الثنايا من السن، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ثني).

(2) الشين: خلاف الزين، والعرب تقول وجه فلان زين أي حسن ذو زين، ووجه فلان شين أي قبيح ذو شين، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (شين).

(3) الجزع: بالفتح ضرب من الخزر، وقيل: الخزر اليماني، وهو الذي فيه سوادٌ وبياضٌ تشبّه به الأعين، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (جزع).

(4) يوسف: يقصد به النبي يوسف عليه السلام، وقد ورد عجز البيت في الأصل: (عطاياك قد مدت يدي بالبر يوسف) وبه لا يستقيم الوزن والصحيح ما أثبتته الباحثة.

(5) جعد الكف: كناية عن البخل، والجعد جمع جعدة وهي ضد السبطة وهم يمدحون بالعودة ويذمون بها؛ لأن العودة في العرب والسبوة في العجم، وإذا قيل: فلان جعد الكف، فهو ذمٌ يعنون أنه بخيل أي هو مقبوض الكف، ينظر: الجواليقي، شرح أدب الكاتب، 307.

(6) الديمة: المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق، أقله ثلث النهار أو ثلث الليل، وأكثره ما بلغ من العدة، وجمع ديم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ديم).

(7) غلتي، من الغلة: وهي الدخل الذي يحصل من الزرع والثمر واللبن والإجارة والنّاتج ونحو ذلك، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (غل).

3 - وَقَدْ يَنْبُتُ حَوْلَ الْكَرِّ مَ لَبْلَابٌ⁽¹⁾ وَصَفٌ صَافٌ⁽²⁾

[70] وقال يتقاضى الوزير ضياء الدين بن شيخ السلامة رسماً كان له عليه: (الخفيف)

1 - كَانَ رَسْمِي عَلَى الْوَزِيرِ ضِيَاءِ الدِّينِ أَكْفَى الْكُفَاةِ فِي حِصْنٍ كَيْفَا

2 - مِنْهَا زَادَهَا وَضَاعَفَهَا حَيْثُ ——— مِنْ رَأْيِي بِهَا مُقِيمًا ضَعِيفًا

3 - لَمْ يَزَلْ يَطْلُبُ الطَّرِيفَ مِنَ الشَّعْرِ رِ وَيُعْطِي لِقَائِلِيهِ الطَّرِيفَا⁽³⁾

[71] وقوله في ما يكتب على طاس من الفضة: (الخفيف)

1 - أَنَا طَاسٌ مِنَ اللَّجَيْنِ وَلَكِنِّي نِي أَضَاهِي السَّمَاءَ لَوْنًا وَطَرَفًا

2 - كَمْ تَمَرَّرْتُ فِي الْجَحِيمِ وَكَمْ صِرْتُ مُصَاغًا وَكَمْ تَقَلَّبْتُ صَنْفًا

* قافية القاف:

[72] وقال يعاتب الملك المسعود قطب الدين أبا المظفر سكمآن في تخلفه عنه وقلة نظر الديوان

في حقه: (مجزوء الرمل)

1 - قُلْ لِقُطْبِ الدِّينِ يَا سَكْمَ ——— مَانَ يَا مَالِكَ رِقِّي

التخريج:

[70] ابن الشعار، قلائد الجمان، 246/10.

[71] نفسه، 247/10.

[72] نفسه، 246/10 - 247.

ضوء على الشعر:

(1) لَبْلَاب: تسمى بعجمية الأندلس قريوله، وتفسرها شويكة وهو اللبلاب الصغير، وهو نبات له ورق شبيه بورق قيسوس إلا أنه أصغر منه، وقضبان طوال متعلقة بكل ما يقرب منها من النباتات وتثبت في السياحات وأمرجة الكروم وبين زروع الحنطة، له نور شبيه بقمع أبيض، يخلفه غلف صغار أسود وأحمر اللون، فيه حب صغير أسود وأحمر، ينظر: ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، 4 / 361 - 362.

(2) صَفْصَاف: شَجَرٌ يَنْمُو فِي الْمَنَاطِقِ الْبَارِدَةِ وَالْمُعْتَدِلَةِ، واحدته صفصافة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صف).

(3) الطَّرِيفُ الأولى: الكلام الجميل والطيب النادر والحديث المستحسن، والطَّرِيفُ الثانية: المستفاد من المال حديثاً ويقابله التلبد أو التالد، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (طرف).

- 2- يَا كَمِيًّا⁽¹⁾ قَصَرَ الْآ جَالٍ بِالرُّمَحِ الْأَمَقِّ⁽²⁾
- 3- مُؤْتَتِي مَنِّي وَخُبْزِي مِّنْ دَرَاهِمِي وَرِزْقِي
- 4- فَمَتَّى أَفْلَحُ قُلْ لِي وَمَتَّى تَنْجَحُ طُرْقِي

[73] وقال وقد قُطِعَ خبزه شتويتين لانقطاعه عند خدمة الملك المسعود: (الكامل)

- 1- مَا زِلْتَ تَقْطَعُ فِي الشِّتَا رِزْقِي يَا مَنْ عَلَى الْأَمْوَالِ لَا يَبْقِي
- 2- قُلْ لِي لِأَيَّةِ حَالَةٍ وَبِمَا اسْمُ تَوَجَّيْتُ فَعَلَّكَ ذَاكَ فِي حَقِّي
- 3- مَا قَدَرْتُ ذَاكَ النَّزْرَ⁽³⁾ تَمْنَعُهُ عَنِّي وَغُصْنُكَ يَنَاعُ الْعِرْقُ
- 4- غَارَتْ عِيُونُ نَدَاكَ أَمْ صَفِرَتْ كَفَّاكَ مِّنْ ذَهَبٍ وَمِنْ وَرْقٍ⁽⁴⁾

[74] وقوله وقد طلب منه صديق له أبياتاً ينقشها على منديل: (مجزوء الكامل)

- 1- لِمَ لَا أَتِيَهُ عَلَى الْفَتِيْقِ⁽⁵⁾ وَأَسْوَدُ كَاسَاتِ الرَّحِيْقِ⁽⁶⁾
- 2- وَتَحَارُ فِي حُسْنِي الْعِيُو نُ لِّصَنَعَةِ النَّقْشِ الدَّقِيْقِ
- 3- وَتَقْلُنِي كَفُّ تَرْفُ فَعُ عَنْ مَلَامَسَةِ الدَّبِيْقِي⁽⁷⁾
- 4- مَا زَالَ يَلْتُمُنِي الْعَقِيْقُ قُ إِذَا احْتَسَاهَا كَالْعَقِيْقِ

التخريج :

[73] ابن الشعار، قلائد الجمان، 247/10.

[74] نفسه، 249/10.

ضوء على الشعر:

- (1) الكمي: الشجاع، وقيل اللابس السلاح، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (كمي).
- (2) الأمق: الطويل طويلاً فاحشاً، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (مقق).
- (3) النزر: القليل التافه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نزر).
- (4) الورق: يريد الفضة والدرهم المضروبة منها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ورق).
- (5) الفتيق: من الفتق: وهو الصبح، ويقال: صبح فتيق: مشرق، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (فتق).
- (6) الرحيق: الخمرة العذبة الصافية، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (رحق).
- (7) الدبيقي: نسبة إلى دبيق بليدة كانت من بين الفرما وتنيس من أعمال مصر، كانت تتخذ منها الثياب الدبيقية وهي ثياب رقيقة، والدبيقي: من دق ثياب مصر معروفة تنسب إلى دبيق، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 438/2، ابن منظور، لسان العرب، مادة (دبق).

5- فَأَنَا رَفِيقُ أَخِي الظَّرَا فَهَ وَهُوَ مِنْ حُبِّي رَفِيقِي

[75] وقوله يعرض بنفسه إلى الملك العزيز عثمان بمصر وأرسلها على يد ابن المنذر⁽¹⁾:

(البسيط)

- 1- إِنْ كَانَ عِنْدَكَ بُسْتَانٌ بِلَا ثَمَرٍ وَلَا اخْضِرَارٍ وَلَا زَهْرٍ وَلَا وَرَقٍ
- 2- فَعِنْدَ عَبْدِكَ أَلْفَاظٌ حَدَائِقُهَا مُعْنَبَاتُ⁽²⁾ الْمَعَانِي نَعْسُ الْحَدَقِ
- 3- فَاشْرَبْ عَلَى مَلَحِ الْآدَابِ مَعَ رَجُلٍ يُغْنِيكَ فِي بَرْدِ كَانُونٍ عَنِ الدَّلَقِ⁽³⁾

[76] وقوله وقد التمس منه الملك المسعود سكران بن محمد أن يعمل له خمسة أبيات مذكرة

أولها ثاءً وآخرها قاف:

(البسيط)

- 1- ثَمَلْتُ مِنْ حُسْنِهِ وَالْكَأْسُ يَرْشُفُهَا ظَبْيٌ مِنَ التُّرْكِ أَضْحَى وَهُوَ مَعْشُوقُ
- 2- ثَبْتُ كَأَنَّ فِيهِ وَهُوَ مُغْتَبَقُ مِسْكَاً وَفِي يَدِهِ طَاسٌ وَإِبْرِيْقُ
- 3- ثُمَّ احْتَسَيْتُ مُدَامَ الْحُبِّ مِنْ فَمِهِ صِرْفًا وَقَدْ زَانَهَا ثَغْرٌ وَرَاوُوقُ
- 4- ثَقُّ بِي فَلَسْتُ مُذِيعًا سِرُّكُمْ أَبَدًا وَالسِّرُّ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ صُنْدُوقُ
- 5- ثَكَلْتُ مَنْ لَامَنِي فِي نَبْتٍ عَارِضِهِ وَقَدْ بَدَأَ فِيهِ تَنْوِينٌ وَتَغْرِيقُ

[77] وقال يستدعي صديقاً إلى الشراب:

(المجتث)

- 1- اخْضُرْ وَلَا تَتَوَانَى عِنْدِي شَرَابٌ عَتِيقُ
- 2- وَمَجْلِسٌ قَدْ تَهَيَّأَ كَمَا يُحِبُّ الصَّدِيقُ
- 3- اضْحَكْ لِرَقْصِ الْحُمَيَّا⁽⁴⁾ إِذَا بَكَى الرَّوَّاقُ

التخريج:

[75] ابن الشعار، قلائد الجمان، 248/10.

[76] نفسه، 247/10.

[77] نفسه، 248/10.

ضوء على الشعر:

- (1) ابن المنذر: لم تعثر الباحثة على ترجمة له فيما بين يديها من مصادر ومراجع.
- (2) معنبرات: من العنبر: وهو من الطيب معروف، وبه سُمِّي، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عنبر).
- (3) الدلق: دويبة نحو الهرة طويلة الظهر يعمل منها الفرو، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (دلق).
- (4) الحُمَيَّا: بلوغ الخمر من شاربها، وقيل: الحُمَيَّا دبيب الشراب، وحُمَيَّا الكأس: سورتها وشدتها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حما).

4 - كَانَهُ دَمْعُ عَانٍ⁽¹⁾ قَدْ مَأَّاهُ الْمَعَشُوقُ

5 - فَلِلْمُدَامِ عَلَيْنَا فَرَائِضٌ وَحَقُّوْكَ

[78] وقال وقد طلب منه الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد أن يعمل له أبياتاً في معنى

اختاره:

(الرمل)

1 - طَرَقَ الْعِشْقُ بِقَلْبِي فَأَبَى أَنَّهُ يَعْشَقُ مَنْ يَطْرُقُهُ

2 - خَلَقَ الْحُسْنَ وَسَوَّاهُ لَنَا وَنَهَى الْخَالِقُ مَنْ يَعْشَقُهُ

3 - لَوْ أَرَادَ اللَّهُ خَيْرًا بِالْوَرَى كَانَ هَذَا الْحُسْنُ لَا يَخْلُقُهُ

4 - وَبَعِيدٌ أَنْ تَرَى عَيْنٌ فَتَى قَمَرًا عَنْ⁽²⁾ وَلَا تَرْمُقُهُ⁽³⁾

5 - وَإِذَا الْمِسْكُ تَجَافَاهُ الْوَرَى قَلَّ فِي الْعَالَمِ مَنْ يَنْشَقُهُ

6 - يُقَطِّعُ السَّارِقُ هَذَا عَجَبٌ وَبِأَمْرِ كَانَ مَا يَسْرِقُهُ

7 - صِلْ فَقَدْ صِرْتَ لِحَيْنِي غَرَضًا نَبْلٌ⁽⁴⁾ جَفْنَيْكَ هَوَى تَرْشُقُهُ

8 - اخْشَ دَمْعِي وَلَهْيِي فَهُمَا يُغْرِقُ النَّابِلُ⁽⁵⁾ أَوْ يُحْرِقُهُ

9 - فَإِذَا أَيْبَسَ عُودِي زَمَنْ نَاصِرُ الدِّينِ نَدَى يُورِقُهُ

[79] وقال غزلاً اخترعه⁽⁶⁾ عليه بعض أصدقائه:

(الرمل)

1 - نَثَرَ الطَّلُّ عَلَى الْغُصْنِ الْوَرِيقَ لَوْلَوْأُ يُعْرِبُ عَنْ ثَغْرِ وَرِيقِ

التخريج :

[78] ابن الشعار، قلائد الجمان، 249/10.

[79] نفسه، 247/10.

ضوء على الشعر:

(1) دمعُ عانٍ: يقال: العاني الأسير، وقيل: العاني العبد، والعاني السائل من ماءٍ أو دمٍ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عني).

(2) عَنْ: ظَهَرَ أَمَامَكَ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عن).

(3) تَرْمُقُهُ: تَنْظُرُ إِلَيْهِ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (رمق).

(4) نَبْلٌ جَفْنَيْكَ: النَّبْلُ السَّهَامُ، وقيل: السهام العربية، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نبل).

(5) النَّابِلُ: الْحَاقِقُ بِالْأَمْرِ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نبل).

(6) اخترعه: ارتجله، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خرع).

- 2- وَشَفَاهُ مِنْ عَقِيْقٍ طَابَ مِنْ أَجْلِهَا سُكْنَايَ فِي وَادِي الْعَقِيْقِ⁽¹⁾
- 3- عَلَقْتُ فِي خَدِّهِ مِنْ كَبْدِي نُقْطَةً الْكَاتِبِ فِي الْخَطِّ الدَّقِيْقِ
- 4- إِنْ يَكُنْ يَجِدُ قَبْلِي فِي الْهَوَى فَدَمِي يَنْطِقُ كَالْمِسْكِ الْفَتِيْقِ
- 5- حَقَّقَ الشَّامَةَ فِي وَجْنَتِهِ أَنَّهُ تَشْهَدُ بِالْقَتْلِ حَقِيْقِ
- 6- فَفُؤَادِي يَشْتَكِي مِنْهُ الظَّمَا وَجُفُونِي تَشْتَكِي مِنْهُ الْغَرِيْقِ

[80] وقال يمدح نجم الدين يعقوب بن المقدم⁽²⁾ بآمد ويطلب منه وعده: (مجزوء الرمل)

- 1- قُلْ لِنَجْمِ الدِّينِ يَا مَنْ عَمَّ بِالْجُودِ الْخَلَائِقُ
- 2- وَالَّذِي مَا زَالَ يُؤَلِّي الـ بِرَّ طِفْلاً وَمُرَاهِقُ
- 3- قَدْ تَعَلَّقْتُ بِأَهْدَا بِ⁽³⁾ مَعَالِيكَ الـ سَوَابِقُ
- 4- بِكَ يَهْدِي اللَّهُ مَنْ ضَلَّ لَ عَنِ النَّهْجِ الطَّرَائِقُ
- 5- هَكَذَا قَدْ نَطَقَ الْقُرْ أَنْ وَالْقُرْآنُ صَادِقُ
- 6- يَا كَمِيًّا فَرَّقْتَ يُمُـ سَنَاهُ بِالْبَيْضِ الْمَفَارِقُ
- 7- يَوْمَ لَا يَمْتَدُّ رُمُحُ لَا وَلَا يَسْتَنْ⁽⁴⁾ سَابِقُ⁽⁵⁾
- 8- لَيْسَتْ الْأَوْهَادُ⁽⁶⁾ فِي الْأَعْمُ يَنْ كَالشَّمِّ الشَّوَاهِقُ

التخريج :

[80] ابن الشعار، قلائد الجمان، 249-248/10.

ضوء على الشعر:

- (1) العقيق: واد قرب البقيع بينه وبين المدينة أربعة أميال، وعليه أموال أهل المدينة، ومهل أهل العراق هو الذي ببطن وادي ذي الحليفة، وهو اسم لمواضع كثيرة وكل موضع شققته من الأرض فهو عقيق، وفي بلاد العرب أربعة أعقة وهي أودية عادية شققها السيول، ينظر، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 138/4.
- (2) نجم الدين يعقوب بن المقدم: لم تعثر الباحثة على ترجمة له فيما بين يديها من مصادر ومراجع.
- (3) الأهداب: الأكتاف، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (هدب) .
- (4) فلان يستن: أي يمضي لا يثنيه شيء.
- (5) سابق: يقصد الخيل، وفي التنزيل: قَالَ تَعَالَى: ﴿...﴾ | النازعات، 4، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سبق).
- (6) الأوهاد: أي المنخفضات والوديان، والأوهاد مفردا وهْد، والوهْد: المكان المنخفض كأنه حفرة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (وهد).

- 9 - أَنْجِزِ الْوَعْدَ فَإِنِّي بِكَرِيمِ الْوَعْدِ وَاثِقٌ
10 - لَا نَبَا سَيْفِكَ فِي يَوْمٍ مِ الْوَعْدِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ⁽¹⁾

* قافية الكاف:

[81] وقال يهنئ الملك المسعود قطب الدين سكران بن محمد - بآمد - بعيد الفطر: (الخفيف)

- 1 - جَاءَكَ الْعِيدُ يَا أَجَلَ الْمُلُوكِ فَارْتَشِفْهَا عَلَى أَذَانِ الدُّيُوكِ
2 - مِنْ سُلَافٍ تُضِيءُ فِي اللَّيْلَةِ اللَّيْلِ سَلَاءَ نَارًا فِي جَوْهَرِ مَسْبُوكِ
3 - قَدْ كَسَاهَا الْمِزَاجُ فِي الْكَاسِ إِكْلِيْـَٔ لَا يُضَاهِي لِلْوَلْوِ الْمَسْكُوكِ
4 - بِنْتُ كَرَمٍ حَمْرَاءَ صَيَّرَهَا الْعَصْرُ رُ مَعَ الْعَصْرِ كَالْدَمِ الْمَسْفُوكِ
5 - يَتَمَنَّى الشُّهُودُ أَنْ شَهْدُوها مَعَ غَبِيٍّ وَمُقْتَرٍ⁽²⁾ صُعُوكِ
6 - يَا صَحَابِي دَعُوا التَّمَعُّلَ فِي الشَّرِّ بِ وَجُنُوا عَلَى اسْتِمَاعِ الْجُنُوكِ⁽³⁾
7 - وَاشْرَبُوهَا مِنْ كَفٍّ أَعْيَدَ مَعْسُو لِ التَّنَائِيَا مُقَرَّطِقٍ⁽⁴⁾ جَاوُوكِ⁽⁵⁾

التخريج:

[81] ابن الشعار، قلائد الجمان، 250/10.

ضوء على الشعر:

- (1) ذرّ شارق: أي طلع طالع، يقال: وآتيك كلّ شارق أي كلّ يوم طلعت فيه الشمس، وقيل: الشارق قرن الشمس، يقال: لا آتيك ما ذرّ شارق، ويقال: إني لآتيه كلّما ذرّ شارق أي كلما طلع الشروق، وهو الشمس، ويضرب به المثل فيقال (ما ذرّ شارق)، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (شرق) .
(2) القترُ والتقتيرُ: البخل ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قتر).
(3) الجنوك: من الجنك، وهو آلة يُضربُ بها كالعود، معرب، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 100/27.
(4) مقرطق: من المقرط أي في أذنه قرط، ويروى مقرطق وهو الذي جز صوفه وجعل على هيئة القرطق، والقرطق: الأبيض، ينظر: النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، 261/10، ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرطق).
(5) جاووك: كلمة أعجمية، و لعلّ الشاعر أراد بها: جاووك.

- 8- بابليّ اللّحاظ⁽¹⁾ لو ندس⁽²⁾ المئـ زر⁽³⁾ أوهى بخصره المبتوك⁽⁴⁾
- 9- واجتلوا وجهها فقد زفها الرّا ووق زف الأستاد للمملوك
- 10- وامزجوا كأسها بأخلق قطب الذ دين شمس الإسلام تاج الملوك
- 11- يا أكف السلطان إن قايس النّا س بك البحر في الندى ظلموك
- 12- كرمّا قد تعودته بنو الآ مال أجدها قبل ذاك أبوك

[82] وقال في صدر كتاب كتبه إلى بغداد يتضمن شوقاً واستيحاشاً لشهاب الدين يوسف العقاب:

(الوافر)

- 1- كتبت إليك من شغفي وشوقي شهاب الدين خطي كي يراكا
- 2- وقلت عسى يقبل حين يقرأ لواعج⁽⁵⁾ ما كتبت إليك فاكّا
- 3- أحين إلى لقاك وأي يوم يمر ولا أحين إلى لقاكّا

[83] وقال يعاتب الوزير ضياء الدين بن شيخ السّلامية بآمد لما رأى تناقصه في حقه، ويعتذر إليه أيضاً خوفاً من أن يكون قد بلغه عنه إنسان سوء محالاً:

(السريع)

- 1- والله لا أنسى ولا يفتضي ديني أن أكفر نغماكا

التخريج:

[82] ابن الشعار، قلائد الجمان، 249/10.

[83] نفسه، 249/10-250.

ضوء على الشعر:

- (1) بابلي اللّحاظ: يقال: سحر بابليّ: نسبة إلى بابل كقاتل، وهي اسم ناحية في وسط العراق منها الكوفة والحلّ، والمشهور هو المدينة الأثرية بقرب الحلة، وإلى جانبها قرية تسمى بابل وهي عامرة، وقد كانت وطن عدة أقوام قديمة عريقة في الحضارة ينسب إليها السّحر والخمر، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 18/2.
- (2) ندس: يقال: ندسنا ندساً: طعنه طعناً خفيفاً، وقد يكون الندس: الطعن بالرجل، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ندس).

(3) المنزر: الإزار، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أزر)، ماير، الملابس المملوكية، 124 حاشية 4.

(4) المبتوك: المقطوع، والبتك: القطع، وقيل: البتك أن تقبض على شيء بيدك، وقيل: أن تقبض على شعر أو ريش أو نحو ذلك ثم تجذبه إليك حتى ينقطع فينبئك من أصله وينتف، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (بتك).

(5) لواعج: اللّاعج: الهوى المحرق، يقال: هوى لاعيّ، لحرقه الفؤاد من الحبّ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (لعج).

- 2- لَعَلَّ نَذْلًا جَاءَ يَا سَيِّدِي يَنْقُلُ عَنِّي الزُّورَ أَفَّاكَأَ
3- يُرِيدُ أَنْ يَنْسَخَ شَرَعَ الْوَفَا لَا كَانَ مَا يَخْتَارُهُ ذَاكَأَ
4- وَإِنْ جَرَى ذَنْبٌ فَحَاشَاكَ أَنْ تُؤَاخِذَ الْمُذْنِبَ حَاشَاكَأَ

* قافية اللام:

[84] وقال يعاتب الدهر لكونه يرفعُ وضيعاً ويحطُ رفيعاً:

(البسيط)

- 1- إِنِّي لَأَبْغُضُ دَهْرًا لَا يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ الْأَمَاجِدِ (1) وَالسَّفْسَافَةِ (2) السُّفْلِ
2- يَحْطُ لِلْسِّنِ النَّحْرِيرِ (3) قَعْرَ خَلَا وَيَرْفَعُ الْعِيَّ (4) أَعْلَى مُرْتَقَى زُحَلِ
3- لَعَلَّ مَا وَعَسَى الْأَيَّامُ قَدْ عَمِيَتْ فَمَا تَفَرِّقُ بَيْنَ الصَّابِ (5) وَالْعَسَلِ
4- بِالْعَقْلِ وَالنَّقْلِ يَزْدَادُ الْفَتَى شَرْفًا فَمَا التَّنَاقُصُ ضَاقَتْ فِي الْوَرَى حِيلِي
5- ذَرِ الْعُلُومَ وَكُنْ فِي النَّاسِ مَسْخَرَةً وَقَدْ وَلُطُ وَازَنْ وَأَشْرَبْ وَأَسْتَبِحْ وَكُلْ
6- (لَعَلَّ عَتَبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ وَرَبِّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْعِلِّ) (6)

التخريج:

[84] ابن الشعار، قلائد الجمان، 251/10.

ضوء على الشعر:

- (1) الأمجد: جمع مجيد أو ماجد، والماجدُ الحَسَنُ الخُلُقِ السَّمْحُ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (مجد).
(2) السَّفْسَافَةُ: السُّفْسَافُ: الرَّدِيءُ من كل شيء، والأمرُ الحَقِيرُ وكلُّ عَمَلٍ دُونَ الإِحْكَامِ سَفْسَافٌ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سفف)، وفي الحديث: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا﴾ أرادَ مذاقَ الْأُمُورِ وَمَلَاتِمَهَا، ينظر: النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، 112/1.
(3) النَّحْرُ وَالنَّحْرِيرُ: الحاذق الماهر العاقل المجرب، وقيل: النَّحْرِيرُ الرجلُ الطَّيْبُ الْفَطْنُ الْمُتَّقِنُ الْبَصِيرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وجمعه النَّحَارِيرُ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نحر).
(4) العي: الجهل، وهو عدم القدرة على توضيح المقصود، وعدم البلاغة، والضعف في المنطق، وفي المثل: أَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ، وفي الحديث: شَفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، ينظر: النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، 270/1، ابن منظور، لسان العرب، مادة (عيا).
(5) الصَّابُ: ضرب من الشجر مُرٌّ، وقيل: الصَّابُ عُصَارَةُ شَجَرٍ مُرٍّ، وقيل: هو شجر إذا اعتَصِرَ خَرَجَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ اللَّبَنِ، واحدته صَابَةٌ، وقيل: هو عُصَارَةُ الصَّبْرِ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صوب).
(6) هنا تضمين من بيت المتنبي، العكبري، ديوان أبي الطيب المتنبي 86/3، وقد وردت في الديوان لفظة الأجسام بدلاً من الأجساد.

[85] وقال وقد طلب منه صديق أن يصف الخال الذي في خد عمر بن رجب الصانع⁽¹⁾ بماردين:

(السريع)

- 1- مَاسَ شَبِيهَ الْغُصْنِ الْحَالِي أَهْيَفَ لَا يَنْظُرُ فِي حَالِي
- 2- وَسَلَّ سَيْفَ الْحُسْنِ يَسْطُو بِهِ عَلَى كَنْيَبٍ دَنَفٍ⁽²⁾ بَالِي
- 3- مَا ضَرَّهُ لَوْ جَادَ لِي رَحْمَةً بِقُبْلَةٍ فِي الْخَدِّ وَالْخَالِ
- 4- حَلَّ بِبَالِي عُمَرُ⁽³⁾ لَيْتَهُ يَغْمُرُ مَا خَرَّبَ مِنْ بَالِي
- 5- لَوْ عَلِمَ الْمَعْشُوقُ أَنَّ الْهَوَى يَزِينُهُ مَا كَانَ بِالْغَالِي
- 6- أَثَرَ فِي وَجَنَّتِهِ مِنْ دَمِي فَمَا لَهُ يَمْنَعُنِي مَالِي

[86] وقال بالمحلة الغربية من بلاد مصر، وقد طلب من يونس بن الظهير⁽⁴⁾ أن يصنع له

حُلوة⁽⁵⁾ وينفذها له مع عبده ربحان، فنفذ إليه يقول: البيت في الحمام، واعتذر بعذر بارد:

(مجزوء الكامل)

- 1- لَا ذَنْبَ لِي فِيمَا طَلَبْتُ لَيْسَ ذَنْبٌ لِلْجَمَالِ⁽⁶⁾
- 2- الذَّنْبُ لِلْسَيْفِ الَّذِي سَوَّاكَ بَيْنَ النَّاسِ وَالِي
- 3- أَرْسَلْتُ رِيحَانًا إِلَيَّ كَفَ الْعَبْدِ خَالِي
- 4- وَذَكَرْتُ أَنَّ الْبَيْتَ فِي الْـ حَمَامٍ خُذْتُ عَنِ السُّوَالِ
- 5- أَنَا قَدْ سَأَلْتُكَ حُلُوةً مَنْ ذَا سَأَلَكَ⁽⁷⁾ عَنِ الْعِيَالِ

التخريج:

[85] ابن الشعار، قلائد الجمان، 252/10.

[86] نفسه، 252/10-253.

ضوء على الشعر:

(1) عمر بن رجب الصانع: لم تعثر الباحثة على ترجمة له فيما بين يديها من مصادر ومراجع.

(2) دَنَفٌ: الدَّنَفُ: المَرَضُ الشديد، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (دنف).

(3) عمر: يقصد عمر بن رجب الصانع.

(4) يونس بن الظهير: كان نائب سيف الدين علي بن كهلان بالمحلة، يقال له الجمال، ابن الشعار، قلائد الجمان،

253/10.

(5) الحُلُوة: طعام يعمل بعسل أو سكر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حلا).

(6) الجمال: يقصد يونس بن الظهير، ينظر: ابن الشعار، قلائد الجمان، 253/10.

(7) وردت في الأصل (سالك) وبها لا يستقيم الوزن، وقد أثبتت الباحثة (سألك) للضرورة الشعرية، ببناء الفعل

على السكون بدلاً من بنائه على الفتح، والأصل فيها البناء على الفتح.

6- أَمَّا الْهُمَامُ⁽¹⁾ فَإِنَّهُ رَجُلٌ تَرَفَّعَ بِالْمَحَالِ

7- يَسْتَوْعِبُ الدَّخْلَ الْحَرًّا مَ وَلَا يَعِيفُ عَنِ الْحَالِ

[87] وقال أيضاً وقد طلب منه بعض المطربين أن يعمل له غزلاً في معنى اختاره مذكراً ومؤنثاً:

(مجزوء الكامل)

1- مَنَعْتُ وَصَالَ مِنْ الْوَصَالِ فَبَقِيْتُ مُرْتَقِبَ الْخِيَالِ

2- حَتَّى أَبُثَّ إِلَيْهِ مَا لَا قِيَّتَهُ مِنْ سُوءِ حَالِي

3- أَرَعَى الْعُهُودَ لِبَانَةِ⁽²⁾ صَرَمْتُ⁽³⁾ بِلَا سَبَبٍ حِبَالِي

4- مَا بِالْهَذَا تَسْلُو وَمَا خَطَرَ السُّلُو لَهَا بِبَالِي

5- يَاطِيفُ إِنْ سَاعَدْتَنِي بَعْدَ الْقَطِيعَةِ بِالْوَصَالِ

6- لَأَعَذِّبَ الْأَيَّامَ بِالْأَحْلَامِ مِنْ قِصْرِ اللَّيَالِي

7- كَمْ لَيْلَةٍ قَضَيْتُهَا بَيْنَ الْغَزَالَةِ وَالْغَزَالِ

8- مَعَ كُلِّ خَوْدٍ⁽⁴⁾ كَالْغُلَا مِ وَشَادِنِ خَنَثِ الدَّلَالِ

9- يَرْتُئُو إِلَيَّ بِمُقَلَّتِي رِيَمٍ وَيَبْسِمُ عَنْ لَائِي

10- حُلُو الشَّمَائِلِ وَجَنَّتَا هُ أَرْقُ مِنْ وَرْدِ الشَّمَالِ

التخريج:

[87] ابن الشعار، فلايد الجمان، 253/10.

ضوء على الشعر:

(1) الهمام: شخص كان بين يدي يونس بن الظهير يستوعب الحاصل من الجنائيات، ابن الشعار، فلايد الجمان، 253/10.

(2) اللبانة: الحاجة من غير فاقة ولكن من همّة، يقال: قضى فلان لبانته، والجمع لبانٌ كحاجةٍ وحاجٍ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (لبن).

(3) الصرّم: القطع البائن، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صرم)، وقد كان الشائع في كلام العرب إطلاق لفظ القطع والصرم وما في معناهما على إبطال العهد أيضاً في كلامهم، ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 368/1، وقال امرؤ القيس: (الطويل) "أفاطم مهلاً بعض هذا التدلُّ *** وإن كنت قد أزمعت صرّمي فأجملني، امرؤ القيس، الديوان، 12.

(4) الخود: الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفاً، وقيل: الجارية الناعمة، والجمع خودات وخود، بضم الخاء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خود).

[88] قال أبو عبد الله بن النّجار البغدادي⁽¹⁾ في سنة تسع وثلاثين وستمائة: أنشدني أبو يعقوب يوسف بن سليمان بن صالح لنفسه يمدح الملك المسعود أبا المظفر سكران ابن محمد بن داود - ملك ديار بكر⁽²⁾ - :
(المتقارب)

- 1- تَعَلَّقْتُ أَسْمَرَ كَالذَّابِلِ⁽³⁾ مَلِيحِ الشَّمَائِلِ مِنْ بَابِلِ
- 2- يَمِيسُ عَلَى الدَّعْصِ مِنْ لِينِهِ فَأَخْشَى عَلَى خَصْرِهِ النَّاجِلِ
- 3- إِذَا هَزَّتِ الرِّيحُ أَعْطَافَهُ⁽⁴⁾ تَمَائِلَ كَالْغُصْنِ الْمَائِلِ
- 4- وَقَدْ سَيَّجَ⁽⁵⁾ الْحُسْنُ فِي عَارِضِيهِ⁽⁶⁾ عِذَارًا مِنَ الْعَنْبَرِ السَّائِلِ
- 5- وَيَبْسِمُ عَنْ لَوْلُو كَلَمًا تَأَلَّقَ عَنْ شَنْبِ⁽⁷⁾ كَامِلِ

التخريج :

[88] ابن الشعّار، قلاند الجمان، 216-215/10، الصّدي، الوافي بالوفيات، 218/29، وقد وردت القصيدة في الوافي بالوفيات للصّدي حتى البيت الرابع عشر فقط، وقد ورد ترتيب البيتين 7 و 8 هنا 11 و 12 في الوافي بالوفيات.

ضوء على الشعر:

(1) ابن النّجار البغدادي: الحافظ محبّ الدّين محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن المعروف بابن النّجار البغدادي، ولد في بغداد سنة (578 هـ) ونشأ فيها، واشتغل بالعلم، وأخذ عن العديد من العلماء ثم رحل طالباً العلم إلى الشّام ومصر والحجاز وأصبهان وخراسان ومرو ونيسابور، مصنف تاريخ بغداد الذي ذيل به على تاريخ الخطيب، فجاء في ثلاثين مجلداً دالاً على سعة حفظه وعلو شأنه، وله مصنف حافل في مناقب الشافعي، وتصانيف أخر كثيرة في السنن والأحكام وغيرها، كان إماماً ثقةً حجةً، مقرئاً، مجوداً، حلو الحاجة، كيساً، متواضعاً، ظريفاً، صالحاً، خيراً، متسكاً، وكانت رحلته سبعاً وعشرين سنة، واشتملت مشيخته على ثلاثة آلاف شيخ سوى النساء، توفي ببغداد في خامس شعبان سنة (643 هـ)، ينظر ترجمته في: الذهبي، تاريخ الإسلام، 217/47، الكتني، فوات الوفيات، 434/2، اليافعي، مرآة الجنان، 111/4، ابن كثير، البداية والنهاية، 169/13، ابن العماد، شذرات الذهب، 226/5-227.

(2) ديار بكر: مدينة تركية على دجلة، شرقي الأناضول، وهي بلاد كبيرة واسعة تتّسب إلى بكر ابن وائل وتعد إحدى الديارات التي يتألف منها إقليم الجزيرة، وقاعدتها مدينة (آمد) ثم اشتهرت بعد ذلك باسم ديار بكر وتقع غربي دجلة ومن مدنها ميفارقين، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 494/2.

(3) الذّابِل: بذال معجمة فألف فموحدة فلام: الرقيق الشديد، من قولهم: ذبل الفرس إذا ضمر، ويقال: ذبلاً ذابِل: أي دقيق لاصق اللّيط، والجمع ذُبْلٌ وذُبُلٌ، ويقال: رمح ذابل رقيق، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ذبل).

(4) أَعْطَافُهُ: جوانبه، والعطف الجانب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عطف).

(5) وقد سَيَّجَ: وردت في كتاب: الصّدي، الوافي بالوفيات " وَقَدْ نَسَجَ " وبها يستقيم الوزن أيضاً.

(6) عارِضِيهِ: عارضا الوجه وعروضاه جانباه، والعارضان: شقا الفم، وقيل: جانباً للحية، ينظر: ابن منظور،

لسان العرب، مادة (عرض).

(7) شَنْب: ماء الأسنان وبريقها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (شنب).

- 6- تَجُولُ الْمُدَامُ عَلَى ثَغَرِهِ فَأَحْسِدُ لِلْسَّاسِلِ (1) الْجَائِلِ (2)
- 7- إِذَا مَا رَمَّاكَ بِالْحَاطِظِهِ فَحِذْرُكَ مِنْ طَرْفِهِ النَّابِلِ (3)
- 8- فَلَا مَرَّهَمُ لِسَهَامِ الْجُفُونِ وَقَدْ فَوَّقَتْهَا (4) يَدُ الْقَاتِلِ
- 9- يَرُوقُ لِي الْعَذْلُ (5) مِنْ حُبِّهِ فَأَعْشَقُ لِلْأَتَمِ الْعَانِلِ
- 10- وَيَبْخُلُ بِالْوَصْلِ حَتَّى الْخِيَالِ فَأَفْدِيهِ مِنْ رَشَاءٍ بَاخِلِ (6)
- 11- إِذَا مَا تَحَفَّظْتُ مِنْ جَوْرِهِ وَلَمْ أَكُ لِلْجَوْرِ بِالْحَامِلِ
- 12- فَلَسْتُ أَعْدُ مَعَ الْعَاشِقِينَ وَلَا خَيْرَ فِي الْعَاشِقِ الْجَاهِلِ
- 13- أَقُولُ وَقَدْ سَلَ مِنْ جَفْنِهِ حُسَامًا يَطُولُ عَلَى الْعَامِلِ
- 14- (تَفَانَى الرَّجَالُ عَلَى حُبِّهَا (7) وَمَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلِ (8)

قال ابن الشعار: إلى ههنا أنشدني، وتام القصيدة: (المتقارب)

- 15- فَدَعُ عَنْكَ ذِكْرَ طِمَاعِ النُّفُوسِ وَعَدَّ إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ
- 16- وَلَا تَتْنِ عَزَمَكَ عَنْ مَاجِدٍ يُبْخُلُ لِلْعَارِضِ الْهَاطِلِ

ضوء على الشعر:

- (1) سلسل: الماء العذب السلس السهل في الحلق، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سلسل).
- (2) الجائل: الزائل عن مكانه، وروي بالحاء المهملة، وقيل ما سَفَرَتْهُ الرِّيحُ من حُطَامِ النَّبْتِ وسواقط ورق الشجر فَجَالَتْ به، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (جول)، وقد وردت في كتاب: الصَّقْدِي، الوافي بالوفيات: "الحائل" وبها يستقيم الوزن أيضاً.
- (3) النَّابِل: الحاذق بالأمر والنَّبل: النَّبَالَةُ والفضل وقد نبل بالضم: فهو نبيل، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نبل).
- (4) (فَوَّقَتْهَا): الْفُوقُ: السَّهَامُ السَّاقِطَاتُ النَّصُولُ، وفاق الشيءَ يَفُوقُهُ إذا كسره، وانْفَاقَ السَّهْمُ: انكسر فُوقَهُ أو انشق، وَأَفَقَّتُ السَّهْمُ وَأَوْفَقْتُهُ وَأَوْفَقْتُ به، كلاهما على القلب: وضعته في الوتر لأرْمِي به، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (فوق).
- (5) الْعَذْلُ: اللُّومُ، وَالْعَذْلُ مِثْلُهُ، عَذْلُهُ يَعْذِلُهُ عَذْلًا وَعَذْلُهُ فَاعْتَذَلَ وَتَعَذَّلَ: لَامَهُ فَقَبِلَ مِنْهُ وَأَعْتَبَ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عذل).
- (6) يُقَالُ رَجُلٌ بَاخِلٌ: ذُو بُخْلٍ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (بخل).
- (7) (على حبِّها): وردت في كتاب الصَّقْدِي، الوافي بالوفيات: (على حبِّه)، ولعلَّه الصَّوَابُ؛ لِأَنَّ الضَّمَّائِرَ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ تَعُودُ عَلَى الْمَذْكُورِ.
- (8) الطَّائِلُ: النِّفْعُ وَالْفَائِدَةُ وَالْخَيْرُ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (طول)، والبيت للمتنبي، العكبري، ديوان أبي الطيب المتنبي، 34/3.

- 17 - إِذَا سَأَلَ النَّاسُ مَا فِي يَدَيْهِ يَرَى ذَاكَ شُحًّا مِنْ السَّائِلِ
 18 - يَرَى بَذْلَ وَجْهِكَ عِنْدَ السُّؤَالِ لِكَثْرَةِ مَنْ ذَلِكَ النَّائِلِ⁽¹⁾
 19 - وَيَحْتَقِرُ الْأُسْدُ يَوْمَ النَّزَالِ وَلَوْ أَنَّهَا عَدَدُ الْوَابِلِ
 20 - وَيَقْتُلِعُ الْخَيْلَ مَسْرُودَةً تَهْفُ بِكُلِّ فَتًى بَاسِلِ
 21 - لَقَدْ عَلَّمَ الْبَيْضَ ضَرْبَ الطُّلَا⁽²⁾ وَسُمِرَ الْقَتَا الطَّعْنَ فِي الْجَاهِلِ
 22 - بِهِ نَسْتَطِيلُ عَلَى النَّائِبَاتِ وَأَيْنَ النَّصِيرُ مِنَ الْخَاذِلِ

[89] وقال يمدح بهاء الدين أبا سعيد سريجا بن عبد الله بآمد: (مخلع البسيط)

- 1 - لَقَدْ تَنَاهَى مَعِيَ الْعَذُولُ وَلَسْتُ أَصْغِي لِمَا يَقُولُ
 2 - فَكَيْفَ يَصْنُو إِلَى مُلَامٍ صَبُّ لِعَبْءِ الْهَوَى حُمُولُ
 3 - يُرَاقِبُ النَّجْمَ مِنْهُ طَرْفُ كَأَنَّهُ بِالْجُدْجَى وَكَيْلُ
 4 - لَيْسَ لَهُ فِي السُّلُوفِ رَأْيٌ وَلَا مِنَ الْعِشْقِ يَسْتَقِيلُ
 5 - فَالْعِشْقُ مَعْنَى بَغْيِ زَاتٍ تَحَارُ فِي كُنْهِهِ⁽³⁾ الْعُقُولُ
 6 - يَحِلُّ بِالْقَلْبِ مِنْهُ وَهَمٌ وَمَا إِلَيْهِ لَهُ سَبِيلُ
 7 - فَتَعْتَرِيهِ الْهُمُومُ حَتَّى كَأَنَّ طَرْفِي لَهَا دَلِيلُ
 8 - وَأَكْحَلَ الطَّرْفُ فَاقَ حُسْنًا يَا حَبَّذَا طَرْفُهُ الْكَحِيلُ

التخريج :

[89] ابن الشعار، قلائد الجمان، 251/10، [وقد جمعت هذه القصيدة ما بين الواو والياء ما قبل حرف الروي، ويعد هذا من العيوب العروضية، ويسمى بالسناد، وهو أنواع كثيرة، منها: وهو المشهور أن يختلف الحذو، وهو حركة ما قبل الرفع، فيدخل شرط الألف - وهي الفتحة - على الياء والواو]، ينظر: ابن رشيق، العمدة، 167/1.

ضوء على الشعر:

- (1) النَّائِلُ: ما نِلْتَ من معروف إنسان، وكذلك النوال، وأناله معروفه ونوله: أعطاه معروفه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نول).
 (2) الطُّلَا: والطلَّى: الأعناق، والطلاة: هي العنق، والجمع طَلَّى، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (طلَّى).
 (3) الكُنه: كُنْهُ كلِّ شيءٍ قَدْرُهُ ونِهَائِيَّتُهُ وغَايَتُهُ، يقال: اعْرِفْهُ كُنْهُ المَعْرِفَةِ، وفي بعض المعاني: كُنْهُ كلِّ شيءٍ وَقْتُهُ وَوَجْهُهُ، نقول: بَلَّغْتُ كُنْهُ هذا الأمرِ أي غَايَتَهُ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (كنه).

- 9- مُذْ رَضَعَ الثَّدْيَ وَهُوَ ظِفْلٌ
10- أَسْمَرٌ كَالسَّمْهَرِيِّ (2) لَدُنْ (3)
11- يَمِيسُ كَالْغُصْنِ رَنَحَتْهُ
12- مَا لِحُفُونِ الْمَهَا سِهَامٌ
13- وَلَا لِرِيمِ الْفَلَاةِ فَرْعٌ (6)
14- فَكَمْ دَمٍ لِلْمَحِبِّ ظُلْمًا
15- فَرَّقَ جَيْشُ الْهُمُومِ لَهُوًا
16- تَخِيفٌ بِالشَّارِبِ الْحَمِيَّا
17- لَمْ يَبْدُ مِنْهُ عَلَى مُدَامٍ
18- نَاوَلَنِي مِنْ يَدَيْهِ رَاحًا
19- وَشَابَهَا مِنْ رُضَابٍ فِيهِ
20- فَقُلْ لِمَنْ لَأَمْنِي سَفَاهًا
- مَا جَالَ فِي مُقَلَّتَيْهِ مِيلٌ (1)
أَفْرَطَ فِي خَصْرِهِ النُّحُولُ
مَعَ الصَّبَا فِي الْقَبَا (4) الْقَبُولُ (5)
تُرَاشُ مِنْهَا وَلَا نُصُولُ
أَسْحَمٌ (7) مِثْلُ الرَّشَا طَوِيلُ
أَسَالَهُ خَذُّهُ الْأَسِيلُ
فَجَمَعَتْ شَمْلَهُ الشَّمُولُ
وَهُوَ عَلَى سُكْرِهِ ثَقِيلُ
مَعَ النَّدَامَى فَقَالَ قَيْلٌ (8)
بِهَا يُدَاوَى الصَّبُّ الْعِيلُ
فَقُلْتُ آسٌ وَسُلُوسِيْلُ
فِي حُبٍّ مَنْ كُلُّهُ جَمِيلُ

ضوء على الشعر:

- (1) الميل: بالكسر: المملول الذي يُكْتَحَلُ به، والجمع: أميال، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 435/30.
(2) السّمهري: الرُمحُ الصّليبُ العود، ويقال: هي منسوبة إلى سمهر اسم رجل كان يُقَوِّمُ الرماح، ويقال: رمح سمهري، والرماح السمهريّة تُنسب إلى رجل اسمه سمهر كان يبيع الرماح بالخط، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سمهر).
(3) اللدن: اللين من كل شيء من عودٍ أو حبلٍ أو خلق، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (لدن).
(4) القبا: ضرب من الشجر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قبا).
(5) القبول من الرياح: الصبا؛ لأنها تستدبر الدبور وتستقبل باب الكعبة، وقيل: القبول من الرياح الصبا؛ لأنها تستقبل الدبور، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قب).
(6) الفرع: شعر الرأس، وهو الشعر التام، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (فرع).
(7) أسح: أسود، والسحّ والسحام والسحمة: السواد، وقيل: السحمة سواد كلون الغراب الأسح، وكل أسود أسح، أي الشديد السواد، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سح).
(8) وقد ورد عجز البيت في الأصل: (مَعَ النَّدَامَى قَالَ وَقِيلَ) وبه لا يستقيم الوزن والصحيح ما أثبتته الباحثة.

21 - تَلُومُ فِي حُبِّ عِيسَوِيٍّ⁽¹⁾ عَاشَ بِأَيْشُوعِهِ⁽²⁾ الْفَتِيلُ

22 - كَمَا يَعِيشُ الْأَنَامُ طُرًّا فِي جُودِ مَنْ ظَلُّهُ ظَلِيلُ

[90] وله في جارية بخدها خال: (الكامل)

1 - وَمَلِيحَةٌ مَزَجَتْ فَمِي بَرُضَابِهَا فَظَنَنْتُ أَنَّ رُضَابَهَا سَلَسَالُ

2 - وَلَثِمْتُ شَامَةً خَدَّهَا فَوَجَدْتُهَا مِسْكَ وَأَيْنَ مِنَ الْفَتِيْقِ الْخَالُ

[91] قال يمدح الملك الصَّالِحَ أبا الفتح محمود بن محمد بن داود - صاحب آمد - : (الخفيف)

1 - قُلْ لِسَاقِي الشَّمُولِ⁽³⁾ حُتَّ الشَّمُولَا وَأَدْرَهَا سُلَافَةً سَلَسَبِيلَا

2 - وَاسْقِنِيهَا عَذْرَاءَ قَدْ عَقَدَ الْمَرْجُ مِنْ الْحَبِّ حَوْلَهَا إِكْلِيلَا

3 - بِنْتُ كَرَمٍ تَنْفِي الْهُمُومَ وَتَحْذِي⁽⁴⁾ كَرَمَ النَّفْسِ وَالسَّخَاءِ الْبَخِيلَا

4 - لَوْ تَجَلَّتْ فِي كَاسِهَا غَسَقَ اللَّيْلِ لِمِنْ النُّورِ خَلَّتْهَا قُنْدِيلَا

5 - فَاصْطَبَحَهَا مُدَامَةً حَكَتِ الْمِسْكَ كَ ذَكَاءٍ وَفَاقَتْ الزَّنْجَبِيلَا

6 - لَوْ رَأَاهَا الْخَلِيلُ تَرْقُصُ فِي الرَّحَا حِ لَأَضْحَى لَهَا الْخَلِيلُ خَلِيلَا

7 - وَلِمَا لَا أَجْلُهَا وَهِيَ كَالْأَرْوَاحِ تَجْرِي فِينَا قَلِيلًا قَلِيلَا

8 - فَاسْقِنِيهَا مِثْلَ الزَّلَالِ فَقَدْ آ نَ لِسَمْسِ النَّهَارِ مِنْ أَنْ تَزُولَا

التخريج :

[90] ابن الشعَر، قِلَانِدُ الْجُمَانِ، 252/10.

[91] نفسه، 216/10-217.

ضوء على الشعر:

(1) عيسوي: نسبة إلى عيسى عليه السلام، ومصطلح "عيسوي" لم يعرف في المؤلفات العربية القديمة وفي الشعر الجاهلي، فهو من المصطلحات المتأخرة التي أُطلقت على النصارى، وقد أدخل علماء اللغة اللفظة في المعربات، ينظر: علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 161/12.

(2) أَيْشُوعُ: اسم النبي عيسى عليه السلام، وعيسى أصله بالعبرانية أَيْشُوعَ بهمزة مماله بين بين أو مكسورة ومعناه السيد، وقيل: المبارك فَعَرَّبَ والنسبة إليه عيسى وعيسوي، وجمعه عيسون بفتح السين وقد تُضم،

ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 316/1.

(3) الشَّمُولُ: الخمر، أو الباردة الطعم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (شمل).

(4) تَحْذِي: تعطي، والحدوة، بالكسر: العطية، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 412/37.

- 9- مِنْ يَدَي شَادِنٍ أَغْنَى إِذَا جَا
رَ (1) عَلَيْنَا أَحَارَ مِنَّا الْعُقُولَا
10- سَلَبَ اللَّبَّ حِينَ مَا عَايَنَ اللَّبُّ
بُ جَبِينًا صَلَّتَا (2) وَخَدًّا أُسَيْلَا
11- وَفَمَا بَارِدَ اللَّثَّاتِ وَظَلَمًا
عَطِرًا مِنْ رُضَابِهِ مَعْسُولَا
12- سَلَّ مِنْ جَفْنِهِ عَلَيَّ حُسَامًا
خَفْتُ لَمَّا رَأَيْتُهُ أَنْ يَصُولَا
13- مِثْلَ مَا سَلَّ فِي الْوَعَى نَاصِرُ الدِّيْ
نِ حُسَامًا يُرْدِي الْكُمَاةَ صَقِيلَا

* قافية النون:

[92] وقال يصف بغداد ويتشوق إليها:

(المتقارب)

- 1- أَحْنُ إِلَى الْجِسْرِ (3) وَالرَّقَّتَيْنِ (4)
وَدَارِ السَّلَامِ (5) وَسُكَّانِهَا
2- وَتَاجِ الْخِلَافَةِ (6) وَالْجَانِبَيْنِ
مِنَ الشَّطِّ (7) وَالظِّلِّ مِنْ بَانِهَا

التخريج:

[92] ابن الشعار، فلاند الجُمان، 254-253/10.

ضوء على الشعر:

- (1) جَارَ: يريد مَالَ علينا، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (جور).
(2) (جَبِينًا صَلَّتَا): الصَّلْتُ الجبين: الواسعُ الجبين، الأبيضُ الجبين، الواضح، وقيل: الصَّلْتُ: الأملَس، وقيل: البارز، وقيل الصَّلْتُ: الواسعُ المُستوي الجميل، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صلت).
(3) الجِسْرُ: بكسر الجيم إذا قالوا الجسر ويوم الجسر ولم يضيفوه إلى شيء: فإنما يريدون الجسر الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس قرب الحيرة بالعراق، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 140/2.
(4) الرَّقَّتَانِ: تنثية الرقة وهي الرقة القديمة تجاور الرقة الجديدة، وهي بلد على شاطئ الفرات، يقال لهما: الرَّقَّتَانِ؛ تغليباً لأحد الاسمين على الآخر، كما قيل: العُمران والقمران وغير ذلك، قال ياقوت الحموي: أظنهم ثنوا الرقة والرافقة كما قالوا العراقيان للبصرة والكوفة، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 57/3. ابن خلكان، وفيات الأعيان، 227/6، ابن العماد، شذرات الذهب، 328/1.
(5) دار السلام: بغداد، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 156/3.
(6) التَّاجُ: دار مشهورة جليظة ببغداد، من دور الخلافة، كان أول من وضع أساسه وسمَّاه بهذه التسمية أمير المؤمنين المعتضد، وأتمه ابن المكتفى، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 3/2.
(7) الجانبان من الشط: يريد دجلة والفرات.

- 3- وَبَابِ الْمَرَاتِبِ (1) وَالزَّنْدُورْدِ (2) وَنَهْرِ الْمُعْلَى (3) وَغَزَلَاتِهَا
4- وَسُوقِ الْعَمِيدِ (4) وَبَابِ الْحَدِيدِ (5) وَخُورِ الْجِنَانِ وَوَلَدَاتِهَا
5- وَأَسْأَلُ ذَا الطَّوْلِ (6) رَبَّ الْعِبَادِ إِدَامَةَ دَوْلَةِ سُلْطَانِهَا

[93] وقال وقد استدعاه الملك العزيز عثمان بن يوسف ليلاً وجعله جليساً له: (الخفيف)

- 1- لَسْتُ أَخْشَى صَرْفَ الزَّمَانِ إِذَا مَا نَظَرْتَنِي مَوَاهِبُ السُّلْطَانِ
2- مَلِكٌ كُنْتُ مَيِّتًا قَبْلَ مَرَا هُ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَحْيَانِي

* قافية الهاء:

[94] وقال في صبيّ كلما زاده إحساناً زاده إساءة، وكان قد أنحله هواه فذكر الإساءة فجفاه:

(البسيط)

- 1- لَا تَعَجَّبُوا لِمَحِبِّ كُنْتُ أُوثِرُهُ بِنَاطِرِي وَرُوحِي كُنْتُ أَفْدِيهِ

التخريج:

[93] ابن الشعار، قلائد الجمان، 255/10.

[94] نفسه، 254/10.

ضوء على الشعر:

(1) باب المراتب: أحد أبواب دار الخلافة ببغداد، كان من أجل أبوابها وأشرفها، وكان حاجبه عظيم القدر ونافذ الأمر، داخله مملكة كبيرة كان يسكنها الأكابر والتجار والأشراف، وذوو البيوتات القديمة، وكانت الدور فيه غالبية الأثمان عزيزة الوجود في أيام السلاطين ببغداد؛ لأنه كان حراماً لمن يأوي إليه، وليس للمساکن فيه قيمة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 312/1.

(2) الزَّنْدُورْد: دير في الجانب الشرقي من بغداد، وأرضه كلها فواكه وأترج وأعنان، وهي من أجود الأعنان التي تعتصر ببغداد، والمعروف المشهور أن الزندورد مدينة كانت إلى جنب واسط، وقيل إن الزندورد من بناء الشياطين لسليمان بن داود عليه السلام وأبوابها من صنعتهم وكانت أربعة أبواب، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 154 / 2 و 513، الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، 254.

(3) نهر المُعْلَى: من أنهار بغداد، عليه أشهر وأعظم محلّة ببغداد، وفيها دار الخلافة المعظمة، ويسمى بالفردوس، ينسب إلى المعلّى بن طريف مولّى المهدي، وكان من كبار قادة الرشيد، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 324 / 2.

(4) سوق العميد: من أسواق بغداد.

(5) باب الحديد: محلّة معروفة غربي بغداد، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 502 / 2.

(6) ذا الطول: بالإضافة للملك، إذ الطول اتساع الغنى والفضل، يقال: طال عليهم بطول إذا أفضّل، فلما كان يطول على عباده بطوله ويوسعهم بجزيل عطائه سمي به، المناوي، فيض القدير، 494/2.

- 2- أَسَدَى إِلَيَّ قَبِيحًا كَيَّ يُعَاقِبُنِي فَكَانَ لِلْهَجَرِ أَحْلَى مِنْ تَلَافِيهِ
- 3- وَعَيْدُهُ أَنَّ مَا أَسَدَاهُ يُمْرِضُنِي فَكَانَ عَيْنَ شِفَائِي وَالِدَوَا فِيهِ
- 4- فَلَيْتَهُ لَا يَزَالُ الدَّهْرَ يَفْجَعُنِي بِصَدِّهِ وَبِصَابٍ⁽¹⁾ مِنْ تَجَنِّيهِ

[95] وقال يمدح الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد من قصيدة: (المنسرح)

- 1- يَا لَيْلَةَ زَارَنِي مُحْيَاهَا بَغَيْرِ وَعْدٍ مَا كَانَ أَوْفَاهَا
- 2- قَرَنْتُ أَوْلَى زِيَارَةٍ سَمَحَتْ عَلَى مُحِبٍّ بِيُؤْمِنُ أَخْرَاهَا
- 3- بَتُّ أَعْطَى بِكَ الْكُؤُوسَ فَمَا أَلَذَّهَا فِي فَمِي وَأَحْلَاهَا
- 4- أَمْرَجُ مِنْ رِبْقِهَا الْمُدَامَ وَقَدْ تَغَزَلْتُ بِالْمُدَامِ عَيْنَاهَا
- 5- فِي لَيْلَةٍ وَالرَّقِيبُ مُنْعَزِلٌ أَحْبَبُّهَا وَالْحَسُودُ يَشْنَاهَا
- 6- أَضَاءَ لِي ثَغْرُهَا الظَّلَامَ فَمَا أَزَالُ أَتْنِي عَلَى ثَنَائِيهَا
- 7- جَارِيَةً كَالْقَضِيبِ لَوْ دَعَتِ الْـ مَيِّتَ مَنْ قَبْرِهِ لِلْبَّاهَا
- 8- أَبْدَعَ فِي خَلْقِهَا إِلَهُ فَمَا أَحْسَنَ مَا صَاغَهَا وَسَوَّاهَا
- 9- أَنْسَى صَلَاتِي إِذَا خَلَوْتُ بِهَا وَهِيَ مَعَ الدَّهْرِ لَسْتُ أَنْسَاهَا
- 10- لَا سَيْمًا وَالنُّفُوسُ فِي يَدِهَا تَأْمُرُهَا تَارَةً وَتَنْهَاهَا
- 11- أَحْفَظُ عَهْدِي لَهَا وَتَحْفَظُنِي وَذَاكَ مَا زَالَ مِنْ سَجَايَاهَا
- 12- تَزِيدُ قَلْبِي أَسَى وَتَهْجُرُهُ وَهُوَ عَلَى الْحَالَتَيْنِ يَهْوَاهَا
- 13- لَوْلَا هَوَاهَا يُذِيبُنِي حُرْقًا مَا صِرْتُ عَبْدًا وَكُنْتُ مَوْلَاهَا
- 14- تُسَهِّرُنِي وَالنُّجُومُ خَافِقَةٌ قَدْ حَدَجْتُ⁽²⁾ لِلْسُرَى مَطَايَاهَا

التخريج:

[95] ابن الشعار، قلائد الجمان، 255/10.

ضوء على الشعر:

- (1) بِصَابٍ: الصَّابَةُ: ما أصابك من الدهر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صوب).
- (2) حَدَجْتُ: يقال: حَدَجَ الفرسُ يَحْدُجُ حَدُوجًا: نظر إلى شخص أو سمع صوتاً فأقام أذنه نحوه مع عينيه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حدج).

[97] وقال يتغزل:

(السريع)

- 1 - أَمَا تَرَى النَّرْجِسَ مِنْ جَفْنِهِ يَرْشُقُ جَانِي الْوَرْدِ مِنْ وَجْتِيَةِ
- 2 - وَسَوْسَنًا نَثَّ⁽¹⁾ عَلَيْنَا الَّذِي قَدْ كَتَبَ الرِّيحَانُ فِي عَارِضِيَةِ
- 3 - وَلَوْلَا نُضْدُ⁽²⁾ مِنْ ثَغْرِهِ بَيْنَ عَقِيْقٍ سَاقٍ حَتْفِي إِلَيْهِ
- 4 - فَوَالَّذِي قَلَّبَ قَلْبِي لَهُ لَا زِلْتُ أَهْوَاهُ وَأَحْنُو عَلَيْهِ

* قافية الياء:

[98] وقال يمدح سعد الدين⁽³⁾ أستاذ دار⁽⁴⁾ الملك المؤيد مسعود⁽⁵⁾ بن الملك الناصر صلاح

(مجزوء الكامل)

الدين يوسف بن أيوب بمصر:

- 1 - أَقْسَمْتُ بِالثَّغْرِ النَّقِيِّ وَبِحُسْنِ وَجْهِهِ يُوسُفِي⁽⁶⁾
- 2 - وَبِعَقْرِبِ الصَّدُغَيْنِ فَوْ قِ بِنَفْسِ غَضٍّ طَرِيٍّ
- 3 - وَبِنَرْجِسِ الْعَيْنَيْنِ أَقْ سِمٌ لَا بِسِحْرِ بَابِلِيٍّ

التخريج:

[97] ابن الشعار، قلاند الجمان، 253/10.

[98] نفسه، 254 /10.

ضوء على الشعر:

- (1) النَّثْ: النَّشْر، قيل: نَثَّ الحديثُ أَفْشَاهُ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نثث).
- (2) نُضْدٌ: يُقَالُ: نَضَّدَ الشَّيْءُ: جَعَلَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ مُتَسَقًّا، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نضد).
- (3) سعد الدين: هو أستاذ دار الملك المؤيد مسعود بن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، ينظر: ابن الشعار، قلاند الجمان، 254/10.

(4) أستاذ الدار: هو الذي يتولى شؤون مسكن السلطان أو الأمير وصرفه، وتنفيذه فيه أو امره، فهو رئيس الديوان الملكي أو الجمهوري على عصرنا، أو منصب يماثل مدير التشریفات في عصرنا ويقول فيه المصريون: (الإستدار) أستاذ الدار: بكسر الهمزة وهو لقب على الذي يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه وتمتثل أو امره فيه، ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، 429/5.

(5) الملك المؤيد: نجم الدين أبو الفتح مسعود بن السلطان صلاح الدين يوسف، ولد بدمشق سنة إحدى وسبعين وخمسائة، وهو شقيق العزيز، توفي سنة 606 هـ، فحمل إلى حلب ودفن بها، ينظر: العيني، عقد الجمان، 240/3، 278/2.

(6) يُوسُفِي: يريد النبي يوسف (النبي عليه السلام)، ضربه الشاعر مثلاً للجمال، إذ يقال: حُسْنُ يوسف، ينظر: الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، 48/1.

- 4- وَبِحَاجِبِ حَجَبِ الْعُيُوسِ نَ عَنِ الْقَوَامِ السَّهْرِ
- 5- وَبِخَصَرِهِ الْوَاهِي الدَّقِيقِ قِ وَوَرْدِ خَدَيْهِ الْبَهِيِّ
- 6- وَبِمَبْسَمِ عَطْرِ اللَّثَا تِ وَظَلَمِ⁽¹⁾ تَغْرِ لُؤْلُؤِي
- 7- لَا حُلْتَ عَنْ مَدْحِي لِسَعِ دِ الدِّينِ ذِي الْأَصْلِ الزَّكِيِّ
- 8- الْوَاهِبِ الْأَمْوَالِ لِلْسِ سُؤَالِ بِالْكَفِّ السَّخِيِّ
- 9- فَحَبَاهُ⁽²⁾ يُغْنِي مَادِحِي هُ إِذَا أَتَوْهُ عَنِ الْحَبِيِّ⁽³⁾

[99] وقوله يذم التكبر: (الطويل)

- 1- وَلَمَّا رَأَيْتُ الْكِبَرَ يُزْرِي بِأَهْلِهِ تَوَاضَعْتُ حَتَّى عَظَّمَ النَّاسُ حَالِيَا
- 2- إِذَا الْكِبَرُ زَارَ الْمَرْءَ شَانَ جَمَالِهِ وَأَصْبَحَ مِنْ ثَوْبِ الرِّئَاسَةِ عَارِيَا

التخريج:

[99] ابن الشعار، قلند الجمان، 254 / 10.

ضوء على الشعر:

- (1) الظلم: الرقيق، وهو الماء الجاري على الثغر، وقيل: العسل، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ظلم).
- (2) فحباه: أعطاه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حبا).
- (3) الحبي: من حبا حبواً: مشى على يديه وبطنه أي زحف، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حبا).

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأمثال.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأماكن.
- فهرس الحيوان والطيور.
- فهرس الأشعار.
- فهرس الأمم والطوائف والقبائل.
- فهرس الأزمنة والكواكب.

فهرس الآيات القرآنية

صفحة البحث	السورة	رقمها	الآية	
185	الشمس	7	﴿ 8 9 : ﴾	1.
186	الفرقان	53	﴿ ' μ ¶ ﴾	2.
186	النور	35	﴿ © كَانَتْهَا كَوَكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾	3.

فهرس الأمثال

صفحة البحث	المثل	
189	أخنت من دلال	1.
189	أصدق من قطة	2.
188	فلان بيضة البلد	3.
189	ما ذرّ شارق	4.

فهرس الأعلام

الرقم	الاسم	رقم الصفحة
1.	آدم عليه السلام	278، 300، 301
2.	أحمد بن القاسم بن شيخ السّلاميّة (الوزير ضياء الدّين) أبو العباس	271، 291، 293، 295، 299، 317، 320، 326
3.	أسد الدّين المصري ، شيركوه، الأسد المصري	301، 302
4.	الأوحد المغني	298
5.	أياز الرومي	305
6.	أيشوع	334
7.	بدر الدّين كنان	280
8.	بقراط	258
9.	بلقيس	268
10.	بهاء الدين (أبو سعيد) سريج بن عبد الله	332
11.	بهاء الدين علي بن السمين	295
12.	جالوت	279
13.	جالينوس	258
14.	الخضر بن شروّ	299، 300
15.	داود (النبي)	273، 294، 296
16.	ريحان (العبد)	328
17.	زين الدين (أبو سعيد) بهروز بن عبد الله	307، 338
18.	السديد الطبيب	257
19.	سعاد	288
20.	سعد الدّين	339، 340
21.	سقراط	258
22.	سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر	277، 282، 283

265، 264	شمس الدين قاضي دارا (أبو الفتح)	.23
289، 262، 261	صارم الدين (ختلج) خطباً	.24
278، 267، 266، 256، 286، 285، 282، 281، 309، 293، 292، 291، 334، 323، 314، 313، 337	الصّالح، الملك الصّالح، محمود بن محمد، ناصر الدّين	.25
308، 297	صفي الدّين عبد الله بن علي بن شكر	.26
317، 315، 304، 303	الظاهر، الملك الظّاهر، غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب	.27
275، 274	عماد الدين، أبو بكر بن داود	.28
328	عمر بن رجب الصّائغ	.29
310	عنتره العبسي	.30
334	عيسى (النبي) عيسوي	.31
309	غازي المعذر	.32
297	أبو فراس الحمداني	.33
311، 300	القيس	.34
311	كسرى ملك الفرس	.35
269، 259	المبارك بن النفيس بن مخطر (شمس الدولة)	.36
289	ابن المجاور الدمشقي، يوسف بن الحسين، نجم الدين، أبو الفتح	.37
273	محمد بن داود (نور الدين)	.38
283، 268، 265، 262، 319، 305، 299، 289، 336، 322	الملك العزيز عماد الدين عثمان بن يوسف بن أيوب	.39
307، 287، 286	العضد مرهف بن أسامة بن منقذ	.40
295، 288، 287، 275	المسعود، الملك المسعود، سكرمان بن محمد بن داود	.41

299، 320، 321، 322، 330، 325	قطب الدين	
315، 294، 279	معبد (المغني)	.42
271، 269	المنتجب	.43
322	ابن المنذر	.44
339	الملك المؤيد، مسعود بن الملك الناصر صلاح الدين	.45
328، 293	الملك المؤيد نظام الدين	.46
339، 290	الناصر، الملك الناصر، صلاح الدين يوسف	.47
330	ابن النجار البغداي، أبو عبد الله	.48
314	نظام الدين، أبو سعيد البقش	.49
279	هاروت وماروت	.50
270	هامان	.51
306، 305	هلدرا	.52
329	الهمام	.53
265	هيثم المعلم	.54
324	يعقوب بن المقدم (نجم الدين)	.55
297، 330، 303	يوسف بن سليمان بن صالح، أبو يعقوب، ابن الكتاني	.56
326، 260، 259	يوسف العقاب، شهاب الدين	.57
339، 319	يوسف (النبي)	.58
303	يونس بن أبي الغنائم (أبو الفتح)	.59
272	يونس بن أحمد القرقوبي	.60
328	يونس بن الظهير، الجمال	.61

فهرس الأماكن

الرقم	المكان	رقم الصفحة
1.	آمد	271، 287، 293، 317، 318، 324، 325، 326، 332، 334
2.	باب الحديد	336
3.	باب المجاز	292
4.	باب المراتب	336
5.	باب عرضي	336
6.	بابل ، بابلي	326، 330، 339
7.	بالويه	307، 338
8.	بغداد، البغدادي	257، 260، 272، 303، 308، 326، 330، 335
9.	بلاد الشرق	262
10.	البلد، البلدان	258، 287، 293
11.	البيت المقدس	263
12.	التاج، تاج الخلافة	260، 335
13.	الجانبين من الشط	335
14.	الجحيم	269، 320
15.	الجسر	335
16.	جنان الخلد	296
17.	الحصن	273، 278، 299
18.	حصن كيفا	320
19.	حلب	303، 315
20.	الحمام	269، 328

335	دار السلام	.21
321	الدبيقي	.22
289	الدمشقي	.23
330 ، 317 ، 271	ديار، دياركم، ديار بكر	.24
311	الدير	.25
268	الدير المصريّة	.26
256	رَحْبِي (الرَحْبَة)	.27
335	الرقّتين	.28
336	الزّندورد	.29
272 ، 257 ، 256	الزّوراء	.30
276	السّامري	.31
268	سبأ	.32
296	سقر	.33
334 ، 333	سلسبيل، سلسبيلًا	.34
336	سوق العميد	.35
290	الشّام	.36
306	الشّحري	.37
294	صرخد	.38
290	الصعيد	.39
318 ، 293	ضيعة ، الضيعة	.40
293	الفرات	.41
310	القدس	.42
272	قرقوب	.43
313	قُطْرُبُل	.44
307	قلعة بالويه	.45
260	الكباب	.46

310	الكرخ	.47
328 ، 314	ماردين	.48
328 ، 269 ، 257	المحلة الغربية	.49
،284 ،283 ،280 ،263 ،261 ،302 ،301 ،299 ،289 ،286 ،328 ،322 ،319 ،312 ،305 339	مصر، المصري	.50
316	المغرب	.51
،277 ،269 ،265 ،263 ،254 308 ، 295	الموصل	.52
277	نصيبين	.53
336	نهر المعلى	.54
278	هَيْتَ	.55
264	وادي الأراك	.56
324	وادي العقيق	.57
305	يافا	.58

فهرس الحيوان والطيور

الرقم	اسم الحيوان	رقم الصفحة
1.	الأساد	280
2.	أباعر	304
3.	أسد	286
4.	الأسد	332
5.	أفاعيها	269
6.	أينق	316
7.	جآذر	304
8.	الحياد	309 ، 308
9.	الحمام، حمام الأيك	289 ، 264
10.	الخيـل	332
11.	دجاج	280
12.	الديوك	325
13.	الذباب	309
14.	رשא ، الرשא	333 ، 286 ، 331 ، 275
15.	الركاب	304 ، 292
16.	الريم، ريم الفلاة	333 ، 329 ، 316
17.	السباع	293 ، 260
18.	سرب	256
19.	شادن	335 ، 329
20.	صل	291
21.	الضفادع	304
22.	طائر اللب	258
23.	الطير	294 ، 292

24.	طبيبة، طبيباً، طبي، الطَّباة	256، 266، 287، 289، 322
25.	العُقَاب	265
26.	الغزال، الغزالة، غزلاًناً، غزلاًنها	299، 304، 316، 329، 336
27.	القُطَا	317
28.	القُود	317
29.	الكلاب	260، 266
30.	ليث ، اللَّيْث	277، 294
31.	المها، مهاة الرمل، مهاة النقا	279، 299، 302، 333
32.	اليعملات	317

فهرس الأشعار

الرقم	القافية	مجراها	البحر	عدد الأبيات
	(ب)			
1.	عُجْبِي	خفض	مجزوء الرمل	16
2.	الطَّبَّ	خفض	الهزج	11
3.	الغَضَبِ	خفض	المنسرح	2
4.	الشَّهَابِ	خفض	مخلع البسيط	4
5.	الكَوَاكِبِ	خفض	الطويل	2
6.	المُهَابِ	خفض	الخفيف	6
7.	الجنُوبِ	خفض	مجزوء الكامل	8
8.	عَجِيبُ	رفع	مجزوء الرمل	21
9.	يُؤُوبُ	رفع	الطويل	5
10.	الأَلْبَابُ	رفع	الخفيف	2
11.	الحَبَابُ	رفع	مجزوء الكامل	4
12.	أَتُوبُ	رفع	الطويل	20
13.	مُجِيبُ	رفع	مخلع البسيط	3
14.	عُقَابُ	رفع	الخفيف	2
15.	ذَهَبَا	نصب	المنسرح	22
16.	وَارُغَبَا	نصب	الكامل	9
17.	التَّهَابَا	نصب	الوافر	3
18.	يُهَابَا	نصب	الوافر	4
19.	العِنَبُ	وقف	مجزوء الرجز	18
20.	الأَدَبُ	وقف	مجزوء الرجز	6
21.	وَأَعْرَبُ	وقف	مجزوء الكامل	9

الرقم	القافية	مجراها	البحر	عدد الأبيات
	(ت)			
22.	مُؤَاتِيْ	خفض	المجتث	10
23.	المُؤَاتِيْ	خفض	الخفيف	13
24.	بِرُؤْيَيْهِ	خفض	المديد	18
25.	مَتَى	نصب	الكامل	6
26.	يَأْقُوْتَا	نصب	البسيط	13
	(ج)			
27.	وَفَاجَا	نصب	مجزوء الرمل	15
	(ح)			
28.	اِنْتَزَحُوا	رفع	المديد	10
29.	وَصَحَا	نصب	الكامل	18
30.	وَمَدَحَا	نصب	مجزوء الرمل	5
31.	الْمَدَحَا	نصب	الهزج	3
32.	مُزَاخْ	وقف	السريع	10
	(د)			
33.	الزَّرْدِ	خفض	المنسرح	13
34.	مُرَادِيْ	خفض	الرمل	13
35.	العَيْدِ	خفض	مجزوء الرجز	17
36.	الوُدَادُ	رفع	الخفيف	7
37.	أَحْمَدُ	رفع	الكامل	7
38.	المَجِيدُ	رفع	مخلع البسيط	6
39.	الجُودُ	رفع	المنسرح	4
40.	الحَسَدُ	وقف	المتقارب	5
41.	يُوجَدُ	وقف	المنسرح	21

الرقم	القافية	مجراها	البحر	عدد الأبيات
	(ر)			
42.	النَّظَرِ	خفض	البسيط	3
43.	قَمَرَهُ	خفض	المديد	15
44.	تَشْعُرِ	خفض	السريع	2
45.	اختياري	خفض	الوافر	1
46.	القرَّارِ	خفض	الوافر	2
47.	عِذَارِي	خفض	المتقارب	9
48.	بالشَّعِيرِ	خفض	الخفيف	4
49.	و الوترِ	خفض	المنسرح	16
50.	القدرِ	خفض	الهجج	27
51.	بِخَاطِرِي	خفض	الكامل	9
52.	يَخْسَرُ	رفع	المتقارب	4
53.	الأشعارَا	نصب	الخفيف	2
54.	كَيَّرَا	نصب	مجزوء الكامل	16
55.	القَمَرَا	نصب	البسيط	2
56.	دُرَرَا	نصب	المنسرح	7
57.	اليُسْرَى	نصب	السريع	2
58.	حَضَرُ	وقف	المتقارب	7
	(ز)			
59.	غَازِي	خفض	الخفيف	2
	(س)			
60.	نَفْسِي	خفض	السريع	31
61.	اِخْتِلَاسَا	نصب	الخفيف	14
	(ض)			

الرقم	القافية	مجراها	البحر	عدد الأبيات
62.	بِيْضُ	وقف	المتقارب	7
	(ط)			
63.	واخْتَطَا	نصب	الطويل	16
64.	الْقَطَا	نصب	مجزوء الرجز	7
	(ظ)			
65.	لَفْظَا	نصب	الطويل	6
	(ع)			
66.	الرَّفِيعِ	خفض	الوافر	2
67.	جَزْعُ	رفع	الطويل	2
	(ف)			
68.	يُوسِفُ	خفض	الطويل	3
69.	حَافُوا	رفع	الهزج	3
70.	كَيْفَا	نصب	الخفيف	3
71.	وَطَرَفَا	نصب	الخفيف	2
	(ق)			
72.	رَقِيَّ	خفض	مجزوء الرمل	4
73.	يُبْقِيَّ	خفض	الكامل	4
74.	الرَّحِيقُ	خفض	مجزوء الكامل	5
75.	وَرَقِ	خفض	البسيط	3
76.	مَعْشُوقُ	رفع	البسيط	5
77.	عَنْيَقُ	رفع	المجتث	5
78.	يَطْرُقُهُ	رفع	الرمل	9
79.	وَرِيقُ	وقف	الرمل	6
80.	الْخَلَاتِقُ	وقف	مجزوء الرمل	10

الرقم	القافية	مجراها	البحر	عدد الأبيات
	(ك)			
.81	الدُّيُوكِ	خفض	الخفيف	12
.82	يَرَآكَ	نصب	الوافر	3
.83	نُعْمَاكَ	نصب	السريع	4
	(ل)			
.84	السَّقْلِ	خفض	البسيط	6
.85	حَالِي	خفض	السريع	6
.86	لِلْجَمَالِ	خفض	مجزوء الكامل	7
.87	الخيَالِ	خفض	مجزوء الكامل	10
.88	بَابِلِ	خفض	المتقارب	22
.89	يَقُولُ	رفع	مخلع البسيط	22
.90	سَلْسَالُ	رفع	الكامل	2
.91	سَلْسِيْلًا	نصب	الخفيف	13
	(ن)			
.92	وَسَكَانِهَا	خفض	المتقارب	5
.93	السُّلْطَانِ	خفض	الخفيف	2
	(هـ)			
.94	أَفْدِيهِ	خفض	البسيط	4
.95	أَوْفَاهَا	نصب	المنسرح	15
.96	مَصْقُولَةٌ	وقف	المجتث	8
.97	وَجَنَّتِيَّةٍ	وقف	السريع	4
	(ي)			
.98	يُوسُفِيَّ	خفض	مجزوء الكامل	9
.99	حَالِيَا	نصب	الطويل	2

فهرس الأمم والطوائف والقبائل

الرقم	اسم الأمم والطوائف والقبائل	رقم الصفحة
1.	بنو الأصفر	312
2.	بنو أرتق	288
3.	بنو الشامس	300
4.	بنو عُدْرَة	302
5.	بنو مالك	256
6.	بنو منقذ	287
7.	الترك	322، 265، 261
8.	الرُّوم، الرُّومي	305، 270
9.	زبيد	290
10.	شأس	314
11.	العجم	258
12.	العرب	270، 258
13.	عمرو	314
14.	المقس	312

فهرس الأزمنة والكواكب

الرقم	الأزمنة والكواكب	رقم الصفحة
.1	جمادى	270
.2	الجوزاء	295
.3	رجب	270
.4	زُحَل	327
.5	سباط	317
.6	عيد الفطر	325 ، 280 ، 274 ، 273
.7	كانون	322 ، 318 ، 317 ، 294
.8	الكوكب الدرّي	302
.9	ليلة القدر	301
.10	النّيّرات	292

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. ابن الأثير القضاعي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبو بكر، (ت - 658 هـ):
 - الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، ط.2، القاهرة، 1985م.
3. الأبشيهي، أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد، (ت - 850 هـ):
 - المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 2002م.
4. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني، (ت - 630 هـ):
 - الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط.2، بيروت، 1415هـ-1995م. (1-10)
5. ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الجزري، (ت - 637 هـ):
 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، (د.ط)، بيروت، 1995م.
6. الأسد، ناصر الدين:
 - القيان والغناء في العصر الجاهلي، دار المعارف، ط.2، مصر، 1968م.
7. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، (ت - 356 هـ):
 - الأغاني، تحقيق: إحسان عباس وآخرين، دار صادر، ط.2، بيروت، 2004م. (1-7).
8. الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، (ت - 7 هـ):
 - الديوان، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجاميز، المطبعة النموذجية، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).

9. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيّد محمود البغدادي، (ت - 1270 هـ):
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، (د.ط)، بيروت، (د.ت). (1 - 30).
10. أنيس، إبراهيم:
- موسيقا الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، ط.3، القاهرة، 1965م.
11. الأهواني، عبد العزيز:
- ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ط)، القاهرة، 1962م.
12. باشا، حسن:
- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مكتبة النهضة المصرية، (د.ط)، القاهرة، 1957م.
13. باشا، عمر موسى:
- الأدب في بلاد الشام في عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، المكتبة العباسية، (د.ط)، دمشق، 1964م.
14. بدوي، أحمد:
- الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط.2، القاهرة، 1979م.
15. برهان، محمد أحمد:
- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر بيروت، ودار الفكر بدمشق (د.ط)، (د.ت).

16. البطل، علي:

- الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الأندلس، ط.3، بيروت، 1983م.

17. البغدادي، إسماعيل باشا، (ت - 1339هـ):

- هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، 1992م. (1-6).

18. بكار، يوسف حسين:

- اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، (د.ط)، مصر، 1971 م.
- بناء القصيدة العربية، دار الثقافة، (د.ط)، القاهرة، 1979م.

19. ابن البيطار، أبو محمد ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي، (ت - 646 هـ):

- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، 1422هـ - 2001م. (1-4).

20. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، (ت - 279 هـ):

- الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

21. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، (ت - 874 هـ):

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (د.ط)، مصر، (د.ت). (1-16).
- مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق ودراسة وتعليق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، (د.ط)، القاهرة، 1997م. (1-2).

22. أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، (ت - 231 هـ):
- الديوان، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، ط.5، القاهرة، 1987م. (41)
23. التونجي، محمد:
- المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 1413هـ - 1993م. (1-2)
24. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، (ت - 429 هـ):
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
25. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت - 255 هـ):
- الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، (د.ط)، بيروت، 1416هـ - 1996م (1-7).
 - مجموعة رسائل الجاحظ، رسالة العشق، تحقيق: محمد ساسي، مطبعة التقدم، (د.ط)، مصر، 1325هـ - 1905م.
26. الجرجاني، عبد القاهر، (ت - 471 هـ):
- دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد التونجي، دار الكتاب العربي، ط.1، بيروت، 1995م.
27. الجزري، أبو الحسن محمد بن محمد الشيباني، (ت - 630 هـ):
- اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، (د.ط)، بيروت، 1980م، (1-3).
28. الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد، (ت - 606 هـ):
- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، (د.ط)، بيروت، 1979م. (1-5).

29. ابن جعفر، أبو الفرج قدامة، (ت - 337 هـ):
- نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط.1، القاهرة، 1978م.
30. أبو جهجه، خليل ذياب:
- الحداثة الشعرية العربية بين الإبداع والتنظير والنقد، دار الفكر، ط.1، بيروت، 1995م.
31. الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد، (ت - 540 هـ):
- شرح أدب الكاتب، تحقيق ودراسة: طيبة حمد بودي، مطبوعات جامعة الكويت، ط.1، الكويت، 1995م.
32. حاوي، إيليا:
- فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، دار الكتاب اللبناني، ط.2، بيروت، (د.ت).
33. ابن حجة، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي، (ت - 837 هـ):
- خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شعيثو، دار ومكتبة الهلال، ط.1، بيروت، 1987م. (1-2)
34. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي الكناني الشافعي، (ت - 852 هـ):
- لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية/الهند - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط.3، بيروت، 1406 هـ - 1986م. (1-7)
35. ابن أبي الحديد، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد المدائني، (ت - 655 هـ):
- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 1418 هـ - 1998م.
36. الحسن البصري، صدر الدين علي، (ت - 659 هـ):
- الحماسة البصرية، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، (د.ط)، بيروت، 1983م. (1-2).

37. حسن، عبّاس:
 • النحو الوافي، دار المعارف، ط3، مصر، 1966م، (1-4).
38. حسين، محمد كامل:
 • دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين، دار الفكر العربي، مطابع دار الكتاب المصري، (د.ط)، القاهرة، 1957م.
39. الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني، (ت - 453 هـ):
 • زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 1417 هـ - 1997م . (1-2)
40. أبو حفص الحنبلي، سراج الدّين عمر بن علي بن عادل الدمشقي، (ت - 775 هـ):
 • اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلميّة، ط.1، بيروت، 1419 هـ - 1998م.
41. حمزة، عبد اللطيف:
 • الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبيّة إلى مجيء الحملة الفرنسيّة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، القاهرة، 2000م.
 • الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، مطبعة أحمد علي مخيمر، ط.8، 1968م.
42. الحميري، محمد عبد المنعم، (ت - 900 هـ):
 • الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط.2، بيروت، 1984م.
43. الحميري، أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر، (ت - 440 هـ):
 • البدیع في فصل الربيع، تحقيق: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، ط.1، دمشق، 1997م.

44. ابن حنبل، أحمد أبو عبدالله الشيباني، (ت - 241هـ):
- مسند الإمام أحمد بن حنبل مؤسسة قرطبة، (د.ط)، مصر، (د.ت).
45. الحنبلي، أحمد بن إبراهيم، (ت - 876هـ):
- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: مديحة الشرقاوي، دار المناهل للطباعة، (د.ط)، بور سعيد، 1996م.
46. حور، محمد إبراهيم:
- الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
47. خريوش، حسين يوسف:
- ابن بسام وكتابه الذخيرة، دار الفكر، (د.ط)، عمان، 1984م.
48. الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد المصري الشافعي، (ت - 1069 هـ).
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تحقيق: محمد كشاش، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 1418هـ - 1998م .
49. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، (ت - 808 هـ):
- مقدمة ابن خلدون، دار القلم، ط.5، بيروت، 1984م.
50. ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، (ت - 681 هـ):
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (د.ط)، بيروت، 1977م، (1-8)
51. الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، (ت - 24 هـ):
- الديوان، دار الأندلس، ط.6، طبعة جديدة محققة، بيروت، 1969م.

52. الدّمَامِينِي، بدر الدّين، (ت - 827 هـ):
- العيون الفاخرة الغامزة على خباب الرّامزة، المطبعة الخيرية، ط1، مصر، 1323هـ-1903م.
53. الذّهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت - 748هـ):
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1987م. (1-52).
 - العبر في خبر من غير، تحقيق: صلاح الدّين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ط2، الكويت، 1984م. (1-5).
 - سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط9، بيروت، 1413هـ - 1993م. (1-25).
54. الرّازي، محمد بن عبد القادر، (ت - 666 هـ):
- مختار الصّاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، (د.ط)، بيروت، 1415هـ - 1995م.
55. الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، (ت - 502 هـ):
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق: عمر الطّباع، دار القلم، (د.ط)، بيروت، 1420هـ - 1999م. (1-2).
56. الرباعي، عبد القادر:
- الصورة الفنيّة في شعر أبي تمام، جامعة اليرموك، ط1، إربد، 1980م.
 - الصّورة الفنيّة في شعر زهير بن أبي سُلمى، دار العلوم للطباعة والنّشر، (د.ط)، الرّياض، 1984م.
57. ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، (ت - 463 هـ):
- العمدة في محاسن الشّعْر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة التجاريّة الكبرى، مطبعة السّعادة، ط2، القاهرة، 1955م. (1-2).

58. الرضي، عبد الحميد:

- شرح تحفة الخليل في العروض والقافية، مطبعة العاني، (د.ط)، بغداد، 1968م.

59. الرقب، شفيق:

- الشعر العربي في بلاد الشام في القرن السادس الهجري، دار صفاء، (د.ط)، عمان، 1993م.

60. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (ت - 1205هـ) :

- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرين، دار الهداية، (د.ط)، (د.ت). (1-40).
- ترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب، تقديم وتحقيق: مديحة الشرقاوي، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، دار المصري للطباعة، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).

61. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت - 538هـ) :

- المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، ط.2، بيروت، 1987م. (1-2)

62. السخاوي، شمس الدين، (ت - 902هـ) :

- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 1414هـ - 1993م. (1-2)

63. السراحنة، حسن محمد عبد الهادي:

- دراسة شعر تاج الملوك بوري بن أيوب مع تحقيق ديوانه، دار الينابيع للنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.م)، 1997م.

64. ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى، (ت - 685هـ) :

- الغصون البانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).

65. سلام، محمد زغلول:
- الأدب في العصر الأيوبي، مؤسسة الثقافة الجامعية، ط.1، الإسكندرية، 1959م.
 - تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى القرن السابع الهجري، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
66. السمرة، محمود:
- القاضي الجرجاني الأديب الناقد، منشورات المكتب التجاري، ط.2، بيروت، 1979م.
67. السّمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التّميمي، (ت - 562 هـ):
- الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، ط.1، بيروت، 1998م . (1-5).
68. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النّحوي اللّغوي الأندلسي، (ت - 458 هـ):
- المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، ط.1، بيروت، 1966م. (1-5).
69. السيوطي، جلال الدّين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان، (ت - 911 هـ):
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 1997م.
 - المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه وعلّق حواشيه: محمد أبي الفضل إبراهيم **وأخرون**، دار الحرم للتراث، ط.3، القاهرة، (د.ت). (1-2)
70. أبو شامة، شهاب الدّين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي، (ت - 665 هـ):
- الروضتين في أخبار الدولتين النّورية والصّلاحية، تحقيق: إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرّسالة، ط.1، بيروت، 1997م. (1-5)
71. الشّايب، أحمد:
- الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، ط.5، القاهرة، (د.ت).

72. شبارو، عصام محمد:

- السلّاطين في المشرق العربي، دار النهضة العربية، ط.1، بيروت، 1994م.

73. ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم، (ت - 632هـ):

- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، (د. د) ط.1، القاهرة، 1964م.

74. ابن الشعّار، كمال الدين أبو البركات المبارك بن الشعّار الموصليّ، (ت - 654هـ):

- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 2005م. (1-10)

75. الشناوي، علي الغريب محمد:

- الصّورة الشعّرية عند الأعمى التّطيليّ، مكتبة الآداب، ط.1، القاهرة، 2003م.

76. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، (ت - 548 هـ):

- الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، (د.ط)، بيروت، 1404هـ - 1983م. (1-2)

77. شيخ أمين، بكري:

- مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، دار الشروق، ط.1، مصر، 1972 م.

78. شير، أدي:

- الألفاظ الفارسية المعرّبة، المطبعة الكاثوليكية، (د.ط)، بيروت، 1908م.

79. الصّقدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، (ت - 764 هـ):

- الوافي بالوفيات، الجزء التاسع والعشرون، تحقيق واعتناء ماهر جرار، الشركة المتحدة للتوزيع، ط.1، (د.م)، 1997م.

80. ضيف، شوقي :
• في النقد الأدبي، دار المعارف ، ط.2 ، القاهرة ، 1962 م.
81. ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي، (ت - 322هـ):
• عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
82. طبانة، بدوي:
• السرفقات الأدبية، دار الثقافة، (د.ط)، بيروت، 1986م.
83. ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت - 1284 هـ):
• تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون، (د.ط)، تونس، 1997م. (1 - 30).
84. عباس، إحسان:
• تاريخ النقد الأدبي عن العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري)، دار الشروق، ط.4، عمّان، 2006م.
• فنّ الشعر، دار الشروق، ط.4، عمّان، 1978م.
85. عبد الرحمن، نصرت:
• الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، مكتبة الأقصى، ط.2، عمّان، 1982م.
86. عبد الله، محمد حسن:
• الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).

87. العبود، عبد الكريم توفيق: الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد (547-656 هـ)، وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة، (د.ط)، بغداد، 1976م.
88. عبد الوهاب، محمد، (ت - 1206 هـ): مختصر السيرة، تحقيق: محمد بلتاجي وآخرين، مطابع الرياض، ط.1، الرياض، (د.ت).
89. عتيق، عبد العزيز: علم العروض والقافية، دار الآفاق العربية، ط.1، القاهرة، 2006 م.
90. العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي (ت - 1162 هـ): كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة ، ط.4، بيروت، 1405هـ - 1984م.
91. عسّاف، ساسين: الصورة الشعرية (وجهات نظر غربية وعربية)، دار مارون عبود، (د.ط)، بيروت، 1985م.
- الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط.1، بيروت، 1982م.
92. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن عبد الله بن هبة الله الشافعي، (ت - 571 هـ). تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، (د.ط)، بيروت، 1995م. (1-70)

93. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (ت - 395 هـ):
- جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الفكر، ط.2، بيروت، 1988م.
 - الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، (د.ط)، بيروت، 1986م.
94. عصفور، جابر:
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط.3، بيروت، 1992 م .
95. عطوان، حسين:
- مقالات في الشعر ونقده، دار الجيل، ط.1، بيروت، 1987م.
96. العكبري، أبو البقاء، (ت - 616 هـ):
- ديوان أبي الطيب المتنبي المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا وآخرين، دار المعرفة، (د.ط)، بيروت، 1978م.
97. أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان، (ت - 449 هـ):
- شروح سقط الزند، القسم الثالث بتحقيق: مصطفى السقا وآخرين، بإشراف طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية، ط.3، القاهرة، 1408هـ-1987م. (5-1)
98. علي، أسعد:
- الإنسان والتاريخ في شعر أبي تمام، دار الكتاب اللبناني، ط.1، بيروت، (د.ت).
99. علي، جواد:
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، ط.4، بيروت، 2001م. (20-1).

100. ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي (ت - 1089 هـ).

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط.1، دمشق، 1406 هـ - 1985م. (1-8).

101. عوض، ريتا:

- بنية القصيدة الجاهلية (الصورة الشعرية لدى امرئ القيس)، دار الآداب، ط.2، بيروت، 1992م.

102. عيد، رجاء:

- لغة الشعر/قراءة في الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، (د.ط)، الإسكندرية، 1985م.

103. العيني، بدر الدين محمود، (ت - 855هـ):

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق ودراسة: محمود رزق محمود، دار الكتب والوثائق القومية مركز تحقيق التراث، ط.1، القاهرة، الجزء الأول/2003، والجزء الثاني/2004، والجزء الثالث/2007. (1-4)

104. ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، (ت - 395 هـ):

- معجم مقاييس اللغة، وضع حواشيه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 1999م، (1-2).

105. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي، (ت - 732هـ) :

- المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب وآخرين، تقديم: حسين مؤنس، دار المعارف، ط.1، القاهرة، 1999م. (1-4)

106. فضل، صلاح:

- نظرة البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط.1، القاهرة، 1978م.

107. ابن الفوطي، كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (ت - 723 هـ):

- مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ومجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط.1، طهران، 1416هـ - 1996م. (1-6)

108. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ (ت - 770 هـ).

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

109. القاضي الجرجاني، علي بن عبد العزيز، (ت - 392 هـ):

- الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط.2، (د.م)، 1951م.

110. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت - 276 هـ):

- عيون الأخبار، وزارة الثقافة والإرشاد القومي والمؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د.ط)، القاهرة، 1963م. (1-4)

111. القرطاجني، أبو الحسن حازم، (ت 684 هـ) :

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، (د.ط)، تونس، 1966م.

112. قطب، سيد:

- التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط.8، بيروت، 1983م.

113. القط، عبد القادر:

- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة المصرية، (د.ط)، بيروت، 1981م.

114. ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة بن أسد، (ت - 555هـ):
- تاريخ أبي يعلى، مطبعة الآباء اليسوعيين، (د.ط)، بيروت، 1908م.
115. القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، (ت - 821 هـ):
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، (د.ط)، دمشق، 1981م. (1-14)
116. القنوجي، صديق بن حسن، (ت - 1307 هـ):
- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، 1978م.
117. القيسي، نوري حمودي:
- دراسات في الأدب الجاهلي، دار الفكر، (د.ط)، دمشق، 1972م.
118. الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد، (ت - 764 هـ):
- فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد بن عوض الله، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 2000م. (1-2)
119. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت - 774 هـ):
- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، (د.ط)، بيروت، (د.ت). (1-14)
 - تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، (د.ط)، بيروت، 1401 هـ - 1980م. (1-4)
120. كثير عزة، أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن عامر الخزاعي، (ت - 105 هـ):
- الديوان، جمعه وشرحه: إحسان عباس، دار الثقافة، (د.ط)، بيروت، 1971م.
121. كحالة، عمر رضا:
- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، ط.8، بيروت، 1997م. (1-5).

122. الكفراوي، محمد عبد العزيز:
• تاريخ الشعر العربي، مكتبة نهضة، (د.ط)، القاهرة، 1968م.
123. ماير:
• الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي، (د. د)، (د.ط)، القاهرة، 1972م.
124. المبارك الإريلي، شرف الدين المبارك بن أحمد، (ت - 937 هـ):
• تاريخ إربل، تحقيق: سامي بن سيد الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، (د.ط)، العراق، 1980م.
125. امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، (ت - 80 ق.هـ):
• الديوان، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط.4، القاهرة، 1984م.
126. المصري، حسين مجيب:
• المعجم الفارسي العربي الجامع، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ط)، القاهرة، 1984م.
127. مصطفى، عبد المطلب:
• اتجاهات النقد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، دار الأندلس، ط.1، بيروت، 1984م.
128. ابن المعتز، عبد الله بن محمد العباسي، (ت - 296 هـ):
• البيدع، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس عليه: أغناطيوس كراتشوفسكي، شركة ستيفن أوستن، (د.ط)، لندن، 1935م.
129. المقرئ، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، (ت - 1041 هـ):
• نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (د.ط)، بيروت، 1388هـ - 1968م. (1-10)

130. المناوي، محمد عبد الرؤوف، (ت - 1031 هـ).

- التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، (ط.1)، 1410 هـ — 1980م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، ط.1، مصر، 1356هـ — 1936م. (6-1)

131. ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت - 711هـ) :

- لسان العرب، دار صادر، ط.6، بيروت، 1997م. (1 - 18)

132. ابن منقذ، أسامة، (ت - 584 هـ) :

- البدیع فی نقد الشعر، تحقيق: أحمد أحمد بدوي وآخرين، مطبعة البابي الحلبي، (د.ط)، مصر، 1960م .

133. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، (ت - 518 هـ) :

- مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

134. نافع، عبد الفتاح:

- الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر للنشر والتوزيع، (د.ط)، إربد، 1983م.

135. نجا، أشرف محمود:

- قصيدة المديح في الأدلس - عصر الطوائف، دار المعرفة الجامعية، ط.2، مصر، 1998م.

136. النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي، (ت - 978 هـ).

- الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 1410 هـ - 1980م. (2-1)

137. أبو نواس، الحسن بن هانئ الحكمي، (ت - 195 هـ) :
- الديوان، برواية حمزة الأصبهاني، تحقيق: إيفالد فاغنر، دار الكتاب العربي/برلين، ط.2، مطبعة مؤسسة البيان، بيروت، 2001م. (6-1)
138. النّووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحوراني الشافعي، (ت - 676 هـ) :
- روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي، ط.2، بيروت، 1405 هـ - 1984م. (1-12).
139. النّويري، شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب، (ت - 733 هـ) :
- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وآخرين، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 2004م. (1-33).
140. النّويهّي، محمد:
- الشّعر الجاهلي، منهج في دراسته وتقويمه، الدّار القومية للطباعة والنّشر، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
141. النّيسابوري، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم، (ت - 405 هـ) :
- المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 1990م. (1-4).
142. الهاشمي، السيّد أحمد:
- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، مطبعة حجازي، (د.ط)، مصر، 1951م.
143. هدّارة، محمد مصطفى:
- اتّجاهات الشعر العربي في القرن الثّاني الهجري، دار المعارف، (د.ط)، مصر، 1978م.

144. هلال، محمد غنيمي:
 • النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، (د.ط)، القاهرة، 1979م.
145. الهيب، أحمد فوزي:
 • الحركة الشعرية زمن الممالك في حلب الشهباء، مؤسسة الرسالة، (د.ط)، بيروت، 1986م.
146. الهيثمي، ابن حجر، (ت - 973 هـ):
 • الزواجر عن اقتراف الكبائر، تحقيق: تم التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز العصرية، ط.2، صيدا - بيروت، 1420هـ - 1999م.
147. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، (ت - 697 هـ):
 • مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، حققه ووضع حواشيه: حسنين محمد ربيع، وراجعته: سعيد عاشور، دار الكتب، (د.ط)، مصر، 1972م. (1-5)
148. ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، (ت - 749 هـ):
 • تتمة المختصر في أخبار البشر المسمى تاريخ ابن الوردي، تحقيق: أحمد رفعت البدرائي، دار المعرفة، ط.1، بيروت، 1970م. (1-2)
149. ويليك، رينيه، ووارين، أوستن:
 • نظرية الأدب، ترجمة: محيي الدين صبحي، مطبعة الطرابيشي، (د.ط)، دمشق، 1972 م.
150. اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي، (ت - 768 هـ):
 • مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط.2، القاهرة، 1413هـ - 1993م. (1-4)
151. ياقوت، أبو عبد الله شهاب الدين الحموي الرومي البغدادي، (ت - 626 هـ):
 • معجم البلدان، دار الفكر، (د.ط)، بيروت، 1968 م. (1-5)

152. اليوسي، أبو علي الحسن نور الدين بن مسعود بن محمد، (ت - 1102 هـ):

- زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، ط.1،
الدار البيضاء، 1981م.

153. اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني (ت - 726 هـ):

- ذيل مرآة الزمان، بعناية وزارة التحقيقات الحكومية والأمور الثقافية للحكومة الهنديّة، دار
الكتاب الإسلامي، ط.2، القاهرة، 1413هـ-1992م. (1-4)

الدوريات:

1. التميمي، حسام:
• الصورة الشعرية في شعر القدسيات زمن الفتح 583هـ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، مجلد 13، عدد 2، 1999م.
2. ربابعة، موسى:
• جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى، مجلة جرش، م 2، ع 2، 1998م.
3. الرقب، شفيق:
• الرشيد النابلسي حياته وشعره، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مجلد 12 عدد 2، 1997م.
4. عكّام، فهد:
• نحو معالجة جديدة للصورة الشعرية، أنماط الصورة في شعر أبي تمام، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، عدد 18، 1985م.

الرسائل الجامعية:

1. البار، عبد الله:
• شعر امرئ القيس (دراسة أسلوبية)، رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء، اليمن، 1998م.
2. الحولي، أسماء عودة:
• قصيدة المدح في الشعر الشامي زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، 2004م.
3. الراعي، علي بن علي:
• الصورة في شعر ابن هتيم، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، اليمن، 2005م.

4. السراحنة، حسن محمد عبد الهادي:
• دراسة شعر شمس الدين النواجي مع تحقيق ديوانه، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة ، مصر، 1980 م.
5. السراحنة، سارة حسين:
• أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً مع جمع شعره وتوثيقه ودراسته، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، فلسطين، 2007 م.
6. الصايغ، هنرييت زاهي سابا:
• اتجاهات الشعر العربي في القرن السابع الهجري في بلاد الشام، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، مصر، 1980م.
7. الصّعفاني، عبد الرحمن:
• تشكيل الصورة ودلالاتها في شعر زهير بن أبي سلمى، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، اليمن، 2002 م.

المواقع الإلكترونية:

1. <http://www.al-islam.com> ، تعريف بالأماكن والأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير.

Abstract

The Poetry of Ibnul-Kattaniyy: Collection, Documentation and Studying

Prepared by

Lubna Ismail Dawud Natsheh

Supervisor

Prof. Dr. Hasan Muhammad Abdul-Hadi Sarahnah

This thesis has studied and analyzed one of the Ayyubid poets: Yusuf Ibn Sulaiman Ibn Saleh Ibn Rahij, known as Ibnul-Kattaniyy, who was born in As-Salam city in Iraq in 535 AH.

This study is divided into two parts, preceded by a boot on the poet's life and his time. In the first part, which consists of two chapters, the researcher studied the poetry of Ibnul-Kattaniyy. In the first chapter, she tackled the topics of his poetry, whereas, in the second chapter, she studied the technical characteristics of his poetry. Moreover, in the second part, the researcher collected the poetry of Ibnul-Kattaniyy from ancient sources and documented them. Finally, the researcher ends the study with a conclusion which summarizes the most important results she has found out.

It is worth mentioning that historical or literary sources have not provided any information about the personality of the poet, nor the details of his private life. However, his poetry may reveal some features of his character. The researcher has introduced the poet's biography and talked about his name, lineage, surname, title and birth. The poet lived and grew up in the city of Baghdad, which he mentioned in his poetry and expressed his attachment to it. Moreover, it seems that the poet's life in Baghdad was not stable, and he suffered from poverty and deprivation. Therefore, he had to leave his hometown of Baghdad. He moved between Egypt and the Levant, contacting rulers and praising them. It is obvious then that Ibnul-Kattaniyy went to Egypt and the Levant, requesting the donations of their kings and ministers.

While sources have not mentioned the date of his death, the poetry of Ibnul-Kattaniyy indicated this. The researcher tried to find out the poet's date of birth through his poetry. She said that the poet might have died between the 618 and 629 AH.

Ibnul-Kattaniyy composed his poetry for traditional purposes. It is probable that praise was one of the purposes he mastered, and therefore, it was in the first place. It formed a large portion of his poetry, which he devoted to

praising the senior men of the Ayyubid State, including kings, princes, ministers, judges and notables. He excelled in praising their good morals and qualities. Therefore, earning his living was the main aim of composing praise poems.

Other purposes of Ibnul-Kattaniyy's, such as love, wine, description, brotherhoods, nostalgia and longing were mixed among them. The poet possessed the good features of all poetry purposes he composed. His love poetry, with which he introduced his poems, pictured him being charmed by beauty. He would sometimes court the Arab or Turkish woman, and other times courting lads. Moreover, the meanings of most of Ibnul-Kattaniyy's poetry purposes were traditional, but they would sometimes be creative, revealing high capacity, which he mastered in composing poetry. He did not come out of the ordinary meanings of praise, love and wine in Arabic poetry.

Ibnul-Kattaniyy maintained the authentic image of Arabic poetry, whether in the composition of the poem, its conceit, language or style. In praise, he used eloquent and solemn styles, whereas he used tender and easy styles in other purposes, such as love, wine, description and brotherhoods. Furthermore, Ibnul-Kattaniyy composed poetry in most of its meters, with various rhythms and appropriate music, which was congruent with its utterances and emotions.

Above all, the poet's culture had a great influence on artistic variety, which was obvious in calling for religion and literature. This took various forms in his poetry, derived from his observations and environment. Besides, he diversified in composing the poetic image, depending on sensory, mental and suggestive images.

The number of Ibnul-Kattaniyy's poems and strophes, which the researcher was able to collect, was about ninety-seven, with a total of eight-hundred and twenty-three lines.

Finally, this study has revealed one of the Ayyubid poets who had a great sense of his own environment and era.